

1 الجزء العاشر

2 تكملة سنة خمس وعشرين ومائة

@ بسم الله الرحمن الرحيم

3 خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

@ قال الواقدي بويع له بالخلافة يوم مات عمه هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وقال هشام بن الكلبي بويع له يوم السبت في ربيع الآخر وكان عمره إذ ذاك أربعاً وثلاثين سنة وكان سبب ولايته أن أباه يزيد بن عبد الملك كان قد جعل الأمر من بعده لأخيه هشام ثم من بعده لولده الوليد هذا فلما ولي هشام أكرم ابن أخيه الوليد حتى ظهر عليه أمر الشراب وخلطاء السيوء ومجالس اللهو فأراد هشام أن يقطع ذلك عنه فأمره على الحج سنة ست عشر ومائة فأخذ معه كلاب الصيد خفية من عمه حتى يقال إنه جعلها في صناديق فسقط منها صندوق فيه كلب فسمع صوته فأحالوا ذلك على الجمال فضرب على ذلك قالوا واصطنع الوليد قبة على قدر الكعبة ومن عزمه أن ينصب تلك القبة فوق سطح الكعبة ويجلس هو وأصحابه هنالك واستصحب معه الخمر والآلات الملاهي وغير ذلك من المنكرات فلما وصل إلى مكة هاب أن يفعل ما كان قد عزم عليه من الجلوس فوق ظهر الكعبة خوفاً من الناس ومن إنكارهم عليه ذلك فلما تحقق عمه منه نهاه مراراً فلم ينته واستمر على حاله القبيح وعلى فعله الرديء فعزم عمه على خلعه من الخلافة وليته فعل وان يولي بعده مسلمة بن هشام وأجابه إلى ذلك جماعة من الأمراء ومن أخواله ومن أهل المدينة ومن غيرهم وليت ذلك تم ولكن لم ينتظم حتى قال هشام يوماً للوليد ويحك والله ما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا فإنك لم تدع شيئاً من المنكرات إلا أتيت غير متحاش ولا مستتر فكتب إليه الوليد

يا أيها السائل عن ديننا * ديني على دين أبي شاعر

نشر بها صرفاً وممزوجة * بالسخن أحياناً وبالفاطر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يسمى أبا شاعر وقال له تشبه الوليد بن يزيد وأنا أريد أن أرقبك إلى الخلافة وبعثه على الموسم سنة تسع عشر ومائة فأظهر النسك والوقار

وقسم بمكة والمدينة أموالاً فقال مولى لأهل المدينة

يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبي شاعر

الواهب الجرد بأرسانها * ليس بزندق ولا كافر

ووقعت بين هشام وبين الوليد بن يزيد وحشة عظيمة بسبب تعاطي الوليد ما كان يتعاطاه من الفواحش والمنكرات فتنكر له هشام وعزم على خلعه وتولية ولده مسلمة ولاية العهد ففر منه الوليد إلى الصحراء وجعل يتراسلن بأقبح المراسلات وجعل هشام يتوعده وعيدا شديداً ويتهدده ولم يزل كذلك حتى مات هشام والوليد في البرية فلما كانت الليلة التي قدم في صبيحتها عليه البرد بالخلافة قلق الوليد تلك الليلة قلقاً شديداً وقال لبعض أصحابه ويحك قد أخذني الليلة قلق عظيم فأركب لعلنا نبسط فسار ميلين يتكلمان في هشام وما يتعلق به من كتبه إليه بالتهديد والوعيد ثم رأيا من بعد رهجا وأصواتاً وغباراً ثم انكشف ذلك عن برد يقصدونه بالولاية فقال لصاحبه ويحك إن هذه رسل هشام اللهم اعطنا خيرها فلما اقتربت البرد منه وتبينوه ترحلوا إلى الأرض وجاءوا فسلموا عليه بالخلافة فبهت وقال ويحكم أمات هشام قالوا نعم قال فمن بعثكم قالوا سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل وأعطوه الكتاب فقرأه ثم سألهم عن أحوال الناس وكيف مات عمه هشام فأخبروه فكتب من فوره بالاحتياط على أموال هشام وحواصله بالرصافة وقال

ليت هشاماً عاش حتى يرى * مكياه الأوفر قد طبعاً

كلناه بالصاع الذي كاله * وما ظلمناه بعد إصبعاً

وما أتيناها ذاك بدعة * أحله الفرقان إلى أجمعاً

وقد كان الزهري يحث هشاماً على خلع الوليد هذا ويستنهضه في ذلك فيحجم هشام عن ذلك خوف الفضيحة من الناس ولئلا تتنكر قلوب الأجناد من أجل ذلك وكان الوليد يفهم ذلك من الزهري ويبغضه ويتوعده ويتهدده فيقول له الزهري ما كان الله ليسلطك علي يا فاسق

ثم مات الزهري قبل ولاية الوليد ثم فر الوليد من عمه إلى البرية فلم يزل بها حتى مات فاحتاط على أموال
عمه ثم ركب من فوره من البرية وقصد دمشق واستعمل العمال وجاءته البيعة من الافاق
وجاءته الوفود وكتب إليه مروان بن محمد وهو إذ ذاك نائب أرمينية يبارك له في خلافة الله
له على عباده والتمكين في بلاده ويهنئه بموت هشام وظفره به والتحكم في أمواله
وحواصله ويذكر له أنه جدد البيعة له في بلاده وأنهم فرحوا واستبشروا بذلك ولولا خوفه من
الثغر لاستتاب عليه وركب بنفسه شوقا إلى رؤيته ورغبة في مشافهته ثم إن الوليد سار في
الناس سيرة حسنة بادي الرأي وأمر باعطاء الزمنى والمجدومين والعميان لكل إنسان
خادما وأخرج من بيت المال الطيب والتحف لعليات المسلمين وزاد في أعطيات الناس
ولاسيما أهل الشام والوفود وكان كريما ممدحا شاعرا مجيدا لايسأل شيئا قط فيقول لا ومن
شعره قوله يمدح نفسه بالكرم

ضمنت لكم إن لم تعقني عوائق * بان سماء الضر عنكم ستقلع
سيوشك الحاق معا وزيادة * وأعطيه مني اليكم تبرع
محرمكم ديوانكم وعطاؤكم * به يكتب الكتاب شهرا وتطيع
وفي هذه السنة عقد الوليد البيعة لابنه الحكم ثم عثمان على أن يكونا ولي العهد من بعده
وبعث البيعة إلى يوسف بن عمر عم أمير العراق وخراسان فأرسلها إلى نائب خراسان نصر
بن سيار فخطب بذلك نصر خطبة عظيمة بليغة طويلة ساقها ابن جرير بكما لها واستوثق
للوليد الممالك في المشارق والمغرب وأخذت البيعة الولدية من بعده في الافاق وكتب
الوليد إلى نصر بن سيار بالاستقلال بولاية خراسان ثم وفد يوسف بن عمر على الوليد فسأله
أن يرد إليه ولاية خراسان فردها إليه كما كانت في أيام هشام وأن كان يكون نصر بن سيار
ونوابه من تحت يده فكتب عند ذلك يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يستوفد إلى أمير
المؤمنين بأهله وعياله وأن يكثر من استصحاب الهدايا والتحف فحمل نصر بن سيار ألف
مملوك على الخيل وألف وصيفة وشيئا كثيرا من أباريق الفضة والذهب وغير ذلك من
التحف وكتب إليه الوليد يستحثه سريعا ويطلب منه أن يحمل معه طنائير ويرابط ومغنيات
وبازات وبرادين فرة وغير ذلك من آلات الطرب والفسق فكره الناس ذلك منه وكرهوه
وقال المنجمون لنصر بن سيار إن الفتنة قريبا ستقع بالشام فجعل يتناقل في سيره فلما أن
كان ببعض الطريق جاءته البرد فأخبره بأن الخليفة الوليد قد قتل وهاجم الفتنة العظيمة في
الناس بالشام فعدل بما معه إلى بعض المدن فأقام بها وبلغه أن يوسف بن عمر قد هرب
من العراق واضطربت الأمور وذلك بسبب قتل الخليفة على ما سذكروه وبالله المستعان
وفي هذه السنة ولي الوليد يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ولاية المدينة ومكة والطائف
وأمره أن يقيم إبراهيم ومحمدا ابني هشام الثقفي ولاية المدينة ومكة والطائف وأمره أن
يقيم إبراهيم بن إسماعيل المخزومي بالمدينة مهانين لكونهما خالي هشام ثم يبعث بهما إلى
يوسف بن عمر نائب العراق فبعثهما إليه فما زال يعذبهما حتى ماتا وأخذ منهما أموالا كثيرة
وفي هذه السنة ولي يوسف بن محمد بن يحيى بن سعيد الانصاري قضاء المدينة وفيها بعث
الوليد بن يزيد إلى أهل قبرص جيشا مع أخيه وقال خيرهم فمن شاء أن يتحول إلى الشام
ومن شاء أن يتحول إلى الروم فكان من اختار جوار المسلمين بالشام ومنهم من انتقل إلى
بلاد الروم

فطوبت كفى يا جمان على العصا * وكفى جمان بطيها حدثانا
قال ابن جرير وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهزين قريظ وقحطبه بن
شبيب فلقوا في قول أهل السير محمد بن علي فأخبره بقصة ابي مسلم فقال أحر هو أم لا
فقالوا أما هو فيزعم أنه حر وأما مولاه فيزعم أنه عبده عبد فاشتروه فاعتقوه ودفعوا إلى
محمد بن علي مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألفا وقال لهم لعلمكم لاتلقوني بعد عامكم هذا
فإن مت فان صاحبكم إبراهيم بن محمد يعني ابنه فإنه ابني فأوصيكم به ومات محمد بن
علي في مستهل ذي القعدة في هذه السنة بعد أبيه بسبع سنين وفيها قتل يحيى بن يزيد بن
علي بخرسان وحج الناس فيها يوسف بن محمد الثقفي أمير مكة والمدينة والطائف وأمير

العراق ويوسف بن عمر وأمير خراسان نصر بن سيار وهو في همة الوفود إلى الوليد بن يزيد أمير المؤمنين بما معه من الهدايا والتحف فقتل الوليد قبل أن يجتمع به ممن توفي فيها من الأعيان :

3 محمد بن علي

@ ابن عبدالله بن عباس أبو عبدالله المدني وهو أبو السفاح والمنصور روي عن أبيه وجده وسعيد بن جبير وجماعة وحدث عنه جماعة منهم ابنه الخليفة أبو العباس عبدالله السفاح وأبو جعفر عبدالله المنصور وقد كان عبدالله بن محمد بن الحنفية أوصى إليه بالأمر من بعده وكان عنده علم بالأخبار فبشره بأن الخلافة ستكون في ولدك فدعا إلى نفسه في سنة سبع وثمانين ولم يزل أمره يتزايد حتى توفي في هذه السنة وقيل في التي قبلها وقيل في التي بعدها عن ثلاث وستين سنة وكان من أحسن الناس شكلا فأوصى بالأمر من بعده لولده إبراهيم فما أبرم الأمر إلا لولده السفاح فاستلب من بني أمية الأمر في سنة ثنتين وثلاثين كما سيأتي

3 وأما يحيى بن زيد

@ ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فإنه لما قتل أبوه زيد في إحدى وعشرين ومائة لم يزل يحيى مختفيا في خراسان عند الحريش بن عمرو بن داود ببلخ حتى مات هشام فكتب عند ذلك يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يخبره بأمر يحيى بن زيد فكتب نصر بن سيار إلى نائب بلخ مع عقيل بن معقل العجلي فأحضر الحريش فعاقبه ستمائة سوط فلم يدل عليه وجاء ولد الحريش فدلهم عليه فجلس فكتب نصر بن سيار إلى يوسف بذلك فبعث إلى الوليد بن يزيد يخبره بذلك فكتب الوليد إلى نصر بن سيار يأمره بإطلاقه من السجن وأرساله إليه صحبة أصحابه فأطلقهم وأطلق لهم وجههم إلى دمشق فلما كانوا ببعض الطريق توسم نصر منه عذرا فبعث إليه جيشا عشرة آلاف فكسروهم يحيى بن زيد وإنما معه سبعون رجلا وقتل أميرهم واستلب منهم أموالا كثيرة ثم جاء جيش آخر فقتلوه واحتزوا رأسه وقتلوا جميع أصحابه رحمهم الله

2 ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

@

3 فيها كان مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك وهذه ترجمته

@ هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أبو العباس الأموي الدمشقي بويع له بالخلافة بعد عمه هشام في السنة الخالية بعهد من أبيه كما قدمنا وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي وكان مولده سنة تسعين وقيل ثنتين وتسعين وقيل سبع وثمانين وقتل يوم الخميس لليلتين بقيتا في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ووقعت بسبب ذلك فتنة عظيمة بين الناس بسبب قتله ومع ذلك إنما قتل لفسقه وقيل وزندقته وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة ثنا بن عياش حدثني الأوزاعي وغيره عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال ولد لأخي أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سميتموه بإسم فراعينكم ليكون في هذه الأمة رجل يقال له الوليد لهو أشد فسادا لهذه الأمة من فرعون لقومه قال الحافظ ابن عساکر وقد رواه الوليد بن مسلم ومعقل بن زياد ومحمد بن كثير وبشر بن أبي بكر عن الأوزاعي فلم يذكروا عمر إسناده وأرسلوه ولم يذكر ابن كثير سعيد بن المسيب ثم ساق طريقه هذه كلها بأسانيدها وألفاظها وحكى عن البهقي أنه قال هو مرسل حسن ثم ساق من طريق محمد بن محمد بن عمر بن عطاء عن زينب بنت أم سلمة عن أمها قالت: دخل النبي صلى الله عليه وسلم وعندي غلام من آل المغيرة إسمه الوليد فقال من هذا يا أم سلمة قالت هذا الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقد اتخذتم الوليد خنانا حسانا غيروا اسمه فإنه سيكون في هذه الأمة فرعون يقال له الوليد وروي ابن عساکر من حديث عبدالله بن محمد بن مسلم ثنا محمد بن غالب الأنطاكي ثنا محمد بن سليمان بن أبي داود ثنا صدقة عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة ابن الجراح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يزال هذا الأمر قائما بالقسط حتى ينلمه رجل من بني أمية

3 مقتله وزوال دولته

@ كان هذا الرجل مجاهرا بالفواحش مصرا عليها منتهكا محارم الله عز وجل لا يتحاشى من معصية وربما اتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال من الدين فإله أعلم الذي يظهر أنه كان عاصيا شاعرا ما جنا متعاطيا للمعاصي لا يتحاشاها من أحد ولا يستحي من أحد قبل أن يلي الخلافة وبعد أن ولي وقد روي أن أخاه سليمان كان من جملة من سعى في قتله قال أشهد أنه كان شروبا للخمر ما جناه فاسقا ولقد أرادني على نفسي الفاسق وحكى المعافى بن زكريا عن ابن دريد عن أبي حاتم عن العتبي أن الوليد بن يزيد نظر إلى نصرانية من حسان نساء النصارى اسمها سفري فأحبها فبعث يراودها عن نفسها فأبت عليه فألح عليها وعشقها فلم تطاوعه فاتفق اجتماع النصارى في بعض كنائسهم لعيد لهم فذهب الوليد إلى بستان هناك فتنكر وأظهر أنه مصاب فخرج النساء من الكنيسة إلى البستان فرأينه فأحدقن به فجعل يكلم سفري ويحدثها وتضحكه ولا تعرفه حتى استشفى من النظر إليها فلما انصرفت قيل لها ويحك أتدريين من هذا الرجل فقالت لا فقيل لها هو الوليد فلما تحققت ذلك حنت عليه بعد ذلك وكانت عليه أحرص منه عليها قبل أن تحن عليه فقال الوليد في ذلك أبياتا

أضحك فؤادك يا وليد عميدا * صبا قديما للحنان صيودا
في حب واضحة العوارض طفلة * برزت لنا نحو الكنيسة عيدا
ما زلت أرمقها بعيني وامق
حتى بصرت بها تقبل عودا

عود الصليب فويح نفسي من رأي * منكم صليبا مثله معبود
فسألت ربي أن أكون مكانه * وأكون في لهيب الجحيم وقودا
وقال فيها أيضا لما ظهر أمره وعلم بحال الناس وقيل أن هذا وقع قبل أن يلي الخلافة
الأحبذا سفري إن قيل إنني * كلفت بنصرانية تشرب الخمر
يهون علينا أن نظل نهارنا * إلى الليل لا ظهرا نصلي ولا عصرا
قال القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري المعروف بابن طرار النهرواني بعد إبراده هذه الأشياء للوليد في نحو هذا من الخلاعة والمجون وسخافة الدين وما يطول ذكره وقد ناقضناه في أشياء من منظوم شعره المتضمن ركيك ضلالة وكفره وروى ابن عساكر بسنده أن الوليد سمع بخمار صلف بالحيرة فقصدته حتى شرب منه ثلاثة ارطال من الخمر وهو راكب على فرسه ومعه إثنان من أصحابه فلما إنصرف أمر للخمار بخمسمائة دينار وقال القاضي أبو الفرج أخبار الوليد كثيرة قد جمعها الأخباريون مجموعة ومفردة وقد جمعت شيئا من سيرته وأخباره ومن شعره الذي ضمنه ما فجر به من جرأته وسفاهته وحمقه وهزله ومجونه وسخافة دينه وما صرح به من الإلحاد في القرآن العزيز والكفر بمن أنزل عليه وقد عارضت شعره السخيف بشعر حصيف وباطله بحق نبيه شريف وترجيت رضاء الله عز وجل واستيجاب مغفرته

وقال أبو بكر بن أبي خثيمة ثنا سليمان بن أبي شيخ صالح بن سليمان قال أراد الوليد ابن يزيد الحج وقال أشرب فوق ظهر الكعبة الخمر فهموا ان يفتكوا به إذا خرج فجاءوا إلى خالد ابن عبدالله القسري فسألوه أن يكون معهم فأبى فقالوا له فإتكم علينا فقال أما هذا فنعم فجاء إلى الوليد فقال لاتخرج فإني أخاف عليك فقال ومن هؤلاء الذين تخافهم علي قال لا أخبرك بهم قال إن لم تخبرني بهم بعثت بك إلى يوسف بن عمر قال وإن بعثت بي إلى يوسف ابن عمر فبعثه إلى يوسف فعاقبه حتى قتله وذكر ابن جرير أنه لما امتنع أن يعلمه بهم سجنه ثم سلمه إلى يوسف بن عمر يستخلص منه أموال العراق فقلته وقد قيل إن يوسف لما وفد إلى الوليد اشترى منه خالد بن عبدالله القسري بخمسين ألف يخلصها منه فما زال يعاقبه ويستخلص منه حتى قتله فغضب أهل اليمن من قتله وخرجوا على الوليد قال الزبير بن بكار حدثنا مصعب بن عبدالله قال سمعت أبي يقول كنت عند المهدي فذكر الوليد بن يزيد فقال رجل في المجلس كان زنديقا فقال المهدي فذكره فقال المهدي خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق وقال أحمد بن عمير بن حوصاء الدمشقي ثنا عبد الرحمن بن الحسن ثنا الوليد بن مسلم ثنا حصين بن الأزهر بن الوليد قال سمعت أم الدرداء تقول إذا قتل الخليفة الشاب من بني أمية بين الشام والعراق مظلوما لم

يزل طاعة مستخف بها ودم مسفوك على وجه الارض يغير حق قال الإمام أبو جعفر بن

جرير الطبري

3 ذكر قتل يزيد بن الوليد الناقص للوليد بن يزيد

@ قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخلاعته ومجاتته وفسقه وما ذكر عن تهاونه بالصلوات واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته وبعدها فإنه لم يزد في الخلافة إلا شرا ولهو ولذة وركوبا للصيد وشرب المسكر ومنادمة الفساق فما زادت الخلافة على ما كان قبلها إلا تماديا وغرورا فثقل ذلك على الأمراء والرعية والجند وكرهوه كراهة شديدة وكان من أعظم ما جنى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه إفساده على نفسه بني عميه هشام والوليد بن عبد الملك مع إفساده اليمامة وهي أعظم جند خراسان وذلك أنه لما قتل خالد بن عبدالله القسري وسلمه إلى غريمه يوسف بن عمر الذي هو نائب العراق إذ ذاك فلم يزل يعاقبه حتى هلك إنقلبوا عليه وتنكروا له وساء لهم قتله كما سنذكره في ترجمة ثم روي ابن جرير بسنده أن الوليد بن يزيد ضرب ابن عمه سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وغربه إلى عمان فحبسه بها فلم يزل هناك حتى قتل الوليد وأخذ جارية كانت لآل عمه الوليد بن عبد الملك فكلمه فيها عمر بن الوليد فقال لا أردّها فقال إذا تكثرت لصواهل حول عسكري وحبس الاقمم يزيد بن هشام وباع لولديه الحكم وعثمان وكانا دون

البلوغ فشق ذلك على الناس أيضا ونصحوه فلم ينتصحو ونهوه فلم يرتدع ولم يقبل قال المدائني في روايته ثقل ذلك على الناس وربما بنو هاشم وبنو الوليد بالكفر والزندقة وغشيان أمهات أولاد أبيه وباللواط وغيره وقالوا أتخذ مائة جامعة على كل جامعة اسم رجل من بني هاشم ليقتله بها ورموه بالزندقة وكان أشدهم منه قولا يزيد بن الوليد بن عبد الملك وكان الناس إلى قوله أميل لأنه أظهر النسك والتواضع ويقول ما يسعنا الرضا بالوليد حتى حمل الناس على الفتك به قالوا وانتدب للقيام عليه جماعة من قضاة واليمانية وخلق من أعيان الأمراء وآل الوليد بن عبد الملك وكان القائم بأعباء ذلك كله والداعي إليه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وهو من سادات بني أمية وكان ينسب إلى الصلاح والدين والورع فبايعه الناس على ذلك وقد نهاه أخوة العباس بن الوليد فلم يقبل فقال والله لولا إني أخاف عليك لقيدتك وأرسلتك إليه واتفق خروج الناس من دمشق من وباء وقع بها فكان ممن خرج بن يزيد أمير المؤمنين في طائفة من أصحابه نحو المائتين إلى ناحية مشارف دمشق فانتظم إلى يزيد لن الوليد أمره وجعل أخوه العباس ينهاه عن ذلك أشد النهي فلا يقبل فقال العباس ذلك

إني اعيدكم بالله من فتن * مثل الجبال تسامى ثم تندفع

إن البرية قد ملت سياستكم * فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا

لا تلحمن ذئاب الناس أنفسكم * إن الذباب إذا ما ألحمت رتعوا

لا تبقرن بأيديكم بطونكم * فتم لا حسرة تغني ولا جزع

فلما استوثق ليزيد بن الوليد أمره وبايعه من الناس قصد دمشق فدخلها في غيبة الوليد فبايعه أكثر أهلها في الليل وبلغه أن أهل المزة بايعوا كبيرهم معاوية بن مصاد فمضى إليه يزيد ماشيا في نفر من أصحابه فأصابهم في الطريق خطر شديد فأتوه فطرقوا بابه ليلا ثم دخلوا فكلمه يزيد في ذلك فبايعه بن مصاد ثم رجع يزيد من ليلته إلى دمشق على طريق القناة وهو على حمار أسود فحلف أصحابه أنه لا يدخل دمشق إلا في السلاح فليس سلاحا من تحت ثيابه فدخلها وكان الوليد قد استناب على دمشق في غيبته عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفي وعلى شرطتها أبو العاج كثير بن عبدالله السلمى فلما كان ليلة الجمعة اجتمع أصحاب يزيد بين العشائين عند باب الفراديس فلما أذن العشاء الآخرة دخلوا المسجد فلما لم يبق في المسجد غيرهم بعثوا إلى يزيد بن الوليد فجاءهم فقصوا باب المقصورة ففتح لهم خادم فدخلوا فوجدوا أبا العاج وهو سكران فأخذوا خزائن بيت المال وتسلموا الحواصل وتقووا بالأسلحة وأمر يزيد بإغلاق أبواب البلد وأن لا يفتح إلا لمن يعرف فلما أصبح الناس قدم أهل الحواضر من كل جانب فدخلوا من سائر أبواب البلد كل أهل محلة من الباب الذي يليهم فكثرت الجيوش حول يزيد ابن الوليد بن عبد الملك في نصرته وكلهم قد بايعه بالخلافة وقد قال فيه بعض الشعراء في ذلك

فجاءتهم أنصارهم حين أصبحوا * سكاسكها أهل البيوت الصنادد
وكلب فجاؤهم يخيل وعدة * من البيض والابدان ثم السواعد
فأكرم بها أحياء أنصار سنة * هم منعوا حرمتها كل جاحد
وجاءتهم شيبان والازد شرعا * وعبس ولخم بين حام وذائد
وغسان والحيان قيس وتغلب * واحجم عنها كل وان وزاهد
فما أصبحوا إلا وهم أهل ملكها * وقد استوثقوا من كل عات ومارد
وبعث يزيد بن الوليد عبدالرحمن بن مصاد في مائتي فارس إلى قطنا ليأتوه بعبد الملك بن
محمد ابن الحجاج نائب دمشق وله الأمان وكان قد تحصن هناك فدخلوا عليه فوجدوا عنده
خرجين في كل واحد منهما ثلاثون الف دينار فلما مروا بالمزة قال أصحاب ابن مصاد خذ هذا
المال فهو خير من يزيد بن الوليد فقال لا والله لا تحدث العرب إنني أول من خان ثم أتوه
يزيد بن الوليد فاستخدم من ذلك المال جندا للقتال قريبا من ألفي فارس وبعث به مع أخيه
عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك خلف الوليد بن يزيد ليأتوا به وركب بعض موالي الوليد
فرسا سابقا فساق به حتى انتهى إلى مولاة من الليل وقد نفق الفرس من السوق فأخبره
الخبر فلم يصدقه وأمر بضربه ثم تواترت عليه الاخبار فأشار عليه بعض أصحابه أن يتحول
من منزله ذاك إلى حمص فإنها حصينة وقال الابرش سعيد بن الوليد الكلبي انزل على قومي
بتدمر فأبى أن يقبل شيئا من ذلك بل ركب بمن معه وهو في مائتي فارس وقصد أصحاب
يزيد فالتقوا بثقله في أثناء الطريق فأخذوه وجاء الوليد فنزل حصن البخراء الذي كان للنعان
بن بشر وجاءه رسول العباس بن الوليد إنني أتيتك كان من أنصاره فأمر الوليد بابرار سريره
فجلس عليه وقال أعلى يتوثب الرجال وأنا أثب على الأسد وأتخصر الأفاعي وقدم عبد
العزيز بن الوليد بمن معه وإنما كان قد خلص معه من الالف فارس ثمانمائة فارس فتصافوا
فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل من أصحاب العباس جماعة حملت رؤسهم إلى الول وقد كان جاء
العباس بن الوليد لنصرة الوليد بن يزيد فبعث إليه أخوه عبد العزيز فجيء به قهرا حتى بايع
لأخيه يزيد بن الوليد واجتمعوا على حرب الوليد بن يزيد فلما رأى الناس اجتماعهم فروا من
الوليد إليهم وبقي الوليد في ذل وقل من الناس فلجأ إلى الحصن فجاؤا إليه وأحاطوا به من
كل جانب يحاصرونه فدنا الوليد من باب الحصن فنادى ليكلمني رجل شريف فكلمه يزيد بن
عنبسه السككي فقال الوليد ألم أذفع الموت عنكم ألم أعط فقراؤكم ألم أخدم نساءكم
فقال يزيد إنما ننقم عليك انتهاك المحارم وشرب الخمر ونكاح إبهات وأولاد أبيك
واستخفافك بأمر الله عز وجل فقال حسبك يا أبا السكاسك لقد أكثرت وأغرقت وإن فيما
أحل الله لي لسعة عما ذكرته ثم قال أما والله لئن قتلتموني لا ترتقن فتنتكم ولا يلم بشعثكم
ولا تجتمع كلمتكم ورجع إلى القصر فجلس ووضع بين يديه مصحفا فنشره وأقبل يقرأ فيه
وقال يوم كيوم عثمان واستسلم وتسور عليه اولئك الحائط فكان أول من نزل إليه يزيد بن
عنبسه فتقدم إليه وإلى جانبه سيف فقال نحه عنك فقال الوليد لو أردت القتال به لكان غير
هذا فأخذ بيده وهو يريد أن يحبسه حتى يبعث به إلى يزيد بن الوليد فبادره عليه عشرة من
الأمراء فأقبلوا على الوليد يضربونه على رأسه ووجهه بالسيوف حتى قتلوه ثم جروه برجله
ليخرجوه فصاحت النسوة فتركوه واحتز أبو علاقة القضاعي رأسه واحتاطوا على ما كان
معه مما كان خرج به في وجهه ذلك وبعثوا به إلى يزيد مع عشرة نفر منهم منصور بن
جمهور وروح بن مقبل وبشر مولى كنانة من بني كلب وعبد الرحمن الملقب بوجه الفليس
فلما انتهوا إليه بشروه بقتل الوليد وسلموا عليه بالخلافة فأطلق لكل رجل من العشرة
عشرة الألف فقال له روح بن بشر بن مقبل أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الوليد الفاسق
فسجد شكرا لله ورجعت الجيوش إلى يزيد فكان أول من أخذ يده للمبايعة يزيد بن عنبسه
السككي فانتزع يده من يده وقال اللهم إن كان هذا رضى لك فأعني عليه وكان قد جعل
لمن جاءه برأس الوليد مائة ألف درهم فلما جيء به وكان ذلك ليلة الجمعة قيل يوم الأربعاء
للبلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة فأمر يزيد ب نصب رأسه على رمح
وأن يطاف به في البلد فقيل له إنما ينصب رأس الخارجي فقال والله لأنصبه فشهره في
البلد على رمح ثم أودعه عند رجل شهرا ثم بعث به إلى أخيه سليمان بن يزيد فقال أخوه
بعدالة أشهد أنك كنت شروبا للخمر ماجنا فاسقا ولقد أرادني على نفسي هذا الفاسق وأنا

أخوه لم يأنف من ذلك وقد قيل إن رأسه لم يزل معلقا بحائط جامع دمشق الشرقي مما يلي الصحن حتى إنقضت دولة بني أمية وقيل إنما كان ذلك أثر دمه وكان عمره يوم قتل ستا وثلاثون سنة وقيل ثمانيا وثلاثين وقيل إحدا وثلاثين وقيل ثنتان وقيل خمس وقيل ست وأربعون سنة ومدة ولايته سنة وست أشهر على الأشهر وقيل ثلاثة أشهر قال ابن جرير كان شديد البطش طويل أصابع الرجلين كانت تضرب له سكة الحديد في الارض ويربط فيها خيط إلى رجله ثم يثب على الفرس فيركبها ولا يمسه الفرس فتتقلع تلك السكة من الارض مع وثبته

3 خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

@ وهو الملقب بالناقص لنقصه الناس من أعطياتهم ما كان زاده الوليد بن يزيد في أعطياتهم وهي عشرة عشرة ورده إياهم إلى ما كانوا عليه في زمن هشام ويقال إن أول من لقبه بذلك مروان بن محمد بويج له بالخلافة بعد مقتل الوليد بن يزيد وذلك ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة من هذه السنة حتى سنة ست وعشرين ومائة وكان فيه صلاح وورع قبل ذلك فأول ما عمل انتقاصه من أرزاق الجند ما كان الوليد زادهم وذلك في كل سنة عشرة عشرة فسمي الناقص لذلك ويقال في المثل الاشج والناقص أعدلا خلفاء بني مروان يعني عمر بن عبد العزيز وهذا ولكن لم تطل أيامه فإنه توفي من آخر هذه السنة واضطربت عليه الامور وانتشرت الفتن واختلفت كلمة بني مروان فنهض سليمان بن هشام وكان معتقلا في سجن الوليد بعمان فاستجوز على أموالها وحواصلها وأقبل إلى دمشق فجعل يلعن الوليد وبعيبيه ويرميه بالكفر فأكرمه يزيد ورد عليه أمواله التي وكان أخذها من الوليد وتزوج يزيد أخت سليمان وهي أم هشام بنت هشام ونهض أهل حمص إلى دار العباس بن الوليد التي عندهم فهدموها وحبسوا أهله وبنيه وهرب هو من حمص فلحق بيزيد بن الوليد إلى دمشق وأظهر أهل حمص الأخذ بدم الوليد بن يزيد وأغلقوا أبواب البلد وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد وكاتبوا الأجناد في طلب الأخذ بالثار فأجابهم إلى ذلك طائفة كبيرة منهم على أن يكون الحكم بن الوليد بن يزيد الذي أخذ له العهد هو الخليفة وخلعوا نائهم وهو مروان بن عبدالله بن عبد الملك بن مروان ثم قتلوه وقتلوا ابنه وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد كتب إليهم كتابا مع يعقوب بن هانيء ومضمون الكتاب أنه يدعوا إلى أن يكون الأمر بشورى فقال عمرو بن قيس فإذا كان الأمر كذلك فقد رضينا بولي عهدنا الحكم بن الوليد فأخذ يعقوب بلحيته وقال ويحك لو كان هذا الذي تدعوا إليه يتيما تحت جرك لم يحل لك أن تدفع إليه ماله فكيف أمر الأمة فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم عنهم وأخرجوهم من بين أظهرهم وقال لهم أبو محمد السفيناني لو قدمت دمشق لم يختلف علي منهم أثنان فركبوا معه وساروا نحو دمشق وقد امروا عليهم السفيناني فتلقاهم سليمان بن هشام في جيش كثيف قد جهزهم معه يزيد وجهز أيضا عبد العزيز بن الوليد في ثلاثة آلاف يكونون عند ثنية العقاب وجهز هشام بن مصاد المزي في ألف وخمسمائة ليكونوا على عقبة السلمية فخرج أهل حمص فساروا وتركوا جيش سليمان بن هشام ذات اليسار وتعدوه فلما سمع بهم سليمان ساق في طلبهم فلحقهم عند السليمانية فجعلوا الزيتون عن إيمانهم والجبل عن شمائلهم والحيات من خلفهم ولم يبق تخلص إليهم إلا من جهة واحدة فاقتتلوا هنالك في قبالة الحر قالا شديدا فقتل طائفة كبيرة من الفريقين فبينما هم كذلك إذ جاء عبد العزيز بن الوليد بمن معه فحمل على أهل حمص فاخترق جيشهم حتى ركب التل الذي في وسطهم وكانت الهزيمة فهرب أهل حمص وتفرقوا فأتبعهم الناس يقتلون ويأسرون ثم تنادوا بالكف عنهم على أن يبايعوا ليزيد بن الوليد وأسروا منهم جماعة مهم أبو محمد السفيناني ويزيد بن خالد بن معاوية ثم ارتحل سليمان وعبد العزيز فنزلا عذراء ومعهم الجيوش وأشرف الناس وأشرف أهل حمص من الاساري ومن استجاب من غير اسر بعد ما قتل منهم ثلاثمائة نفس فدخلوا بهم على يزيد بن الوليد فأقبل عليهم وأحسن إليهم وصفح عنهم وأطلق الأعطيات لهم لاسيما لأشرفهم وولى عليهم الذي اختاروه وهو معاوية بن يزيد بن الحصين وطابت عليه أنفسهم وأقاموا عنده في دمشق سامعين مطيعين له

وفيها بايع أهل فلسطين يزيد بن سليمان بن عبد الملك وذلك أن بني سليمان كانت لهم أملاك هناك وكانوا يتركونها بيدلونها لهم وكان أهل فلسطين يحبون مجاورتهم فلما قتل الوليد بن يزيد كتب سعيد بن روح بن زبناغ وكان رئيس تلك الناحية إلى يزيد بن سليمان بن عبد الملك يدعوهم إلى المبايعة له فأجابوه إلى ذلك فلما بلغ أهل الأردن خبرهم بايعوا أيضا محمد بن عبد الملك ابن مروان وأمروه عليهم فلما انتهى خبرهم إلى يزيد بن الوليد أمير المؤمنين بعث إليهم الجيوش مع سليمان بن هشام في الدماشقة وأهل حمص الذين كانوا مع السفيناني فصالحهم أهل الأردن أولا ورجعوا إلى الطاعة وكذلك أهل فلسطين وكتب يزيد بن الوليد ولاية الامرة بالرملة وتلك النواحي إلى أخيه إبراهيم بن الوليد واستقرت الممالك هنالك وقد خطب أمير المؤمنين يزيد ابن الوليد الناس بدمشق فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال

أما بعد أيها الناس أما والله ما خرجت أشر ولا بطرا ولا حرصا علي الدنيا ولا رغبة في الملك وما بي إطرء نفسي إنني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي فإني هالك ولكني خرجت غضبا لله ورسوله ولدينه وداعيا إلى الله وكتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لما هدمت معالم الدين وأطفئ نور أهل التقوى وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمة والراكب كل بدعة مع أنه والله ما كان مصدقا بالكتاب ولا مؤمنا بيوم الحساب وإنه لابن عمي في النسب وكفوي بالحسب فلما رأيت ذلك استخرت الله في أمره وسألته أن لا يكلني إلى نفسي ودعوت إلى ذلك من أجنبي من أهل ولايتي وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد بحول الله وقوته لايحولي ولا بقوتي أيها الناس إن لكم على أن لا أضع حجرا على حجر ولا لبنه على لبنه ولا أكرى نهرا ولا أكثر مالا ولا أعطية زوجة ولولدا ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى أسد ثعر ذلك البلد وخصاصة أهله بما يغنيهم فإن فضل عن ذلك فضل نقلته إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوج إليه ولا أجمركم في ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم ولا أغلق بابي دونكم فيأكل قوبكم ضعيفكم ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يجلبهم عن بلادهم ويقطع سبلهم وإن لكم عندي أعطياتكم في كل سنة وأرزاقكم في كل شهر حتى تستدر المعيشة بين المسلمين فيكون أقصاهم كادناهم فإن أنا وفيت لكم بما قلت فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة وإن أنا لم أوف لكم فلكم أن تخلعونني وإلا ان تستتيبوني فإن تبت قبلتم مني وان علمتم أحدا من أهل الصلاح والدين يعطيكم من نفسه ما مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تبايعوه فأنأ أول من يبايعه ويدخل في طاعته أيها الناس إنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق إنما الطاعة طاعة الله فمن أطاع الله فأطيعوه ما أطاع الله فإذا عصى أو دعا إلى معصية فهو أهل أن يعصى ولا يطاع بل يقتل وبهان أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن إمرة العراق لما ظهر منه من الحنق على اليمانية وهم قوم خالد بن عبدالله القسري حتى قتل الوليد بن يزيد وكان قد سجن غالب من ببلاده منهم وجعل الأرصاد على الثغور خوفا من جند الخليفة فعزله عنها أمير المؤمنين يزيد بن الوليد وولى عليها منصور بن جمهور مع بلاد السند وسجستان وخراسان وقد كان منصور بن جمهور أعرايا جلفا وكان يدين بمذهب الغيلانية القدرية ولكن كانت له آثار حسنة وعناء كثير في مقتل الوليد بن يزيد فحظي بذلك عند يزيد بن الوليد ويقال إنه لما فرغ الناس من الوليد ذهب من فوره إلى العراق فأخذ البيعة من أهلها إلى يزيد وقرر بالأقاليم نوابا وعمالا وكر راجعا إلى دمشق في آخر رمضان فلذلك ولاه الخليفة ما ولاه والله أعلم

وأما يوسف بن عمر فإنه فر من العراق فلحق ببلاد البلقاء فبعث إليه أمير المؤمنين يزيد فأحضره إليه فلما وقف بين يديه أخذ بلحيته وكان كبير اللحية جدا كانت تجاوز سرتة وكان قصير القامة فويخه وأنبه ثم سجنه وأمر باستخلاص الحقوق منه ولما أنهى منصور بن جمهور إلى العراق قرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين إليهم في كيفية مقتل الوليد وأن الله أخذه أخذ عزيز مقتدر وأنه قد ولي عليهم منصور بن جمهور لما يعلم من شجاعته ومعرفته بالحرب فبايع أهل العراق ليزيد بن الوليد وكذلك أهل السند وسجستان وأما نصر بن سيار نائب خراسان فإنه إمتنع من السمع والطاعة لمنصور بن جمهور وابتدأ ينقاد لأوامره وقد كان نصر هذا جهز هدايا كبيرة للوليد بن يزيد فاستمرت له وفي هذه السنة

كتب مروان الملقب بالحمار كتابا إلى عمر بن يزيد أخي الوليد بن يزيد يحثه على القيام بطلب دم أخيه الوليد وكان مروان يومئذ أميرا على أذربيجان وأرمينية ثم إن يزيد بن الوليد عزل منصور ابن جمهور عن ولاية العراق وولى عليها عبدالله بن عمر بن عبد العزيز وقال له إن أهل العراق يحبون أباك فقد وليتها وذلك في شوال وكتب له إلى امراء الشام الذين بالعراق يوصيهم به خشية أن يمنع منصور بن جمهور من تسليم البلاد إليه فسلم إليه وأطاع وسلم وكتب الخليفة إلى نصر بن سيار باستمراره بولاية خراسان مستقلا بها فخرج عليه رجل يقال له الكرمانى لأنه ولد بكرمان وهو أبو علي جديع بن علي بن شبيب المغني واتبعه خلق كثير بحيث إنه كان يشهد الجمعة في نحو من الف وخمسمائة وكان يسلم على نصر بن سيار ولا يجلس عنده فتحير نصر بن سيار وامراؤه فيما يصنع به فاتفق رأيهم بعد جهد على سجنه فسجن قريبا من شهر ثم أطلقه فاجتمع إليه ناس كثير وجم غفير وركبوا معه فبعث إليهم نصر من قاتلهم وقتلهم وقهرهم وكسرهم واستخف جماعات من أهل خراسان بنصر بن سيار وتلاشوا أمره وحرمته والحو عليه في أعطياتهم وأسمعهو غليظ ما يكره وهو على المنبر بسفارة سلم بن احوز أدى إليه ذلك وخرجت الباعة من المسجد الجامع وهو يخطب وانفض كثير من الناس عنه فقال لهم نصر فيما قال والله لقد نشرتكم وطويتكم وطويتكم ونشرتكم فما عندي عشرة منكم على دين فاتقوا الله فوالله لئن اختلف فيكم سيفان ليطمنين الرجل منكم أن ينخلع من أهله وماله وولده ولم يكن رآها ثم تمثل بقول النابغة

فإن يغلب شقاؤكم عليكم * فأنى في صلاحكم سعيت

وقال الحارث بن عبدالله بن الحشرج بن الورد بن المغيرة الجعد

أبيت أرعى النجوم مرتفقا * إذا استلقت نحوي أوائلها

من فتنة أصبحت مجللة * قد عم أهل الصلاة شاملها

من بخراسان والعراق ومن * بالشام كل شجاه شاغلها

يمشي السفيه الذي يعنف بال * جهل سواء فيها وعافلها

فالناس منها في لون مظلمة * دهماء ملتجة غياطلها

والناس في كربة يكاد لها * تنبذ أولادها حواملها

يغدون منها في كل مبهمة * عمياء تمنى لهم غوائلها

لاينظر الناس من عواقبها * إلا التي لا يبين قائلها

كرغوة البكر أو كصيحة حب * لى طرقت حولها قوايلها

فجاء فينا تزرى بوجهته * فيها خطوب حمر زلازلها

وفي هذه السنة أخذ الخليفة البيعة من الأمراء وغيرهم بولاية العهد من بعده لأخيه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ثم بعد إبراهيم لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بن مروان وذلك بسبب مرضه الذي مات فيه وكان ذلك في شهر الحجة منها وقد حرصه على ذلك جماعة من الأمراء والأكابر والوزراء وفيها عزل يزيد عن إمرة الحجاز يوسف بن محمد الثقفي وولى عليها

عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فقدمها في أواخر ذي القعدة منها وفيها أظهر مروان الحمار الخلف ليزيد بن الوليد وخرج من بلاد أرمينية يظهر أنه يطلب بدم الوليد بن يزيد فلما وصل إلى حران أظهر الموافقة وبايع أمير المؤمنين يزيد بن الوليد وفيها أرسل إبراهيم بن محمد بن علي ابن عبدالله بن عباس أبا هاشم بكر بن ماهان إلى أرض خراسان فاجتمع بجماعة من أهل خراسان بمرو فقرأ عليهم كتاب إبراهيم بن محمد الإمام إليه وإليهم ووصيته فتلقوا ذلك بالقبول وأرسلوا معه ما كان عندهم من النفقات وفي سلخ ذي القعدة وقيل في سلخ ذي الحجة وقيل لعشر مضيئ منه وقيل بعد الاضحى منها كان وفاة أمير المؤمنين

3 يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

@ هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي أبو خالد الأموي أمير المؤمنين بويع بالخلافة أول ما بويع بها في قرية المزنة من قرى دمشق ثم دخل دمشق فغلب عليها ثم أرسل الجيوش إلى ابن عمه الوليد بن يزيد فقتله واستحوذ على الخلافة في أواخر جمادى الآخرة من هذه السنة وكان

يلقب بالناقص لنقصه الناس العشرات التي زادهم إياها الوليد بن يزيد وقيل إنما سماه بذلك مروان الحمار وكان يقول الناقص ابن اليد وأمه شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى كسرويه وقال ابن جرير وأمه شاه أفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهر يار بن كسرى وهو القائل

أنا ابن كسرى وأبي مروان * وقبصر جدي وجدي خاقان
وإنما قال ذلك لأن جده فيروز وأم أمه بنت قبصر وأمه شيرويه وهي بنت خاقان ملك الترك
وكانت قد سباها قتيبة بن مسلم هي وأخت لها فبعثهما إلى الحجاج فأرسل بهذه إلى الوليد
واستبقى عنده الأخرى فولدت هذه الوليد بن يزيد الناقص هذا وهذه أخذها الحجاج فكانت
عنده بالعراق وكان مولده في سنة تسعين وقيل في سنة ست وتسعين وقد روى عنه
الاوزاعي مسألة السلم وقد ذكرنا كيفية ولايته فيما سلف في هذه السنة وأنه كان عادلا دينا
محبا للخير مبغضا للشر قاصدا للحق وقد خرج يوم عيد الفطر من هذه السنة إلى صلاة
العيد بين صفين من الخياله والسيوف مسللة عن يمينه وشماله ورجع من المصلى إلى
الخصراء كذلك كان رجلا صالحا يقال في المثل الأشج والناقص أعدلا بني مروان والمراد
عمر بن عبد العزيز وهذا وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني إبراهيم بن محمد المروزي
عن أبي عثمان الليثي قال قال يزيد بن الوليد الناقص يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص
الحياء ويزيد في الشهوة ويهدم المروءة وأنه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فإن
كنتم لا بد فاعلين فجنوه النساء فإنه داعية الزنا وقال ابن عبد الحكيم
عن الشافعي لما ولي يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي يقال له الناقص دعا
الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرب غيلان قاله ابن عساكر قال ولعله قرب أصحاب غيلان
لأن غيلان قتله هشام بن عبد الملك وقال محمد بن المبارك آخر ما تكلم به يزيد بن الوليد
الناقص واحزناه واشقاه وكان نقش خاتمة العظمة لله وكانت وفاته بالخصراء من طاعون
أصابه وذلك يوم السبت لسبع مضين من ذي الحجة وقيل يوم الأضحى منه وقيل بعده بأيام
وقيل لعشر بقين منه وقيل في سلخه وقيل في سلخ ذي القعدة من هذه السنة وأكثر ما
قيل في عمره ست وأربعون سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل غير ذلك فالله أعلم وكانت مدة
ولايته ستة أشهر على الأشهر وقيل خمسة أشهر وأيام وصلى عليه أخوة إبراهيم بن الوليد
وهو ولي العهد من بعده رحمه الله وذكر سعيد بن كثير بن عفير أنه دفن بين باب الجابية
وباب الصغير وقيل إنه دفن بباب الفراءيس وكان أسمر نحيفا حسن الجسم حسن الوجه
وقال علي بن محمد المدني كان يزيد أسمر طويلا صغير الرأس بوجهه خال وكان جميلا وفي
فمه بعض السعة وليس بالمفرط وحج بالناس فيها عبد العزيز بن عمر بن عبدالعزيز وهو
نائب الحجاز وأخوه عبدالله نائب العراق ونصر بن سيار على نيابة خراسان والله سبحانه
أعلم وممن توفي في هذه السنة من الأعيان :

3 خالد بن عبدالله بن يزيد

@ ابن أسد بن كرز بن عامر بن عبقرى أبو الهيثم البجلي القسري الدمشقي أمير مكة
والحجاز للوليد ثم لسليمان وأمير العراقيين لهشام خمس عشرة سنة قال ابن عساكر كانت
داره بدمشق في مربعة القز وتعرف اليوم بدار الشريف اليزيدي وإليه ينسب الحمام الذي
داخل باب توما روى عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له
يا أسد أتحب الجنة قال نعم قال فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك رواه أبو يعلى عن عثمان
بن أبي شيبة عن هيثم عن سيار من أبي الحكم أنه سمعه على المنبر يقول ذلك وممن روى
عنه إسماعيل بن أوسط وإسماعيل بن أبي خالد وجيب بن أبي حبيب وحميد الطويل وروى
أنه روى عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في تكفير المرض الذنوب وكانت أمه
نصرانية وذكره أبو بكر بن عياش في الأشراف فيمن أمه نصرانية وقال المدائني أول ما
عرف من رياسته أنه وطأ صبيا بدمشق بفرسه فحمله فأشهد طائفة من الناس أنه هو
صاحبه فإن مات فعليه دية وقد استنابه الوليد على الحجاز من سنة تسع وثمانين إلى أن
توفي الوليد ثم سليمان وفي سنة ست ومائة استنابه هشام على العراق إلى سنة عشرين
ومائة وسلمه إلى يوسف بن عمر الذي ولاه مكانه فعاقبه وأخذ منه أموالا ثم أطلقه وأقام

بدمشق إلى المحرم من هذه السنة فسلمه الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر يستخلص منه خمسين ألف ألف فمات تحت العقوبة البليغة كسر قدميه ثم ساقيه ثم فخديه ثم صدره فمات ولا يتكلم كلمة واحدة ولا تأوه حتى خرجت روحه رحمه الله

قال الليثي عن أبيه حطب خالد القسري يوما فأرتج عليه فقال أيها الناس إن هذا الكلام يجيء أحيانا ويغرب أحيانا فيتسبب عند مجيئه سببه ويتعذر عند عزوبه مطلبه وقد يرد إلى السليط بيانه وبثيب إلى الحصر كلامه وسيعود إلينا ما تحبون ونعود لكم كما تريدون وقال الاصمعي وغيره حطب خالد القسري يوما بواسطة فقال يا أيها الناس تنافسوا في المكارم وسارعوا إلى المغانم واشتروا الحمد بالجود ولا تكتسبوا بالمطل ذما ولا تعتدوا بمعروف لم تعجلوه ومهما تكن لأحد منكم نعمة عند أحد لم يبلغ شكرها فالله أحسن له جراء وأجزل عطاء وأعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم فلا تملوها فتحول نقما فإن أفضل المال ما كسب اجرا وأورث ذكرا ولو رأيتم المعروف لرأيتموه رجلا حسنا جميلا يسر الناس إذا نظروا إليه ويفوق العالمين ولو رأيتم البخل لرأيتموه رجلا مشوها قبيحا تنفر منه القلوب وتغض دونه الابصار إنه من جاد ساد ومن بخل ذل وأكرم الناس من أعطى من لا يرجوه ومن عفا عن قدرة وأفضل الناس من وصل عن قطيعة ومن لم يطب حرثه لم يترك نبتة والفروع عند مغارسها تنمو وبأصولها تسمو وروى الأصمعي عن عمر ابن الهيثم أن أعرابيا قدم على خالد فأنشده قصيدة امتدحه بها يقول فيها

إليك ابن كرز الخير أقبلت راغبا * لتجبر مني ما وها وتبدل
إلى الماجد البهلول ذي الحلم والندی * وأكرم خلق الله فرعا ومحتد
إذا ما أناس قصرُوا بفعالهم * نهضت فلم تلقى هنالك مفقدا
فيالك بحرا يغمر الناس موجه * إذا يسأل المعروف جاش وأزابدا
بلوت ابن عبدالله في كل موطن * فألفيت خير الناس نفسا وأمجد
فلو كان في الدنيا من الناس خالد * لجود بمعروف لكنت مخلدا
فلا تحرمني منك ما قد رجوته * فيصيح وجهي كالج اللون أربدا

قال فحفظها خالد فلما اجتمع الناس عند خالد قام الأعرابي ينشدها فابتدره إليها خالد فأنشدها قبله وقال أيها الشيخ إن هذا شعر قد سبقناك إليه فنهض الشيخ فولى ذاهبا فاتبعه خالد من يسمع ما يقول فإذا هو ينشد هذه الأبيات
ألا في سبيل الله ما كنت أرتجي * لديه وما لاقيت من نكد الجهد
دخلت على بحر وجود بماله * ويعطي كثير المال في طلب الحمد
فخالفتي الجد المشوم لشقوتي * وقاريني نحسي وفارقني سعدي
فلو كان لي رزق لديه لنلته * ولكن أمر من الواحد الفرد

فرده إلى خالد وأعلمه بما كان يقول فأمر له بعشرة آلاف درهم وقال الأصمعي سأل أعرابي خالد القسري أن يملا له جرابه دقيقا فأمر بملئه له دراهم فقيل للأعرابي حين خرج ما فعل معك فقال سألته بما أشتهي فأمر لي بما يشتهي هو وقال بعضهم بينما خالد يسير في موكبهِ إذ تلقاه أعرابي فسأله أن يضرب عنقه فقال ويحك ولم أقطع السبيل أخرجت يدا من طاعة فكل ذلك يقول لا قال فلم قال من الفقر والفاقة فقال سبل حاجتك قال ثلاثين ألفا فقال خالد ما ربح أحد مثل ما ربح اليوم إني وضعت في نفسي أن يسألني مائة ألف فسأل ثلاثين فربحت سبعين ارجعوا بنا اليوم وأمر له بثلاثين ألفا وكان إذا جلس يوضع المال بين يديه ويقول إن هذه الأموال ودائع لا بد من تفرقتها وسقط خاتم لجاريتته رابعه يساوي ثلاثين ألفا في بالوعة الدار فسألت أن تؤتي بمن يخرجها فقال إن يدك أكرم على من أن تلبسه بعدما صار إلى هذا الموضع القدر وأمر لها بخمسة آلاف دينار بدله وقد كان لرابعه هذه من الحلبي شيء عظيم من جملة ذلك ياقوته وجوهرة كل واحده بثلاثة وسبعين ألف دينار

وقد روى البخاري في كتاب أفعال العباد وابن أبي حاتم في كتاب السنة وغير واحد ممن صنف في كتب السنة أن خالد بن عبدالله القسري خطب الناس في عيد أضحى فقال أيها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فاني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ

إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علواً كبيراً ثم نزل فذبحه في أصل المنبر قال غير واحد من الأئمة كان الجعد بن درهم من أهل الشام وهو مؤدب مروان الحمار ولهذا يقال له مروان الجعدي فنسب إليه وهو شيخ الجهم بن صفوان الذي تنسب إليه الطائفة الجهمية الذين يقولون إن الله في كل مكان بذاته تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً وكان الجعد بن درهم قد تلقى هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له أبان بن سمرعان وأخذه أبان عن طالوت ابن أخت لبيد ابن أعصم عن خاله لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم في مشط وماشطه وجف طلعة ذكر له وتحت راعوفة بنثر ذي اروان الذي كان ماؤها نقاعة الحناء وقد ثبت الحديث بذلك في الصحيحين وغيرهما وجاء في بعض الأحاديث أن الله تعالى أنزل بسبب ذلك سورتي المعوذتين وقال أبو بكر بن أبي خثيمة حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي سمعت أبا بكر بن عياش قال رأيت خالد القسري حين أتى بالمغيرة وأصحابه وقد وضع له سرير في المسجد فجلس عليه ثم أمر برجل من أصحابه فضرب عنقه ثم قال للمغيرة أحيه وكان المغيرة يزعم أنه يحيى الموتى فقال له والله أصلحك الله ما أحيى الموتى قال لتحيينه أو لأضربن عنقك قال والله ما أقدر على ذلك ثم أمر

بطن قصب فأضرموا فيه نارا ثم قال للمغيرة أعتقه فأبى فعدا رجل من أصحابه فأعتقه قال أبو بكر فرأيت النار تأكله وهو يشير بالسبابة قال خالد هذا والله أحق بالرياسة منك ثم قتله وقتل أصحابه وقال المدائني أتى خالد بن عبدالله برجل تنبأ بالكوفة فقيل له ما علامة نبوتك قال قد نزل علي قرآن إنا أعطيك الكماهر فصل لربك ولا تجاهر ولا تطع كل كافر وفاجر فأمر به فصل فقال وهو يصلب إنا أعطيناك العمود فصل لربك على عود فإنا ضامن لك ألا تعود وقال المبرد أتى خالد بشاب قد وجد في دار قوم وادعى عليه السرقة فسأله فاعترف فأمر بقطع يده فتقدمت حسنا فقالت

أخالد قد أوطأت والله عثرة * وما العاشق المسكين فينا بسارق
أقر بما لم يحنه غير أنه * رأى القطع أولى من فضيحة عاشق
فأمر خالد بإحضار أبيها فزوجها من ذلك الغلام وأمهرها عنه عشرة آلاف درهم وقال
الاصمعي دخل أعرابي على خالد فقال إني قد مدحتك بيتين ولست أنشدكما إلا بعشرة
آلاف وخادم فقال نعم فأنشأ يقول

لزمت نعم حتى كأنك لم تكن * سمعت من الأشياء شيئا سوى نعم
وأنكرت لا حتى كأنك لم تكن * سمعت بها في سالف الدهر والأمم
قال فأمر له بعشرة آلاف درهم وخادم يحملها قال ودخل عليه أعرابي فقال له سل حاجتك
فقال مائة ألف فقال أكثر حط منها قال أضع تسعين ألفا فتعجب من خالد فقال أيها الأمير
سألتك على قدرك ووضعت على قدري فقال له لن تغلبنني أبدا وأمر له بمائة ألف قال ودخل
عليه أعرابي فقال إني قد قلت فيك شعرا وأنا أستصغره فيك فقال قل فأنشأ يقول

تعرضت لي بالجود حتى نعشتني * وأعطيتني حتى ضننتك تلعب
فأنت الندى وابن الندى وأخو الندى * حليف الندى ماللندي عنك مذهب
فقال سل حاجتك قال علي خمسون ألف دينار فقال قد أمرت لك بها وأضعفتها لك فأعطاه
مائة ألف قال أبو الطيب محمد بن اسحاق بن يحيى الوساى دخل أعرابي على خالد القسري
فأنشده

كتبت نعم ببابك فهي تدعو * اليك الناس مسفرة النقاب
وقلت للأعليك باب غيري * فانك لن ترى أبدا ببابي
قال فأعطاه على كل بيت خمسين ألفا وقد قال فيه ابن معين كان رجل سوء يقع في علي
بن أبي طالب رضي الله عنه

وذكر الأصمعي عن أبيه أن خالدا حفر بئرا بمكة أذعى فضلها على زمزم وله في رواية عنه
تفضيل الخليفة على الرسول وهذا كفر إلا أن يريد بكلامه غير ما يبدو منه والله أعلم
والذي يظهر أن هذا لا يصح عنه فإنه كان قائما في إطفاء الضلال والبعد كما قدمنا من قتله
للجعد بن درهم وغيره من أهل الإلحاد وقد نسب إليه صاحب العقد أشياء لا تصح لأن

صاحب العقد كان فيه تشيع شنيع ومغالة في أهل البيت وربما لا يفهم أحد من كلامه ما فيه من التشيع وقد أعتز به شيخنا الذهبي فمدحه بالحفظ وغيره وقد ذكر ابن جرير وابن عساكر وغيرهما أن الوليد بن يزيد كان قد عزم على الحج في إمارته فمن نيته أن يشرب الخمر على ظهر الكعبة فلما بلغ ذلك جماعة من الأمراء اجتمعوا على قتله وتولية غيره من الجماعة فحذر خالد أمير المؤمنين منهم فسأله أن يسميهم فأبى عليه فعاقبه عقابا شديدا ثم بعث به إلى يوسف بن عمر فعاقبه حتى مات شر قتله وأسوأها وذلك في محرم من هذه السنة أعني سنة ست وعشرين ومائة وذكره القاضي ابن خلكان في الوفيات وقال كان متهما في دينه وقد بنى لأمه كنيسة في داره قال فيه بعض الشعراء وقال صاحب الأعيان كان في نسبه يهود فانتموا إلى القرب وكان يقرب من شق وسطيح قال القاضي ابن خلكان وقد كانا ابني خالة وعاش كل منهما ستمائة وولدا في يوم واحد وذلك يوم ماتت طريفة بنت الحر بعدما تفلت في فم كل منهما وقالت إنه سيقوم مقامي في الكهانة ثم ماتت من يومها

وممن توفي في هذه السنة جيلة بن سحيم ودارج أبو السمح وسعيد بن مسروق في قول وسليمان ابن حبيب المحاربي قاضي دمشق وعبد الرحمن بن قاسم شيخ مالك وعبيدالله بن أبي يزيد وعمرو بن دينار وقد ذكرنا تراجمهم في كتاب التكميل *2* ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

@ استهلكت هذه السنة والخليفة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك يوصيه أخيه يزيد الناقص إليه وبايعه الأمراء بذلك وجميع أهل الشام إلا أهل حمص فلم يبايعوه وقد تقدم أن مروان بن محمد الملقب بالحمار كان نائبا بأذربيجان وأرمينية وتلك كانت لأبيه من قبله وكان نقم على يزيد بن الوليد في قتله الوليد بن يزيد وأقبل في طلب دم الوليد فلما إنتهى إلى حران أناب وبايع يزيد بن الوليد فلم يلبث إلا قليلا حتى بلغه موته فأقبل في أهل الجزيرة حتى وصل فنسرين فحاصر أهلها فنزلوا على طاعته ثم أقبل إلى حمص وعليها عبد العزيز بن الحجاج من جهة أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد فحاصروهم حتى يبايعوا لإبراهيم بن الوليد وقد اصروا على عدم مبايعته فلما بلغ عبد العزيز قرب مروان بن محمد ترحل عنها وقدم مروان إليها فبايعوه وساروا معه قاصدين دمشق ومعهم جندالجزيرة وجند قنسرين فتوجه مروان إلى دمشق في ثمانين ألفا وقد بعث إبراهيم بن الوليد هشام بن عبد الملك في مائة وعشرين ألفا فالتقى الجيشان عند عين الجر من البقاع فدعاهم مروان إلى الكف عن القتال وأن يتخلوا عن ابني الوليد بن يزيد وهما الحكم وعثمان اللذان قد أخذ العهد لهما وكان يزيد قد سجنهما بدمشق فأبوا عليه ذلك فاقتتلوا قتالا شديدا من حين ارتفاع النهار إلى العصر وبعث مروان سرية تأتي جيش ابن هشام من ورائهم فتم لهم ما أرادوه وأقبلوا من ورائهم يكبرون وحمل الآخرون من تلقاهم عليهم فكانت الهزيمة في أصحاب سليمان فقتل منهم أهل حمص خلقا كثيرا واستبيح عسكرهم وكان مقدار ما قتل من أهل دمشق في ذلك اليوم قريبا من سبعة عشر ألفا أو ثمانية عشر ألفا وأسر منهم مثلهم فأخذ عليهم مروان البيعة للغلامين ابني الوليد الحكم وعثمان وأطلقهم كلهم سوى رجلين وهما يزيد بن العقار والوليد ابن مصاد الكلبيان فضربهما بين يديه بالسياط وحبسهما فماتا في السجن لأنهما كانا ممن باشر قتل الوليد بن يزيد حين قتل وأما سليمان وبقية أصحابه فإنهم استمروا منهزمين فما أصبح لهم الصبح إلا بدمشق فأخبروا أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد بما وقع فاجتمع معهم رؤس الأمراء في ذلك الوقت وهم عبد العزيز بن الحجاج ويزيد بن خالد بن عبدالله القسري وأبو علاقة السككي والأصغ بن ذؤالة الكلبي ونظراؤهم على أن يعتمدوا إلى قتل ابني الوليد الحكم وعثمان خشية أن يليل الخلافة فيهلكا من عاداهما وقتل أباهما فبعثوا إليهما يزيد بن خالد بن عبدالله القسري فعمد إلى السجن وفيه الحكم وعثمان ابنا الوليد وقد بلغا ويقال ولد لأحدهما ولد فشدخها بالعمد وقتل يوسف بن عمر وكان مسجوناً معهما وكان في سجنهما أيضا أبو محمد السفيناني فهرب فدخل في بيت داخل السجن وجعل وراء الباب ردما فحاصروه فامتنع فأتوا بنار ليحرقوا الباب ثم اشتغلوا عن ذلك بقدم مروان بن محمد وأصحابه إلى دمشق في طلب المنهزمين *3* ذكر دخول مروان الحمار دمشق وولايته الخلافة

@ لما أقبل مروان بمن معه من الجنود من عين الجر واقترب من دمشق وقد انهزم أهلها بين يديه بالأمس هرب إبراهيم بن الوليد وعمد سليمان بن هشام إلى بيت المال ففتحه وأنفق ما فيه على أصحابه ومن إتبعه من الجيوش وثار موالي الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه فيها وانتهبوها ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ودخل مروان بن محمد دمشق فنزل في أعاليها وأتى بالغلامين الحكم وعثمان وهما مقتولان وكذلك يوسف بن عمر فدفنوه وأتى بأبي محمد السفيناني وهو في حبله فسلم على مروان بالخلافة فقال مروان مه فقال إن هذين الغلامين جعلاك من بعدهما ثم أنشد قصيدة قالها الحكم في السجن وهي طويله منها قوله
ألا من مبلغ مروان عني * وعمي الغمر طال بدأ حيننا
بأنني قد ظلمت وصار قومي * على قتل الوليد متابعتنا
فإن أهلك أنا وولي عهدي * فمروان أمير المؤمنين

ثم قال أبو محمد السفيناني لمروان أبسط يدك فكان أولاً من بايعه بالخلافة فمعاوية بن يزيد بن حصين بن نمير ثم بايعه رؤس أهل الشام من أهل دمشق وحمص وغيرهم ثم قال لهم مروان اختاروا امراء نوليهم عليكم فاختر أهل كل بلد أمير فولاه عليهم فعلى دمشق زامل بن عمر والجبراني وعلى حمص عبدالله بن شجرة الكندي وعلى الأردن الوليد بن معاوية بن مروان وعلى فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي ولما استوت الشام لمروان بن محمد رجع إلى حران وعند ذلك طلب منه إبراهيم بن الوليد الذي كان خليفة وابن عمه سليمان بن هشام الأمان فأمنهما وقدم عليه سليمان بن هشام في أهل تدمر فبايعوه ثم لما استقر مروان في حران أقام فيها ثلاثة أشهر فانتقض عليه ما كان انبرم له من مبايعة أهل الشام فنقض أهل حمص وغيرهم فأرسل إلى أهل حمص جيشاً فوافوهم ليلة عيد الفطر من هذه السنة وقدم مروان إليها بعد الفطر بيومين فنازلها مروان في جنود كثيرة ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخلوع وسليمان بن هشام وهما عنده مكرمان خصيصان لا يجلس إلا بهما وقت الغداء والعشاء فلما حاصر حمص نادوه إنا على طاعتك فقال افتحوا باب البلد ففتحوه ثم كان منهم بعض القتال فقتل منهم نحو الخمسمائة أو الستمائة فأمر بهم فصلبوا حول البلد وأمر بهدم بعض سورها وأما أهل دمشق فأما أهل الغوطة فحاصروا أميرهم زامل بن عمر وأمروا عليهم يزيد ابن خالد القسري وثبت في المدينة نائبها فبعث إليه أمير المؤمنين مروان من حمص عسكر نحو عشرة آلاف فلما اقتربوا من دمشق خرج النائب ومن معه والتقوا والعسكر بأهل الغوطة فهزموهم وجرقوا المزة وقرى أخرى معها واستجار يزيد بن خالد القسري وأبو علاقة الكلبي برجل من أهل المزة من لحم فدل عليهم زامل بن عمرو فقتلها وبعث برأسيهما إلى أمير المؤمنين مروان وهو بحمص وخرج ثابت بن نعيم في أهل فلسطين على الخليفة وأتوا طبرية فحاصروها فبعث الخليفة إليهم جيشاً فأجلوهم عنها واستباحوا عسكرهم وفر ثابت بن نعيم هاربا إلى فلسطين فاتبعه الأمير أبو الورد فهزمه ثانية وتفرق عنه أصحابه وأسر أبو الورد ثلاثة من أولاده فبعث بهم إلى الخليفة وهم جرحى فأمر بمداواتهم ثم كتب أمير المؤمنين إلى نائب فلسطين وهو الرماحس بن عبد العزيز الكنانى يأمره بطلب ثابت بن نعيم حيث كان فما زال يتلطف به حتى أخذه أسيرا ؟ وذلك بعد شهرين فبعثه إلى الخليفة وأمر بقطع يديه ورجليه وكذلك جماعة كانوا معه وبعث بهم إلى دمشق فأقيموا على باب مسجدنا لأن أهل دمشق كانوا قد أرجفوا بأن ثابت بن نعيم ذهب

إلى ديار مصر فتغلب عليها وقتل نائب مروان فيها فأرسل إليهم مقطع اليدين والرجلين ليعرفوا بطلان ما كانوا به أرجفوا وأقام الخليفة مروان بدير أيوب عليه السلام مدة حتى بايع لإبنه عبدالله ثم عبيد الله وزوجهما إبنتي هشام وهما أم هشام وعائشة وكان مجمعا حافلا وعقدا هائلا ومبايعة عامة ولكن لم تكن في نفس الأمر تامة وقدم الخليفة إلى دمشق وأمر بثابت وأصحابه بعدما كانوا تقطعوا أن يصلبوا على أبواب البلد ولم يستبق منهم أحد إلا واحداً وهو عمر بن الحارث الكلبي وكان عنده فيما زعم علم بودايح كان ثابت بن نعيم أودعها عند أقوام واستوسق أمر الشام لمروان ما عدا تدمر فسار من دمشق فنزل القسطل من أرض حمص وبلغه أن أهل تدمر قد غوروا ما بينه وبينهم من المياه فاشتد غضبه عليهم ومعه

حجافل من الجيوش فتكلم الأبرش بن الوليد وكانوا قومه فسأل منه أن يرسل إليهم أولا ليعذر إليهم فبعث عمرو بن الوليد أبا الأبرش فلما قدم عليهم لم يلتفتوا إليه ولا سمعوا له قولا فرجع فهم الخليفة أن يبعث الجنود فسأله الأبرش أن يذهب إليهم بنفسه فأرسله فلما قدم عليهم الأبرش كلمهم واستمالهم إلى السمع والطاعة فأجابهم أكثرهم وامتنع بعضهم فكتب إلى الخليفة يعلمه بما وقع فأمره الخليفة أن يهدم بعض سورها وأن يقبل بمن أطاعه منهم إليه ففعل فلما حضروا عنده سار بمن معه من الجنود نحو الرصافة على طريق البرية ومعه من الرؤوس إبراهيم بن الوليد المخلوع وسليمان بن هشام وجماعة من ولد الوليد ويزيد وسليمان فأقام بالرصافة أياما ثم شخص إلى البرية فاستأذنه سليمان بن هشام أن يقيم هناك أياما ليستريح ويجم ظهره فأذن له فأنحدر مروان فنزل عنده واسط على شط الفرات فأقام ثلاثا ثم مضى إلى قرقيسيا وابن هبيرة بها لبيعته إلى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي الحروري واشتغل مروان بهذا الأمر وأقبل عشرة آلاف فارس ممن كان مروان قد بعثهم في بعض السرايا فاجتازوا بالرصافة وفيها سليمان بن هشام بن عبد الملك الذي كان استأذن الخليفة في المقام هناك للراحة فدعوه إلى البيعة له وخلع مروان بن محمد ومجاريته فاستنزله الشيطان فأجابهم إلى ذلك وخلع مروان وسار بالجيوش إلى قنسرين وكتب أهل الشام فانفظوا إليه من كل وجه وكتب سليمان إلى ابن هبيرة الذي جهز مروان لقتال الضحاك بن قيس الخارجي بأمره بالمسير إليه فالتفت إليه نحو من سبعين ألفا وبعث مروان إليهم عيسى بن مسلم في نحو من سبعين ألفا فالتقوا بأرض قنسرين فاقتتلوا قتالا شديدا وجاء مروان والناس في حرب فقاتلهم أشد قتال فهزموهم وقتل يومئذ إبراهيم بن سليمان بن هشام وكان أكبر ولده وقتل منهم نيفا وثلاثين ألف وذهب سليمان مغلوبا فأتى حمص فالتفت عليه من إنهم من الجيش فعسكر بهم فيها وبنى ما كان مروان هدم من سورها فجاءهم مروان فحاصروا بها ونصب عليهم نيفا وثمانين منجنيقا فمكث كذلك ثمانية أشهر يرميهم ليلا نهارا ويخرجون إليه كل يوم ويقاتلون ثم يرجعون هذا وقد ذهب سليمان وطائفة من الجيش معه إلى تدمر وقد إعترضوا جيش مروان في الطريق وهموا بالفتك به وأن ينتهبوه فلم يمكنهم ذلك وتهايا مروان فقاتلهم فقتلوا من جيشه قريبا من ستة آلاف وهم تسعمائة أنصرفوا إلى تدمر ولزم مروان محاصرة حمص كمال عشرة أشهر فلما تتابع عليهم البلاء ولزمهم الذل سألوه أن يؤمنهم فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه ثم سألوه الأمان على أن يمكنوه من سعيد بن هشام وابنيه مروان وعثمان ومن السكسكى الذي كان حبس معه ومن حبشي كان يفترى عليه ويشتمه فأجابهم إلى ذلك فأمنهم وقتل أولئك ثم سار إلى الضحاك وكان عبدالله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق قد صالح الضحاك الخارجي على ما بيده من الكوفة وأعمالها وجاءت خيول مروان قاصدة إلى الكوفة فتلقاها نائبا من جهة الضحاك ملحان الشيباني واستتاب الضحاك عليها المثنى بن عمران من بني عائدة وسار الضحاك في ذي القعدة إلى الموصل وسار ابن هبيرة إلى الكوفة فانتزعها من أيدي الخوارج وأرسل الضحاك جيشا إلى الكوفة فلم يجد شيئا وفي هذه السنة خرج الضحاك بن قيس الشيباني وكان سبب خروجه أن رجلا يقال له سعيد بن بهدل وكان خارجيا إغتنم غفلة الناس واشتغالهم بمقتل الوليد بن يزيد فنار في جماعة من الخوارج بالعراق فالتفت عليه أربعة آلاف ولم يجتمع قبلها لخارجي فقصدتهم الجيوش فاقتتلوا معهم فتارة يكسرون وتارة يكسرون ثم مات سعيد بن بهدل في طاعون أصابه واستخلف على الخوارج من بعده الضحاك بن قيس هذا فالتفت أصحابه عليه والتقى هو وجيش كثير فغلبت الخوارج وقتلوا خلقا كثيرا منهم عاصم بن عمر بن عبد العزيز أخو أمير العراق عبدالله بن عمر بن عبد العزيز فرثاه بأشعار ثم قصد الضحاك بطائفة من أصحابه مروان فاجتاز الكوفة فنهض إليه أهلها فكسروهم ودخل الكوفة فاستحوذ عليها واستتاب بها رجلا اسمه حسان ثم استتاب ملحان الشيباني في شعبان من هذه السنة وسار في طلب عبدالله بن عمر بن عبد العزيز نائب العراق فالتقوا فجرت بينهم حروب كثيرة يطول ذكرها وتفصيلها

وفي هذه السنة اجتمعت جماعة من الدعاة إلى بني العباس عند إبراهيم بن محمد الإمام ومعهم أبو مسلم الخراساني فدفعوا إليه نفقات كثيرة وأعطوه خمس أموالهم ولم ينتظم

لهم أمر في هذه السنة لكثرة الشرور المنتشرة والفتن الواقعة بين الناس وفي هذه السنة خرج بالكوفة معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب فدعا إلى نفسه وخرج إلى محاربة أمير العراق وعبد الله بن عمر

ابن عبد العزيز فجرت بينهما حروب يطول ذكرها ثم أجلا عنها فلحق بالجيال فتغلب عليها وفي هذه السنة خرج الحارث بن سريح الذي كان لحق ببلاد الترك وما لأهم على المسلمين فمن الله عليه بالهداية ووقفه حتى خرج إلى بلاد الشام وكان ذلك عن دعاء يزيد بن الوليد إلى الرجوع إلى الإسلام وأهله فأجابه إلى ذلك وخرج إلى خراسان فأكرمه نصر بن سيار نائب سورة واستمر الحارث ابن سريح على الدعوة إلى الكتاب والسنة وطاعة الإمام وعنده بعض المناوأة لنصر بن سيار

قال الواقدي وأبو معشر وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز أمير الحجاز ومكة والمدينة والطائف وأمير العراق نصر بن سعيد الحرشي وقد خرج عليه الضحاك الحروري وعبد الله بن عبد العزيز وأمير خراسان نصر بن سيار وقد خرج عليه الكرمانى والحارث بن سريح وممن توفي هذه السنة بكر بن الأشج وسعد بن إبراهيم وعبد الله بن دينار وعبد الملك بن مالك الجزرى وعمير بن هانيء وماك بن دينار ووهب بن كيسان وأبو اسحاق السبيعي

2 ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة

@ فيها كان مقتل الحارث بن سريح وكان سبب ذلك أن يزيد بن الوليد الناقص كان قد كتب إليه كتاب أمان حتى خرج من بلاد الترك وصار إلى المسلمين ورجع عن موالاته المشركين إلى نصرته الإسلام وأهله وأنه وقع بينه وبين نصر بن سيار نائب خراسان وحشة ومنافسات كثيرة يطول ذكرها فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد استوحش الحارث بن سريح من ذلك وتولى ابن هبيرة نيابة العراق وجاءت البيعة لمروان فامتنع الحارث من قبولها وتكلم في مروان وجاءه مسلمة بن أحوز أمير الشرطة وجماعة من رؤس الأجناد والأمراء وطلبوا منه أن يكف لسانه ويده وأن لا يفرق جماعة المسلمين فأبى وبرز ناحية عن الناس ودعا نصر بن سيار إلى ما هو عليه عليه من الدعوة إلى الكتاب والسنة فامتنع نصر من موافقته واستمر هو على خروجه على الاسلام وأمر الجهم بن صفوان مولى بني راسب ويكنى بأبي محرز وهو الذي نسبت إليه الفرقة الجهمية أن يقرأ كتابا فيه سيرة الحارث على الناس وكان الحارث يقول أنا صاحب الرايات السود فبعث إليه نصر يقول لئن كنت ذاك فلعمري إنكم الذين تخربون سور دمشق وتزيلون بني أمية فخذ مني خمسمائة رأس ومائة بغير وإن كنت غيره فقد أهلكك عشيرتك فبعث إليه الحارث يقول لعمري إن هذا لكائن فقال له نصر فابدأ بالكرمانى أولا ثم سر إلى الري وأنا في طاعتك إذا وصلتها ثم تناظر نصر والحارث ورضيا أن يحكم بينهما مقاتل بن حيان والجهم بن صفوان فحكما أن يعزل نصر ويكون الأمر شورى فامتنع نصر من قبول ذلك ولزم الجهم بن صفوان وغيره قراءة سيرة الحارث على الناس في الجامع والطرق فاستجاب له خلق كثير وجمع غفير فعند ذلك انتدب لقتاله جماعات من الجيوش عن أمر نصر بن سيار فقصده فحارب دونه أصحابه فقتل منهم طائفة كثيرة منهم الجهم بن صفوان طعنه رجل في فية فقتله ويقال بل أسر الجهم فأوقف بين يدي سلم بن أحوز فأمر بقتله فقال إن لي أمانا من أبيك فقال ما كان له أن يؤمنك ولو فعل ما أمنتك ولو ملأت هذه الملاعة كواكب وأنزلت عيسى بن مريم ما نجوت والله ولو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك وأمر ابن ميسر فتلته ثم أتفق الحارث بن سريح والكرمانى على نصر ومخالفته والدعوة إلى الكتاب والسنة واتباع أئمة الهدى وتحريم المنكرات إلى غير ذلك مما جاءت به الشريعة ثم اختلفا فيما بينهما اقتتلا قتالا شديدا فغلب الكرمانى وانهزم أصحاب الحارث وكان رাকা على بغل فتحول إلى فرس فحزنت أن تمشي وهرب عنه أصحابه ولم يبق معه منهم سوى مائة فأدركه أصحاب الكرمانى فقتلوه تحت شجرة زيتون وقيل تحت شجرة عبيرا وذلك يوم الأحد لست بقين من رجب من هذه السنة وقتل معه مائة من أصحابه واحتاط الكرمانى على حواصله وأمواله وأخذ أموال من خرج معه أيضا وأمر بصلب الحارث بلا رأس على باب مرو ولما بلغ نصر بن سيار مقتل الحارث قال في ذلك

يا مدخل الذل على قومه * بعدا وسحقا لك من هالك
شؤمك أردى مضرا كلها * وغض من قومك بالحارك
ما كانت الأزد وأشياها * تطمع في عمر ولا مالك
ولا بني سعد إذ أجمو * كل طمر لونه حالك
وقد أجابه عباد بن الحارث بن سريح فيما قال
فلا تحرمني منك ما قد رجوته * فيصبح وجهي كالج اللون أريدا
ألا يا نصر قد برح الخلفاء وقد طال التمني والرجاء
وأصبحت المزون بأرض مرو * تقضي في الحكومة ما تشاء
يجوز قضاؤها في كل حكم * على مضر وإن جار القضاء
وحمير في مجالسها قعود * تفرق في رقابهم الدماء
فان مضر بذأ رضيت وذلت * فطال لها المذلة والشقاء
وإن هي أعتبت فيها وإلا * فخل على عساكرها العفاء
وفي هذه السنة بعث إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس أبا مسلم الخراساني
إلى خراسان

وكتب معه كتبا إلى شيعتهم بها إن هذا أبا مسلم فاسمعوا له وأطيعوا وقد وليته على ما غلب
عليه من أرض خراسان فلما قدم أبو مسلم خراسان وقرأ على أصحابه هذا الكتاب لم
يلتفتوا إليه ولم يعملوا به وأعرضوا عنه ونبذوه وراء ظهورهم فرجع إلى إبراهيم بن محمد
أيام الموسم فاشتكاهم إليه وأخبره بما قابلوه من المخالفة فقال له يا عبد الرحمن إنك
رجل منا أهل البيت إرجع إليهم وعليك بهذا الحي من اليمن فأكرمهم وأنزل بين أظهرهم
فإن الله لا يتم هذا الأمر إلا بهم ثم حذره من بقية الأحياء وقال له إن استطعت أن لا تدع
بتلك البلاد لسانا عربيا فافعل ومن بلغ من أبنائهم خمسة أشبار واتهمته فاقتله وعليك بذاك
الشيخ فلا تقصه يعني سليمان بن كثير وسيأتي ما كان من أمر أبي مسلم الخراساني فيما
بعد إن شاء الله تعالى

وفي هذه السنة قتل الضحاك بن قيس الخارجي في قول أبي مخنف وكان سبب ذلك أن
الضحاك حاصر عبدالله بن عمر بن عبد العزيز بواسط ووافق على محاصرته منصور بن
جمهور فكتب عبدالله بن عمر بن عبد العزيز إليه إنه لا فائدة لك في محاصرتي ولكن عليك
بمروان بن محمد فسر إليه فان قتلته اتبعتك فأصلحا على مخالفة مروان بن محمد أمير
المؤمنين فلما اجتاز الضحاك بالموصل كاتبه أهلها فمال إليهم فدخلها وقتل نائبها واستحوذ
عليها وبلغ ذلك مروان وهو محاصر حمص ومشغول بأهلها وعدم مبايعتهم إياه فكتب إلى
ابنه عبدالله بن مروان وكان الضحاك قد التف عليه مائة ألف وعشرون ألفا فحاصروا
نصيبين وساق مروان في طلبه فالتقى هنالك فاقتلا قتالا شديدا فقتل الضحاك في المعركة
وحجز الليل بين الفريقين وفقد أصحاب الضحاك الضحاك وشكوا في أمره حتى أخبرهم من
راه قد قتل فبكوا عليه وناحوا وجاء الخبر إلى مروان فبعث إلى المعركة بالمشاعل ومن
يعرف مكانه بين القتلى وجاء الخبر إلى مروان وهو مقتول وفي رأسه ووجهه نحو عشرين
ضربة فأمروا برأسه فطيف به في مدائن الجزيرة واستخلف الضحاك على جيشه من بعده
رجلا يقال له الخيري فالتف عليه بقية جيش الضحاك والتف مع الخيري سليمان بن هشام
بن عبد الملك وأهل بيته ومواليه والجيش الذي كانوا قد تابعوه في السنة الماضية على
الخلافة وخلعوا مروان بن محمد عن الخلافة لأجله فلما أصبحوا اقتتلوا مع مروان فحمل
الخيري في أربعمائة من شجعان أصحابه على مروان وهو في القلب فكر منهزما واتبعوه
حتى أخرجوه من الجيش ودخلوا عسكره وجلس الخيري على فرشه وهذا وميمنة مروان
ثابتة وعليها ابنه عبدالله وميسرته أيضا ثابتة وعليها إسحاق بن مسلم العقيلي ولما رأى عبد
الله العسكر فارين مع الخيري وأن الميمنة والميسرة من جهتهم باقيتان طمعوا فيه فأقبلوا
إليه بعمد الخيام فقتلوه بها وبلغ قتله مروان وقد سار عن الجيش نحو خمسة أميال أو ستة
فرجع مسرورا وانهزم أصحاب الضحاك
وقد ولو عليهم شيبان فقصدهم مروان بعد ذلك بمكان يقال له الكراديس فهزمهم

وفيها بعث مروان الحمار على إمارة العراق يزيد بن عمر بن هبيرة ليقا تل من بها من الخوارج وفي هذه السنة حج بالناس عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو نائب المدينة ومكة والطائف وأمير العراق يزيد بن عمر بن هبيرة وأمير خراسان نصر بن سيار . وممن توفي في هذه السنة بكرة بن سودة وجابر الجعفي والجهم بن صفوان مقتولا كما تقدم والحارث ابن سريح أحد كبراء الأمراء وقد تقدم شيء من ترجمته وعاصم بن عدلة وأبو حصين بن عثمان عاصم وبزيد بن وأبي حبيب وأبو التياح يزيد بن حميد وأبو حمزة النعنعبي وأبو الزبير المكي وأبو عمران الجوني وأبو قبيل المغافري وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل

2 ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

@ فيها اجتمعت الخوارج بعد الخبيري علي شيبان بن عبد العزيز بن الحليس البشكري الخارجي فأشار عليهم سليمان بن هشام أن يتحصنوا بالموصل ويجعلوها منزلا لهم فتحولوا إليها وتبعهم مروان ابن محمد أمير المؤمنين فعسكروا بظاهرها وخذقوا عليهم مما يلي جيش مروان وقد خندق مروان على جيشه أيضا من ناحيتهم وأقام سنة يحاصره ويقتلون في كل يوم بكرة وعشية وظفر مروان بابن أخ لسليمان بن هشام وهو أمية بن معاوية بن هشام أسر بعض جيشه فأمر به فقطعت يداه ثم ضرب عنقه وعمه سليمان والجيش ينظرون إليه وكتب مروان إلى نائه بالعراق يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بقتال الخوارج الذين في بلاده فجرت له معهم وقعات عديدة ن فظفر بهم ابن هبيرة وأباد خضراءهم ولم يبق لهم بقية بالعراق واستنفذ الكوفة من أيدي الخوارج وكان عليها المثنى بن عمران العائذي عائذة قريش في رمضان من هذه السنة وكتب مروان إلى ابن هبيرة لما فرغ من الخوارج أن يمد به بعمار بن صبارة وكان من الشجعان فيعته إليه في سبعة آلاف أو ثمانية آلاف فأرسلت إليه سرية في أربعة آلاف فاعترضوه في الطريق فهزمهم ابن صبارة وقتل أميرهم الجون بن كلاب الشيباني الخارجي وأقبل نحو الموصل ورجع قل ؟ الخوارج إليهم فأشار سليمان ابن هشام عليهم أن يرتحلوا عن الموصل فإنه لم يكن يمكنهم الإقامة بها ومروان من أمامهم وابن صبارة من ورائهم وقد قطع عنهم الميرة حتى يجدوا شيئا يأكلونه فارتحلوا عنها وساروا على حلوان إلى الأهواز فأرسل مروان ابن صبارة في آثارهم في ثلاثة ألف فأتبعهم يقتل من تخلف منهم ويلحقهم في مواطن فيقاتلهم وما زال وراءهم حتى فرق شملهم شذر مذر وهلك أميرهم شيبان بن عبد العزيز البشكري بالأهواز في السنة القابلة قتله خالد بن مسعود بن جعفر بن خيلد الأزردى وركب سليمان بن هشام في مواليه وأهل بيته السفن وساروا إلى السند ورجع مروان من الموصل فأقام بمنزله بحران وقد وجد سرورا بزوال الخوارج ولكن لم يتم سروره بل أعقبه القدر من هو أقوى شوكة وأعظم اتباعا وأشد بأسا من الخوارج وهو مظهر أبي مسلم الخراساني الداعية إلى دولة بني عباس

3 أول ظهور أبي مسلم الخراساني

@ وفي هذه السنة رد كتاب إبراهيم بن محمد الإمام العباسي بطلب أبي مسلم الخراساني من خراسان فسار إليه في سبعين من النقباء لايمرون ببلد إلا سألوهم إلى أين تذهبون فيقول أبو مسلم نريد الحج وإذا توسم أبو مسلم من بعضهم ميلا إليهم دعاهم إلى ما هم فيه فيجيبه إلى ذلك فلما كان ببعض الطريق جاء كتاب ثان من إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم إني بعثت إليك براءة النصر فأرجع إلى خراسان وأظهر الدعوة وأمر قحطبة بن شيب أن يسير بما معه من الأموال والتحف إلى إبراهيم الإمام فيوافيه في الموسم فرجع أبو مسلم بالكتاب فدخل خراسان في أول يوم من رمضان فرفع الكتاب إلى سليمان بن كثير وفيه أن أظهر دعوتك ولا تتربص فقدموا عليهم أبا مسلم الخراساني داعيا إلى بني العباس فبعث أبو مسلم دعائه في بلاد خراسان وأمير خراسان نصر بن سيار مشغول بقتال الكرمانى وشيبان بن سلمه الحروري وقد بلغ من أمره أنه كان يسلم عليه أصحابه بالخلافة في طوائف كثيرة من الخوارج فظهر أمر أبي مسلم وقصده الناس من كل جانب فكان ممن قصده في يوم واحد أهل ستين قرية فأقام هناك اثنين وأربعين يوما ففتحت على يديه أقاليم كثيرة ولما كان ليلة الخميس لخمس بقين من رمضان في هذه السنة عقد أبو مسلم اللواء الذي بعثه إليه الإمام ويدعى الظل على رمح طوله أربعة عشر ذراعا وعقد الراية التي بعث بها الإمام أيضا

وتدعى السحاب على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعا وهما سوداوان وهو يتلو قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ولبس أبو مسلم وسليمان بن كثير ومن أجابهم إلى الدعوة السواد وصارت شعارهم وأوقدوا في هذه الليلة نارا عظيمة يدعون بها أهل تلك النواحي وكانت علامة بينهم فتجمعوا ومعنى تسمية إحدى الرايتين بالسحاب أن السحاب كما يطبق جميع الأرض كذلك بنو العباس تطبق دعوتهم أهل الأرض ومعنى تسمية الأخرى بالظل أن الأرض كما أنها لا تخلو من الظل فكذلك بنو العباس لا تخلو الأرض من قائم منهم وأقبل الناس إلى أبي مسلم من كل جانب وكثير جيشه ولما ولما كان يوم عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلي بالناس ونصب له منبرا وأن يخالف في ذلك بني أمية ويعمل بالسنة فنودي للصلاة جامعة ولم يؤذن ولم يقم خلافا لهم وبدأ بالصلاة قبل الخطبة وكبر ستا في الأولى قبل القراءة لأربعا وخمسا في الثانية لا ثلاثا خلافا لهم وابتدأ الخطبة بالذكر والتكبير وختمها بالقراءة وانصرف الناس من صلاة العيد وقد أعد لهم أبو مسلم طعاما فوضعه بين يدي الناس وكتب إلى نصر بن سيار كتابا بدأ فيه بنفسه ثم قال إلى نصر بن سيار بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله عبر أقواما في كتابه فقال وأقسموا بالله جهد إيمانهم لنن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم إلى قوله تحويلا فعظم على نصر أن قدم اسمه على اسمه وأطال الفكر وقال هذا كتاب له

جواب
قال ابن جرير ثم بعث نصر بن سيار خيلا عظيمة لمحاربة أبي مسلم وذلك بعد ظهوره بثمانية عشر شهرا فأرسل أبو مسلم إليهم مالك بن الهيثم الخزاعي فالتقوا فدعاهم مالك إلى الرضا عن آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا ذلك فتصافوا من أول النهار إلى العصر فجاء إلى مالك مدد فقوى فظفر بهم مالك وكان هذا أول موقف اقتتل فيه جند بني العباس وجند أمية

وفي هذه السنة غلب حازم بن خزيمة على مرو الروذ وقتل عاملها من جهة نصر بن سيار وهو بشر بن جعفر السعدي وكتب بالفتح إلى أبي مسلم وكان أبو مسلم إذ ذاك شابا قد اختاره إبراهيم لدعوتهم وذلك لشهامته وصرامته وقوة فهمه وجودة ذهنه وأصله من سواد الكوفة وكان مولى لادريس بن معقل العجلي فاشتراه بعض دعاة بني العباس بأربعمائة درهم ثم أخذه محمد بن علي ثم آل ولاؤه لآل العباس وزوجه إبراهيم الإمام بابنة أبي النجم إسماعيل بن عمران وصدقها عنه وكتب إلى دعائهم بخراسان والعراق أن يسمعوا منه فامتثلوا أمره وقد كانوا في السنو الماضية قبل هذه السنة ردوا عليه أمره لصغره فيهم فلما كانت هذه السنة أكد الإمام كتابه إليهم في الوصاة به وطاعته وكان في ذلك الخير له ولهم وكان أمر الله قدرا مقدورا ولما فشا أمر أبي مسلم بخراسان تعاقبت طوائف من العرب الذين بها على حربه ومقاتله ولم يكره الكرمانى وشييان لانهما خرجا على نصر وأبو مسلم مخالف لنصر وكحالهما وهو مع ذلك يدعو إلى خلع مروان الحمار وقد طلب نصر من شييان أن يكون معه على حرب أبي مسلم أو يكف عنه حتى يتفرغ لحربه فإذا قتل أبا مسلم عادا إلى عداوتهما فأجابه إلى ذلك فبلغ ذلك أبا مسلم فبعث إلى الكرمانى يعلمه بذلك فلام الكرمانى شييان على ذلك وثناه عن ذلك وبعث أبو مسلم إلى هراة النضرين نعيم فأخذها من عاملها عيسى بن عقيل الليثي وكتب إلى أبي مسلم بذلك وجاء عاملها إلى نصر هاربا ثم إن شييان وادع نصر بن سيار سنة على ترك الحرب بينه وبينه وذلك عن كره من الكرمانى فبعث ابن الكرمانى إلى أبي مسلم إنني معك على قتال نصر وركب أبو مسلم في خدمة الكرمانى فاتفقا على حرب نصر ومخالفته وتحول أبو مسلم إلى موضع فسيح وكثر جنده وعظم جيشه واستعمل على الحرس والشرط والرسائل والديوان وغير ذلك مما يحتاج إليه الملك عمالا وجعل القاسم بن مجاشع التميمي وكان أحد النقباء على القضاء وكان يصلي بأبي مسلم الصلوات ويقص بعض القصص فيذكر محاسن بني هاشم ويذم بني أمية ثم تحول أبو مسلم إلى قرية يقال لها بالين وكان في مكان منخفض فخشي أن يقطع عنه نصر بن سيار الماء وذلك في سادس ذي الحجة من هذه السنة وصلى بهم يوم النحر القاضي القاسم بن مجاشع وصار نصر بن سيار في جحافل كالسحاب قاصدا قتال أبي مسلم واستخلف على البلاد نوابا وكان من أمرهما ما سنذكره في السنة الآتية

3 مقتل ابن الكرمانى

@ ونشبت الحرب بين نصر بن سيار وبين ابن الكرمانى وهو جديع بن علي الكرمانى فقتل بينهما من الفريقين خلق كثير وجعل أبو مسلم يكتب كلا من الطائفتين ويستميلهم إليه يكتب إلى نصر و إلى ابن الكرمانى إن الإمام قد أوصانى بكم خيرا ولست أعدو رأيه فيكم وكتب إلى الكور يدعو إلى بني العباس فاستجاب له خلق كثير وجم غفير وأقبل أبو مسلم فنزل بين خندق نصر وخندق ابن الكرمانى فهابه الفريقان جميعا وكتب نصر بن سيار إلى مروان يعلمه بأمر أبي مسلم وكثرة من معه وأنه يدعو إلى إبراهيم بم محمد وكتب في جملة كتابه

أرى بين الرماد وميض جمر * واحرى أن يكون له ضرام
فان النار بالعيدان تذكى * وإن الحرب مبدؤها الكلام
فقلت من التعجب ليت شعري * أيقاظ أمية أم نيام
فكتب إليه مروان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فقال نصر إن صاحبكم قد أخبركم أن لا نصر عنده وبعضهم يرونها بلفظ آخر

أرى خلل الرما وميض نار * فيوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعيدان تذكى * وإن الحرب أولها كلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام
أقول من التعجب ليت شعري * أيقاظ أمية أم نيام
فإن كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام
قال ابن خلكان وهذا كما قال بعض علوية الكوفة حين خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن على المنصور أخي السفاح

أرى نارا تشب على بقاع * لها في كل ناحية شعاع
وقد رقدت بنو العباس عنها * وباتت وهي أمانة رتاع
كما رقدت أمية ثم هبت * تدافع حين لا يغني الدفاع
وكتب نصر بن سيار أيضا إلى نائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة يستمده وكتب إليه أبلغ يزيد وخير القول أصدقه * وقد تحققت أن لا خير في الكذب
بان أرض خراسان رأيت بها * بيضا إذا أفرخت حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا انها كبرت * ولم يطرن وقد سر بلن بالزغب
فان يطرن ولم يحتل لهن بها * يلهين نيران حرب أيما لهيب
فبعث ابن هبيرة بكتاب نصر إلى مروان وأتفق في وصول الكتاب إليه أن وجدوا رسولا من جهة إبراهيم الإمام ومعه كتاب منه إلى أبي مسلم وهو يشتمه فيه ويسبه ويأمره أن يناهض نصر بن سيار وابن الكرمانى ولا يترك هناك من يحسن العربية فعند ذلك بعث مروان وهو مقيم بحران كتابا إلى نائبه بدمشق وهو الوليد بن معاوية بن عبد الملك يأمر فيه أن يذهب إلى الحميمة وهي البلدة التي فيها إبراهيم بن محمد الإمام فيقيده ويرسله إليه فبعث نائب دمشق إلى نائب البلقاء فذهب إلى مسجد البلدة المذكورة وجد إبراهيم الإمام جالسا فقيده وأرسل به إلى دمشق فبعثه نائب دمشق من فوره إلى مروان فأمر به فسجن ثم قتل كما سيأتي

وأما أبو مسلم فانه لما توسط بين جيش نصر وابن الكرمانى كاتب ابن الكرمانى إنى معك فمال إليه فكتب إليه نصر ويحك لا تغتر فانه إنما يريد قتلك وقتل أصحابك فهلم حتى نكتب كتابا بيننا بالموادعة فدخل ابن الكرمانى داره ثم خرج إلى الرحبة في مائة فارس وبعث إلى نصر هلم حتى نتكاتب فأبصر نصر غرة من ابن الكرمانى فنهض إليه في خلق كثير فحملوا عليه فقتلوه وقتلوا من جماعته جماعة وقتل ابن الكرمانى في المعركة طعنه رجل في خاصرته فخر عن دابته ثم أمر نصر بصلبه وصلب معه جماعة وصلب معه سمكة وانضاف ولده إلى أبي مسلم الخراسانى ومعه طوائف من الناس من أصحاب ابن الكرمانى فصاروا كتفا واحدا على نصر

قال ابن جرير وفي هذه السنة تغلب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر على فارس وكورها وعلى حلوان وقومس واصبهان والري بعد حرب يطول ذكرها ثم التقى عامر بن

ضبارة معه باصطخر فهزمه ابن ضبارة وأسر من اصحابه أربعين ألفا فكان منهم عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس فنسبه ابن ضبارة وقال له ما جاء بك مع ابن معاوية وقد علمت خلافة أمير المؤمنين فقال كان علي دين فأتيته فيه فقال إليه حرب بن قطن بن وهب الهلالي فاستوهبه منه وقال هو ابن أختنا فوهبه له وقال ما كنت لأقدم على رجل من قريش ثم استعلم ابن ضبارة منه أخبار ابن معاوية فذمه ورماه هو وأصحابه باللواط وجيء من الأساري بمائة غلام عليهم الثياب المصبغة وقد كان يعمل معهم الفاحشة وحمل ابن ضبارة عبد الله بن علي على البريد لابن هبيرة ليخبره بما أخبر به ابن ضبارة عن ابن معاوية وقد كتب الله عز وجل أن زوال ملك بني أمية يكون على يدي هذا الرجل وهو عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس ولا يشعر واحد منهم بذلك قال ابن جرير وفي هذه السنة ولي الموسم أبو حمزة الخارجي فأظهر التحكم والمخالفة لمروان وتبرأ منه فراسلهم عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ أمير مكة والمدينة والطائف وأليه أمر الحجيج في هذه السنة ثم صالحهم على الأمان إلى يوم النفر فوقفوا على حدة بين الناس بعرفات ثم تحيزوا عنهم فلما كان يوم النفر الأول تعجل عبد الواحد وترك مكة فدخلها الخارجي بغير قتال فقال بعض الشعراء في ذلك زار الحجيج عصابة قد خالفوا * دين الاله ففر عبد الواحد ترك الحلائل والامارة هاربا * ومضى يخط كالبعير الشارد لو كان والده تنصل عرقه * لصفحت موارد بعرق الوارد ولما رجع عبد الواحد إلى المدينة شرع في تجهيز السرايا إلى قتال الخارجي وبذل النفقات وزاد في أعطية الأجناد وسيرهم سريعا وكان أمير العراق يزيد بن هبيرة وأمير خراسان نصر بن سيار وقد استحوذ على بعض بلاده أبو مسلم الخراساني ممن توفي فيها من الاعيان سالم أبو النصر وعلي بن زيد بن جدعان في قوله ويحيى بن أبي كثير وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل ولله الحمد

2 سنة ثلاثين ومائة

@ في يوم الخميس لتسع خلون من جمادي الأول منها دخل أبو مسلم الخراساني مرو ونزل دار الإمارة بها وانتزعها من يد نصر بن سيار وذلك بمساعدة علي بن الكرمانى وهرب نصر بن سيار في شردمة قليلة من الناس نحو من ثلاثة آلاف ومعه امرأته المرزبانة حتى لحق سرخس وترك امرأته وراءه ونجا بنفسه واستفحل أمر أبي مسلم جدا والتفت عليه العساكر *3* مقتل شيبان بن سلمة لحرورى

@ ولما هرب نصر بن سيار بقي شيبان وكان مماثلًا له على أبي مسلم فبعث إليه أبو مسلم رسلا فحسبهم فأرسل أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بني ليث يأمره أن يركب إلى شيبان فيقاتله فسار إليه فاقتلا فهزمه بسام واتبع أصحابه يقتلهم وبأسرهم ثم قتل أبو مسلم عليا وعثمان ابني الكرمانى ثم وجه أبو مسلم أبا داود إلى بلخ فأخذها من زياد بن عبد الرحمن القشيري وأخذ منهم أموالا جزيلة ثم إن أبا مسلم اتفق مع أبي داود على قتل عثمان بن الكرمانى في يوم كذا وفي ذلك اليوم بعينه يقتل أبو مسلم علي بن جديع الكرمانى فوقع ذلك كذلك.

وفي هذه السنة وجه أبو مسلم قحطبه بن شبيب إلى نيسابور لقتال نصر بن سيار ومع قحطبه جماعة من كبار الأمراء خالد بن برمك فالتقوا مع تميم بن نصر بن سيار وقد وجهه أبوه لقتالهم بطوس فقتل قحطبه من أصحاب نصر نحوًا من سبعة عشر ألفا في المعركة وقد كان أبو مسلم بعث إلى قحطبة مددا نحو عشرة آلاف فارس عليهم علي بن معقل فاقتلوا فقتلوا من أصحاب نصر خلقا كثيرا وقتلوا تميم بن نصر وغنموا أموالا جزيلة جدا ثم إن يزيد بن عمر بن هبيرة نائب مروان على العراق بعث بسرية مددا لنصر بن سيار فالتقى معهم قحطبة في مستهل ذي الحجة وذلك يوم الجمعة فاقتلوا قتالا شديدا فانهزم جند بني أمية وقتل من أهل الشام وغيرهم عشرة آلاف منهم نباته بن حنظلة عامل جرجان فبعث قحطبة برأسه إلى أبي مسلم .

3 ذكر دخول أبي حمزة الخارجي المدينة النبوية واستلائه عليها

@ قال ابن جرير وفي هذه السنة كانت وقعة بقديد بين أبي حمزة الخارجي الذي كان عام أول في أيام الموسم فقتل من أهل المدينة من قريش خلقا كثيرا ثم دخل المدينة وهرب نائها عبد الواحد ابن سليمان فقتل الخارجي من أهلها خلقا وذلك لتسع عشرة ليلة خلت من صفر من هذه السنة ثم خطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فويخ أهل المدينة فقال يا أهل المدينة إني مررت بكم أيام الأحول يعني هشام بن عبد الملك وقد أصابتكم عاهة في ثماركم فكتبتم إليه تسألونه أن يضع الخرص عنكم فوضعه فزاد غنيكم غنا وزاد فقيركم فقرا فكتبتم إليه جزاك الله خيرا فلا جزاه الله خيرا في كلام طويل فأقام عندهم ثلاثة أشهر بقبية صفر وشهري ربيع وبعض جمادي الأول فيما قال الواقدي وغيره وقد روى المدائني أن أبا حمزة رقى يوما منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال تعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من بلادنا بطرا ولا أشرا ولا لدولة نريد أن نخوض فيها النار وإنما أخرجنا من ديارنا أنا رأينا مصابيح الحق طمست وضعف القائل بالحق وقتل القائم بالقسط فلما رأينا ذلك ضاقت علينا الأرض بما رحبت وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن فأجبنا داعي الله ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض أقبلنا من قبائل شتى النفر منا على يعبر واحد عليه زادهم وأنفسهم يتعاورون لحافا واحدا قليلون مستضعفون في الأرض فأونا الله وأيدنا بنصره فأصبحنا والله بنعمة الله إخوانا ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم بني مروان فشتان لعمر الله بين الغي والرشد ثم أقبلوا نحونا يهرعون قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه وغلث بدمائهم مراجله وصدق عليهم ظنه فاتبعوه وأقبل أنصار الله عصائب وكثائب بكل منهد ذي رونق فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه المبطلون وانتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أوبأيدنا ويشف صدور قوم مؤمنون يا أهل المدينة أولكم خير أول وأخركم شر آخر يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلا مشركا عابد وثن أو كافرا أهل كتاب أو إماما جائرا يا أهل المدينة من زعم أن الله لا يكلف نفسا فوق طاقتها أوبسأهلها مالم يؤتها فهو لله عدو وأنا له حرب يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله في كتابه على القوي والضعيف فجاء تاسع ليس له منها ولا سهم واحد فأخذها لنفسه مكابرا محاربا لربه يا أهل المدينة بلغني أنكم تنقصون أصحابي قلتهم شباب أحداث وأعراب جفاة أجلاف وبحكم فهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شبابا أحداثا شبابا والله مكتهلون في شبابهم غصة عن الشر أعينهم ثقيلة عن السعي في الباطل أقدامهم قد باعوا لله أنفسهم لا تموت بأنفس لا تموت قد خالطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام نهارهم منحية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مروا بأية خوف شهقوا خوفا من النار وإذا مروا بأية شوق شهقوا شوقا إلى الجنة فلما نظروا إلى السيوف قد أنتضيت وإلى الرماح قد شرعت وإلى السهام قد فوقت وارعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا والله وعيد الكتيبة لوعيد الله في القرآن ولم يستخفوا وعيد الله لوعيد الكتيبة فطوبى لهم وحسن مآب فكم من عين في مناقير الطير طال ما فاضت في جوف الليل من خشية الله وطال ما بكت خالية من خوف الله وكم من يد زالت عن مفصلها طال ما ضربت في سبيل الله وجاهدت أعداء الله وطال ما اعتمد بها صاحبها قي طاعة الله أقول قولتي هذا وأستغفر الله من تقصيري وما توفيقني إلا بالله

ثم روى المدائني عن العباس عن هارون عن جده قال كان أبو حمزة الخارجي قد أحسن السيرة في أهل المدينة فمالوا إليه حتى سمعوه يقول برح الخفا أين عن بابك نذهب ثم قال من زنا فهو كافر ومن سرق فهو كافر فعند ذلك أبغضوه ورجعوا عن محبته وأقام بالمدينة حتى بعث مروان الحمار عبد الملك بن محمد بن عطية أحد بني سعد في خيل أهل الشام أربعة آلاف قد انتخبها مروان من جيشه وأعطى كل رجل منهم مائة دينار وفرسا عربية وبغلا لنقله وأمره أن يقاتله ولا يرجع عنه ولو لم يلحقه إلا باليمن فليتبعه إليها وليقاتل نائب صنعاء عبدالله بن يحيى فسار ابن عطية حتى بلغ وادي القرى فتلقيه أبو حمزة الخارجي قاصدا قتال مروان بالشام فاقتلوا هنالك إلى الليل فقال له ويحك يا ابن عطية إن الله قد جعل الليل سكنا فأخر إلى غد فأبى عليه أن يقلع عن قتاله فما زال يقاتلهم حتى كسرهم فولوا ورجع فلهم إلى المدينة فنهض إليهم أهل المدينة فقتلوا منهم خلقا كثيرا ودخل ابن عطية

المدينة وقد انهزم جيش ابي حمزة عنها فيقال إنه أقام بها شهرا ثم استخلف عليها ثم استخلف على مكة وسار إلى اليمن فخرج إليه عبدالله بن يحيى نائب صنعاء فاقتتلا فقتله ابن عطية وبعث برأسه إلى مروان وجاء كتاب مروان إليه يأمره بأقامة الحج للناس في هذه السنة ويستعجله في المسير إلى مكة فخرج من صنعاء في اثني عشر راكبا وترك جيشه بصنعاء ومعه خرج فيه أربعون ألف دينار فلما كان ببعض الطريق نزل منزلا إذ أقبل إليه أميران يقال لهما ابنا جمانه من سادات تلك الناحية فقالوا ويحكم أنتم لصوص فقال أنا ابن عطية وهذا كتاب أمير المؤمنين إلى بأمره الحج فنحن نعجل السير لنذكر الموسم فقالوا هذا باطل ثم حملوا عليهم فقتلوا ابن عطية وأصحابه ولم يفلت منهم إلا رجل واحد واخذوا ما معهم من المال .

قال أبو معشر وحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان وقد جعلت إليه إمرة المدينة ومكة والطائف ونائب العراق ابن هبيرة وإمارة خراسان إلى نصر بن سيار غير أن أبا مسلم قد استحوذ على مدن وقرى كثيرة من خراسان وقد أرسل نصر إلى ابن هبيرة يستمده بعشرة الآف قبل أن لا يكفيه مائة ألف وكتب أيضا إلى مروان يستمده فكتب مروان إلى ابن هبيرة يمدّه بما أراد .

وممن توفي فيها من الأعيان شعيب بن الحجاب وعبد العزيز بن صهيب وعبد العزيز بن رفيع وكعب بن علقمة ومحمد بن المنكدر والله سبحانه أعلم .

2 ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة

@ في المحرم منها وجه قحطبه بن شبيب ولده الحسن إلى قوميس لقتال نصر بن سيار واردفه بالأمماد فحاصر بعضهم إلى نصر ارتحل نصر فنزل الري فأقام بها يومين ثم مرض فسار منها إلى همدان فلما كان بساوه قريبا من همدان توفي لمضي ثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة عن خمس وثمانين سنة فلما مات نصر تمكن أبو مسلم وأصحابه من بلاد خراسان وقويت شوكتهم جدا وسار قحطبة من جرجان وقدم أمامه زياد بن زرارة القشيري وكان قد ندم على اتباع أبي مسلم فترك الجيش وأخذ جماعة معه وسلك طريق أصبهان ليأتي ابن ضيار فبعث قحطبه وراءه جيشا فقتلوا عامة أصحابه وأقبل قحطبة وراءه فقدم قومس وقد افتتحها ابنه الحسن فأقام بها وبعث ابنه بين يديه إلى الري ثم ساق وراءه فوجده قد افتتحها فأقام بها وكتب إلى أبي مسلم بذلك وارتحل أبو مسلم من مرو فنزل نيسابور واستفحل أمره وبعث قحطبة بعد دخوله الري ابنه الحسن بين يديه إلى همدان فلما اقترب منها خرج منها مالك بن أدهم وجماعة من أجناد الشام وخرسان فنزلوا نهاوند فافتتح الحسن همدان ثم سار وراءهم إلى نهاوند وبعث إليه أبوه بالأمماد فحاصرهم حتى افتتحها .

وفي هذه السنة مات عامر بن ضياره وكان سبب ذلك أن ابن هبيرة كتب إليه أن يسير إلى قحطبة وأمدّه بالعساكر فسار ابن ضياره حتى التقى مع قحطبة في عشرين ألفا فلما تواجه الفريقان رفع قحطبة وأصحابه المصاحف ونادى المنادي يا أهل الشام إنا ندعوكم إلى ما في هذا المصحف فشتمو المنادي وشتموا قحطبة فأمر قحطبة أصحابه أن يحملوا عليهم فلم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزم أصحاب ابن ضياره وأتبعهم أصحاب قحطبه فقتلوا منهم خلقا كثيرا وقتلوا ابن ضياره في العسكر لشجاعته فانه لم يولي وأخذوا من عسكرهم ما لا يجد ولا يوصف .

وفيها حاصر قحطبه نهاوند حصارا شديدا حتى سأله أهل الشام الذين بها أن يمهل أهلها حتى يفتحوا له الباب ففتحوا له الباب وأخذوا لهم منه أمانا فقال لهم من بها من أهل خراسان ما فعلتم فقالوا أخذنا لنا ولكم أمانا فخرجوا طائنين أنهم في أمان فقال قحطبة للأمرء الذين معه كل من حصل عنده أسير من الخراسانيين فليضرب عنقه وليأتنا برأسه ففعلوا ذلك ولم يبق ممن كان هرب من أبي مسلم أحد واطلق الشاميين وأوفى لهم عهدهم وأخذ عليهم الميثاق أن لا يمالئوا عليه عدوا ثم بعث قحطبة أبا عون إلى شهر زور عن أمر أبي مسلم في ثلاثين ألفا فافتتحها وقتل نائبها عثمان بن سفيان وقيل لم يقتل بل تحول إلى الموصل والجزيرة وبعث إلى قحطبة بذلك ولما بلغ مروان خبر قحطبة وأبي مسلم وما وقع من أمرهما تحول مروان من حران فنزل بمكان يقال له الزاب الأكبر .

وفيهما قصد قحطبة في جيش كثيف نائب العراق يزيد بن عمر بن هبيرة فلما إقترب منه تفهقر ابن هبيرة إلى ورائه وما زال يتقهقر إلى أن جاوز الفرات وجاء قحطبه فجازها وراءه وكان من أمرهما ما سنذكره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى .

2 ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائة

@ في المحرم منها جاز قحطبة بن شبيب الفرات ومعه الجنود والفرسان وابن هبيرة مخيم على فم الفرات مما يلي الفلوجة في خلق كثير وجم غفير وقد آمد مروان بجنود كثيرة وإنضاف إليه كل من انهزم من جيش ابن ضباره ثم إن قحطبة عدل إلى الكوفة ليأخذها فأتبعه ابن هبيرة فلما كانت ليلة الأربعاء لثمان مضين من المحرم اقتتلوا قتالا شديدا وكثر القتل في الفريقين ثم ولي أهل الشام منهزمين وأتبعهم أهل خراسان وفقد قحطبة من الناس فأخبرهم رجل أنه قتل وأوصى أن يكون أمير الناس من بعده ولده الحسن ولم يكن الحسن حاضرا ثم ولي أهل أمير الناس من بعده ولده الحسن ولم يكن الحسن حاضرا فبايعوا حميد بن قحطبة لأخيه الحسن وذهب البريد إلى الحسن ليحضر وقتل في هذه الليلة جماعة من الأمراء والذي قتل قحطبة معن بن زائده ويحيى بن حصين وقيل بل قتل رجل ممن كان معه أخذا بثائر بني نصر بن سيار فإله أعلم ووجد قحطبة في القتلى فدفن هنالك وجاء الحسن بن قحطبة فسار نحو الكوفة وقد خرج بها محمد بن خال بن عبدالله القسري ودعا إلى بني العباس وسود وكان خروجه ليلة عاشوراء لمحرم من هذه السنة وأخرج عاملها من جهة ابن هبيرة وهو زياد بن صالح الحارثي وتحول محمد بن خالد إلى قصر الامارة فقصد حوثة في عشرين ألفا من جهة ابن هبيرة فلما اقترب من الكوفة أصحاب حوثة يذهبون إلى محمد بن خالد فيبايعونه لبني العباس فلما رأى حوثة ذلك ارتحل إلى واسط ويقال بل دخل الحسن بن قحطبة الكوفة وكان قحطبة قد جعل في وصيته أن تكون وزارة الخلافة إلى أبي سلمه حفص بن سليمان مولى السبيع الكوفي الخلال وهو بالكوفة فلما قدموا عليه أشار إلى أن يذهب الحسن بن قحطبة في جماعة من الأمراء إلى قتال ابن هبيرة بواسطة وأن يذهب أخوه إلى المدائن وبعث البعوث إلى كل جانب يفتحونها وفتحوا البصرة افتتحها مسلم بن قتيبة لابن هبيرة فلما قتل ابن هبيرة جاء أبو مالك عبدالله بن أسيد الخزاعي فأخذ البصرة لأبي مسلم الخراساني .

وفي هذه السنة ليلة الجمعة لثلاث عشرة حلت من ربيع الآخر أخذت البيعة لابي العباس السفاح وهو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبد المطلب قاله أبو معشر وهشام الكلبي وقال الواقدي في جمادي الاولى من هذه السنة فإله أعلم .

3 ذكر مقتل إبراهيم بن محمد الإمام

@ قد ذكرنا في سنة سبع وعشرين ومائة أن مروان طلع على كتاب من إبراهيم الإمام إلى ابي مسلم الخراساني يأمر فيه بأن لا يبقى أحدا بارض خراسان ممن يتكلم بالعربية إلا أباده فلما وقف مروان على ذلك سأل عن إبراهيم فقيل له هو في باللقاء فكتب إلى نائب دمشق أن يحضر فبعث نائب دمشق بريدا ومعه وصفته ونعته فذهب الرسول فوجد أخاه أبا العباس السفاح فاعتقد أنه هو فأخذه فقيل له إنه ليس به إنما أخوه فدل على إبراهيم فأخذه وذهب معه بأم ولد كان يحبها وأوصى إلى أهله أن يكون الخليفة من بعده أخوه أبو العباس وأمرهم بالمسير إلى الكوفة فارتحلوا من يومهم إليها منهم أعمامه الستة وهم عبدالله وداود وعيسى وصالح واسماعيل وعبد الصمد بنوا على وأخواته وأبو العباس السفاح ومحمد بنا محمد بن علي وأبناء محمد وعبد الوهاب ابنا إبراهيم الإمام الممسوك وخلق سواهم فلما دخلوا الكوفة أنزلهم أبو سلمة الخلال دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم وكنم أمرهم نحو من اربعين ليلة من القواد والأمراء ثم ارتحل بهم إلى موضع آخر ثم لم يزل ينقلهم من مكان إلى مكان حتى فتحت البلاد ثم بوع للسفاح أما إبراهيم بن محمد الإمام فانه سير به إلى أمير المؤمنين في ذلك الزمان مروان ابن محمد وهو بحران فحبسه وما زال في السجن إلى هذه السنة فمات في صفر منها في السجن عن ثمان واربعين سنة وقيل إنه غم بمرقة وضعت على وجهه حتى مات عن إحدى وخمسين سنة وصلى عليه رجل يقال له بهلول بن صفوان وقيل إنه هدم عليه بيت حتى مات وقيل بل سقى لبنا مسموما فمات وقيل إبراهيم الإمام شهد الموسم عام إحدى وثلاثين واشتهر أمره هنالك لأنه وقف في أبهة عظيمة

ونجائب كثيرة وحرمة وافرة فأنها أمره إلى مروان وقيل له أن أبا مسلم يدعو الناس إلى هذا ويسمونه الخليفة فبعث إليه في المحرم من سنة ثنتين وثلاثين وقتله في صفر من هذه السنة وهذا اصح مما تقدم وقيل إنما أخذه من الكوفة لا من حميمة البلقاء والله أعلم وقد كان إبراهيم هذا كريما وجوادا له فضائل وفواضل وروى الحديث عن أبيه عن جده وأبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنيفة وعنه أخواه عبدالله السفاح وأبو جعفر عبدالله المنصور وأبو سلمة عبدالرحمن بن مسلم الخراساني ومالك بن هاشم ومن كلامه الحسن الكامل المروءة من أحرز دينه ووصل رحمه واجتنب ما يلام عليه .

3 خلافة ابي العباس السفاح

@ لما بلغ أهل الكوفة مقتل إبراهيم بن محمد أراد أبو سلمة الخلال أن يحول الخلافة إلى آل علي بن ابي طالب فغلبه بقية النقباء والأمراء وأحضروا أبا العباس السفاح وسلموا عليه بالخلافة وذلك بالكوفة وكان عمره إذ ذاك ستا وعشرين سنة وكان أول من سلم عليه بالخلافة أبو سلمة الخلال وذلك ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة فلما كان وقت صلاة الجمعة خرج السفاح على بردون أبلق والجنود ملبسه معه حتى دخل دار الإمارة ثم خرج إلى المسجد الجامع وصل بالناس ثم صعد المنبر وبايعه الناس وهو على المنبر في أعلاه وعمه داود بن علي واقف دونه بثلاث درج وتكلم السفاح وكان أول ما نطق به أن قال الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه دينا وكرمه وشرقه وعظمه واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه والقوام به والذابين عنه والناصرين له وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها خصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته ووضعنا بالإسلام وأهله في الموضوع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتابا يتلى عليهم

فقال تعالى إنما يرد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وقال وأنذر عشيرتک الأقربين وقال ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين الآية فأعلمهم عز وجل فضلنا وأوجب عليهم حقا ومودتنا وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وتفضله علينا والله ذو الفضل العظيم وزعمت السبائية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا فشاهت وجوههم أيها الناس بنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم ونصرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق وأدحض بنا الباطل وأصلح بنا منهم ما كان فاسدا ورفع بنا الخسيصة وأتم النقيصة وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر ومواساة في دنياهم وإخوانا على سرر متقابلين في أخراهم فتح الله علينا ذلك منه ومنحة بمحمد صلى الله عليه وسلم فلما قبضه إليه قام بذلك الأمر بعده أصحابه وأمرهم شورى بينهم فحورا مواريث الأمم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها وخرجوا خصاصا منها ثم وثب بنو حرب ومروان فابتزوها لانفسهم وتداولوها فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها فأملى الله لهم حيناً فلما أسفونا انتقمنا منهم فانتزع منهم ما بأيديهم بأيدينا ورد الله علينا حقنا وتدارك بنا امتنا وتولى أمرنا والقيام بنصرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض وختم بنا كما افتتح بنا واني لأرجو أن لا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح وما نوفيقتنا أهل البيت الا بالله يا أهل الكوفة انتم محل محبتنا ومنزل مودتنا وانتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا وقد زدتم في اعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فأنا السفاح الهائج والثائر المبير وكان به وعك فاشتد عليه حتى جلس على المنبر ونهض عمه داود فقال الحمد لله شكرا الذي أهلك عدونا وأصار الينا ميراثنا من بيتنا أيها الناس الآن انقضت حنادس الظلمات وانكشف غطاؤها واشرقت ارضها وسماؤها فطلعت شمس الخلافة من مطلعها ورجع الحق إلى نصابه إلى أهل نبيكم أهل الرأفة والرحمة والعطف عليكم أيها الناس إنا والله ما خرجنا لهذا الأمر لنكنز لجينا ولا عقيانا ولا لنحفر نهرا ولا لنبني قصرا ولا لنجمع ذهبا ولافضه وانما أخرجتنا لأتفه من إنتزاع حقنا والغضب لبني عمنا ولسوء سيرة بني أمية فيكم واستذلالهم لكم واستثارتكم بفيثكم وصدقاتكم فلکم علينا ذمة الله و ذمة رسوله وذمة العباس أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل بكتاب الله ونسير في العامة والخاصة بسيرة رسول الله تبا تبا لبني أمية وبني مروان وأثروا العاجلة على الأجلة والدار الفانية على الدار الباقية فركبوا الآثام وظلموا الانام

وارتكبوا المحارم وغشوا الجرائم وجاروا في سيرتهم في العباد وسنتهم في البلاد التي بها استلذوا تسربل الأوزار وتجلبب الأصار ومرحوا في اعنة المعاصي وركضوا في ميادين الغي جهلا منهم باستدراج الله وعميا عن أخذ الله وأمنا لمكر الله فأتاهم بأس الله بيانا وهم نائمون فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق فبعدا للقوم الظالمين وأدان الله من مروان وقد غره بالله الغرور أرسل عدو الله في عنانه حتى عثر جواده في فضل حطامه أظن عدو الله أن لن يقدر عليه أحد فنادى حزبه وجمع جنده ورمى بكتائبه فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله ومحق ضلاله وأحل دائرة السوء به وأحاط به خطيئته ورد إلينا حقنا وأوانا أيها الناس إن أمير المؤمنين نصره الله نصرا عزيزا إنما عاد إلى المنبر بعد صلاة الجمعة لأنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره وإنما قطعة عن استتمام الكلام شدة الوعك فادعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتبع للسفلة الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون المتوكل على الله المقتدي بالأبرار الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقى قال فعج الناس له بالدعاء ثم قال وإعلموا يا أهل الكوفة أنه لم يصعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين على بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا وأشار بيده إلى السفاح وأعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج عنا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم عليه السلام والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا ثم نزل أبو العباس وداود حتى دخلا القصر ثم دخل الناس يبائعون إلى العصر ثم من بعد العصر إلى الليل .

ثم إن أبا العباس خرج فعسكر بظاهر الكوفة واستخلف عليها عمه داود وبعث عمه عبد الله ابن علي إلى ابن عون بن أبي يزيد وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة وهو يومئذ بواسط يحاصر ابن هبيرة وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن العباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالاهواز وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن الطواف وأقام هو بالعسكر أشهرا ثم ارتحل فنزل المدينة الهاشمية في قصر الإمارة وقد تنكر لابي سلمة الخلال وذلك لما كان بلغه عنه من العدول بالخلافة عن ابن العباس إلى آل علي بن ابي طالب والله سبحانه وتعالى أعلم

3 مقتل مروان بن محمد بن مروان

@ آخر خلفاء بني أمية وتحول الخلافة إلى بني العباس مأخوذة من قوله تعالى والله يؤتي ملكه من يشاء وقوله قل اللهم مالك الملك الاية وقد ذكرنا أن مروان لما بلغه خبر أبي مسلم وأتباعه وما جرى بأرض خراسان تحول من حران فنزل على نهر قريب من الموصل يقال له الزاب من أرض الجزيرة ثم أبلغه أن السفاح قد بوع له بالكوفة والتف عليه الجنود واجتمع له أمره شق عليه جدا وجمع جنوده فتقدم إليه أبو عون بن أبي يزيد في جيش كثيف وهو أحد أمراء السفاح فنزله على الزاب وجاءته الامداد من جهة السفاح ثم ندب السفاح الناس ممن يلي القتال من أهل بيته فانتدب له عبدالله بن علي فقال سر على بركة الله فسار في جنود كثيره فقدم على ابي عون فتحول له ابو عون عن سرادقه وخلاه له وما فيه وجعل عبدالله بن علي على شرطته حياش ابن حبيب الطائي ونصير بن المحتفز ووجه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلا على البريد إلى عبدالله بن علي يحثه على مناجزة مروان والمبادرة إلى قتاله ونزاله قبل أن تحدث أمور وتبرد نيران الحرب فتقدم عبدالله بن علي بجنوده حتى واجه جيش مروان ونهض مروان في جنوده وتصاف الفريقان في أول النهار ويقال إنه كان مع مروان يومئذ مائة الف وخمسون الفا ويقال مائة وعشرون الفا وكان عبدالله بن علي في عشرين الفا فقال مروان لعبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز إن زالت الشمس يومئذ ولم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم وإن قاتلونا قبل الزوال فانا لله وإنا إليه راجعون ثم أرسل مروان إلى عبد الله بن علي يسأله الموادعه فقال عبدالله كذب ابن زريق لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله وكان ذلك يوم السبت لإحدى عشر ليلة خلت من جمادي الآخرة من هذه السنة فقال مروان قفوا لا تتدنون بقتال وجعل ينظر إلى الشمس مخالفة الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختن مروان

على ابنته فحمل فغضب مروان فشتمه فقاتل أهل الميمنه فأنجاز أبو عون إلى عبدالله بن علي فقاتل موسى بن كعب لعبد الله بن علي فأمر الناس فنزلوا ونودي الأرض الأرض فنزلوا وأشرعوا الرماح وجثوا على الركب وقتلوهم وجعل أهل الشام يتأخرون كأنما يدفعون وجعل عبدالله يمشي قدما وجعل يقول يارب حتى متى تقتل فيك ونادي يا أهل خراسان ياشارات إبراهيم الإمام يا محمد يا منصور واشتد القتال جدا بين الناس فلا تسمع إلا وقعا كالمراذب على النحاس فأرسل مروان إلى قضاة يأمرهم بالنزول فقالوا قل لبني سليم فلينزلوا وأرسل إلى السكاسك أن يحملوا فقالوا قل لبني عامر أن يحملوا فأرسل إلى السككون أن يحملوا فقالوا قل إلى غطفان فليحملوا فقال لصاحب شرطته انزل فقال لا والله لا أجعل نفسي عرضا قال أما والله لأسوءك قال وددت لو قدرت على ذلك ويقال أنه قال ذلك لابن هبيرة قالوا ثم انهزم أهل الشام واتبعتهم أهل خراسان في أدبارهم يقتلون ويأسرون وكان من غرق من أهل الشام أكثر ممن قتل وكان في جملة من غرق إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع وقد أمر عبد الله بن علي بعقد الجسر واستخرج من غرق في الماء وجعل يتلو قوله تعالى وإذا فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأتم تنظرون وأقام عبدالله ابن علي في موضع المعركة سبعة أيام وقد قال رجل من ولد سعيد بن العاص في مروان وفراره يومئذ

لج الفرار بمروان فقلت له * عاد الظلوم ظليما همه الهرب
أين الفرار وترك الملك إذ ذهبت * عنك الهوينا فلادين ولا حسب
فراشة اللحم فرعون العقاب وإن * تطلب نداه فكلب دونه كلب
واحتاز عبدالله ما في معسكر مروان من الأموال والأمتعه والحواصل ولم يجد فيه امرأة
سوى جارية كانت لعبد الله بن مروان وكتب إلى أبي العباس السفاح بما فتح الله عليه من
النصر وما حصل لهم من الأموال فصلى السفاح ركعتين شكرا لله عز وجل وأطلق لكل من
حضر الوقعة خمسمائة خمسمائة ورفع في أرزاقهم إلى ثمانين وجعل يتلو قوله فلما فصل
طالوت بالجنود الآية

3 صفة مقتل مروان

@ لما انهزم مروان سار ليلوي على أحد فأقام عبدالله بن علي في مقام المعركة سبعة أيام ثم سار خلفه بمن معه من الجنود وذلك عن أمر السفاح له بذلك فلما مر مروان بحران اجتازها وأخرج أبا محمد السفياي من سجنه واستخلف عليها أبان بن يزيد وهو ابن اخته وزوج ابنته أم عثمان فلما قدم عبدالله على حران خرج إليه أبان بن يزيد مسودا فأمته عبدالله بن علي وأقره على عمله وهدم الدار التي سجن فيها إبراهيم الإمام واجتاز مروان قنسرين قاصدا حمص فلما جاءها خرج إليه أهلها بالاسواق والمعابيش فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم شخص منها فلما رأى أهل حمص قلة من معه اتبعوه ليقتلوه ونهبوا ما معه وقالوا مرعوب مهزوم فادركوه بواد عند حمص فأكمن لهم أميرين فلما تلاحقوا بمروان عطف عليهم فأنشدهم أن يرجعوا فابو إلا مقاتلته فثار القتال بينهم وثار الكمينان من ورائهم فانهزم الحمصيون وجاء مروان إلى دمشق وعلى نياتها من جهته زوج ابنته الوليد ابن معاوية بن مروان فتركه بها واجتاز عنها قاصدا إلى الديار المصرية وجعل عبدالله بن علي لا يمر ببلد وقد سودوا فيبايعونه ويعطهم الامان ولما وصل إلى قنسرين وصل إليه أخوه عبد الصمد ابن علي في أربعة آلاف وقد بعثهم السفاح مددا له ثم سار عبدالله حتى أتى حمص ثم سار منها إلى البعلبك ثم منها حتى أتى دمشق من ناحية المزة فنزل بها يومين أو ثلاثة ثم وصل إليه أخوه صالح ابن علي في ثمانية آلاف مددا من السفاح فنزل صالح بمرج عذراء ولما جاء عبدالله بن علي دمشق نزل على الباب الشرقي ونزل صالح أخوه على باب الجابية ونزل أبو عون على باب كيسان ونزل بسام على الباب الصغير وحמיד بن قحطبه على باب توما وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس فحاصرها أياما ثم افتتحها يوم الأربعاء لعشر خلون من رمضان هذه السنة فقتل من أهلها خلقا كثيرا وأباحها ثلاث ساعات وهدم سورها ويقال إن أهل دمشق لما حاصروهم عبدالله اختلفوا فيما بينهم ما بين عباسي وأموي فاقتلوا فقتل بعضهم بعضا وقتلوا نائهم ثم سلموا البلد وكان أول من صعد السور من ناحية الباب الشرقي رجل يقال له عبدالله الطائي ومن

ناحية الباب الصغير بسام بن إبراهيم ثم أبيحت دمشق ثلاث ساعات حتى قيل إنه قتل بها في هذه المدة نحو من خمسين ألفا وذكر ابن عساكر في ترجمة عبيد بن الحسن الأعرج من ولد جعفر بن أبي طالب وكان أميراً على خمسة آلاف مع عبدالله بن علي في حصار دمشق أنهم أقاموا محاصرها خمسة أشهر وقيل مائة يوم وقيل شهراً ونصفاً وأن البلد كان قد حصنه نائب مروان تحصيناً عظيماً ولكن اختلف أهلها فيما بينهم بسبب اليمانية والمضربة وكان ذلك بسبب الفتح حتى إنهم جعلوا في كل مسجد محرابين للقبليتين حتى في المسجد الجامع منبرين وإمامين يخطبان يوم الجمعة على المنبرين وهذا من عجيب ما وقع وغريب ما اتفق وفتيح ما أحدث بسبب الفتنة والهوى والعصية نسأل الله السلامة والعافية وقد بسط ذلك ابن عساكر في هذه الترجمة المذكورة وذكر رحمه الله في ترجمة محمد بن سليمان بن عبدالله النوفلي قال كنت مع عبدالله بن علي أول ما دخل دمشق دخلها بالسيف وأباح القتل فيها ثلاث ساعات وجعل جامعها سبعين يوماً اسطبلًا لدوابه وجماله ثم نبش قبور بني أمية فلم يجد في قبر معاوية إلا خيطاً أسود مثل الهباء ونبش قبر عبدالملك بن مروان فوجد جمجمته وكان يجد في القبر العضو بعد العضو إلا هشام بن عبد الملك فإنه وجده صحيحاً لم يبيل منه غير أرنبة أنفه فضربه بالسياط وهو ميت وصلبه أياماً ثم أحرقه ودق رماده ثم ذره في الريح وذلك أن هشاماً كان قد ضرب أخاه محمد بن علي حين كان قد اتهم بقتل ولد له صغير سبعمائة سوط ثم نفاه إلى الحميمة بالبلقاء قال ثم تتبع عبدالله بن علي بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فقتل منهم في يوم واحد اثنين وتسعين ألفاً عند نهر بالرملة وبسط عليهم الأنطاع ومد عليهم سماطاً فأكل وهم يختلجون تحته وهذا من الجبروت والظلم الذي يجازيه الله عليه وقد مضى ولم يدم له ما أرادته ورجاه كما سيأتي في ترجمته وأرسل امرأة هشام بن عبد الملك وهي عبدة بنت عبدالله بن يزيد بن معاوية صاحبة الخال مع نفر من الخراسانية إلى البرية ماشية حافية حاسرة على وجهها وجسدها وثيابها ثم قتلوها ثم أحرق ما وجد من عظم ميت منهم وأقام بها عبدالله خمسة عشر يوماً وقد استدعى بالاوزاعي فأوقف بين يديه فقال له يا أبا عمرو ما تقول في هذا الذي صنعناه قال فقلت له لا أدري غير أنه قد حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن علقمة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما الأعمال بالنيات فذكر الحديث قال الأوزاعي وانتظرت رأسي أن يسقط بين رجلي ثم أخرجت وبعث لي بمائة دينار ثم سار وراء مروان فنزل على نهر الكسوة ووجه يحيى بن جعفر الهاشمي نائباً على دمشق ثم سار فنزل مرج الروم ثم أتى نهر أبي فطرس فوجد مروان قد هرب فدخل مصر وجاءه كتاب السفاح أبعث صالح بن علي في طلب مروان وأقم أنت في الشام نائباً عليها فسار صالح يطلب مروان في ذي القعدة من هذه السنة ومعه أبو عمر وعامر بن إسماعيل فنزل على ساحل البحر وجمع ما هناك من السفن وبلغه أن مروان قد نزل الفرما وقيل الفيوم فجعل يسير على الساحل والسفن تقاد معه في البحر حتى أتى العريش ثم سار حتى نزل على النيل ثم سار إلى الصعيد فعبر مروان النيل وقطع الجسر وحرق ما حوله من العلف والطعام ومضى صالح في طلبه فالتقى بخيل لمروان فهزمهم ثم جعل كلما التقوا مع خيل لمروان يهزمهم حتى سألوا بعض من أسروا عن مروان فدلهم عليه وإذا به في كنيسه أبو صير فوافقوه من آخر الليل فانهزم من معه من الجند وخرج اليهم مروان في نفر يسير معه فأحاطوا به حتى قتلوه طعنه رجل من أهل البصرة يقال له معود ولا يعرفه حتى قال رجل صرع أمير المؤمنين فابتدره رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاختر رأسه فبعث به عامر بن إسماعيل أمير هذه السرية إلى أبي عون فبعث به أبو عون إلى صالح بن علي فبعث به صالح مع رجل يقال له خزيمه بن يزيد بن هانيء كان على شرطته لأمير المؤمنين السفاح
وكان مقتل مروان يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة وقيل يوم الخميس لست مضين منها سنة ثنتين وثلاثين ومائة وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام على المشهور واختلفوا في سنة فقيل أربعون سنة وقيل ست وقيل ثمان وخمسون سنة وقيل ستون وقيل اثنتان وقيل ثلاث وقيل تسع وستون سنة وقيل ثمانون والله أعلم

ثم إن صالح بن علي سار إلى الشام واستخلف على مصر أبا عون بن أبي يزيد والله سبحانه أعلم .

3 وهذا شيء من ترجمة مروان الحمار

@ وهو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي أبو عبد الملك أمير المؤمنين آخر خلفاء بني أمية وأمه أمة كردية يقال لها لبابه وكانت لإبراهيم بن الأشتر النخعي أخذها محمد بن مروان يوم قتله فاستولدها مروان هذا ويقال أنها كانت أولا لمصعب بن الزبير وقد كانت دار مروان هذا في سوق الأكافين قاله ابن عساكر بوع له بالخلافة بعد قتل الوليد بن يزيد وبعد موت يزيد بن الوليد ثم قدم دمشق وخلص إبراهيم بن الوليد واستمر له الأمر في نصف صفر سنة سبع وعشرين ومائة وقال أبو معشر بوع بالخلافة في ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائة وكان يقال له مروان الجعدي نسبة إلى رأي الجعد بن درهم وتلقب بالحمار وهو آخر من ملك بني أمية وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وقيل خمس سنين وشهرا وبقي بعد أن بوع للسفاح تسعة أشهر وكان أبيض مشربا بالحمرة أزرق العينين كبير اللحية ضخم الهامة ربعة ولم يكن يخضب ولاء هشام نيابة أذربيجان وأرمينية والجزيرة في سنة أربع عشرة ومائة ففتح بلاد كثيرة وحصونا متعددة في سنين كثيرة وكان لا يفارق الغزو في سبيل الله وقاتل طوائف من الناس الكفار ومن الترك والخزر واللان وغيرهم فكسرهم وقهرهم وقد كان شجاعا بطلا مقداما حازم الرأي لولا أن جنده خذلوه بتقدير الله عز وجل لما له من ذلك من حكمة سلب الخلافة لشجاعته وصرامته ولكن الله يخذل ومن يهن الله فما له من مكرم .

قال الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبدالله كان بنو أمية يرون أنه تذهب منهم الخلافة إذا وليها من أمة فلما وليها مروان هذا أخذت منهم في سنة ثنتين وثلاثين ومائة وقد قال الحافظ بن عساكر

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الحسن أخبرنا سهل بن بشر أنبا الخليل ابن هبة الله بن الخليل أنبا عبد الوهاب الكلبي حدثنا أبو الجهم أحمد بن الحسين أنبا العباس ابن الوليد بن صبح ثنا عباس بن يحيى أبو الحارث حدثني الهيثم بن حمد حدثني راشد بن داود عن أسماء عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتزال الخلافة في بني أمية يتلقفونها تلقف الغلمان الكرة فاذا خرجت من أيديهم فلا خير في عيش هكذا أورده ابن عساكر وهو منكر جدا وقد سأل الرشيد أبا بكر بن عياش خير الخلفاء نحن أو بنو أمية فقال هم كانوا أنفع للناس وأنتم أقوم للصلاة فأعطاه ستة آلاف قالوا وقد كان مروان هذا كثير المروءة كثير العجب يعجبه اللهو والطرب ولكنه كان يشتغل عن ذلك بالحرب

قال ابن عساكر قرأت بخط أبي الحسين على بن مقلد بن نصر بن منقذ بن الأمير في مجموع له كتب مروان بن محمد إلى جاريته له تركها بالرملة عند ذهابه إلى مصر منهزما

وما زال يدعوني إلى الصبر ما أرى * فأبى ودينني الذي لك في صدري

وكان عزيزا أن تبيتي وبيننا * حجاب فقد أمسيت مني على عشر

وأناكهما والله للقلب فاعلمي * إذا زدت مثليها فصرت على شهر

وأعظم من هذين والله انني * أخاف بان لا نلتقي آخر الدهر

سأبكيك لا مستيقا فيض عبرة * ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

وقال بعضهم اجتاز مروان وهو هارب براهب فاطلع عليه الراهب فسلم عليه فقال له يا راهب هل عندك علم بالزمان قال نعم عندي من تلونه ألوان قال هل تبلغ الدنيا من الانسان أن تجعله مملوكا بعد أن كان مالكا قال نعم قال فكيف قال بحبه لها وحرصه على نيل شهواتها وتضييع الحزم وترك انتهاز الفرص فإن كنت تحبها فإن عبدها من أحبها قال فما السبيل إلى العتق قال ببغضها والتجافي عنها قال هذا ما لا يكون قال الراهب أما إنه سيكون فبادر بالهرب منها قبل أن تسلبها قال هل تعرفني قال نعم أنت ملك العرب مروان تقتل في بلاد السودان وتدفن بلا أكفان فوللا أن الموت في طلبك لدلتك على موضع هربك قال بعض الناس كان يقال في ذلك الزمان يقتل ح بن ع بن ع م بن م بن م يعنون يقتل عبدالله بن علي بن عباس بن مروان بن محمد بن مروان .

وقال بعضهم جلس مروان يوما وقد أحيط به وعلى رأسه خادم له قائم فقال مروان لبعض من يخاطبه ألا ترى ما نحن فيه لهفي على أيد ما ذكرت ونعم ما شكرت ودولة ما نصرت فقال له الخادم يا أمير المؤمنين من ترك القليل حتى يكثر والصغير حتى يكبر والخفي حتى يظهر وأخر فعل اليوم لغد حل به أكثر من هذا فقال مروان هذا القول أشد على من فقد الخلافة قيل إن مروان قتل يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة وقد جاوز الستين وبلغ الثمانين وقيل إنما عاش أربعين سنة والصحيح الأول وهو آخر خلفاء بني أمية به انقضت دولتهم .

3 ما ورد في انقضاء دولة بني أمية وابتداء بني العباس من الاخبار النبوية @ قال العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغ بنو العاص أربعين رجلا أتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا ورواه الأعمش عن عطية عن أبي سعيد مرفوعا بنحوه وروى ابن لهيعة عن أبي قبيل عن ابن وهب أنه كان عند معاوية فدخل عليه مروان بن الحكم فتكلم في حاجه فقال اقضي حاجتي فأني لأبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة فلما أدير مروان قال معاوية لابن عباس وهو معه على السرير أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وعباد الله خولا وكتاب الله دغلا فإذا بلغوا سبعة وتسعين واربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك ثمرة فقال ابن عباس اللهم نعم فلما أدير مروان قال معاوية أنشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فقال ابو الجبابرة الأربعة فقال ابن عباس اللهم نعم وقال أبو داود الطيالسي حدثنا القاسم بن الفضل ثنا يوسف بن مازن الراسبي قال قام رجل إلى الحسين بن علي فقال يا مسود وجوه المؤمنين فقال الحسين لا تؤنبنني رحمك الله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلا رجلا فساءة ذلك فنزلت انا أعطيناك الكوثر وهو نهر في الجنة ونزلت إنا أنزلناه الحكم أو بني أبي العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة قال فما رؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا بعدها حتى توفي قال أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الداربي لعلة الدرامي

حدثنا مسلم بن ابراهيم ثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد عن علي بن الحكم النبائي عن أبي الحسين هو الحمصي عن عمرو بن مرة وكانت له صحبة قال جاء الحكم بن أبي العاص يستأذن على رسول الله صلواته عليه وسلم فعرف كلامه فقال ائذنوا له صبت عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويوضعون في الآخرة ذوو دهاء وخديعه يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق وقال أبو بكر الخطيب البغدادي

أبنا أبو عبدالله محمد بن عبد الواحد بن محمد أبنا محمد بن المظفر الحافظ أبنا أبو القاسم تمام بن خريم بن محمد بن مروان الدمشقي أبنا أحمد بن إبراهيم بن هشام بن ملابس ثنا أبو النظر إسحاق بن ابراهيم بن يزيد مولى أم الحكم بنت عبد العزيز حدثنا يزيد بن ربيعه حدثنا أبو الأشعث الصنعاني عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما واضعا رأسه على فخذ أم حبيبة بنت أبي سفيان فحب ثم تبسم فقالوا يارسول الله رأيناك نجت ثم تبسمت فقال رأيت في منامي بني أمية يتعاورون على منبري فسأني ذلك ثم رأيت بني العباس يتعاورون على منبري فسأني ذلك وقال يعقوب بن سفيان حدثني محمد بن خالد بن العباس ثنا الوليد بن مسلم حدثني أبو عبدالله عن الوليد بن هشام المعيطي عن أبان بن الوليد عن عقبة بن أبي معيط قال قدم ابن عباس على معاوية وأنا حاضر فأجازه فأحسن جائزته ثم قال يا أبا العباس هل يكون لكم دولة فقال اعفني يا أمير المؤمنين فقال لتخبرني قال نعم قال فمن أنصاركم قال أهل خراسان وليني أمية من بني هاشم نطحات وقال المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبیر سمعت ابن عباس يقول يكون منا ثلاثة أهل البيت السفاح والمنصور والمهدي رواه البيهقي من غير وجه ورواه الأعمش عن الضحاک عن ابن عباس مرفوعا وروى ابن أبي خيثمة عن ابن معين عن سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار

عن أبي معبد عن ابن عباس قال كما افتتح الله بأولنا فأرجوا أن يختمه بنا وهذا اسناد صحيح إليه وكذا وقع ويقع للمهدي إن شاء الله
وروى البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن أحمد بن عبد الجبار عن أبي معاوية عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن يقال له السفاح يعطي المال حثيا وقال عبد الزراق حدثنا الثوري عن خالد الحذاء عن أبي قلابه عن أبي أسماء عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل عند حركم هذه ثلاثة كلهم ولد خليفه لا تصير إلى واحد منهم ثم تقبل الرايات من خراسان فيقتلونكم مقتله لم ير مثلها ثم ذكر شيئا فإذا كان كذلك فأتوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي رواه بعضهم عن ثوبان فوقفه وهو أشبه والله أعلم

وقال الامام أحمد حدثني يحيى بن غيلان وقتيبة بن سعيد قال ثنا راشد بن سعد حدثني يونس ابن يزيد عن ابن شهاب عن قصيبة هو ابن ذؤيب عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج من خراسان رايات سود لا يردھا شيء حتى تنصب بايليا وقد رواه البيهقي في الدلائل من حديث راشد بن سعد المصري وهو ضعيف ثم قال قد روي قريبا من هذا عن كعب الاحبار وهو أشبه ثم رواه عن كعب أيضا قال تظهر رايات سود لبني العباس حتى ينزلوا الشام ويقتل الله على أيديهم كل جبار وعدو لهم وروا ابراهيم بن الحسين عن ابن أبي أويس عن ابن أبي ذؤيب عن محمد بن عبدالرحمن العامري عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس فيكم النبوة وفيكم المملكة وروى عبدالله بن أحمد عن ابن معن عن عبيد بن أبي قررة عن الليث عن أبي قبيل عن أبي ميسرة مولى العباس قال سمعت العباس يقول كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال انظر هل ترى في السماء من شيء قلت نعم قال ماترى قلت الثريا قال أما إنه سيملك هذه الأمة بعددها من صلبك قال البخاري عبيد بن أبي قررة لا يتابع على حديثه وروى ابن عدي من طريق سويد بن سعيد عن حجاج بن تميم عن ميمون بن مهران عن ابن العباس قال مررت برسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل وأنا أظنه دحية الكلبي فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه لوسخ الثياب وسيلبس ولده من بعده السواد وهذا منكر من هذا الوجه ولا شك أن بني العباس كان السواد من شعارهم أخذوا ذلك من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وعلى رأسه عمامة سوداء فأخذوا بذلك وجعلوه شعارهم في الأعياد والجمع والمحافل وكذلك كان جندهم لا بد من أن يكون على أحدهم شيء من السواد ومن ذلك الشربوش الذي يلبسه الأمراء إذا خلع عليهم وكذلك دخل عبدالله بن علي دمشق يوم دخلها وعليه السواد فجعل النساء والغلمان يعجبون من لباسه وكان دخوله من باب كيسان وقد خطب الناس يوم الجمعة وصلى بهم وعليه السواد وقد روى ابن عساکر عن بعض الخراسانية قال لما صلى عبدالله بن علي بالناس يوم الجمعة صلى إلى جانبي رجل فقال الله أكبر سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك أنظروا إلى عبدالله بن علي ما أقبح وجهه وأشنع سواده وشعارهم إلى يومك هذا كما تراه على الخطباء يوم الجمعة والأعياد

3 استقرار ابي العباس السفاح

@ واستقلاله بالخلافة وما اعتمده في أيامه من السيرة الحسنة
قد تقدم أنه أول ما بويع له بالخلافة بالكوفة يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الاخر وقيل الأول من هذه السنة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ثم جرد الجيوش إلى مروان فطردوه عن المملكة وأجلوه عنها وما زالوا خلفه حتى قتلوه ببوصير من بلاد الصعيد بأرض مصر في العشر الاخير من ذي الحجة من هذه السنة على ما تقدم بيانه وحينئذ استقل السفاح بالخلافة واستقرت يده على بلاد العراق وخراسان والحجاز والشام والديار المصرية خلا بلاد الأندلس فانه لم يحكم عليها ولا وصل سلطانه اليها وذلك أن بعض من دخلها من بني أمية استحوذ عليها وملكها كما سيأتي بيانه وقد خرج على السفاح في هذه السنة طوائف فمنهم أهل قنسرين بعد ما بايعوه على يدي عمه عبدالله بن علي وأقر عليهم أميرهم مجزاة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي وكان من أصحاب مروان وامراته فخلع السفاح ولبس

البياض وحمل أهل البلد على ذلك فوافقوه وكان السفاح يومئذ بالحيرة وعبدالله بن علي مشغول بالبلقاء يقاتل بها حبيب بن مرة المزي ومن وافقه من أهل البلقاء والبنينة وهوران على خلع السفاح فلما بلغه عن أهل قنسرين ما فعلوا صالح حبيب بن مرة وسار نحو قنسرين فلما اجتاز بدمشق وكان بها أهله وتقله استخلف عليها أبا غانم عبد الحميد بن ربيعي الكناني في أربعة الاف فلما جاوز البلد وانتهى إلى حمص نهض أهل دمشق مع رجل يقال له عثمان بن عبد الأعلام بن سراقه فخلعوا السفاح وبيضوا وقتلوا الأمير أبا غانم وقتلوا جماعة من أصحابه وانتهبوا ثقل عبدالله بن علي بن وحواصلة ولم يتعرضوا لأهله وتفاقم الامر على عبدالله وذلك أن أهل قنسرين ترأسوا مع أهل حمص وتزمروا واجتمعوا على أبي محمد السففاني وهو أبو محمد بن عبدالله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فبايعوه بالخلافة وقام معه نحو من أربعين ألفا فقصدهم عبدالله بن علي فالتقوا بمرج الأخرم فاقتتلوا مع مقدمة السففاني وعليها أبو الورد فاقتتلوا قتالا شديدا وهزموا عبد الله عبد الصمد وقتل من الفريقين ألفون فتقدم اليهم عبد الله بن علي ومعه حميد بن قحطبة فاقتتلوا قتالا شديدا جدا وجعل أصحاب عبد الله يفرون وهو ثابت هو وحميد وما زال حتى هزم أصحاب أبي الورد وثبت أبو الورد في خمسمائة فارس من أهل بيته وقومه فقتلوا جميعا وهرب أبو محمد السففاني ومن معه حتى لحقوا بتدمر وأمن عبدالله أهل قنسرين وسودوا وبايعوه ورجعوا إلى الطاعة ثم كر عبدالله راجعا إلى دمشق وقد بلغه ما صنعوا فلما دنا منها تفرقوا عنها ولم يكن منهم قتال فأمّنهم ودخلوا في الطاعة وأما أبو محمد السففاني فإنه مازال مضيقا ومشتتا حتى لحق بأرض الحجاز فقاتله نائب جعفر المنصور في أيام المنصور فقتله وبعث برأسه وبأبنين له أخذهما أسيرين فأطلقهما المنصور في أيامه وقد قيل إن وقعة السففاني يوم الثلاثاء آخر يوم من ذي الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة والله أعلم .

وممن خلع السفاح أيضا أهل الجزيرة حين بلغهم أن أهل قنسرين خلعوا فوافقهم وبيضوا وركبوا إلى نائب حران من جهة السفاح وهو موسى بن كعب وكان في ثلاثة آلاف قد اعتصم بالبلد فحاصروه قريبا من شهرين ثم بعث السفاح أخاه أبا جعفر المنصور فيمن كان بواسطة محاصري إبن هبيرة فمر في مسرة إلى حران بقرقيسيا وقد بيضوا فغلقوا أبوابها دونه ثم مر بالرقعة وعليها بكار بن مسلم وهم كذلك ثم بحاجر وعليها إسحاق بن مسلم فيمن معه من أهل الجزيرة يحاصرونها فرحل إسحاق عنها إلى الرها وخرج موسى بن كعب فيمن معه من جند حران فتلقاته المنصور ودخلوا في جيشه وقدم بكار بن مسلم على أخيه إسحاق بن مسلم بالرها فوجهه إلى جماعة ربيعه بدارا وماردين ورئيسهم حروري يقال له بريكة فصار حزبا واحدا فقصد إليهم أبو جعفر فقاتلهم قتالا شديدا فقتل بريكة في المعركة وهرب بكار إلى أخيه بالرها فاستخلفه بها ومضى بمعظم العسكر حتى نزل سميساط وخذق على عسكره وأقبل أبو جعفر فحاصر بكارا بالرها وجرت له معه وقعات وكتب السفاح إلى عمه عبدالله بن علي أن يسير إلى سميساط وقد اجتمع علي إسحاق بن مسلم ستون ألفا من أهل الجزيرة فسار اليهم عبدالله واجتمع إليه أبو جعفر المنصور فكاتبهم إسحاق وطلب منهم الأمان فأجابوه إلى ذلك على إذن أمير المؤمنين وولى السفاح أخاه أبا جعفر المنصور الجزيرة وأذربيجان وأرمينية فلم يزل عليها حتى أفضت إليه الخلافة بعد أخيه ويقال أن إسحاق بن مسلم العقيلي إنما طلب الأمان لما تحقق أن مروان قد قتل وذلك بعد مضي سبعة أشهر وهو محاصر وقد كان صاحبا لأبي جعفر المنصور فأمنه وفي هذه السنة ذهب أبو جعفر المنصور عن أمر أخيه السفاح إلى أبي مسلم الخراساني وهو أميرها ليستطلع رأيه في قتل أبي سلمه لأنه كان يريد أن يصرف الخلافة عنهم فيسأله هل ذلك كان عن ممالأه أبي مسلم لا بي سلمه في ذلك أم لا فسكت القوم فقال السفاح لئن كان هذا عن رأيه إنا ليعر بلاء عظيم إلا أن يدفعه الله عنا قال أبو جعفر فقال لي أخي ما ترى فقلت الرأي رأيك فقال إنه ليس أحد أخص بأبي مسلم منك فاذهب إليه فاعلم لي علمه فإن كان عن رأيه احتلنا له وإن لم يكن عن رأيه طابت أنفسنا قال أبو جعفر فخرجت إليه قاصدا على وجل قال المنصور فلما وصلت إلى الري إذا كتاب أبي مسلم إلى نائبها يستحثني إليه في المسير فازددت وجلا فلما انتهيت إلى نيسابور إذا كتابه يستحثني أيضا وقال لنائبها لا تدعه يقر ساعه واحدة فان أرضك بها خوارج فانشرحت لذلك فلما صرت من

مرو على فرسخين خرج يتلقاني ومعه الناس فلما واجهني ترجل فقبل يدي فأمرته فركب فلما دخلت مرو ونزلت في داره فمكثت ثلاثا لا يسألني في أي شيء جئت فلما كان اليوم الرابع سألتني ما أقدمك فأخبرته بالأمر فقال أفعلها أبو سلمة أنا أكفيكموه فدعا مرار بن أنس الضبي فقال اذهب إلى الكوفة فحيث لقيت أبا سلمة فاقتله وانته في ذلك إلى رأي الامام فقدم مرار الكوفة الهاشمية وكان أبو سلمة يسمر عند السفاح فلما خرج قتله مرار وشاع أن الخوارج قتلوه وعلقت البلد ثم صلى عليه يحيى بن حمد بن علي أخو أمير المؤمنين ودفن بالهاشمية وكان يقال له وزير آل محمد ويقال لأبي مسلم أمير آل محمد قال الشاعر

إن الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك كان وزيرا

ويقال إن أبا جعفر إنما سار إلى أبي مسلم بعد قتل أبي سلمة وكان معه ثلاثون رجلا على البريد منهم الحجاج بن أرتاه واسحاق بن الفضل الهاشمي وجماعة من السادات ولما رجع أبو جعفر من خراسان قال لآخيه لست بخليفة ما دام أبو مسلم حيا حتى تقتله لما رأى من طاعة العساكر له فقال له السفاح اكنمها فسكت ثم إن السفاح بعث أخاه أبا جعفر إلى قتال بن هبيرة بواسطة فلما اجتاز بالحسن بن قحطبة أخذه معه فلما احبط بأبن هبيرة كتب إلى محمد بن عبدالله بن الحسن ليبيع له بالخلافة فأبطأ عليه جوابه فمال إلى مصالحة أبي جعفر فاستأذن أبو جعفر أخاه السفاح في ذلك فأذن له في المصالحة فكتب له أبو جعفر كتابا بالصلح فمكث ابن هبيرة يشاور فيه العلماء أربعين يوما ثم خرج يزيد بن عمر بن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة من البخارية فلما دنا من سرادق أبي جعفر همأن يدخل بفرسه فقال الحاجب سلام إنزل أبا خالد وكان حول السرادق عشرة الاف من أهل خراسان ثم أذن له في الدخول فقال أنا ومن معي قال لا بل انت وحدك فدخل ووضعت له وسادة فجلس عليها فحدثه أبو جعفر ساعة ثم خرج من عنده فاتبعه أبو جعفر بصره ثم جعل يأتيه يوما بعد يوم في خمسمائة فارس وثلاثمائة راجل فشكوا ذلك إلى أبي جعفر فقال أبو جعفر للحاجب مرة فليات في حاشيته فكان يأتي في ثلاثين نفسا فقال الحاجب كأنك تأتي متأهبا فقال لو أمرتوني بالمشي لمشييت إليكم ثم كان يأتي في ثلاثة أنفس وقد خاطب ابن هبيرة يوما لأبي جعفر فقال في عون كلامه يا هناه أو قال يا أيها المرء ثم اعتذر إليه بأنه قد سبق لسانه إلى ذلك فأعذره وقد كان السفاح كتب إلى أبي مسلم يستشيريه في مصالحة ابن هبيرة فنهاه عن ذلك وكان السفاح لا يقطع أمرا دونه فلما وقع الصلح على يدي أبي جعفر لم يحب السفاح ذلك ولم يعجبه وكتب إلى أبي جعفر يأمر بقتله فراجعه أبو جعفر مرارا لا يفيد ذلك شيئا حتى جاء كتاب السفاح أن أقتله لا محاله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كيف يعطى الامان وينكث هذا فعل الجبايرة وأقسم عليه في ذلك فأرسل إليه أبو جعفر طائفة من الخراسانية فدخلوا عليه وعند ابنه داود وفي حجره صبي صغير وحوله مواله وحاجبه فدافع عنه ابنه حتى قتل وقتل خلق من مواله وخلصوا إليه فالقى الصبي من حجره وخر ساجدا فقتل وهو ساجد واضطرب الناس فنأدى أبو جعفر في الناس بالأمان إلا عبد الملك بن بشر وخالد بن سلمة المخزومي وعمر بن ذر فسكن الناس ثم استؤمن لبعض هؤلاء وقتل بعضا .

وفي هذه السنة بعث أبو مسلم الخراساني محمد بن الأشعث إلى فارس وأمره أن يأخذ عمال أبي سلمة الخلال فيضرب أعناقهم ففعل ذلك وفيها ولي السفاح أخاه يحيى بن محمد الموصل وأعمالها وولى عمه داود مكة والمدينة واليمن واليمامة وعزله عن الكوفة وولى مكانه عليها عيسى بن موسى وولى قضاءها ابن أبي ليلى وكان على نيابة البصرة سفيان بن معاوية المهلبى وعلى قضائها الحجاج بن أرتاه وعلى السند منصور بن جمهور وعلى فارس محمد بن الأشعث وعلى أرمينية وأذربيجان والجزيرة أبو جعفر المنصور وعلى الشام وأعمالها عبدالله بن علي عم السفاح وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد وعلى خراسان وأعمالها أبو مسلم الخراساني وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك وحج بالناس فيها داود بن علي .

3 ذكر من توفي فيها من الأعيان

@ مروان بن محمد بن مروان بن الحكم أبو عبد الملك الأموي آخر خلفاء بني أمية فقتل في العشر الأخير من ذي الحجة من هذه السنة كما تقدم ذلك مبسوطا وزيره عبد الحميد بن يحيى بن سعد مولى بني عامر بن لؤي الكاتب البليغ الذي يضرب به المثل فيقال فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد وكان إماما في الكتابة وجميع فنونها وهو القدوة فيها وله رسائل في الف ورقة وأصله من قيسارية ثم سكن الشام وتعلم هذا الشأن من سالم مولى هشام بن عبد الملك وكان يعقوب بن داود وزير المهدي يكتب بين يديه وعليه ترحج وكان ابنه اسماعيل بن عبد الحميد ماهرا في الكتابة أيضا وقد كان أولا يعلم الصبيان ثم تقلبت به الاحوال أن صار وزيرا لمروان وقتله السفاح ومثل به وكان اللائق بمثله العفو عنه ومن مستجاد كلامه العلم شجرة ثمرتها الألفاظ والفكر بحر لؤلؤه الحكمة ومن كلامه وقد رأى رجلا يكتب بخطا ردينا فقال أطل جلفه قلمك وأسمنها وحرف قطتك وأيمنها قال الرجل ففعلت ذلك فجاد خطي وسأله رجل أن يكتب له كتابا إلى بعض الأكابر يوصيه به فكتب إليه حق موصل كتابي إليك كحقه على إذ رأك موضعا لأمله ورأني أهلا لحاجته وقد قضيت أنا حاجته فصدق أنت أمل وكان كثيرا ما ينشد هذا البيت
إذا خرج الكتاب كان دويهم * قسيا وأقلام القسي لها نبلا
وأبو سلمة حفص بن سليمان هو أول من وزر لآل العباس قتله أبو مسلم بالأخبار عن أمر السفاح بعد ولايته بأربعة أشهر في شهر رجب وكان ذا هيئة فاضلا حسن المفاهة وكان السفاح يأنس به ويحب مسامرتة لطيب محاضرتة ولكن توهم ميله لآل على ففسد أبو مسلم عليه من قتله غيلة كما تقدم فأنشد السفاح عند قتله
إلى النار فليذهب ومن كان مثله * على أي شيء فاتنا منه نأسف
كان يقال له وزير آل محمد ويعرف بالخلال لسناكه بدرج الخلالين بالكوفة وهو أول من سمي بالوزير وقد حكى ابن خلكان عن ابن قتيبة أن اشتقاق الوزير من الوزر وهو الحمل فكان السلطان حمله أثقالا لإستناده إلى رأيه كما يلجأ الخائف إلى جبل يعتصم به .
2 ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة

@ فيها ولي السفاح عمه سليمان البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان ووجه عمه إسماعيل ابن علي إلى كور الأهواز وفيها قتل داود بن علي من بمكة والمدينة من بني أمية وفيها توفي داود ابن علي بالمدينة في شهر ربيع الأول واستخلف ابنه موسى على عمله وكانت ولايته على الحجاز ثلاثة أشهر فلما بلغ السفاح موته استتاب على الحجاز خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الدار الحارثي وولى اليمن لابن خاله محمد بن يزيد بن عبيد الله بن عبد الدار وجعل إمرة الشام لعمية عبد الله وصالح بن علي وأقر أبا عون على الديار المصرية نائبا وفيها توجه محمد بن الأشعث إلى افرقية فقاتلهم قتالا شديدا حتى فتحها وفيها خرج شريك بن شيخ المهري ببخارى على أبي مسلم وقال ما على هذا بايعنا آل محمد على سفك الدماء وقتل الأنفس واتبعه على ذلك نحو من ثلاثين ألفا فبعث إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله .

وفيها عزل السفاح أخاه يحيى بن محمد عن الموصل وولى عليه عمه إسماعيل وفيها ولي الصائفة من جهته صالح بن علي بن سعيد بن عبيد الله وغزا ما وراء الدروب وحج بالناس خال السفاح زياد ابن عبيد الله بن عبد الدار الحارثي ونواب البلاد هم الذين كانوا في التي قبلها سوى من ذكرنا أنه عزل .
2 ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة

@ فيها خلع بسام بن إبراهيم بن بسام الطاعة وخرج على السفاح فبعث إليه خازم بن خزيمه فقاتله فقتل عامة أصحابه واستباح عسكره ورجع فمر بملا من بني عبد الدار أخوال السفاح فسألهم عن بعض ما فيه نصرة للخليفة فلم يردوا عليه واستهانوا به وأمر بضرب أعناقهم وكانوا قريبا من عشرين رجلا ومثلهم من مواليهم فاستعدى بنو عبد الدار على خازم بن خزيمه إلى السفاح وقالوا قتل هؤلاء بلا ذنب فهم السفاح بقتله فأشار عليه بعض الأمراء بأن لا يقتله ولكن لبيعته مبعثا صعبا فإن سلم فذلك وإن قتل كان الذي أراد فبعثه إلى عمان وكان بها طائفة من الخوارج قد تمردوا وجهز معه سبعمائة رجل وكتب إلى عمه سليمان بالبصرة أن يحملهم في السفن إلى عمان ففعل فقاتل الخوارج فكسرهم وقهرهم واستحوذ

على ما هنالك من البلاد وقتل أمير الخوارج الصفريه وهو الجلندي وقتل من أصحابه وأنصاره نحواً من عشرة آلاف وبعث برؤسهم إلى البصرة فبعث بها نائب البصرة إلى الخليفة ثم بعد أشهر كتب إليه السفاح أن يرجع فرجع سالماً غانماً منصوراً .
وفيها غزا أبو مسلم بلاد الصغد وغزا أبو داود أحد نواب أبي مسلم بلاد كس فقتل خلقاً كثيراً وغنم من الأواني الصينية المنقوشة بالذهب شيئاً كثيراً جداً وفيها بعث السفاح موسى بن كعب إلى منصور بن جمهور وهو بالهند في اثني عشر ألفاً فالتقاه موسى بن كعب وهو في ثلاثة آلاف فهزمه واستباح عسكره وفيها ومات عامل اليمن محمد بن يزيد بن عبدالله بن عبد الدار فاستخلف السفاح عليها عمه وهو خال الخليفة وفيها تحول السفاح من الحيرة إلى الأنبار وحج بالناس نائب الكوفة عيسى بن موسى ونواب الأقاليم هم هم وفيها توفي من الأعيان أبو هارون العبدي وعمارة بن جوين ويزيد بن جابر الدمشقي والله أعلم .
2 ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة

@ فيها خرج زياد بن صالح من وراء نهر بلخ على أبي مسلم فأظفره الله بهم فبدد شملهم واستقر أمره بتلك النواحي وحج بالناس فيها سليمان بن علي نائب البصرة والنواب هم المذكورون قبلها وممن توفي فيها من الأعيان يزيد بن سنان وأبو عقيل زهرة بن معبد وعطاء الخراساني .

2 ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

@ فيها قدم أبو مسلم من خراسان على السفاح وذلك بعد استئذانه الخليفة في القدوم عليه فكتب إليه أن يقدم في خمسمائة من الجند فكتب إليه إنني قد وترت الناس وإنني أخشى من قلة الخمسمائة فكتب إليه أن يقدم في ألف فقدم في ثمانية آلاف فرقمهم وأخذ معه من الأموال والتحف والهدايا شيئاً كثيراً ولما قدم لم يكن معه سوى ألف من الجند فلقاه القواد والأمراء إلى مسافة بعيدة ولما دخل علي السفاح أكرمه وعظمه واحترمه وأنزله قريبا منه وكان يأبى إلى الخلافة كل يوم واستأذن الخليفة في الحج فأذن له وقال لولا إنني عينت الحج لأخي أبي جعفر لأمرتك على الحج وكان الذي بين أبي جعفر وأبي مسلم خراباً وكان يبغضه وذلك لما رأى ما هو فيه من الحرمة حين قدم عليه نيسابور في البيعة للسفاح وللمنصور بعده فجار في أمره لذلك فحقد عليه المنصور وأشار على السفاح بقتله فأمر بكتفه ذلك وحين قدم أمره بقتله أيضاً وحرصه على ذلك فقال له السفاح قد علمت بلاءه معنا وخدمته لنا فقال أبو جعفر يا أمير المؤمنين إنما ذلك بدولتنا والله لو أرسلت سنورا لسمعوا لها وأطاعوا وإنك إن لم تتعش به تغدى بك هو فقال له كيف السبيل إلى ذلك فقال إذا دخل عليك فحادثه ثم أجيء أنا من وراءه فأضربه بالسيف قال كيف بمن معه قال هم أذل وأقل فأذن له في قتله فلما دخل أبو مسلم على السفاح ندم على ما كان أذن لأخيه فيه فبعث إليه الخادم يقول له ان ذاك الذي بينك وبينه ندم عليه فلا تفعله فلما جاءه الخادم وجده محتبياً بالسيف قد تهاى لما يريد من قتل أبي مسلم فلما نهاه عن ذلك غضب أبو جعفر غضباً شديداً وفيها حج بالناس أبو جعفر المنصور عن ولاية أخيه السفاح وسار معه إلى الحجاز أبو مسلم الخراساني عن أمر الخليفة وأذن له في الحج فلما رجعا من الحج وكانا بذات عرق جاء الخبر إلى أبي جعفر وكان يسير أبي مسلم بمرحلة يموت أخيه السفاح فكتب إلى أبي مسلم أن قد حدث أمر فالعجل العجل فلما استعلم أبو مسلم الخبر عجل السير وراءه فلحقه إلى الكوفة وكانت بيعة المنصور على ما سيأتى بيانه وتفصيله قريبا والله سبحانه وتعالى أعلم .

3 ترجمة أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس

@ هي عبدالله السفاح ويقال له المرتضى والقاسم أيضاً ابن محمد ابن الإمام ابن علي السجاد ابن عبدالله الحبر ابن العباس بن عبدالمطلب القرشي الهاشمي أمير المؤمنين وأمه ربيعة ويقال ربيعة بنت عبيدالله بن عبدالله بن عبد الله الحارثي كان مولد السفاح بالحميمة من أرض الشراه من البلقاء بالشام ونشأ بها حتى أخذ مروان أخيه في حياة مروان يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول بالكوفة كما تقدم وتوفي بالجدري بالأنبار يوم الأحد الحادي عشر وقيل عشر من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان عمره ثلاثاً وقيل ثنتين وقيل الثالث عشر من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان عمره ثلاثاً وقيل إحدى

وثلاثين سنة وقيل ثمان وعشرين سنة قال غير واحد وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وكان أبيض جميلا طويلا أفنى الأنف جعد الشعر حسن اللحية حسن الوجه فصيح الكلام حسن الرأي جيد البديهة دخل عليه في أول ولايته عبدالله بن حسن بن حسن بن علي ومعه مصحف وعند السفاح وجوه بني هاشم من أهل بيته وغيرهم فقال له يا أمير المؤمنين أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا

المصحف قال فأشفق عليه الحاضرون أن يعجل السفاح عليه بشيء أو يترك جوابه فيبقى ذلك مسبة عليه وعليهم فأقبل السفاح عليه غير مغضب ولا منزعج فقال ان جدك عليا كان خير مني وأعدل وقد ولي هذا الأمر فأعطى جديك الحسن والحسين وكانا خيرا منك شيئا قد أعطيته وزدتك عليه فما كان هذا جزائي منك قال فما رد عليه عبدالله بن حسن جوابا وتعجب الناس من سرعة جوابه وجدته وجودته علي البديهة

وقد وقال الإمام أحمد في مسنده حدثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا عن الأعمش عن عطية العوفى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له السفاح يكون إعطاؤه المال حثيا وكذا رواه زائدة وأبو معاوية عن الأعمش به وهذا الحديث في اسناده عطية العوفى وقد تكلموا فيه وفي أن المراد بهذا الحديث هذا السفاح نظر والله أعلم وقد ذكرنا فيما تقدم عند زوال دولة بني أمية أخبارا وآثارا في مثل هذا المعنى وقال الزبير بن بكار حدثني محمد بن سلمه بن محمد بن هشام أخبرني محمد بن عبد الرحمن المخزومي حدثني داود بن عيسى عن أبيه عن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وهو السفاح قال دخلت على عمر بن عبدالعزيز وعنده رجل من النصارى فقال له عمر تجدون الخليفة بعد سليمان قال له أنت فأقبل عمر بن عبد العزيز فقال له زدني من بيانك فقال ثم آخر إلى أن ذكر خلافة بني أمية إلى آخرها قال محمد بن علي فلما كان بعد ذلك جعلت ذلك النصراني في بالي فرأيته يوما فأمرت غلامي أن يحبسه على وذهبت إلى منزلي فسألته عما يكون في خلفاء بني أمية فذكرهم واحدا واحدا وتجاوز عن مروان بن محمد قلت ثم من قال ثم ابن الحارثية وهو ابنك قال وكان ابني ابن الحارثية إذ ذاك حملا قال ووفد أهل المدينة على السفاح فبادروا إلى تقبيل يده غير عمران بن إبراهيم بن عبدالله بن مطيع العدوي فإنه لم يقبل يده إنما حياه بالخلافة فقط وقال والله يا أمير المؤمنين لو كان تقبيلها يزيدك رفعة ويزيدني وسيلة اليك ما سبقني إليها أحد من هؤلاء واني لغني عما لا أجر فيه وربما قادنا عمله إلى الوزر ثم جلس قال فوالله ما نقصه ذلك عنده حطاً من حط أصحابه بل أحبه وزاده وذكر القاضي المعافى بن زكريا أن

السفاح بعث رجلا ينادي في عسكر مروان بهذين البيتين ليلا ثم رجع يا آل مروان إن الله مهلككم * ومبدل أمنكم خوفا وتشريدا لا عمر الله من أنسالكم أحدا * وبثكم في بلاد الخوف تطريدا وروى الخطيب البغدادي أن السفاح نظر يوما في المرأة وكان من أجمل الناس وجها فقال اللهم لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك أنا الخليفة الشاب ولكن أقول اللهم عمرني طويلا في

طاعتك ممتعا بالعافية فما استتم كلامه حتى سمع غلاما يقول لآخر الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام فتطير من كلامه وقال حسبي الله لا قوة إلا بالله عليه توكلت وبه أستعين فمات بعد شهرين وخمسة أيام وذكر محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي أن الرشيد أمر ابنه أن يسمع من اسحق بن عيسى بن علي ما يرويه عن أبيه في قصة السفاح فأخبره عن أبيه عيسى أنه دخل علما للسفاح يوم عرفه بكرة فوجده صائما فأمره أن يجادته في يومه هذا ثم يختم ذلك بفطره عنده قال فحدثته حتى أخذته النوم فقامت عنه وقلت أقبل في منزلي ثم أجيء بعد ذلك فذهبت فنمت قليلا ثم قامت فأقبلت إلى داره فإذا على بابها بشير يبشر بفتح السند وبيعتهم للخليفة وتسليم الأمور إلى نوابه قال فحمدت الله الذي وفقني في الدخول عليه بهذه البشارة فدخلت الدار فإذا بشير آخر معه بشارة بفتح افرقيه فحمدت الله فدخلت عليه فبشرته بذلك وهو يسرح لحيته بعد الوضوء فسقط المشط من يده ثم قال سبحان الله كل شيء بائد سواه نعت والله إلى نفسي

حدثني إبراهيم الإمام عن أبي هشام عن عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يقدم علي في مدينتي هذه وافدان وافد السند والآخر وافد إفريقيه بسمعهم وطاعتهم ويبتغهم فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة أيام حتى أموت قال وقد أتاني الوافدان فأعظم الله أجرك يا عم في ابن أخيك فقلت كلا يا أمير المؤمنين إن شاء الله قال بلا إن شاء الله لئن كانت الدنيا حبيبة فالآخرة أحب الي ولقاء ربي خير لي وصحة الرواية عن رسول الله بذلك أحب الي منها والله ما كذبت ولا كذبت ثم نهض ودخل منزله وأمرني بالجلوس فلما جاء المؤذن يعلمه بوقت الظهر خرج الخادم يعلمني أن أصلي عنه وكذلك العصر والمغرب والعشاء وبت هناك فلما كان وقت السحر أتاني الخادم بكتاب معه يأمرني أن أصلي عنه الصبح والعيد ثم أرجع إلى داره وفيه يقول يا عم إذا مت فلا تعلم الناس في موتي حتى تقرأ عليهم هذا الكتاب فيبايعوا لمن فيه قال فصليت بالناس ثم رجعت إليه فإذا ليس به بأس ثم دخلت عليه من آخر النهار فإذا هو على حاله غير أنه قد خرجت في وجهه حبتان صغيرتان ثم كبرتتا ثم صار في وجهه حب صغار بيض يقال أنه جدري ثم بكرت إليه في اليوم الثاني فإذا هو قد هجر وذهبت عنه معرفتي ومعرفة غيري ثم رجعت إليه بالعشى فإذا هو انتفخ حتى صار مثل الزق وتوفي اليوم الثالث من أيام التشريق فسجيته كما أمرني وخرجت إلى الناس فقرأت عليهم كتابه فإذا فيه من عبدالله أمير المؤمنين إلى الأولياء وجماعة الناس سلام عليكم أما بعد فقد قلد أمير المؤمنين الخلافة عليكم بعد وفاته أخاه فاسمعوا وأطيعوا وقد قلدها من بعده عيسى بن موسى إن كان قال فاحتمل الناس في قوله إن كان

قيل إن كان أهلا لها وقال آخرون إن كان حيا وهذا القول الثاني هو الصواب ذكره الخطيب وابن عساكر مطولا وهذا ملخص منه وفيه ذكر الحديث المرفوع وهو منكر جدا وذكر ابن عساكر أن الطبيب دخل عليه فأخذه بيده ينشأ يقول عن ذلك انظر إلى ضعف الحرا * ك وذل بعد السكون

ينبيك أن بيانه * هذا مقدمه المنون فقال الطبيب أنت صالح فأنشأ يقول * يبشرني بأني ذو صلاح بين له وبني داء دفين * ولقد أيقنت إني غير باق ولا شك إذا وضح اليقين * قال أهل العلم كان آخر ما تكلم به السفاح الملك لله الحي القيوم ملك الملوك وجبار الجبابره وكان نقش خاتمه الله ثقة عبدالله وكان موته بالجدري في يوم الأحد الثالث عشر من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بالأنبار العتيقه عن ثلاث وثلاثين سنة وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر الأقوال وصلّى عليه عمه عيسى بن علي ودفن في قصر الإمارة من الأنبار وترك تسع جبات واربعة أقمصه وخمس سراويلات وأربعة طيالس وثلث مطارف خز وقد ترجمه ابن عساكر فذكر بعض ما أوردناه والله أعلم وممن توفي فيها من الأعيان السفاح كما تقدم وأشعث بن سوار وجعفر بن أبي ربيعة وحصين بن عبد الرحمن وربيعه الراعي وزيد بن أسلم وعبد الملك بن عمير وعبدالله بن أبي جعفر وعطاء بن السائب وقد ذكرنا تراجمهم في التكميل ولله الحمد *3* خلافة أبي جعفر المنصور

@ واسمه عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس قد تقدم أنه لما مات السفاح كان في الحجاز فبلغه موته وهو بذات عرق راجعا من الحج وكان معه أبو مسلم الخراساني فعجل السير وعزاه أبو مسلم في أخيه فبكى المنصور عند ذلك فقال له أتبكي وقد جاءتك الخلافة أنا أكفيكها إن شاء الله فسرى عنه وأمر زياد بن عبيد الله أن يرجع إلى مكة واليا عليها وكان السفاح قد عزله عنها بالعباس بن عبدالله بن معبد بن عباس فأقره عليها والنواب علي أعمالهم حتى أنسلخت هذه السنة وقد كان عبدالله بن علي قدم على ابن أخيه السفاح الأنبار فأمره على الصائفة فركب في جيوش عظيمة إلى بلاد الروم فلما كان ببعض الطريق بلغه موت السفاح فكر راجعا إلى حران ودعا إلى نفسه وزعم أن السفاح كان عهد إليه حتى بعثه إلى الشام أن يكون ولي العهد من بعده فالتفت عليه جيوش عظيمة وكان من أمره ما سنذكره في السنة الآتية إن شاء الله تعالى

2 ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة

@

3 ذكر خروج عبدالله بن علي بن ابن أخيه المنصور

@ لما رجع أبو جعفر المنصور من الحج بعد موت أخيه السفاح دخل الكوفة فخطب بأهلها

يوم

الجمعة وصلّى بهم ثم ارتحل منها إلى الانبار وقد أخذت له البيعة من أهل العراق وخراسان وسائر البلاد سوى الشام وقد ضبط عيسى بن علي بيوت الأموال والحواصل للمنصور حتى قدم فسلم إليه الأمر وكتب إلى عمه عبدالله بن علي يعلمه بوفاة السفاح فلما بلغه الخبر نادى في الناس الصلاة جامعاً فاجتمع إليه الأمراء والناس فقرأ عليهم وفاة السفاح ثم قام فيهم خطيباً فذكر أن السفاح كان عهد إليه حين بعثه إلى مروان أنه إن كسره كان الأمر إليه من بعده وشهد له بذلك بعض أمراء العراق ونهضوا إليه فبايعوه ورجع إلى حران فتسلمها من نائب المنصور بعد محاصرة أربعين ليلة وقتل مقاتل العتكي نائيبها فلما بلغ المنصور ما كان من أمر عمه بعث إليه أبا مسلم الخراساني ومعه جماعة من الأمراء وقد تحصن عبدالله بن علي بن حران وأرصد عنده مما يحتاج إليه من الأطعمة والسلاح شيئاً كثيراً جداً فسار إليه أبو مسلم الخراساني وعلى مقدمته مالك بن هيثم الخزاعي فلما تحقق عبدالله قدوم أبي مسلم إليه خشى من جيش العراق أن لا يناصحوه فقتل منهم سبعة عشر ألفاً وأراد قتل حميد بن قحطبة فهرب منه إلى أبي مسلم فركب عبدالله بن علي فنزل على نصيبين وخذق حول عسكره وأقبل أبو مسلم فنزل ناحيته وكتب إلى عبد الله إنني لم أؤمر بقتالك وإنما بعثني أمير المؤمنين واليا على الشام فأنا أريدها فخاف جنود الشام من هذا الكلام فقالوا إنا نخاف على ذرارينا وديارنا وأموالنا فنحن نذهب إليها نمنعهم منه فقال عبدالله ويحكم والله لم يأت إلا لقتالنا فأبوا ألا يرتحلوا عن الشام فتحول عبدالله من منزله ذلك وقصد ناحية الشام فنهض أبو مسلم فنزل موضعه وغور ما حوله عن المياه وكان موضع عبدالله الذي تحول منه موضعاً جيداً جداً فاحتاج عبدالله وأصحابه فنزلوا في موضع أبي مسلم فوجدوه منزلاً رديئاً ثم أنشأ أبو مسلم القتال فحاربهم خمسة أشهر وكان على خيل عبدالله أخوه عبد الصمد بن علي وعلى ميمنته بكر بن مسلم العقيلي وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسدي وعلى ميمنته أبي مسلم الحسن بن قحطبة وعلى ميسرته أبو نصر خازم بن خزيم وقد جرت بينهم وقعات وقتل منهم جماعات في أيام نحسات وكان أبو مسلم إذا حمل يرتجز ويقول

من كان ينوي أهله فلا رجع * فرمن الموت وفي الموت وقع

وكان يعمل له عرش فيكون فيه إذا التقى الجيشان فما رأى في جيشه من خلل أرسل فأصلحه فلما كان يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون من جمادي الآخرة التقوا فاقتتلوا قتالاً شديداً فمكر بهم أبو مسلم بعث إلى الحسن بن قحطبة أمير الميمنة فأمره أن يتحول بمن معه إلا القليل إلى الميسرة فلما رأى ذلك أهل الشام انحازوا إلى الميمنة بازاء الميسرة التي تعمرت فأرسل حينئذ أبو مسلم إلى القلب أن يحمل بمن بقي في الميمنة على ميسرة أهل الشام فحطموهم فجال أهل القلب

والميمنة من الشاميين فحمل الخراسانيون على أهل الشام وكانت الهزيمة وانهمز عبد الله بن علي بعد تلوم واحتاز أبو مسلم ما كان في معسكرهم وأمن أبو مسلم بقية الناس فلم يقتل منهم واحداً وكتب إلى المنصور بذلك فأرسل المنصور مولاه أبا الخطيب ليحصي ما وجدوا في معسكر عبدالله فغضب من ذلك أبو مسلم الخراساني واستوسقت الممالك لأبي جعفر المنصور ومضى عبدالله بن علي وأخوه عبد الصمد على وجهيهما فلما مرا بالرصافة أقام بها عبد الصمد فلما رجع أبو الخطيب ووجه بها فأخذه معه مقيداً في الحديد فأدخله المنصور فدفعه إلى عيسى بن موسى فاستأمن له المنصور وقيل بل استأمن له إسماعيل بن علي وأما عبدالله بن علي فإنه ذهب إلى أخيه سليمان بن علي بالبصرة فأقام عنده زماناً مختفياً ثم علم به المنصور فبعث إليه فسجنه في بيت بني أسامة على الملح ثم أطلق عليه الماء فذاب الملح وسقط البيت على عبدالله فمات وهذه من بعض دواهي المنصور

والله سبحانه أعلم فليث في السجن سبع سنين ثم سقط عليه في البيت الذي هو فيه فمات
كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى
3 مهلك أبي مسلم الخراساني

@ في هذه السنة أيضا لما فرغ أبو مسلم من الحج سبق الناس بمرحلة فجاهه خير السفاح
في الطريق فكتب إلى أبي جعفر يعزبه في أخيه ولم يهينه بالخلافة ولا رجع إليه فغضب
المنصور من ذلك مع ما كان قد أضمر له من سوء إذا أفضيت إليه الخلافة وقيل أن
المنصور هو الذي كان قد تقدم بين يدي الحج بمرحلة وأنه لما جاء خير موت أخيه كتب إلى
أبي مسلم يستعجله في السير كما قدمناه فقال لأبي أيوب أكتب له كتابا غليظا فلما بلغه
الكتاب أرسل يهينه بالخلافة وانقمع من ذلك وقال بعض الأمراء للمنصور إنا نرى أن لا
تجامعه في الطريق فان معه من الجنود من لا يخالفه وهم له أهيب وعلى طاعته أحرص
وليس معك أحد فأخذ المنصور برأيه ثم كان من أمره مبايعته لأبي جعفر ما ذكرنا ثم بعث
إلى عمه عبدالله فكسره كما تقدم وقد بعث في غبون ذلك الحسن بن قحطبه لأبي أيوب
كاتب رسائل المنصور يشافهه ويخبره بأن أبا مسلم متهم عند أبي جعفر فانه اذا جاءه كتاب
منه يقرأه ثم يلوي شذقيه ويرمي بالكتاب إلى أبي نصر ويضحكان استهزاء فقال أيوب إن
تهمة أبي مسلم عندنا أظهر من هذا ولما بعث أبو جعفر مولاه أبا الخطيب يقطين ليحتاط
على ما أصيب من معسكر عبدالله من الأموال والجواهر الثمينه وغيرها غضب أبو مسلم
فشتتم أبا جعفر وهم بأبي الخصيب حتى قيل له إنه رسول فتركه ورجع فلما قدم أخبر
المنصور بما كان وبما هم به أبو مسلم من قتله فغضب المنصور وخشي أن يذهب أبو مسلم
إلى

خراسان فيشق عليه تحصيله بعد ذلك وأن تحدث حوادث فكتب إليه مع يقطين إني قد وليتك
الشام ومصر وهما خير من خراسان فابعث إلى مصر من شئت وأقم أنت بالشام لتكون
أقرب إلى أمير المؤمنين إذا اراد لقاءك كنت منه قريبا فغضب أبو مسلم وقال قد ولاني
الشام ومصر ولي ولاية خراسان فإذا ذهب إليها واستخلف على الشام ومصر فكتب إلى
المنصور بذلك فقلق المنصور من ذلك كثيرا ورجع أبا مسلم من الشام قاصدا خراسان وهو
عازم على مخالفة المنصور فخرج المنصور من الانبار إلى المدائن وكتب إلى أبي مسلم
بالمسيرة إليه فكتب إليه أبو مسلم وهو على الزاب عازم على الدخول إلى خراسان أنه لم
يبق لأمير المؤمنين عدو إلا مكنه الله منه وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما
يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء فنحن نأفرون من قربك حريصون على الوفاء بعهدك ما
وفيت حريون بالسمع والطاعة غير انها من بعيد حيث يقارنها السلامه فإن ارضاك ذلك فأنا
كأحسن عبيدك وإن آبيت إلا أن تعطي نفسك إرادتها نقصت ما أبرمت من عهدك ضنا
بنفسي عن مقامات الذل والإهانه فلما وصل الكتاب إلى المنصور وكتب إلى أبي مسلم قد
فهمت كتابك وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغششة إلى ملوكهم الذين يتمنون
اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم وإنما راحتهم في تبدد نظام الجماعة فلم سويت
نفسك بهم وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعتك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما
أنت به وليس مع الشريطة التي أوجبت منك سمع ولا طاعة وقد حمل أمير المؤمنين عيسى
بن موسى اليك رسالة ليسكن إليها قلبك إن أصغيت إليها وأسأله أن يحول بين الشيطان
ونزعاته وبينك فإنه لم يجد بابا يفسد به نيتك أوكد عنده من هذا ولا أقرب من طبه من الباب
الذي فتحته عليك ويقال إن أبا مسلم كتب إلى المنصور أما بعد فإني اتخذت رجلا إماما
ودليلا على ما أفترض الله على خلقه وكان في محلة العلم نازلا وفي قرابته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قريبا فاستجھلني بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعا في قليل قد
تعافاه الله إلى خلقه وكان كالذي دلى بغرور وأمرني أن أجرد السيف وأرفع المرحمه ولا
أقبل المعذره ولا أقبل العثرة ففعلت توطيدا لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان يجهلكم
وأطاعكم من كان عدوكم وأظهركم الله بي بعد الأخفاء والحقارة والذل ثم استنتقذني الله
بالتوبه فان يعف عني فقديما عرف به ونسب إليه وان يعاقبني فيما قدمت يداي وما الله
بظلام للعبيد وذكره المدني عن شيوخه

وبعث المنصور إليه جرير بن يزيد بن عبدالله البجلي وقد كان أوجد أهل زمانه في جماعة من الأمراء وأمره أن يكلم أبا مسلم باللين كلما يقدر عليه وأن يكون في جملة ما يكلمه به أنه يريد رفع قدرك وعلو منزلتك والإطلاقات لك فإن جاء بهذا فذاك وإن أبى فقل هو بريء من العباس إن شققت العصا على وجهك ليدركك فيقتلك أو يموت قبل ذلك ولا تقل له هذا حتى تياس البحر الخضم لخاضه خلفك حتى يدركك فيقتلك أو يموت قبل ذلك ولا تقل له هذا حتى تياس من رجوعه بالتّي هي أحسن فلما قدم عليه أمراء المنصور بحلوان دخلوا عليه ولا موه فيما هم به من منابذة أمير المؤمنين وما هو فيه من مخالفته ورغبوه الرجوع إلى الطاعة فشاور ذوي الرأي من أمرائه فكلهم نهاه عن الرجوع إليه وأشاروا بأن يقيم في الري فتكون خراسان تحت حكمه وجنوده طوعا له فإن استقام له الخليفة والإكان في عزو منعه من الجند فعند ذلك أرسل أبو مسلم إلى أمراء المنصور فقال لهم أرجعوا إلى صاحبكم فليست أنقاه فلما استياسوا منه قالوا ذلك الكلام الذي كان المنصور أمرهم به فلما سمع ذلك كسره جدا وقال قوموا عني الساعة

وكان أبو مسلم قد استخلف على خراسان أبا داود ابراهيم بن خالد فكتب إليه المنصور في غيبة أبي مسلم حين أتهم إن ولاية خراسان لك ما بقيت فقد وليتها وعزلت عنها أبا مسلم فعند ذلك كتب أبو داود إلى أبي مسلم حين بلغه ما عليه من منابذة الخليفة أنه ليس يليق بنا منابذة خلفاء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجع إلى إمامك سامعا مطيعا والسلام فزاده ذلك كسرا أيضا فبعث إليهم أبو مسلم إنني سأبعث إليه أبا اسحاق وهو ممن أتق به فبعث أبا اسحاق إلى المنصور فأكرمه ووعدته بنبابة العراق إن هو رده فلما رجع إليه أبو اسحاق قال له ما وراءك قال رأيتهم معظمين لك يعرفون قدرك فعزه ذلك وعزم على الذهاب إلى الخليفة فاستشار أميرا يقال له نيزك فنهاه فصمم على الذهاب فلما راه نيزك عازما علما للذهاب تمثل بقول الشاعر

ما للرجال مع القضاء محالة * ذهب القضاء بحيلة الأقوام

ثم قال له احفظ عني واحده قال وما هي قال اذا دخلت عليه فاقتله ثم باع من شئت بالخلافة فإن الناس لا يخالفونك وكتب أبو مسلم يعلمه بقدمه عليه قال أبو أيوب كاتب الرسائل فدخلت على المنصور وهو جالس في خباء شعر جالس في مصلاه بعد العصر وبين يديه كتاب فألقاه إلي فإذا هو كتاب أبي مسلم بالقدوم يعلمه عليه ثم قال الخليفة والله لئن ملأت عيني منه لأقتلنه قال أبو أيوب فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون وبت تلك الليلة لا يأتي نوم وأفكر في هذه الواقعة وقلت إن دخل أبو مسلم خائفا ربما يبدو منه شر إلى الخليفة والمصلحة تقتضي أن يدخل أمانا ليتمكن منه الخليفة فلما أصبحت طلبت رجلا من الأمراء وقلت له هل لك أن تتولى مدينة كسكر فإنها مغله في هذه السنة فقال ومن لي بذلك فقلت له فاذهب إلى أبي مسلم فتلقاه في الطريق فاطلب منه أن يوليكَ تلك البلد فإن أمير المؤمنين يريد أن يوليه ما وراء بابه

ويستريح لنفسه واستأذنت المنصور له أن يذهب إلى أبي مسلم فأذن له وقال له سلم عليه وقل له إنا بالأشواق إليه فسار ذلك الرجل وهو سلمة بن فلان إلى أبي مسلم فأخبره بإشتياق الخليفة إليه فسره ذلك وانشرح وانما هو وغرور ومكر به فلما سمع أبو مسلم بذلك عجل السير إلى منبته فلما قرب من المدائن أمر الخليفة القواد والأمراء أن يتلقوه وكان دخوله على المنصور من آخر ذلك اليوم وقد أشار أبو أيوب على المنصور أن يؤخر قتله في ساعته هذه إلى الغد فقبل ذلك منه فلما دخل أبو مسلم على المنصور من العشى أظهر له الكرامة والتعظيم ثم قال اذهب فأرح نفسك وادخل الحمام فإذا كان الغد فأنتني فخرج من عنده وجاءه الناس يسلمون عليه فلما كان الغد طلب الخليفة بعض الأمراء فقال له كيف بلائي عندك فقال والله يا أمير المؤمنين لو أمرتني أن أقتل نفسي لقتلتها قال فكيف بك لو أمرتك بقتل أبي مسلم قال فوجم الساعة ثم قال له أبو أيوب مالك لا تتكلم فقال قوله ضعيفه أقتله ثم اختار له من عيون الحرس أربعة فحرضهم على قتله وقال لهم كونوا من وراء الرواق فإذا صفقت بيدي فأخرجوا عليه فاقتلوه ثم أرسل المنصور إلى أبي مسلم رسلا تترى يتبع بعضهم بعضا فأقبل أبو مسلم فدخل دار الخلافة ثم دخل على الخليفة وهو يبتسم فلما وقف بين يديه جعل المنصور يعاتبه في الذي صنع واحدة واحدة فبعث عن ذلك كله ثم

قال يا امير المؤمنين أرجو أن تكون نفسك قد طابت علي فقال المنصور أما والله ما زادني هذا الا غيظا عليك ثم ضرب باحدى يديه على الأخرى فخرج عثمان واصحابه فضربوه بالسيوف حتى قتلوه ولفوه في عباءة ثم أمر بإلقائه في دجله وكان آخر العهد به وكان مقتله في يوم الأبعاء لأربع بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة وكان من جملة ما عاتبه به المنصور ان قال كتبت إلى مرات تبدأ بنفسك وأرسلت تخطب عمتي أمينة وتزعم أنك ابن سليط بن عبدالله بن عباس إلى غير ذلك فقال أبو مسلم يا أمير المؤمنين لا يقال لي هذا وقد سعيت في أمركم بما علمه كل احد فقال ويلك لو قامت في ذلك أمة سوداء لأتمه الله لجدنا وحيطتنا ثم قال والله لاقتلك فقال أستبقي يا أمير المؤمنين لأعدائك فقال وأي عدو لي أعدى منك ثم أمر بقتله كما تقدم فقال له بعض الأمراء يا أمير المؤمنين الآن صرت خليفة ويقال إن المنصور أنشد عند ذلك فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر وذكر ابن خلكان أن المنصور لما أراد قتل أبي مسلم تحير في أمره هل يستشير احد في ذلك أو يستبد هو به لئلا يشيع وينتشر ثم استشار واحدا من نصحاء أصحابه فقال يا أمير المؤمنين

قال الله تعالى لو كان فيهما آله إلا الله لفسدتا فقال له لقد اودعتها اذنا واعيه ثم عزم على ذلك

3 ترجمة أبي مسلم الخراساني

@ هو عبد الرحمن بن مسلم أبو مسلم صاحب دولة بني العباس ويقال له أمير آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الخطيب يقال له عبد الرحمن بن شيرون بن اسفنديار أبو مسلم المروزي صاحب الدولة العباسية يروي عن أبي الزبير وثابت البناتي وابراهيم وعبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس زاد ابن عساكر في شيوخه محمد بن علي وعبد الرحمن بن حرمله وعكرمة مولى ابن عباس قال ابن عساكر روي عنه ابراهيم بن ميمون الصائغ وبشر والد مصعب بن بشر وعبدالله بن شبرمة وعبدالله بن المبارك وعبدالله بن منيب المروزي وقديد بن منيع صهر أبي مسلم قال الخطيب وكان أبو مسلم فانكا ذا رأي وعقل وتديبر وحزم قتله أبو جعفر المنصور بالمدائن وقال أبو نعيم الأصبهاني في تاريخ اصبهان كان اسمه عبدالرحمن بن عثمان بن يسار قيل إنه ولد بأصبهان وروي عن السدي وغيره وقيل كان اسمه ابراهيم بن عثمان بن يسار بن سندوس ابن حوزون ولد بزر جمهور وكان يكنى أبا اسحاق ونشأ بالكوفة وكان أبوه أوصى به إلى عيسى ابن موسى السراج فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين فلما بعثه ابراهيم بن محمد الامام إلى خراسان قال له غير اسمك وكنيتك فتسمى عبد الرحمن بن مسلم واكتنى بأبي مسلم فسار إلى خراسان وهو ابن سبع عشرة رابعا على حمار باكاف وأعطاه ابراهيم بن محمد نفقة فدخل خراسان وهو كذلك ثم آل به الحال حتى صارت له خراسان بازمتها وحذافيرها وذكر انه في ذهابه اليها عدا رجل من بعض الحانات فقطع ذنب حماره فلما تمكن ابو مسلم جعل ذلك المكان دكا فكان بعد ذلك خرابا وذكر بعضهم أنه أصابه سبى في صغره وانه اشتراه بعض دعاة بني العباس بأربعمائة درهم ثم أن ابراهيم بن محمد الإمام استوهبه واشتراه فانتفى إليه وزوجه ابراهيم بنت ابي النجم إسماعيل الطائي أحد دعائهم لما بعثه إلى خراسان وأصدقها عنه أربعمائة درهم فولد لأبي مسلم بنتن إحداهما أسماء أعقبت وفاطمة لم تعقب

وقد تقدم ذكر كيفية استقلال أبي مسلم بأمر خراسان في سنة تسع وعشرين ومائة وكيف نشر دعوة بني العباس وقد كان ذا هبة وصرامة وإقدام وتسرع في الأمور وقد روي ابن عساكر بإسناده أن رجلا قام إلى ابي مسلم وهو يخطب فقال ما هذا السواد الذي أرى عليك فقال

حدثني أبو الزبير عن جابر بن عبدالله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء وهذه ثياب الهيئة وثياب الدولة يا غلام اضرب عنقه وروي من حديث عبد الله بن منيب عنه عن محمد بن علي عن ابيه عن جده عبدالله بن عباس قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من أراد هوان قريش أهانه الله وقد كان ابراهيم بن ميمون الصانع من أصحابه وجلسائه في زمن الدعوة وكان يعده إذا ظهر أن يقيم الحدود فلما تمكن أبو مسلم الحج عليه ابراهيم ابن ميمون في القيام بما وعده به حتى أحرجه فأمر بضرب عنقه وقال له لم لا كنت تنكر علي نصر بن سيار وهو يعمل أواني الخمر من الذهب فيبيعها إلي بني أمية فقال له إن اولئك لم يقربوني من أنفسهم وبعدونني منها ما وعدتني أنت وقد رأى بعضهم لإبراهيم بن ميمون هذا منازل عاليه في الجنة بصبره على المعروف والنهي عن المنكر فإنه كان أمرا ناهيا قائما في ذلك فقتله أبو مسلم رحمه الله

وقد ذكرنا طاعة أبي مسلم للسفاح واعتناؤه بأمره وامتناله مراسيمه فلما صار الأمر إلى المنصور استخف به واحتقره ومع هذا بعثه إلى عمه عبدالله إلى الشام فكسره واستنفذ منه الشام وردّها إلى حكم المنصور ثم شمخت نفسه على المنصور وهم بقتله ففطن لذلك المنصور مع ما كان مبطنا له من البغضه وقد سأل أخاه لسفاح غير مرة أن يقتله كما تقدم ذلك فأبى عليه فلما تولى المنصور ما زال يماكره ويخادعه حتى قدم إليه قال بعضهم كتب المنصور إلى أبي مسلم أما بعد فإنه يريد على القلوب ويطبع عليها المعاصي فع أيها الطائش وافق أيها السكران وانتبه أيها النائم فإنك مغرور بأضغاث أحلام كاذبة في برزخ دنيا قد غرت من كان قبلك وسم بها سوائف القرون هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا وإن الله لا يعجزه من هرب ولا يفوته من طلب فلا تغتر بمن معك من شيعتي وأهل دعوتي فكأنهم قد صالحوا عليك بعد أن صالحوا معك إن أنت خلعت الطاعة وفارقت الجماعة وبذلك من الله ما لم تكن تحتسب مهلا مهلا احذر البغي أبا مسلم فإنه من بغى واعتدى تخلى الله عنه ونصر عليه من يصرعه لليدين والفم واحذر أن تكون سنة في الدين قد خلوا من قبلك ومثله لمن يأتي بعدك فقد قامت الحجة وأعدت اليك وإلى أهل طاعتي فيك قال تعالى وإتل عليهم نبا الذي آتيناها آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين فأجابه أبو مسلم أما بعد فقد قرأت كتابك فرأيتك فيه للصواب مجانيا وعن الحق حائدا إذ تضرب فيه الأمثال على غير أشكالها وكتبت إلى فيه آيات منزلة من الله للكافرين وما يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانني والله ما انسلخت من آيات الله ولكنني يا عبدالله بن محمد كنت رجلا متأولا فيكم من القرآن آيات أوجبت لكم الولاية والطاعة فأنتمت بأخوين لك من قبلك ثم بك من بعدهما فكنتم لهما شيعة متدينا أحسنني هاديا مهتديا وأخطأت في التأويل وقدمت أخطأ المتأولون وقد قال الله تعالى وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على

نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهاله ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم وإن أخاك السفاح ظهر في صورة مهدي وكان ضالا فأمرني أن أجرد السيف وأقتل بالظنة وأقدم بالشبهة وأرفع الرحمة ولا أقبل العثرة فوترت أهل الدنيا في طاعتكم وتوطئة سلطانكم حتى عرفكم الله من كان جهلكم ثم ان الله سبحانه وتعالى تداركني منه بالندم واستنقذني بالتوبة فإن يعف عني ويصفح فإنه كان للأوابين عفورا وإن يعاقبني فيذنوبي وما ربك بظلام للعبيد

فكتب إليه المنصور أما بعد أيها المجرم العاصي فان أخي كان امام هدي يدعو إلى الله على بينة من ربه فأوضح لك السبيل وحملك على المنهج السديد فلو بأخي اقتديت به لما كنت عن الحق حائدا وعن الشيطان وأوامره صادرا ولكنه لم يسنح لك أمران إلا كنت لأرشدكما تاركا ولاغواهما راكبا تقتل قتل الفراعنة وتبطلش بطش الجبابرة وتحكم بالجور حكم المفسدين وتبذر المال وتضعه في غير مواضعه فعل المسرفين ثم من خبري أيها الفاسق أني قد وليت موسى ابن كعب خراسان وأمرته أن يقيم بنيسابور فإن أردت خراسان لقيك بمن معه من قوايدي وشيعتي وأنا موجه للقائك أقرانك فاجمع كيدك وأمرك غير مسدود ولا موفق وحسب أمير المؤمنين ومن أتبعه الله ونعم الوكيل ولم يزل المنصور يرأسله تارة بالرغبة وتارة بالرهيبة ويستخف أحلام من حوله من الأمراء والرسل الذين يبعثهم أبو مسلم إلى المنصور وبعدهم حتى حسنوا لأبي مسلم في رأيه القدوم عليه سوى أمير معه يقال له نيزك فإنه لم يوافق على ذلك فلما رأى أبا مسلم وقد انطاع لهم أنشد عن ذلك البيت المتقدم وهو

ماللرجال مع القضاء محالة * ذهب القضاء بحيلة الأقوام
وأشار عليه بأن يقتل المنصور ويستخلف بدله فلم يمكنه ذلك فانه لما قدم المدائن تلقاه
الأمراء عن امر الخليفة فما وصل إلا آخر النهار وقد أشار أبو أيوب كاتب الرسائل أن لا يقتله
يومه هذا كما تقدم فلما وقف بين يدي الخليفة أكرمه وعظمه وأظهر احترامه وقال اذهب
الليلة فإذهب عنك وعتاء السفر ثم أتتني من الغد فلما كان الغد أرصد له من الأمراء من
يقتله منهم عثمان بن نهيك وشيب بن واج فقتلوه كما تقدم ويقال بل أقام أياما يظهر له
المنصور الإكرام والإحترام ثم نشق منه الوحشة فخاف مسلم واستشفع يعيسى بن موسى
واستجار به وقال إني أخافه على نفسي فقال لا بأس عليك فانطلق فإني أت وراءك أنت
في ذمتي حتى أتيك ولم يكن مع عيسى خبر بما يريد به الخليفة فجاء أبو مسلم يستأذن
المنصور فقالوا له اجلس هاهنا فإن أمير المؤمنين يتوضأ فجلس وهو يود أن يطول مجلسه
ليجيء عيسى بن موسى فابطأ وأذن له الخليفة

فدخل عليه فجعل يعاتبه في أشياء صدرت منه فيعتذر عنها جيدا حتى قال له فلم قتلت
سليمان بن كثير وابراهيم بن ميمون وفلانا وفلانا قال لأنهم عصوني وخالفوا أمري فغضب
عند ذلك المنصور وقال وبحك أنت تقتل إذا عصيت وأنا لاقتلنك وقد عصيتني وصفق بيديه
وكانت الإشارة بينه وبين المرصدين لقتله فبادروا اليه ليقتلوه فضربه أحدهم فقطع حمائل
سيفه فقال يا أمير المؤمنين استبقني لأعدائك فقال وأي عدو أعدى منك ثم زجرهم
المنصور فقطعوه قطعاً ولفوه في عباءه ودخل عيسى بن موسى على أثر ذلك فقال ما هذا
يا أمير المؤمنين فقال هذا أبو مسلم فقال إنا لله وأنا اليه راجعون فقال له المنصور أحمد
الله الذي هجمت علي نعمه ولم تهجم عل نغمه ففي ذلك يقول أبو دلامه

أبا مسلم ما غير الله من نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد
أبا مسلم خوفتني القتل فانتخي * عليك بما خوفتني الاسد الورد
وذكر بن جرير أن المنصور تقدم إلى عثمان بن نهيك وشيب بن واج وأبي حنيفة حرب بن
قيس وآخر من الحرس أن يكونوا قريبا منه فاذا دخل عليه أبو مسلم وخاطبه وضرب باحدى
يديه على الأخرى فيقتلوه فلما دخل عليه أبو مسلم قال له المنصور ما فعل السيفان
اللذان أصبتهما من عبدالله بن علي فقال هذا أحدهما فناوله السيف فوضعه تحت ركبته ثم
قال له ما حملك على أن تكتب لأبي عبدالله السفاح تنهاه عن الموات أردت أن تعلمنا الدين
قال انني ظننت أن اخذه لا يحل فلما جاءني كتاب أمير المؤمنين علمت أنه واهل بيته معدن
العلم قال فلم تقدمت على في طريق الحج قال كرهت اجتماعنا على الماء فيضرب ذلك
بالناس فتقدمت التماس الرفق قال فلم لا رجعت إلي حين أتاك خبر موت أبي العباس قال
كرهت التصيق على الناس في طريق الحج وعرفت أنا سنجتمع بالكوفة وليس عليك مني
خلاف قال فجارية عبدالله بن علي أردت ان تتخذها لنفسك قال لا ولكن خفت ان تصيب
فحملتها في قبة ووكلت بها من يحفظها ثم قال له ألسنت الكاتب إلي تبدأ بنفسك والكاتب
إلى تخطب آمنه بنت علي وتزعم أنك ابن سليط بن عبدالله بن عباس هذا كله ويد المنصور
في يده يعرکہا ويقبلها ويعتذر ثم قال له فما حملك على مراغمتي ودخولك إلى خراسان
قال خفت ان يكون ذلك مني شيء فأردت أن أدخل خراسان وأكتب اليك بعذري قال فلم
قلت سليمان بن كثير وكان من نقبائنا ودعاتنا قبلك قال أراد خلافي فقال وبحك وأنت أردت
خلافي وعصيتني قتلني الله ان لم أقتلك ثم ضربه بعمود الخيمة وخرج اليه اولئك فضربه
عثمان فقطع حمائل سيفه وضربه شيب فقطع رجله وحمل عليه بقيتهم بالسيوف
والمنصور يصيح وبحكم اضربوه قطع الله أيديكم ثم ذبحوه

وقطعوه قطعاً قطعاً ثم القي في دجلة وبرى أن المنصور لما قتله وقف عليه فقال رحمك
الله أبا مسلم بايعتنا فبايعناك وعاهدتنا وعاهدناك ووفيت لنا فوفينا لك وإنا بايعناك على أن لا
يخرج علينا أحد في هذه الأيام الا قتلناه فخرجت علينا فقتلناك وحكمنا عليك حكمك على
نفسك لنا ويقال إن المنصور قال الحمد لله الذي أرانا يومك يا عدو الله قال ابن جرير وقال
المنصور عند ذلك

زعمت أن الدين لا يقتضى * فاستوف بالكيل أبا مجرم
سقيت كأسا كنت تسقى بها * أمر في الحلق من العلقم

ثم ان المنصور خطب في الناس بعد قتل أبي مسلم فقال أيها الناس لاتنفروا أطيار النعم بترك الشكر فتحل بكم النقم ولا تسروا غش الأئمة فإن أحدا لا يسر منكم شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه وطوالع نظره وإنما لن نجعل حقوقكم ما عرفتم حقنا ولا ننسى الإحسان إليكم ما ذكرتم فضلنا ومن نازعنا هذا القميص أو طائنا أم رأسه حتى يستقيم رجالكم وترتدع عمالكم وإن هذا الغمر أبا مسلم بايع على انه من نكث بيعتنا وأظهر غشنا فقد أباحنا دمه فنكث وغدر وفجر وكفر فحكمننا عليه لأنفسنا حكمه على غيره لنا وإن أبا مسلم أحسن مبتديا وأساء منتهيا وأخذ من الناس بنا لنفسه أكثر مما أعطانا ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره وعلمنا من خبث سريرته وفساد نيته ما لو علم اللائم لنا فيه لما لام ولو اطلع على ما اطلعنا عليه منه لعذرنا في قتله وعنقنا في امهاله وما زال ينقص بيعته ويخفر ذمته حتى أحل لنا عقوبته وأباحنا دمه فحكمناه فيه حكمه في غيره ممن شق العصا ولم يمنعنا الحق له من إمضاء الحق فيه وما أحسن ما قال النابغة الذبياني للنعمان يعني ابن المنذر

فمن اطاعك فانفعه بطاعته * كما اطاعك والله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة * تنهي الظلوم ولا تقعد على ضمذ
وقد روى البيهقي عن الحاكم بسنده أن عبد الله بن المبارك سئل عن ابي مسلم أهو خير أم الحجاج فقال لأقول أن أبا مسلم كان خيرا من احد ولكن كان الحجاج شرا منه قد اتهمه بعضهم على الاسلام ورموه بالزندقة ولم أر فيما ذكروه عن أبي مسلم ما يدل على ذلك بل على أنه كان ممن يخاف الله من ذنوبه وقد ادعى التوبة فيما كان منه من سفك الدماء في اقامة الدولة العباسية والله أعلم بأمره

وقد روى الخطيب عنه انه قال ارتدبت الصبر واثرت الكفاف وحالفت الأحران والأشجان وشامت المقادير والأحكام حتى بلغت غاية همتي وأدركت نهاية بغيتي ثم أنشأ يقول
قد نلت بالعزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان إذا حشدو
ما زلت أضربهم بالسيف فانتبهوا * من رقدة لم ينمها قبلهم احد
وطفت أسعى عليهم في ديارهم * والقوم في ملكهم في الشام قد رقدوا
ومن رعى غنما في ارض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد
وقد كان قتل أبي مسلم بالمدائن يوم الأربعاء لسبع خلون وقيل لخمس بقين وقيل لأربع وقيل لليلتين بقيتا من شعبان من هذه السنة اعني سنة سبع وثلاثين ومائة قال بعضهم كان ابتداء ظهوره في رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة وقيل في شعبان سنة سبع وعشرين ومائة وزعم بعضهم أنه قتل ببغداد في سنة أربعين وهذا غلط من قائله فإن ببغداد لم تكن بنيت بعد كما ذكره الخطيب في تاريخ ببغداد ورد هذا القول
ثم إن المنصور شرع في تأليف أصحاب أبي مسلم بالأعطية والرغبة والرغبة والولويات واستدعى أبا إسحاق وكان من أعز أصحاب أبي مسلم وكان على شرطة أبي مسلم وهم بضرب عنقه فقال يا أمير المؤمنين والله ما أمنت قط إلا في هذا اليوم وما من كنت أدخل عليك إلا تحنطت ولبست كفني ثم كشف عن ثيابه التي تلي جسده فإذا هو محنط وعليه أذراع أكفان فرقى له المنصور وأطلقه

وذكر ابن جرير أن أبا مسلم قتل في حروبه وما كان يتعاطاه لأجل دولة بني العباس ستمائة الف صبرا عن من قتل بغير ذلك وقد قال للمنصور وهو يعاتبه على ما كان يصنعه يا أمير المؤمنين لا يقال لي هذا بعد بلائي وما كان مني فقال له يا ابن الخبيث لو كانت أمه مكانك لأجزأت ناحيتها إنما عملت ما عملت بدولتنا وبريحنا ولو كان ذلك اليك لما وصلت إلى فتيل ولما قتله المنصور لف في كساء وهو مقطع إربا إربا فدخل عيسى بن موسى فقال يا أمير المؤمنين أين أبو مسلم قال قد كان هاهنا أنفا فقال يا أمير المؤمنين قد عرفت طاعته ونصيحة وراي ابراهيم الامام فيه فقال له يا أنوك والله ما أعلم في الأرض عدوا أعدى لك منه هاهو ذاك في البساط فقال إنا لله وإنا اليه راجعون فقال له المنصور خلع الله قلبك وهل كان لكم مكان أو سلطان أو أمر أو نهي مع أبي مسلم ثم استدعى المنصور برؤس الأمراء فجعل يستشيرهم في قتل أبي مسلم قبل أن يعلموا بقتله فكلهم يشير بقتله ومنهم

من كان إذا تكلم أسر كلامه خوفا من أبي مسلم لئلا ينقل اليه فلما أطلعهم على قتله أفرغهم ذلك وأظهروا سرورا كثيرا ثم خطب المنصور الناس بذلك كما تقدم ثم كتب المنصور إلى نائب أبي مسلم على أمواله وحواصله بكتاب على لسان أبي مسلم أن يقدم بجميع ما عنده من الحواصل والذخائر والأموال والجواهر وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم بكامله مطبوعا بكل فص الخاتم فلما رآه الخازن استراب في الأمر وقد كان أبي مسلم تقدم إلى

خازنه أنه إذا جاءك كتابي فان رأيته مختوما بنصف الفص فامض لما فيه فاني إنما اختم بنصف فصه على كتابي وإذا جاءك الكتاب مختوما عليه بكامله فلا تقبل ولا تمض ما فيه فامتنع عند ذلك خازنه أن يقبل ما بعث به المنصور فأرسل المنصور بعد ذلك إليه من أخذ جميع ذلك وقتل ذلك الرجل الخازن وكتب المنصور إلى أبي داود إبراهيم بن خالد بأمره خراسان كما وعده قبل ذلك عوضا عن أبي مسلم

وفي هذه السنة خرج سنباد يطلب بدم أبي مسلم وقد كان سنباد هذا مجوسيا تغلب على قومس وأصبهان ويسمى بفيروز أصبهند فبعث إليه أبو جعفر المنصور جيشا هم عشرة الاف فارس عليهم جهور بن مرار العجلي فالتقوا بين همدان والري بالمفازة فهزم جهور لسنباد وقتل من أصحابه ستين الفا وسبى ذراريهم ونساءهم وقتل سنباد بعد ذلك فكانت أيامه سبعين يوما وأخذ ما كان استحوذ عليه من أموال أبي مسلم التي كانت بالري وخرج في هذه السنة أيضا رجل يقال له ملبد بن حرملة الشيباني في ألف من الخوارج بالجزيرة فجهز إليه المنصور جيوشا متعددة كثيفة كلها تنفر منه وتنكسر ثم قاتله حميد بن قحطبة نائب الجزيرة فهزمه ملبد وتحصن منه حميد في بعض الحصون ثم صالحه حميد بن قحطبة على مائة الف فدفعها إليه وقبلها ملبد وتقلع عنه

وحج بالناس في هذه السنة عم الخليفة اسماعيل بن علي بن عبدالله بن عباس قال الواقدي وكان نائب الموصل يعني عم المنصور وعلى نيابة الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة سليمان بن علي وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة وعلى مصر صالح بن علي وعلى خراسان أبو داود إبراهيم بن خالد وعلى الحجاز زياد بن عبدالله ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشغل الخليفة بسنباد وغيره ومن مشاهير من توفي فيها أبو مسلم الخراساني كما تقدم ويزيد بن أبي زياد أحد من تكلم فيه كما ذكرناه في التكميل والله سبحانه أعلم *2*

@ فيها دخل قسطنطين ملك الروم ملطيه عنوه فهدم سورها وعفا عمن قدر عليه من مقاتليها وفيها غزا الصائفة صالح بن علي نائب مصر فينى ما كان هدم ملك الروم من سور ملطيه وأطلق لأخيه عيسى بن علي أربعين ألف دينار وكذلك أعطى لابن أخيه العباس بن محمد بن علي أربعين ألف دينار وفيها بايع عبدالله بن علي الذي كسره أبو مسلم وانهزم إلى البصرة واستجار بأخيه سليمان بن علي حتى بايع للخليفة في هذه السنة ورجع إلى طاعته ولكن حبس في سجن بغداد كما سياتي وفيها خلع جهور بن مرار العجلي الخليفة المنصور بعدما كسر سنباد واستحوذ على حواصله وعلى أموال أبي مسلم فقويت بنفسه بذلك وطن أنه لا يقدر عليه بعد فأرسل إليه الخليفة محمد بن الأشعث الخزاعي في جيش كثيف فاقتتلوا قتالا شديدا فهزم جهور وقتل عامة من معه وأخذ ما كان معه من الأموال والحواصل والذخائر ثم لحقوه فقتلوه وفيها قتل الملبد الخارجي على يدي خازم بن خزيمه في ثمانية الاف وقتل أصحاب الملبد ما يزيد على ألف وانهزم بقيتهم قال الواقدي وحج بالناس فيها الفضل بن علي والنواب فيها هم المذكورون بالتي قبلها . وممن توفي فيها من الاعيان زيد بن واقد والعلاء بن عبد الرحمن وليث بن أبي سليم في قول وفيها كانت خلافة الداخل من بني أمية إلى بلاد الأندلس وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان الهاشمي قلت ليس وهو بهاشمي إنما هو من بني أمية ويسمى أمويا كان قد دخل إلى بلاد المغرب فرارا من عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس فاجتاز بمن معه من أصحابه الذين فروا معه يقوم يقتتلون على عصبية اليمانية والمضربة فبعث مولاه بدر اليهم فاستمالهم اليه فبايعوه ودخل بهم ففتح بلاد الأندلس واستحوذ عليها وانتزعها من نائبها يوسف بن عبد الرحمن ابن حبيب بن أبي عبيده بن عقبة بن نافع الفهري

وقتل وسكن عبد الرحمن قرطبه واستمر في خلافته في تلك البلاد من هذه السنة إلى سنة
ثنتين وسبعين ومائة فتوفي فيها وله في الملك أربع وثلاثون سنة وأشهر ثم قام من بعده ولده
هشام ست سنين وأشهرًا ثم مات فولى بعده الحكم بن هشام ستا وعشرين سنة وأشهرًا
ثم مات ثم ولي بعده ولده عبدالرحمن بن الحكم ثلاثا وثلاثين سنة ثم مات ثم ولي بعده
محمد بن عبد الرحمن بن الحكم ستا وعشرين سنة ثم ابنه المنذر بن محمد ثم أخوه محمد
بن المنذر وكانت أيامه بعد الثلاثمائة بدهر ثم زالت تلك الدولة كما سنذكره من زوال تلك
السنون وأهلها من النعيم والعيش الرغيد والنساء الحسان ثم أنقضت تلك السنوات وأهلها
كانهم على ميعاد ثم أضحوا كأنهم ورق جف ألوت عليه الصبا والذبول
2 ثم دخلت سنة تسع وثلاثون ومائة

@ فيها أكمل صالح بن علي بناء ملطيه ثم غزا الصائفة على طريق الحدث فوغل في بلاد
الروم وغزا معه أخته أم عيسى وليابه ابنتا علي وكانتا نذرتا إن زال ملك بني أميه أن يجاهدا
في سبيل الله عز وجل وفيها كان الفداء الذي حصل بين المنصور وبين ملك الروم فاستنقذ
بعض أسرى المسلمين ثم لم يكن للناس صائفة في هذه السنة إلى سنة ست وأربعين وذلك
لإشتغال المنصور بأمر ابني عبدالله بن حسن كما سنذكره ولكن ذكر بعضهم أن الحسن بن
قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن ابراهيم الإمام سنة أربعين فإله أعلم .
وفيها وسع المنصور المسجد الحرام وكانت هذه السنة خصبة جدا أي كثيرة الخصب فكان
يقال لها السنة الخصبة وقيل إنما كان ذلك في سنة أربعين وفيها عزل المنصور عمه
سليمان عن إمرة البصرة فاخفى عبدالله بن علي وأصحابه خوفا على أنفسهم فبعث
المنصور إلى نائبه على البصرة وهو سفيان بن معاوية يستحثه في إحضار عبدالله بن علي
إليه فبعثه في أصحابه فقتل بعضهم وسجن عبدالله بن علي عمه وبعث بقية أصحابه إلى أبي
داود نائب خراسان فقتلهم هناك

وحج بالناس فيها العباس بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وفيها توفي عمرو بن
مجاهد ويزيد بن عبدالله بن الهاد ويونس بن عبيد أحد العباد وصاحب الحسن البصري .
2 ثم دخلت سنة أربعين ومائة

@ فيها ثار جماعة من الجند على أبي داود نائب خراسان وحاصروا داره فأشرف عليهم
وجعل يستغيث بجنده ليحضروا إليه واتفقوا على آجرة في الحائط فانكسرت به فسقط
فانكسر ظهره فمات فخلفه على خراسان عاصم صاحب الشرطة حتى قدم الأمير من جهة
الخليفة عليها وهو عبد الجبار بن عبدالرحمن الأزدي فتسلم بلاد خراسان وقتل جماعة من
الأمرء لأنه بلغه عنهم أنهم يدعون إلى خلافة آل علي بن أبي طالب وحبس آخرين وأخذ
نواب أبي داود بجباية الأموال المنكسرة عندهم .

وفيها حج بالناس الخليفة المنصور احرم في الحيرة ورجع بعد انقضاء الحج إلى المدينة ثم
رحل إلى بيت المقدس فزاره ثم سلك الشام إلى الرقة ثم سار إلى الهاشمية هاشمية
الكوفة ونواب الأقاليم هم المذكورون في التي قبلها سوى خراسان فإنه مات نائبها أبو داود
فخلفه مكانه عبد الجبار الأزدي وفيها توفي داود بن أبي هند وأبو حازم سلمة بن دينار
وسهيل بن أبي صالح بن غزية بن قيس السكوني
2 ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة

@ فيها خرجت طائفة يقال لها الرواندية على المنصور ذكر بن جرير عن المدائني أن أصلهم
من خراسان وهم على رأي أبي مسلم كانوا يقولون بالتناسخ ويزعمون أن روح آدم انتقلت
إلى عثمان بن نهيك وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم أبو جعفر المنصور وأن الهيثم ابن
معاوية جبريل قبهم الله .

قال ابن جرير فأتوا يوما قصر المنصور فجعلوا يطوفون به ويقولون هذا قصر ربنا فأرسل
المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين فغضبوا من ذلك وقالوا علام تحبسهم ثم عمدوا
إلى نعش فحملوه على كواهلهم وليس عليه احد واجتمعوا حوله كأنهم يشيعون جنازة
واجتازوا بباب السجن فالقوا النعش ودخلوا السجن قهرا واستخرجوا من فيه من أصحابهم
وقصدوا نحو المنصور وهم في ستمائة فتنادى الناس وغلقت أبواب البلد وخرج المنصور من
القصر ماشيا لأنه لم يجد دابة يركبها ثم جيء بدابة فركبها وقصد نحو الروانديه وجاء الناس

من كل ناحية وجاء معن بن زائدة فلما رأى المنصور ترجل وأخذ بلجام دابة المنصور وقال يا أمير المؤمنين أرجع نحن نكفيهم فأبى وقام أهل الأسواق اليهم فقاتلوهم وجاءت الجيوش فالتفوا عليهم من كل ناحية فحصدوهم عن آخرهم ولم يبق منهم بقية وجرحوا عثمان بن نهيك بسهم بين كتفيه فمرض أياما ثم مات فصلى عليه الخليفة وقام على قبره حتى دفن ودعا له وولى أخاه عيسى بن نهيك على الحرس وكان ذلك كله بالمدينة الهاشمية بالكوفة ولما فرغ المنصور من قتال الروانديين ذلك اليوم صلى بالناس الظهر في آخر وقتها ثم أتى بالطعام فقال أين معن بن زائدة وأمستك عن الطعام حتى جاء معن فأجلسه إلى جنبه ثم أخذ في شكره لمن حضرته لما رأى من شهامته يومئذ فقال معن والله يا أمير المؤمنين لقد جئت وإني لو جل فما رأيت استهانتك بهم واقدامك عليهم قوي قلبي واطمان وما ظننت أن أحدا يكون في الحرب هكذا فذاك الذي شجعني يا أمير المؤمنين فأمر له المنصور بعشرة الاف ورضي عنه وولاه اليمن وكان معن بن زائدة قبل ذلك متخفيا لأنه قاتل المسودة مع ابن هبيرة فلم يظهرها إلا في هذا اليوم فلما رأى الخليفة صدقه في قتاله رضي عنه ويقال أن المنصور قال عن نفسه أخطأت في ثلاث قتلت أبا مسلم وأنا في جماعة قليلة وحين خرجت من الشام ولو اختلف سفيان بالعراق لذهبت الخلافة ويوم الرواندي لو أصابني سهم غرب لذهبت ضياعا وهذا من حزمه وصرامته .

وفي هذه السنة ولى المنصور ابنه محمدا العهد من بعده ودعا بالمهدي وولاه بلاد خراسان وعزل عنها عبد الجبار بن عبد الرحمن وذلك أنه قتل خلقا من شيعة الخليفة فشكاه المنصور إلى أبي أيوب كاتب الرسائل فقال يا أمير المؤمنين أكتب إليه ليعتج جيشا كثيفا إلى من خراسان إلى غزو الروم فإذا خرجوا بعثت إليه من شئت فأخرجوه من بلاد خراسان ذليلا فكتب إليه المنصور بذلك فرد الجواب بأن بلاد خراسان قد عاثت بها الأتراك ومتى خرج منها جيش خيف عليها وفسد أمرها فقال المنصور لأبي أيوب ماذا ترى قال فاكتب إليه إن بلاد خراسان أحق بالمدد لتغور المسلمين من غيرها وقد جهزت إليك بالجنود فكتب إليه أيضا إن بلاد خراسان ضيقة في هذا العام أقواتها ومتى دخلها جيش أفسدها فقال الخليفة لأبي أيوب ماذا تقول فقال يا أمير المؤمنين هذا رجل قد أبدى صفحته وخلع فلا تناظره فحينئذ بعث المنصور ابنه محمدا المهدي ليقوم بالري فبعث المهدي بين يديه خازم بن خزيمه مقدمة إلى عبد الجبار فما زال به يخدعه ومن معه حتى هرب من معه وأخذه هو فأركبوه بعيرا محولا وجهه إلى ناحية ذنب البعير وسيره كذلك

في البلاد حتى أقدموه على المنصور ومعه ابنه وجماعة من أهله فضرب المنصور عنقه وسير ابنه ومن معه إلى جزيرة في طرف اليمن فأسرتهم الهنود بعد ذلك ثم فودي بعضهم بعد ذلك واستقر المهدي نائبا على خراسان وأمره أبوه أن يغزو طبرستان وأن يحارب الأصبهيند بمن معه من الجنود وأمده بجيش عليهم عمر بن العلاء وكان من أعلم الناس بحرب طبرستان وهو الذي يقول فيه الشاعر

فقل للخليفة إن جنته * نصيحا ولا خير في المتهم
إذا أيقظت الحروب العدى * فنبه لها عمرا ثم نم ؟
فتى لا ينام على ندمه * ولا يشرب الماء إلا بدم

فلما تواقفت الجيوش على طبرستان فتحوها وحصروا الأصبهيند حتى ألجؤه إلى قلعته فصالحهم على ما فيها من ذخائر وكتب المهدي إلى أبيه بذلك ودخل الأصبهيند بلاد الديلم فمات هناك وكسروا أيضا ملك الترك الذي يقال له المصمغان واسروا من الذراري فهذا فتح طبرستان الأول

وفيهما فرغ بناء المصيصة على يدي جبريل بن يحيى الخراساني وفيها رابط محمد بن ابراهيم الإمام ببلاد ملطيه وفيها عزل المنصور زياد بن عبيدالله عن إمرة الحجاز وولى المدينة محمد بن خالد القسري وقدمها في رجب وولى مكة والطائف الهيثم بن معاوية العكي وفيها توفي موسى بن كعب وهو على شرطة المنصور وعلى مصر من كان عليها في السنة الماضية ثم ولي مصر محمد بن الأشعث ثم عزله عنها وولى نوفل بن الفرات وحج بالناس فيها صالح بن علي وهو نائب قنسرين وحمص ودمشق وبقية البلاد عليها من ذكرنا في التي قبلها والله أعلم

وفيها توفي أبان بن تغلب وموسى بن عقبة صاحب المغازي وأبو أسحاق الشيباني في قول
والله سبحانه أعلم

2 ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائة

@ فيها خلع عيينه بن موسى بن كعب نائب السند الخليفة فجهز اليه العساكر صحبة عمر بن حفص ابن ابي صغرة وولاه السند والهند فحاربه عمر بن حفص وقهره على الأرض وتسلمها منه وفيها نكث أصفهني طبرستان العهد الذي كان بينه وبين المسلمين وقتل طائفة ممن كان بطبرستان فجهز اليه الخليفة الجيوش صحبة بن خزيمه وروح بن حاتم ومعهم مرزوق أبو الخطيب مولى المنصور فحاصروه مدة طويلة فلما أعياهم فتح الحصن الذي هو فيه احتالوا عليه وذلك ان أبا الخصب قال اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي فذهب اليه كأنه مغاضب للمسلمين قد ضربوه واحلقوا لحيته فدخل الحصن ففرح به الاصفهني وأكرمه وقربه وجعل أبو الخصب يظهر له النصيح والخدمة حتى خدعه وحظي عنده جدا وجعله من جملة من يتولى فتح الحصن وغلقه فلما تمكن من ذلك كاتب المسلمين وأعلمهم أنه الليلة الفلانية يفتح لهم فاقربوا من الباب حتى افتحه لكم فلما كانت تلك الليلة فتح لهم باب الحصن فدخلوا فقتلوا من فيه من المقاتلة وسبو الذرية وامتنص الاصفهني خاتما مسموما فمات وكان فيمن اسروا يومئذ ام منصور بن المهدي وأم إبراهيم ابن المهدي وكانت من بنات الملوك الحسان وفيها بنى المنصور لأهل البصرة قبلتهم التي يصلون عندها بالجبان وتولى بناءها سلمة بن سعيد ابن جابر نائب الفرات والأبلة وصام المنصور شهر رمضان بالبصرة وصلى بالناس العيد في ذلك المصلى وفيها عزل المنصور نوفل بن الفرات عن إمرة مصر وولى عليها حميد بن قحطبة وحج بالناس فيها إسماعيل بن علي وفيها توفي سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس عم الخليفة ونائب البصرة كان ذلك يوم السبت لسبع بقين من جمادى الآخرة وهو ابن تسع وخمسين سنة وصلى عليه اخوه عبد الصمد وروي عن ابية وعكرمة وأبي بردة بن ابي موسى وعنه جماعة منهم بنوه جعفر ومحمد وزينب الأصمعي وكان قد شاب وهو ابن عشرين سنة وخضب لحيته من الشيب في ذلك السن وكان كريما جوادا ممدحا وكان يعتق عشية عرفة في كل سنة مائة نسمة وبلغت صلواته لبني هاشم وسائر قريش والأنصار خمسة الاف واطلع يوما من قصره فرأى نسوة يغزلن في دار من دور البصرة فاتفق في نظره اليهن أن قالت واحدة منهن لو أن الأمير نظر إلينا واطلع على حالنا فأغنانا عن الغزل فنهض من فوره فجعل يدور في قصره ويجمع من حلي نسائه من الذهب والجواهر وغيرها ما ملأ به منديلا كبيرا ثم دلاه اليهن ونثر عليهن من الدنانير والدرهم شيئا كثيرا فماتت احداهن من شدة الفرح فأعطى ديتها وما تركته من ذلك لورثتها وقد ولى الحج في أيام السفاح وولى البصرة أيام المنصور وكان من خيار بني العباس وهو أخو اسماعيل وداود وصالح وعبد الصمد وعبد الله وعيسى ومحمد وهو عم السفاح والمنصور

وممن توفي فيها من الأعيان خالد الحذاء وعاصم الأحوال وعمرو بن عبيد القدري في قول وهو عمر بن عبيد بن ثوبان ويقال ابن كيسان التميمي مولاهم أبو عثمان البصري من ابناء فارس شيخ القدرية والمعتزله روى الحديث الحسن البصري وعبيد الله بن أنس وأبي العالية وأبي قلابه وعنه الحمادان وسفيان بن عيينه والاعمش وكان من أقرانه وعبد الوارث ابن سعيد وهارون بن موسى ويحيى القطان وبزيد بن زريع قال الامام أحمد بن حنبل ليس بأهل أن يحدث عنه وقال علي بن المديني يحيى بن معين ليس بشيء وزاد ابن معين وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع وقال الفلاس متروك صاحب بدعه كان يحيى القطان يحدثنا عنه ثم تركه وكان ابن المهدي لا يحدث عنه وقال أبو حاتم متروك وقال النسائي ليس بثقة وقال شعبة عن يونس بن عبيد كان عمر بن عبيد يكذب في الحديث.

وقال حماد بن سلمه قال لي حميد لا تأخذ عنه فإنه كان يكذب على الحسن البصري وكذا قال ايوب وعوف وابن عون وقال ايوب ما كنت أعدلُه عقلا وقال مطر الوراق والله لا أصدقُه في شيء وقال ابن المبارك إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القدر وقد ضعفه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل واثني عليه آخرون في عبادته وزهده وتقشفه قال الحسن البصري هذا سيد شباب القراء ما لم يحدث قالوا فأحدث والله أشد الحدث وقال ابن حبان

كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة وكان يشتم الصحابة ويكذب في الحديث وهما لا تعمدا وقد روى عنه أنه قال إن كانت تبت يدا أبي لهب في اللوح المحفوظ فما تعد منه على ابن آدم حجة وروى له حديث ابن مسعود حدثنا الصادق المصدوق

ان خلق احدكم يجمع في بطن امه أربعين يوما حتى قال

فيؤمر بأربع كلمات رزقه واجله وعمله وشقي أم سعيد

إلى آخره فقال لو سمعت الأعمش يرويه لكذبتة ولو سمعته من زبدين وهب لما أحببتة ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته ولو سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته ولو سمعت الله يقول هذا لقلت ما على هذا أخذت علينا الميثاق وهذا من أقيح الكفر لعنه الله إن كان قال هذا وإذا كان مكذوبا عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه وقد قال عبدالله

ابن المبارك رحمه الله

أيها الطالب علما * إبت حماد بن زيد

فخذ العلم بحلم * ثم قيده بقيد

وذر البدعه من * آثار عمر بن عبيد

وقال ابن عدي كان عمرو يغر الناس بتقشفه وهو مذموم ضعيف الحديث جدا معلن بالبدع وقال الدارقطني ضعيف الحديث وقال الخطيب البغدادي جالس الحسن واشتهر بصحبته ثم أزاله واصل ابن عطاء عن مذهب أهل السنة وقال بالقدر ودعا إليه واعتزل أصحاب الحديث وكان له سمت وإظهار زهد وقد قيل أنه وواصل بن عطاء ولدا سنة ثمانين وحكى البخاري أن عمرا مات سنة ثنتين وثلاث وأربعين ومائة بطريق مكة وقد كان عمرو محظيا عند أبي جعفر المنصور كان المنصور يحبه ويعظمه لأنه كان يفد المنصور مع القراء فيعطيه المنصور فيأخذون ولا يأخذ عمرو منه شيئا وكان يسأله أن يقبل كما يقبل أصحابه فلا يقبل منه فكان ذلك مما يغر المنصور ويروج به عليه حاله لأن المنصور كان بخيل وكان يعجبه ذلك منه وينشد

كلكم يمشي رويد * كلكم يطلب صيد

غير عمر بن عبيد

ولو تبصر المنصور لعلم أن كل واحد من اولئك القراء خير من ملء الارض مثل عمر بن عبيد والزهد لا يدل على صلاح فان بعض الرهبان قد يكون عنده من الزهد ما لا يطيقه عمرو ولا كثير من المسلمين في زمانه وقد روينا عن اسماعيل بن خالد القعيني قال رأيت الحسن بن جعفر في المنام بعدما مات بعبادان فقال لي أيوب ويونس وابن عون في الجنة قلت فعمر بن عبيد قال في النار ثم رآه مرة ثانية وروى ثالثة فيسأله فيقول له مثل ذلك وقد رؤيت له منامات قبيحة وقد أطال شيخنا في تهذيبه في ترجمته ولخصنا حاصلها في كتاب التكميل وأشرنا ههنا إلى نبذه من حاله ليعرف فلا يغتر به والله أعلم

2 ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

@ فيها ندب المنصور الناس إلى غزو الديلم لانهم قتلوا من المسلمين خلقا وأمر أهل الكوفة والبصرة من كان منهم يقدر على عشرة آلاف فصاعدا فليذهب مع الجيش إلى الديلم فانتدب خلق كثير وجم غفير لذلك وحج بالناس فيها عيسى بن موسى نائب الكوفة وأعمالها وفيها توفي حجاج الصراف وحميد بن رؤية الطويل وسليمان بن طرخان التميمي وقد ذكرنا في التي قبلها وعمر بن عبيد في قول وليث بن أبي سليم على الصحيح ويحيى بن سعيد الانصاري

2 ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

@ فيها سار محمد بن ابي العباس السفاح عن أمر عمه المنصور إلى بلاد الديلم ومعه الجيوش من الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة وفيها قدم محمد بن جعفر المنصور المهدي على ابيه من بلاد خراسان ودخل بآبنة عمه رابطة بنت السفاح بالحيرة وفيها حج بالناس أبو جعفر المنصور واستخلف على الحيرة والعسكر خازم بن خزيمه وولى رباح بن عثمان المزني المدينة وعزل عنها محمد بن خالد القسري وتلقى الناس أبا جعفر المنصور أثناء طريق مكة في حجة في سنة أربع وأربعين ومائة وكان من جملة من تلقاه

عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن ابي طالب فأجلسه المنصور معه على السباط ثم جعل يحادثه باقبال زائد بحيث إن المنصور اشتغل بذلك عن عامة عدائه وسأله عن إبنه إبراهيم ومحمد لم لا جأني مع الناس فحلف عبدالله بن حسن أنه لا يدري أين صاراً من أرض الله وصدق في ذلك وما ذاك إلا أن محمد بن عبدالله بن حسن كان قد بايعه جماعة من أهل الحجاز في أواخر دولة مروان الحمار بالخلافة وخلع مروان وكان في جملة من بايعه علي ذلك أبو جعفر المنصور وذلك قبل تحويل الدولة إلى بني العباس فلما صارت الخلافة إلى ابي جعفر المنصور خاف محمد بن عبدالله بن الحسن وأخوه إبراهيم منه خوفاً شديداً وذلك لأن المنصور توهم منهما أنهما لا بد أن يخرجوا عليه كما أراد أن يخرجوا على مروان والذي توهم منه المنصور وقع فيه فذهبا هربا في البلاد الشاسعة فصارا إلى اليمن ثم سارا إلى الهند قاختفيا

بها فدل على مكانهما الحسن بن زيد فهربا إلى موضع آخر فاستدل عليه الحسن بن زيد ودل عليهما وانتصب الباطن عليهما عند المنصور والعجب منه أنه من أتباعهما واجتهد المنصور بكل طريق على تحصيلهما فلم يتفق له ذلك وإلى الآن فلما سأل أباهما عنهما حلف أنه لا يدري أين صاراً من أرض الله ثم ألق المنصور على عبدالله في طلب ولديه فغضب عبدالله من ذلك وقال والله لو كانا تحت قدمي ما دلتك عليهما فغضب المنصور وأمر بسجنه وأمر ببيع رقيقه وأمواله فلبث في السجن ثلاث سنين وأشاروا على المنصور بحبس بني حسن عن آخرهم فحبسهم وجد في طلب إبراهيم ومحمد جدا هذا وهما يحضران الحج في غالب السنين ويكمنان في المدينة في غالب الأوقات ولا يشعربهما من ينم عليهما ولله الحمد والمنصور يعزل نائباً عن المدينة ويولي عليها غيره ويحرضه على امساكهما والفحص عنهما وبذل الأموال في طلبهما وتعجزه المقادير عنهما لما يريد الله عز وجل وقد واطأهما على أمرهما أمير من أمراء المنصور يقال له ابو العساكر خالد بن حسان فعزموا في بعض الحجرات على الفتك بالمنصور بين الصفا والمروة فنهاهم عبدالله بن حسن لشرف البقعة وقد أطلع المنصور على ذلك وعلم بما مالاهما ذلك الأمير فعذبه حتى أقر بما كانوا تمالؤا عليه من الفتك به فقال وما الذي صرفكم عن ذلك فقال عبد الله بن حسن نهانا عن ذلك فأمر به الخليفة فغيب في الأرض فلم يظهر حتى الآن وقد استنثار المنصور من يعلم من أمرائه ووزرائه من ذوي الرأي في أمر ابني عبدالله بن حسن وبعث الجواسيس والقصاد في البلاد فلم يقع لهما على خير ولا ظهر لهما على عين ولا أثر والله غالب على أمره وقد جاء محمد بن عبدالله بن حسن إلى أمه فقال يا أمه إني قد شفقت على ابي وعمومتي ولقد هممت أن أضع يدي في يد هؤلاء لأريح أهلي فذهبت أمه إلى السجن فعرضت عليهم ما قال إنها فقالوا لا ولا كرامة بل نصبر على أمره فلعل الله يفتح على يديه خيراً ونحن نصبر وفرجنا بيد الله إن شاء فرج عنا وإن شاء ضيق وتمالؤ كلهم على ذلك رحمهم الله

وفيها نقل آل حسن من حبس المدينة إلى حبس بالعراق وفي أرجلهم القيود وفي أعناقهم الاغلال وكان ابتداء تقييدهم من الربذة بأمر ابي جعفر المنصور وقد أشخص معهم محمد بن عبدالله العثماني وكان أخا عبدالله بن حسن لأمه وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبدالله بن حسن وقد حملت قريبا فاستحضر الخليفة وقال قد حلفت بالعتاق والطلاق إنك لم تغشيني وهذه ابنتك حامل فإن كان من زوجها فقد حبلت منه وانت تعلم به وإن كان من غيره فأنت ديوث فأجابته العثماني بجواب أحفظه به فأمر به فجردت عنه ثيابه فإذا جسمه مثل الفضة النقية ثم

ضربه بين يديه مائة وخمسين سوطاً منها ثلاثون فوق رأسه أصاب أحدها عينه فسالت ثم رده إلى السجن وقد بقي كأنه عبد أسود من زرقة الضرب وتراكم الدماء فوق جلده فأجلس إلى جانب أخيه لأمه عبدالله بن حسن فاستسقى ماء فما جسر أحد أن يسقيه حتى سفاه خراساني من جملة الجلاوزة الموكلين بهم ثم ركب المنصور هودجه وأركبوا أولئك في محامل ضيقة وعليه القيود والأغلال فأجتاز بهم المنصور وهو في هودجه فناداه عبدالله بن حسن والله يا أبا جعفر ما هكذا صنعنا بأسراكم يوم بدر فأخسأ ذلك المنصور وثقل عليه ونفر عنهم ولما انتهوا إلى العراق حبسوا بالهاشمية وكان فيهم محمد بن إبراهيم بن عبدالله بن

حسن وكان جميلا فتيا فكان الناس يذهبون لينظروا إلى حسنه وجماله وكان يقال له الديباج الأصفر فأحضره المنصور بين يديه وقال له أما لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحدا ثم القاه بين اسطواناتين وسد عليه حتى مات فعلى المنصور ما تسحقه من عذاب الله ولعنته وقد هلك كثير منهم في السجن حتى فرج عنهم بعد هلاك المنصور على ما سنذكره فكان فيمن هلك في السجن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وقد قيل والاطهر أنه قتل صبوا وأخوه إبراهيم بن الحسن وغيرهما وقل من خرج منهم من الحبس وقد جعلهم المنصور في سجن لا يسمعون فيه أذانا ولا يعرفون فيه وقت صلاة الا بالتلاوة ثم بعث اهل خراسان يشفعون في محمد بن عبدالله العثماني فأمر به فضربت عنقه وأرسل برأسه إلى أهل خراسان لا جزاه الله خيرا ورحم الله محمد بن عبدالله العثماني وهو محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان الاموي رحمه الله أبو عبدالله المدني المعروف بالديباج لحسن وجهه وأمه فاطمه بنت الحسين بن علي روى الحديث عن أبيه وأمه وحارجه بن زيد وطاوس وأبي الزناد والزهري ونافع وغيرهم وحدث عنه جماعة ووثقه النسائي وابن حبان وكان أخا عبدالله بن حسن لأمه وكانت ابنته رقية زوجة ابن أخيه إبراهيم بن عبدالله وكانت من أحسن النساء ويسبها قتله أبو جعفر المنصور في هذه السنة وكان كريما جوادا ممدحا قال الزبير بن بكار أنشدني سليمان بن عباس السعدي لأبي وجرة السعدي يمدحه

وجدنا المحض الابيض من قريش * فتى بين الخليفة والرسول
أناك المجد من هنا وهناك * وكنت له بمعتلج السيول
فما للمجد دونك من مبيت * وما للمجد دونك من مقيل
لا يمض وراءك بيتغيه * ولا هو قابل بك من بديل
2 ثم دخلت سنة خمس واربعين ومائة

@ فما كان فيها من الاحداث مخرج محمد بن عبدالله بن حسن بالمدينة وأخيه ابراهيم بالبصرة

على ما سنبينه إن شاء الله أما محمد فانه خرج على أثر ذهاب أبي جعفر المنصور بأهله بني حسن من المدينة إلى العراق على الصفة والنعته الذي تقدم ذكره وسجنهم في مكان ساء مستقرا ومقاما لا يسمعون فيه أذانا ولا يعرفون فيه دخول أوقات صلوات إلا بالاذكار والتلاوة وقد مات أكثر أكابرهم هنالك رحمهم الله هذا كله ومحمد الذي يطلبه مختف بالمدينة حتى انه في بعض الاحيان اختفى في بئر نزل في مائه كله الا رأسه وباقيه مغمورا بالماء وقد تواعد هو وأخوه وقتا معينا يظهران فيه هو بالمدينة وإبراهيم بالبصرة ولم يزل الناس أهل المدينة وغيرهم يؤنبون محمد بن عبدالله في اختفائه وعدم ظهوره حتى عزم على الخروج وذلك لما أضر به شدة الإختفاء وكثرة الحاج رباح نائب المدينة في طلبه ليلا ونهارا فلما اشتد به الأمر وضاق الحال وأعد أصحابه على الظهور في الليلة الفلانية فلما كانت تلك الليلة جاء بعض الوشاة إلى متولى المدينة فأعلمه بذلك فضاقت ذرعا وانزعج لذلك انزعاجا شديدا وركب في حافلة فطاف المدينة وحول دار مروان وهم مجتمعون بها فلم يشعرهم فلما رجع إلى منزله بعث إلى بني حسين بن علي فجمعهم ومعهم رؤس من سادات قريش وغيرهم فوعظهم وأنهم وقال يا معشر أهل المدينة أمير المؤمنين يتطلب هذا الرجل في المشارق والمغرب وهو بين أظهركم ثم ما كفاكم حتى بايعتموه على السمع والطاعة والله لا يبلغني عن أحد منكم خرج معه الا ضربت عنقه فأنكر الذين هم هنالك حاضرون أن يكون عندهم علم أو شعور بشيء من هذا وقالوا نحن نأتيك برجال مسلحين يقاتلون دونك إن وقع شيء من ذلك فنهضوا فجأؤه بجماعة مسلحين فاستأذنوه في دخولهم عليه فقال لا إذن لهم إني أخشى أن يكون ذلك خديعة فجلس اولئك على الباب ومكث الناس جلوسا حول الأمير وهو واجم لا يتكلم إلا قليلا حتى ذهبت طائفة من الليل ثم ما فجيء الناس إلا وأصحاب محمد بن عبدالله قد ظهروا وأعلنوا بالتكبير فانزعج الناس في جوف الليل وأشار بعض الناس على الأمير أن يضرب أعناق بني حسين فقال أحدهم علام ونحن مقرون بالطاعة واشتغل الأمير عنهم بما فجأه من الأمر فاعتنموا الغفلة ونهضوا سراعا فتسوروا جدار الدار والقوا انفسهم على كناسة هنالك

وأقبل محمد بن عبدالله بن حسن في مائتين وخمسين فمر بالسجن فأخرج من فيه وجاء دار الإمارة فحاصرها فافتتحتها ومسك الأمير رباح بن عثمان نائب المدينة فسجنه في دار مروان وسجن معه ابن مسلم بن عقبة وهو الذي أشار بقتل بني حسين في أول هذه الليلة فنجوا وأحيط به وأصبح محمد بن عبدالله بن حسن وقد استظهر على المدينة ودان له أهلها فصلى بالناس الصبح وقرأ فيها سورة انا فتحنا لك فتحا مبينا وأسفرت هذه الليلة عن مستهل رجب من هذه السنة وقد خطب محمد بن عبدالله أهل المدينة في هذا اليوم فتكلم في بني العباس وذكر عنهم أشياء ذمهم بها وأخبرهم أنه لم ينزل بلدا من البلدان إلا وقد بايعوه على السمع والطاعة فبايعه أهل المدينة كلهم إلا القليل

وقد روى ابن جرير عن الإمام مالك أنه أفتى الناس بمبايعته فقبل له فإن في أعناقنا بيعة للمنصور فقال إنما كنتم مكرهين وليس لمكره بيعه فبايعه الناس عند ذلك عن قول مالك ولزم مالك بينه وقد قال له اسماعيل بن عبدالله بن جعفر حين دعاه إلى بيعته يا ابن أخي إنك مقتول فارتدع بعض الناس عنه واستمر جمهورهم معه فاستتاب عليه عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبدالله المخزومي وعلى شرطتها عثمان بن عبدالله بن عمر بن الخطاب وعلى ديوان العطاء عبدالله بن جعفر بن عبدالله بن مسور بن مخرمه وتلقب بالمهدي طمعا في أن يكون المذكور بالاحاديث فلم يكن به ولا تم له ما رجاه ولا ما تمناه فانا لله وقد ارتحل بعض أهل المدينة عنها ليلة دخلها فطوى المراحل البعيدة إلى المنصور في سبع ليال فورد عليه فوجده نائما في الليل فقال للربيع الحاجب استأذن على الخليفة فقال إنه لا يوقظ في هذه الساعة فقال إنه لا بد من ذلك فأخبر الخليفة فخرج فقال وبحك ما وراءك فقال إنه خرج ابن حسن بالمدينة فلم يظهر المنصور لذلك أكثرا وانزعاجا بل قال أنت رأيتته قال نعم فقال هلك والله وأهلك من اتبعه ثم أمر بالرجل فسجن ثم جاءت الاخبار بذلك فتواترت فأطلقت المنصور وأطلق له عن كل ليلة الف درهم فأعطاه سبعة آلاف درهم

ولما تحقق المنصور الامر من خروجه ضاق ذرعا فقال له بعض المنجمين يا أمير المؤمنين لا عليك منه فوالله لو ملك الأرض بحذاقيرها فإنه لا يقيم أكثر من سبعين يوما ثم أمر المنصور جميع رؤس الأمراء أن يذهبوا إلى السجن فيجتمعوا بعبد الله بن حسن والد محمد فيخبروه بما وقع من خروج ولده وبسمعوا ما يقول لهم فلما دخلوا عليه أخبروه بذلك فقال ما ترون ابن سلامه فاعلا يعني المنصور فقالوا لاندري فقال والله لقد قتل صاحبكم البخل ينبغي له أن ينفق الاموال ويستخدم الرجال فإن ظهر فاسترجاع ما انفق سهل والا لم يكن لصاحبكم شئ في الخزائن وكان ما خزن لغيره فرجعوا إلى الخليفة فأخبروه بذلك وأشار الناس الناس على الخليفة بمناجزته فاستدعى عيسى بن موسى فنديه إلى ذلك ثم قال إني سأكتب إليه كتابا أنذره به قبل قتاله فكتب إليه

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا الآية إلى قوله فاعلموا أن الله غفور رحيم ثم قال فلك عهد الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله إن أنت رجعت إلى الطاعة لأؤمنك ومن أتبعك ولأعطيتك ألف ألف درهم ولأدعئك في أحب البلاد إليك ولأقضين لك جميع حوائجك في كلام طويل فكتب إليه محمد جواب كتابه

من عبدالله المهدي محمد بن حسن بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ثم قال وإنني أعرض عليك من الأمان ما عرضت علي فانا أحق بهذا الأمر منكم وأنتم إنما وصلتم إليه بنا فان عليا كان الوصي وكان الامام فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ونحن أشرف أهل الأرض نسبيا فرسول الله خير الناس وهو جدنا وجدتنا خديجة وهي أفضل زوجاته وفاطمه ابنته أمنا وهي أكرم بناته وإن هاشما ولد عليا مرتين وإن حسنا ولده عبد المطلب مرتين وهو وأخوه سيذا شباب أهل الجنة وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد أبي

مرتين وإني أوسط بني هاشم نسبا وأصرحهم أبا لم تعرق في العجم ولم تنازع في أمهات
الإولاد فإنا ابن أرفع الناس درجة في الجنه وأخفهم عذابا في النار فإنا أولى بالامر منك
وأولى بالعهد وأوفى به منك فإنك تعطي فإنك تعطي العهد ثم تنكث ولا تفي كما فعلت بإبن
هبيره فإنك أعطيتة العهد ثم غدرت به ولا أشد عذابا من إمام غادر وكذلك فعلت بعمك
عبدالله بن علي وأبي مسلم الخراساني ولوأعلم أنك تصدق لأجبتك لما دعوتني إليه ولكن
الوفاء بالعهد من مثلك لمثلي بعيد والسلام

فكتب إليه أبو جعفر جواب ذلك في كتاب طويل حاصله أما بعد فقد قرأت كتابك فاذا جل
فحرك وإدلالك قرابة النساء لتضل به الجفاه والغوغاء ولم يجعل الله النساء كالعصومة
والآباء ولا كالعصية والاولياء وقد أنزل الله وأنذر عشيرتك الاقربين وكان حينئذ له أربعة
أعمام فاستجاب له اثنان أحدهما جدنا وكفر اثنان أحدهما أبوك يعني حده أبا طالب فقطع
الله ولايتهما منه ولم يجعل بينهما إلا ولاذمة وقد أنزل الله في عدم إسلام أبي طالب إنك لا
تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وقد فخرت به وأنه أخف أهل النار عذابا وليس
في الشر خيار ولا ينبغي لمؤمن أن يفخر بأهل النار وفخرت بأن عليا ولده هاشم مرتين وأن
حسنا ولده عبد المطلب مرتين فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما ولده عبد الله
مرة واحدة وقولك إنك لم تلد أمهات أولاد فهذا إبراهيم ابن الرسول صلى الله عليه وسلم
من ماريه وهو خير منك وعلى بن الحسن من أم ولد وهو خير منك وكذلك ابنه محمد بن
علي وابنه جعفر بن محمد جداتهما أمهات أولادوهما خير منك

وأما قولك بنو الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قال تعالي ما كان محمدا أبا أحد من
رجالكم وقد جاءت السنة التي لاخلاف فيها بين المسلمين أن الجد أبا الام والخال والخاله لا
يورثون ولم يكن لفاطمه ميراث من رسول الله صلى الله عليه وسلم بنص الحديث وقد
مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوك حاضر فلم يأمره بالصلاة بالناس بل أمر غيره
ولما توفي لم يعدل الناس بأبي بكر وعمر أحدا ثم قدموا عليه عثمان في الشورى والخلافة
ثم لما قتل عثمان اتهمه بعضهم به وقاتله طلحة والزبير على ذلك وامتنع سعد من مبايعته ثم
بعد ذلك معاوية ثم طليها أبوك وقاتل عليها الرجال ثم اتفق على التحكيم فلم يف به ثم
صارت إلى الحسن فباعها بخرق ودرهم وأقام بالحجاز مالا من غير حله وسلم الأمر إلى غير
أهله وترك شيعته في أيدي بني أميه ومعاوية فإن كانت لكم فقد تركتموها وبعمموها بثمانها
ثم خرج عمك حسين على ابن مرجانه وكان الناس معه عليه حتى قتلوه وأتوا برأسه إليه ثم
خرجتم على بني أميه فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل وحرقوكم بالنار وحملوا نساءكم
على الابل كالسبايا إلى الشام حتى خرجنا عليهم نحن فأخذنا بئاركم وأدركننا بدمائكم
وأورثناكم أرضهم وديارهم وذكرنا فضل سلفكم فجعلت ذلك حجة علينا وظننت أنا إنما ذكرنا
فضله على أمثاله على حمزه والعباس وجعفر وليس الأمر كما زعمت فإن هؤلاء مضوا ولم
يدخلوا الفتن وسلموا من الدنيا فلم تنقصهم شيئا فاستوفوا ثوابهم كاملا وابتلى بذلك أبوك
وكانت بنوا أميه تلغنه كما تلغن الكفرة في الصلوات المكتوبات فأحينا ذكره وذكرنا فضله
وعنفناهم بما نالوا منه وقد علمت أن مكرمتنا الجاهلية بسقاية الحجيج الاعظم وخدمة زمزم
وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا بها ولما قحط الناس زمن عمر استسقى بأينا
العباس وتوسل به إلى ربه وأبوك حاضر وقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا العباس فالسقاية سقايته والوارثة وراثته والخلافة في
ولده فلم يبق شرق في الجاهلية والاسلام إلا والعباس وارثة ومورثه في كلام طويل فيه
بحث ومناظره وفصاحه وقد استقصاه ابن جرير بطولة والله سبحانه أعلم

3 فصل في ذكر مقتل بن محمد بن عبدالله بن حسن

@ بعث محمد بن عبدالله بن حسن في غبون ذلك رسولا إلى أهل الشام يدعوهم إلى بيعته
وخلافته فأبوا قبول ذلك منه وقالوا قد ضجرنا من الحروب ومللنا القتال وجعل يستميل
رؤس أهل المدينة فمنهم من أجابه ومنهم من امتنع عليه وقال له بعضهم كيف أبايعك وقد
ظهرت في بلد ليس فيه مال تستعين به على استخدام الرجال ولزم بعضهم منزله فلم
يخرج حتى قتل محمد وبعث محمد هذا الحسين بن معاوية في سبعين رجلا ونحو من
عشرة فوارس إلى مكة نائبا إن هو دخلها فساروا إليها فلما بلغ أهلها قدومهم خرجوا إليهم

في ألوف من المقاتله فقال لهم الحسين بن معاوية علام تقاتلون وقد مات أبو جعفر فقال السرى بن عبدالله زعيم أهل مكة إن يردّه جاءتنا من أربع ليال وقد أرسلت إليه كتابا فأنا أنتظر جوابه إلى أربع فإن كان ما تقولون حقا سلمتكم البلد وعلى مؤنه رجالكم وخيلكم فامتنع الحسن بن معاوية من الانتظار وأبى إلا المناجزة وحلف لا يبيت الليلة إلا بمكة إلا أن يموت وأرسل إلى السرى أن ابرز من الحرم إلى الحل حتى لا تراق الدماء في الحرم فلم يخرج فتقدموا إليهم فصافوهم عليه الحسن واصحابه حملة واحدة فهزموهم وقتلوا منهم نحو سبعة ودخلوا مكة فلما أصبحوا خطب الحسن بن معاوية الناس وأغراهم بأبي جعفر ودعاهم إلى محمد بن عبد الله بن حسن المهدي .

3 خروج أخيه إبراهيم بن عبدالله بن حسن

@ وظهر بالبصرة أيضا إبراهيم بن عبدالله بن حسن وجاء البريد إلى أخيه محمد فأنتهى إليه فاستؤذن له عليه وهو بدار مروان فطرق بابها فقال اللهم إني أعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن ثم خرج فأخبر أصحابه عن أخيه فاستبشروا جدا وفرحوا كثيرا وكان يقول للناس بعد صلاة الصبح والمغرب ادعوا الله لاخوانكم أهل البصرة وللحسين ابن معاوية بمكة واستنصروه على أعدائكم

وأما ما كان من المنصور فإنه جهز الجيوش إلى محمد بن عبدالله بن حسن صحبه عيسى بن موسى عشرة آلاف فارس من الشجعان المنتخبين منهم محمد بن أبي العباس وجعفر بن حنظله البهراني وحميد بن قحطبه وكان المنصور قد استشاره فيه فقال يا أمير المؤمنين أدر بمن شئت ممن تثق به من مواليك فابعث بهم إلى وادي القرى يمنعونهم من ميرة الشام فيموت هو ومن معه جوعا فانه ببلد ليس فيه ولا رجال ولا كراع ولا سلاح وقدم بين يديه كثير بن الحصين العبيدي وقد قال المنصور لعيسى بن موسى حين ودعه يا عيسى إني أبعثك إلى جنبي هذين فإن ظفرت بالرجل فشم سيفك وناد في الناس بالامان وان تغيب فضمنهم اياه حتى يأتوك به فانهم أعلم بمذاهبه وكتب معه كتابا إلى رؤساء قريش والانصار من اهل المدينة يدفعها إليهم خفية يدعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة فلما اقترب عيسى بن موسى من المدينة بعث الكتب مع رجل فأخذه حرس محمد بن عبدالله بن حسن فوجدوا معه تلك الكتب فدفعوها إلى محمد فاستحضر جماعة من اولئك فعاقبهم وضربهم ضربا شديدا وقيدهم قيودا ثقالا وأودعهم السجن ثم إن محمدا استشار أصحابه بالقيام بالمدينة حتى يأتي عيسى بن موسى فيحاصروهم بها وإنه يخرج بمن معه فيقاتل أهل العراق فمنهم من أشار بهذا ومنهم من أشار بذلك ثم اتفق الرأي على المقام بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم ندم يوم أحد على الخروج منها ثم اتفقوا على حفر خندق حول المدينة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب فأحاط إلى ذلك كله وحفر مع الناس في الخندق بيده اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ظهر لهم لبنة من الخندق الذي حفره رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وكبروا وبشروه بالنصر وكان محمد حاضرا عليه قباء أبيض وفي وسطه منطقة وكان شكلا ضخما اسمر عظيم الهامة

ولما نزل عيسى بن موسى الاغوص واقترب من المدينة صعد محمد بن عبدالله المنبر فخطب الناس وحثهم على الجهاد وكانوا قريبا من مائة الف فقال لهم جملة ما قال إني جعلتكم في حل من بيعتي فمن احب منكم أن يقيم عليها فعل ومن احب أن يتركها فعل فتسلل كثير منهم أو أكثرهم عنه ولم يبق إلا شذمة قليلة معه وخرج أكثر أهل المدينة بأهلهم منها لئلا يشهدوا القتال بها فنزلوا الأعراس ورؤس الجبال وقد بعث محمد أبا الليث ليردهم عن الخروج فلم يمكنه ذلك في أكثرهم واستمروا ذاهبين وقال محمد لرجل تأخذ سيفا ورمحا وترد هؤلاء الذين خرجوا من المدينة فقال نعم إن أعطيتني رمحا أطعنهم وهم بالأعراس وسيفا أضربهم وهم في رؤس الجبال فعلت فسكت محمد ثم قال لي وبحك أهل الشام والعراق وخراسان قد يبضوا يعني لبسوا البياض موافقة لي وخلعوا السواد فقال وماذا ينفعني أن لو بقيت الدنيا زبدة بيبضاء وأنا في مثل صوفة الدواة وهذا عيسى بن موسى نازل بالاغوص ثم جاء عيسى بن موسى فنزل قريبا من المدينة على ميل منها فقال له دليله ابن الاصم أني أخشى إذا كشفتموهم أن يرجعوا إلى معسكرهم سريعا قبل أن تدرکہم الخيل

ثم ارتحل به فأنزله الجرف على سقاية سليمان بن عبد الملك على أربعة أميال من المدينة وذلك يوم السبت لصبح اثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان من هذه السنة وقال إن الراجل إذا هرب لا يقدر على الهرولة أكثر من ميلين أو ثلاثة فتدركه الخيل وأرسل عيسى بن موسى خمسمائة فارس فنزلوا عند الشجرة في طريق مكة وقال لهم هذا الرجل إن هرب فليس له ملجأ إلا مكة فحولوا بينه وبينها ثم أرسل عيسياً إلى محمد يدعوه إلى السمع والطاعة لامير المؤمنين المنصور وأنه قد أعطاه الامان له ولاهل بيته إن هو أجابه فقال محمد للرسول لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتك ثم بعث إلى عيسى بن موسى يقول له إنني أدعوك إلى كتاب الله وسنة رسوله فاحذر أن تمتنع فأقتلك فتكون شر قتيل أو تقتلني فتكون قتلت من دعاك إلى الله ورسوله ثم جعلت الرسل تتردد بينهما ثلاثة أيام هذا يدعوه هذا وهذا يدعوه هذا وجعل عيسى بن موسى يقف كل يوم من هذه الايام الثلاثة على الثانية عند سلع فينادي يا اهل المدينة إن دماءكم علينا حرام فمن جاءنا فوقف تحت رايتنا فهو آمن ومن خرج من المدينة فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن فليس لنا في قتالكم أرب وإنما نريد محمداً وحده لنذهب به إلى الخليفة فجعلوا يسبونهم وينالون من أمه ويكلمونه بكلام شنيع وبخاطبونه مخاطبة فظيعة وقالوا له هذا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم معنا ونحن معه نقاتل

دونه

فلما كان اليوم الثالث أتاهم في خيل ورجال وسلاح ورماح لم ير مثلها فناداه يا محمد إن أمير المؤمنين أمرني أن لا أقاتلك حتى أدعوك إلى الطاعة فان فعلت أمنك وقضى دينك وأعطاك أموالاً وأراضي وإن أبيت قاتلتك فقد دعوتك غير مرة فناداه محمد إنه ليس لكم عندي إلا القتال فنشبت الحرب حينئذ بينهم وكان جيش عيسى بن موسى فوق أربعة آلاف وعلى مقدمته حميد بن قحطبه وعلى ميمنته محمد بن السفاح وعلى ميسرته داود بن كرار وعلى الساقة الهيثم بن شعبة ومعهم عدد لم ير مثلها وفرق عيسى أصحابه في كل قطر طائفه وكان محمد وأصحابه على عدة أصحاب أهل بدر واقتتل الفريقان قتالاً شديداً جداً وترجل محمد إلى الأرض فيقال إنه قتل بيده من جيش عيسى بن موسى سبعين رجلاً من أبطالهم وأحاط بهم أهل العراق فقتلوا طائفة من أصحاب محمد بن عبدالله بن حسن فافتحموا عليهم الخندق الذي كانوا قد حفروه وعملوا أبواباً على قدره وقيل أنهم ردموه بحدائج الجمال حتى أمكنهم أن يجوزوه وقد يكونون فعلوا هذا موضع منه وهذا في موضع آخر والله أعلم

ولم تزل الحرب ناشبة بينهم حتى صليت العصر فلما صلى العصر نزلوا إلى مسيل الوادي بسلع فكسر جفن سيفه وعقر فرسه وفعل أصحابه مثله وصبروا أنفسهم للقتال وحميت الحرب حينئذ جداً فاستظهر أهل العراق ورفعوا راية سوداء فوق سلع ثم دنوا إلى المدينة فدخلوها ونصبوا راية سوداء فوق مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى ذلك أصحاب محمد تنادوا أخذت المدينة وهربوا وبقي محمد في شردمة قليلة جداً ثم بقي وحده وليس معه أحد وفي يده سيف صلت يضرب به من تقدم إليه فكان لا يقوم له شيء إلا أنامه حتى قتل خلقاً من أهل العراق من الشجعان ويقال إنه كان في يده يومئذ ذو الفقار ثم تكاثر عليه الناس فتقدم إليه رجل فضربه بسيفه تحت شحمة أذنه اليمنى فسقط لركبته وجعل يحمي نفسه ويقول ويحكم ابن نبيكم مجرم مظلوم وجعل حميد بن قحطبه يقول ويحكم دعوته لا تقتلوه فأحجم عنه الناس وتقدم إليه حميد بن قحطبه فجز رأسه وذهب به إلى عيسى بن موسى فوضعه بين يديه وكان حميد قد حلف أن يقتله متى رآه فما أدركه إلا كذلك ولو كان على حاله وقوته لقاتل استطاعه حميد ولا غيره من الجيش وكان مقتل محمد بن عبدالله بن حسن عند أحجار الزيت يوم الاثنين بعد العصر لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة وقال عيسى بن موسى لأصحابه حين وضع رأسه بين يديه ما تقولون فيه فنال منه أقوام وتكلموا فيه فقال رجل كذبتكم والله لقد كان صواماً قواماً ولكنه خالف أمير المؤمنين وشق عصي المسلمين فقتلناه علناً فلك ذلك فسكنوا حينئذ

وأما سيفه ذو الفقار فانه صار إلى بني العباس يتوارثونه حتى جربه بعضهم فضرب به كلبا فانقطع ذكره ابن جرير وغيره وقد بلغ المنصور في غبون هذا الامر ان محمدا فر من الحرب فقال هذا لا يكون فانا أهل بيت لا نفر

وقال ابن جرير حدثني عبدالله بن راشد أبو الحجاج قال إني لقاتم على رأس المنصور وهو يسألني عن مخرج محمد وإذ بلغه أن عيسى بن موسى قد انهزم وكان متكئا فجلس فضرب بقضيب معه مصلاة وقال كلا وأين لعب صبياننا بها على المنابر ومشورة النساء ما إني لذلك بعد وبعث عيسى بن موسى بالشارة إلى المنصور مع القاسم بن حسن وبالرأس مع ابن أبي الكرام وأمر بدفن الجثة فدفن بالبقيع وأمر بأصحابه الذين قتلوا معه فصلبوا صفيين ظاهر المدينة ثلاثة أيام ثم طرحوه على مقبرة اليهود عند سلع ثم نقلوا إلى خندق هناك وأخذ أموال بني حسن كلها فسوغها له المنصور ويقال أنه ردها بعد ذلك إليهم حكاه ابن جرير ونودي في أهل المدينة بالامان فأصبح الناس في أسواقهم وترفع عيسى بن موسى في الجيش إلى الجرف من مطر أصاب الناس يوم قتل محمد وجعل ينتاب المسجد من الجرف وأقام بالمدينة إلى اليوم التاسع عشر من رمضان ثم خرج منها قاصدا مكة وكان بها الحسن بن معاوية من جهة محمد قد كتب إليه يقدم عليه فلما خرج من مكة وكان ببعض الطريق تلقته الاخبار بقتل محمد فاستمر فارا إلى البصرة إلى اخي محمد إبراهيم بن عبدالله الذي كان قد خرج بها ثم قتل بعد أخيه في هذه السنة على ما سنذكره

ولما جيء المنصور برأس محمد بن عبدالله بن حسن فوضع بين يديه أمر فطيف به في طبق أبيض ثم طيف به في الاقاليم بعد ذلك ثم شرع المنصور في استدعاء من خرج مع محمد من أشرف أهل المدينة فمنهم من قتله ومنهم من ضربه ضربا مبرحا ومنهم من عفا عنه ولما توجه عيسى إلى مكة استناب على المدينة كثير بن حصين فاستمر بها شهرا حتى بعث المنصور على نيابتها عبدالله بن الربيع فعات جنده في المدينة فصاروا إذا اشتروا من الناس شيئا لا يعطونهم ثمنه وان طولبوا بذلك ضربوا المطالب وخوفوه بالقتل فتار عليهم طائفه من السودان واجتمعوا ونفخوا في بوق لهم فاجتمع على صوته كل اسود المدينة وحملوا عليهم حملة واحدة وهم ذاهبون إلى الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة من هذه السنة وقيل لخمس بقين من شوال منها فقتلوا من الجند طائفة كثيرة بالمزاريق وغيرها وهرب الامير عبد الله بن ربيع وترك صلاة الجمعة وكان رؤس السودان وثيق ويعقل ورمقه وحديا وعنقود ومسعر وأبو النار فلما رجع عبدالله بن الربيع ركب في جنوده والتقى مع السودان فهزموه أيضا فلحقوه بالقيع فلقى لهم رداءه يشغلهم فيه حتى نجا بنفسه ومن اتبعه فلحق ببطن نخل على ليلتين من المدينة ووقع السودان على طعام المنصور كان مخزونا في دار مروان قد قدم به في البحر فنهبوه ونهبوا مال الجند الذين في المدينة من دقيق وسويق وغيره وباعوا ذلك بأرخص ثمن وذهب الخبر إلى المنصور بما كان من أمر السودان وخاف من معرفة ذلك فاجتمعوا وحطبتهم ابن أبي سيره وكان مسجوناً فصعد المنبر وفي رجليه القيود فحثهم على السمع والطاعة للمنصور وخوفهم شر ما صنعه مواليهم فاتفق رأيهم على ان يكفوا مواليهم ويفرقوهم ويذهبوا إلى أميرهم فيردوه إلى عمله ففعلوا ذلك فسكن الامر وهذا الناس وأنطقت الشرور ورجع عبدالله بن الربيع إلى المدينة فقطع يد وثيق وأبي النار ويعقل ومسعر

3 ذكر خروج إبراهيم بن عبدالله بن حسن بالبصرة

@ كان إبراهيم قد هرب إلى البصرة فنزل في بني ضبيعه من أهل البصرة في دار الحارث بن عيسى وكان لا يرى بالنهار وكان قدومه إليها بعد أن طاف بلادا كثيرة جدا وجرت عليه وعلى أخيه خطوب شديدة هائلة وانعقدت أسباب هلاكهما في أوقات متعددة ثم كان آخر ما استقر امره بالبصرة في سنة ثلاث وأربعين ومائة بعد منصرف الحجيج وقيل إن قدومه إليها كان في مستهل رمضان سنة خمس وأربعين ومائة بعثه أخوه إليها بعد ظهوره بالمدينة قاله الواقدي قال وكان يدعو في السر إلى أخيه فلما قتل أخوه أظهر الدعوة إلى نفسه في شوال من هذه السنة والمشهور أنه قدمها في حياة أخيه ودعا لنفسه كما تقدم والله أعلم ولما قدم البصرة نزل عند يحيى بن زياد بن حسان النبطي فاختمت عنده هذه المد كلها حتى ظهر في هذه السنة في دار أبي فروة وكان أول من بايعه نميله بن مرة وعبدالله بن سفيان

وعبد الواحد بن زياد وعمر بن سلمة الهجيمي وعبيد الله بن يحيى بن حصين الرقاشي وندبوا الناس إليه فاستجاب له خلق كثير فتحول إلى دار أبي مروان في وسط البصرة واستفحل أمره وباعه فثام من الناس وتفاقم الخطب به وبلغ خبره إلى المنصور فازداد غما إلى غمه بأخيه محمد وذلك لأنه ظهر قبل مقتل أخيه وإنما كان سبب تعجيله الظهور كتاب أخيه إليه فامتثل أمره ودعا نفسه إلى فانتظم أمره بالبصرة وكان نائبها من جهة المنصور سفيان بن معاوية وكان ممالئا لإبراهيم هذا في الباطن وبلغه أخباره فلا يكثرث بها ويكذب من أخبره ويود أن يتضح أمر إبراهيم وقد أمده المنصور بأمرين من أهل خراسان معهما ألفا فارس وراجل فانزلهما عنده ليتقوى بهما على محاربة إبراهيم وتحول المنصور من بغدا وكان قد شرع في عمارتها إلى الكوفة وجعل كلما اتهم رجلا من أهل الكوفة في أمر إبراهيم بعث إليه يقتله في الليل في منزله وكان الفرافصه

العجلى قد هم بالوثوب بالكوفة فلم يمكنه ذلك لمكان المنصور بها وجعل الناس يقصدون البصرة من كل فج لمبايعة إبراهيم ويفدون إليها جماعات وفرادى وجعل المنصور يرصد لهم المسالح فيقتلونهم في الطريق ويأتونه برؤسهم فصلبها بالكوفة ليتعظ بها الناس وأرسل المنصور إلى حرب الراوندي وكان مرابطا بالجزيرة في ألفي فارس لقتال الخوارج يستدعيه إليه إلى الكوفة فأقبل بمن معه فاجتاز ببلدة بها أنصار لإبراهيم فقالوا له لا ندعك تجتاز لأن المنصور إنما دعاك لقتال إبراهيم فقال ويحكم دعوني فأبوا فقاتلهم فقتل منهم خمسمائة وأرسل برؤسهم إلى المنصور فقال هذا أول الفتح ولما كانت ليلة الاثنين مستهل رمضان من هذه السنة خرج إبراهيم في الليل إلى مقبرة بني يشكر في بضعة عشر فارسا وقدم في هذه الليلة أبو حماد الأبرص في ألفي فارس مدادا لسفيان ابن معاوية فانزلهم الأمير في القصر ومال إبراهيم وأصحابه على دواب أولئك الجيش واسلحتهم فأخذوها جميعا فتقووا بها فكان أول ما أصاب ما أصبح الصباح إلا وقد استظهر جدا فصلى بالناس صلاة الصبح في المسجد الجامع والتف الخلائق عليه ما بين ناظر وناصر وتحصن سفيان بن معاوية نائب الخليفة بقصر الإمارة وحبس عنده الجنود فحاصروهم إبراهيم فطلب سفيان ابن معاوية من إبراهيم الأمان فأعطاه الأمان ودخل إبراهيم قصر الإمارة فبسطت له حصير ليجلس عليها في مقدم إيوان القصر فهبت الريح فقلبت الحصير ظهرا لبطن فتطير الناس بذلك فقال إبراهيم إنا نتطير وجلس على ظهر الحصير وأمر بحبس سفيان بن معاوية مقيدا وأراد بذلك براءة ساحته عند المنصور واستحوذ على ما كان في بيت المال فإذا فيه ستمائة ألف وقيل ألفا الف فقوى بذلك جدا

وكان في البصرة جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي وهما ابنا عم الخليفة المنصور فركبا في ستمائة فارس إليه فهزمهما وأركب إبراهيم المضاء بن القاسم في ثمانية عشر فارسا وثلاثين رجلا فهزم ستمائة فارس كانت لهما وأمن من بقي منهم وبعث إبراهيم إلى أهل الأهواز فبايعوه وأطاعوه وأرسل إلى نائبها مائتي فارس عليهم المغيرة فخرج إليه محمد بن الحصين نائب البلاد في أربعة آلاف فارس فهزمه المغيرة واستحوذ على البلاد وبعث إبراهيم إلى بلاد فارس فأخذها وكذلك واسط والمدائن والسواد واستفحل أمره جدا ولكن لما جاءه نعي أخيه محمد انكسر جدا وصلّى بالناس يوم العيد وهو مكسور قال بعضهم والله لقد رأيت الموت في وجهه وهو يخطب الناس فنعي إلى الناس أخاه محمدا فازداد الناس حنقا على المنصور وأصبح فعسكر بالناس واستتاب على البصرة نميله وخلف ابنه حسنا معه ولما بلغ المنصور خبره تحير في أمره وجعل يتأسف على ما فرق من جنده في الممالك وكان قد بعث مع ابنه المهدي ثلاثين ألفا إلى الري وبعث مع محمد بن الأشعث إلى إفريقية أربعين ألفا والباقون مع عيسى بن موسى بالحجاز ولم يبق مع المنصور سوى ألفي فارس وكان يأمر بالنيران الكثيره فتوقد ليلا فيحسب الناظر إليها أن ثم جندا كثيرا ثم كتب المنصور إلى عيسى بن موسى إذا قرأت كتابي هذا فأقبل من فورك ودع كل ما أنت فيه فلم ينشب أن أقبل إليه فقال له اذهب إلى إبراهيم بالبصرة ولا يهولنك كثرة من معه فإنهم جملا بني هاشم المقتولان جميعا فابسط يدك وثق بما عندك وستذكر ما أقول لك فكان الأمر كما قال المنصور وكتب المنصور إلى ابنه المهدي أن يوجه خازم بن خزيمه في أربعة آلاف إلى الأهواز فذهب إليها فأخرج منها نائب إبراهيم وهو المغيرة وأباحها ثلاثة أيام ورجع المغيرة

إلى البصرة وكذلك بعث إلى كل كورة من هذه الكور التي نقضت بيعته جندا يردون أهلها إلى الطاعة قالوا ولزم المنصور موضع مصلاه فلا يبرح منه ليلا ونهارا في ثياب بذلة قد اتسخت فلم يزل مقيما هناك بضعا وخمسين يوما حتى فتح الله عليه وقد قيل له في غبون ذلك إن نساءك قد خبثت نفسهن لغيبتك عنهن فانتهر القائل وقال ويحك ليست هذه أيام نساء حتى أرى رأس إبراهيم بين يدي أو يحمل رأسي إليه وقال بعضهم دخلت على المنصور وهو مهموم من كثرة ما وقع من الشرور وهو لا يستطيع أن يتابع الكلام من كثرة همه وما تتفق عليه من الفتوق والخروق وهو مع ذلك أعد لكل أمر ما يسد خلله به وقد خرجت عن يده البصرة والاهواز وأرض فارس والمدائن وأرض السواد وفي الكوفة عنده مائة ألف مغمدة سيوفها تنتظر به صيحة واحده فيثبتون مع إبراهيم وهو مع ذلك يعرك النواذب ويمرسها ولم تقعد به نفسه وهو كما قال الشاعر
نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والاقداما

فصيرته ملكا هماما وأقبل إبراهيم بعساكر من البصرة إلى الكوفة في مائة ألف مقاتل فأرسل إليه المنصور عيسى ابن موسى في خمسة عشر الفا وعلى مقدمته حميد بن قحطبة في ثلاثة الاف وجاء إبراهيم فنزل في باخمري في جحافل عظيمة فقال له بعض الأمراء إنك قد اقتربت من المنصور فلو أنك سرت إليه بطائفة من جيشك لأخذت بقفاه فإنه ليس عنده من الجيوش ما يردون عنه وقال آخرون إن الاولى ان نناجز هؤلاء الذين بازائنا ثم هو في قبضتنا فثناهم ذلك عن الرأي الأول ولو فعله لثم لهم الامر ثم قال بعضهم خندق حول الجيش وقال آخرون إن هذا الجيش لا يحتاج إلى خندق حوله فترك ذلك ثم أشار بعضهم أن يبيت جيش عيسى بن موسى فقال إبراهيم انا لا أرى ذلك فتركه ثم أشار آخرون بأن يجعل جيشه كراديس فإن غلب كردوس ثبت الآخر وقال آخرون الاولى أن نقاتل صفوفنا لقوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص والامر لله ولو ساروا إلى الكوفة وبيتوا الجيش أو جعل جيشه كراديس لثم له الامر مع تقدير الله تعالى .
واقبل الجيشان فتصافوا في باخمري وهي على ستة عشر فرسخا من الكوفة فاقتتلوا بها قتالا شديدا فانهزم حميد بن قحطبه بمن معه من المقدمه فجعل عيسى يناشدهم الله في الرجوع والكرة فلا يلوي عليه أحد وثبت عيسى بن موسى في مائة رجل من أهله فقيل له لو تجيت من مكانك هذا لثلا يحطملك جيش إبراهيم فقال والله لا أزول منه حتى يفتح الله لي أو أقتل هاهنا وكان المنصور قد تقدم إليه بما أخبره بعض المنجمين أن الناس يكون لهم جولة عن عيسى بن موسى ثم يقومون إليه وتكون العاقبة له فاستمر المنهزمون ذاهبين إلى نهر بين جبلين فلم يمكنهم خوضه فكروا راجعين بأجمعهم وكان أول راجع حميد بن قحطبة الذي كان أول من انهزم ثم اجتلدوا هم وأصحاب إبراهيم فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل من كلا الفريقين خلق كثير ثم انهزم أصحاب إبراهيم وثبت هو في خمسمائة وقيل في أربعمائة وقيل في تسعين رجلا واستظهر عيسى بن موسى وأصحابه وقتل إبراهيم في جملة من قتل واختلط رأسه مع رؤس اصحابه فجعل حميد يأتي بالرؤوس إلى عيسى بن موسى حتى عرفوا رأس إبراهيم فبيعتوه مع البشير إلى المنصور وكان نيخت المنجم قد دخل على المنصور قبل مجيء الرأس فأخبره أن إبراهيم مقتول فلم يصدقه فقال يا أمير المؤمنين إن لم تصدقني فاحبسني فان لم يكن الأمر كما ذكرت فاقتلني فبينما هو عنده إذ جاء البشير بهزيمة جيش إبراهيم ولما جيء بالرأس تمثل المنصور ببيت معقر بن أوس بن حمار البارقي

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قرعينا بالاياب المسافر
وقيل ان المنصور لما رأى الرأس بكى حتى جعلت دموعه تسقط على الرأس وقال والله لقد كنت لهذا كارها ولكنك ابتليت بي وابتليت بك ثم أمر بالرأس فنصب بالسوق وأقطع نيخت المنجم الكذاب الفبي جريب
فهذا المنجم إن كان قد أصاب في قضية واحده فقد أخطأ في أشياء كثيرة فهم كذبه كفره وقد كان المنصور في ضلال مع منجمه هذا وقد ورث الملوك اعتقاد أقوال المنجمين وذلك ضلال لايجوز

وذكر صالح مولى المنصور قال لما جيء برأس إبراهيم جلس المنصور مجلسا عاما وجعل الناس يدخلون عليه فيهنئونه وينالون من إبراهيم ويقبحون الكلام فيه ابتغاء مرضاة المنصور والمنصور ساكت متغير اللون لا يتكلم حتى دخل جعفر بن حنظله البهراني فوقف فسلم ثم قال أعظم الله

أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما فرط من حقدك قال فاصفر لون المنصور وأقبل عليه وقال له يا أبا خالد مرحبا وأهلا ههنا فاجلس فعلم الناس أن ذلك وقع منه موقعا جيدا فجعل كل من جاء يقول كما قال جعفر بن حنظله قال أبو نعيم الفضل بن دكين كان مقتل إبراهيم في يوم الخميس لخمس بقين من ذي الحجة من هذه السنة

3 ذكر من توفي من الاعيان

@ فمن اعيان أهل البيت عبدالله بن حسن وابناه محمد وإبراهيم وأخوه حسن بن حسن وأخوه لأمه محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان الملقب بالديباج وقد تقدمت ترجمته .

وأما أخوه عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي فتابعى روى عن أبيه وأمه فاطمة بنت الحسين وعبدالله بن جعفر بن أبي طالب وهو صاحب جليل وغيرهم وروى عنه جماعة منهم سفيان الثوري والدراوردي ومالك وكان معظما عند العلماء وكان عابدا كبيرا القدر قال يحيى بن معين كان ثقة صدوقا وقد على عمر بن عبد العزيز فأكرمه ووفد على السفاح فعظمه وأعطاه ألف درهم فلما ولي المنصور عامله بعكس ذلك وكذلك أولاده وأهله وقد مضوا جميعا والتقوا عند الله عز وجل وأخذه المنصور وأهل بيته مقبدين مغلولين مهانين من المدينة إلى الهاشمية فأودعهم السجن الضيق كما قدمنا فمات أكثرهم فيه فكان عبدالله بن حسن هذا أول من مات فيه بعد خروج محمد بالمدينة وقد قيل إنه قتل في السجن عمدا وكان عمره يوم مات خمسا وسبعين سنة وصلّى عليه أخوه لأمه الحسن بن الحسن بن علي ثم مات بعده أخوه حسن فصلّى عليه أخوه لأمه محمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ثم قتل بعدهما وحمل رأسه إلى خراسان كما تقدم .

وأما ابنه محمد الذي خرج بالمدينة فروى عن أبيه ونافع وعن أبي الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة في كيفية الهوى إلى السجود وحدث عنه جماعة ووثقه النسائي وابن حبان وقال البخاري لا يتابع على حديثه وقد ذكر أن أمه حملت به أربع سنين وكان طويلا أسمر سمينا أسمر ضخما ذا همه ساميه وسطوة عاليه وشجاعة باهرة قتل بالمدينة في منتصف رمضان سنة خمس وأربعين ومائه وله خمس وأربعون سنة وقد حملوا برأسه إلى المنصور وطيف به في الاقاليم

وأما أخوه إبراهيم فكان ظهوره بالبصرة بعد ظهور أخيه بالمدينة وكان مقتله بعد مقتل أخيه في ذي الحجة من هذه السنة وليس له شيء في الكتب الستة وحكى أبو داود السجستاني عن أبي عوانة أنه قال كان إبراهيم وأخوه محمد خارجين قال داود ليس كما قال هذا رأي الزيدية قلت وقد حكى عن جماعة من العلماء والائمة أنهم مالوا إلى ظهورهما

3 وفيها توفي من المشاهير والأعيان

@ الاجلج بن عبدالله واسماعيل بن أبي خالد في قول وحيب بن الشهيد وعبد الملك بن أبي سليمان وعمرو مولى عفره ويحيى بن الحارث الذماري ويحيى بن سعيد أبو حبان التيمي ورؤية بن العجاج والعجاج لقب واسمه أبو الشعثاء عبدالله بن رؤبه وأبو محمد التميمي البصري الراجز بن الراجز ولكل منهما ديوان رجز وكل منهما بارع في فنه لا يجاري ولا يماري عالم باللغه وعبدالله بن المقفع الكاتب المفوه أسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور وكتب له وله رسائل وألفاظ صحيحة وكان متهما بالزندقة وهو الذي صنف كتاب كليله ودمنه ويقال بل هو الذي عربها من المجوسية إلى العربية قال المهدي ما وجد كتاب زندقة إلا وأصله من ابن المقفع ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد قالوا ونسي الجاحظ وهو رابعهم وكان مع هذا فاضلا بارعا فصيحاً قال الاصمعي قيل لابن المقفع من أدبك قال نفسي إذا رأيت من غيري قبيحا أبيتة وإذا رأيت حسنا أبيتة ومن كلامه شربت من الخطب ربا ولم أضبط لها روبا فغاضت ثم فاضت فلا هي نظاما ولا نسيت غير كلاما .

وكان قتل ابن المقفع على يد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة نائب البصرة وذلك أنه كان يعيث به ويسب أمه وإنما كان يسميه ابن المعلم وكان كبير الانف وكان إذا دخل عليه يقول السلام عليكما على سبيل التهكم وقال لسفيان بن معاوية مرة ما ندمت على سكوت قط فقال صدقت الخرس لك خير من كلامك ثم اتفق أن المنصور غضب على ابن المقفع فكتب إلى نائبه سفيان بن معاوية هذا أن يقتله فأخذه فأحمى له تنورا وجعل يقطعه اربا اربا ويلقيه في ذلك التنور حتى حرقه كله وهو ينظر إلى اطرافه كيف تقطع ثم تحرق وقيل غير ذلك في صفة قتله قال ابن خلكان ومنهم من يقول ان ابن المقفع نسب إلى بيع القفاح وهي من الجريد كالزنبيل بلا أذان والصحيح أنه ابن المقفع وهو أبو دارويه كان الحجاج قد استعمله على الخراج فخان فعاقبه حتى تقفعت يداه والله أعلم وفيها خرج الترك والخزريبات الابواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية جماعة كثيرة وحج بالناس في هذه السنة نائب المدينة عبدالله بن الربيع الحارثي وعلى الكوفة عيسى بن موسى وعلى البصرة مسلم بن قتيبة وعلى مصر يزيد بن حاتم

2 ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

@ فيها تكامل بناء مدينة السلام ببغداد وسكنها المنصور في صفر من هذه السنة وكان مقيما قبل ذلك بالهاشمية المتاخمة للكوفة وكان قد شرع في بنائها في السنة الخارجة وقيل في سنة أربع وأربعين ومائة فالله وأعلم وقد كان السبب الباعث له على بنائها أن الرواندية لما وثبوا عليه بالكوفة ووقاه الله شرهم بقيت منهم بقية فخشى على جنده فخرج من الكوفة يرتاد لهم موضعا لبناء مدينة فسار في الارض حتى بلغ الجزيرة فلم ير موضعا أحسن لوضع المدينة من موضع بغداد الذي هي فيه الآن وذلك بأنه موضع يغدا إليه ويراح بخيرات ما حوله في البر والبحر وهو محصن بدجلة والفرات من هنها وهنها لا يقدر أحد أن يتواصل إلى موضع الخليفة إلا على جسر وقد بات به المنصور قبل بنائه ليالى فرأى الرياح تهب به ليلا ونهارا من غير انجعار ولا غبار ورأى طيب تلك البقعة وطيب هوائها وقد كان في موضعها قري وديور لعباد النصارى وغيرهم ذكر ذلك مفصلا بأسمائه وتعداده أبو جعفر ابن جرير فحينئذ أمر المنصور باختطاطها فرسموها له بالرماد فمشى في طرقها ومسالكها فأعجبه ذلك ثم سلم كل ريع منها لأمير يقوم على بنائه وأحضر من كل البلاد فعلا وصناعا ومهندسين فاجتمع عنده الوف منهم ثم كان هو أول من وضع لينة فيها بيده وقال بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال أبو علي بركة الله وأمر ببنائها مدورة سمك سورها من أسفله خمسون ذراعا ومن أعلاه عشرون ذراعا وجعل لها ثمانية أبواب في السور البراني ومثلها في الجواني وليس كل واحد تجاه الآخر ولكن جعله أزور عن الذي يليه ولهذا سميت بغداد الزوراء لأزورار أبوابها بعضها عن بعض وقيل سميت بذلك لانحراف دجلة عندها وبنى قصر الامارة في وسط البلد ليكون الناس منه على حد سواء واخطت المسجد الجامع إلى جانب القصر وكان الذي وضع قبلته الحجاج بن أرطاة وقال ابن جرير ويقال إن في قبلته انحرافا يحتاج المصلى فيه أن ينحرف إلى ناحية باب البصرة وذكر ان مسجد الرصافة أقرب إلى الصواب منه لأنه بنى قبل القصر وجامع المدينة بني على القصر فاختلفت بسبب ذلك وذكر ابن جرير عن سليمان بن مجالد أن المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت على القضاء بها فأبى وأمتنع فحلف المنصور أن يتولى له وحلف أبو حنيفة أن لا يتولى له فولاه القيام بأمر المدينة وضرب اللبن وأخذ الرجال بالعمل فتولى ذلك حتى فرغوا من استتمام حائط المدينة مما يلي الخندق وكان استتمامه في سنة أربع وأربعين ومائة قال ابن جرير وذكر عن الهيثم بن عدي ان المنصور عرض على أبي حنيفة القضاء والمظالم فامتنع فحلف أن لا يقبل عنه حتى يعمل له فأخبر بذلك أبو حنيفة فدعاه بقصبة فعد اللبن لبيير بذلك يمين أبي جعفر ومات أبو حنيفة ببغداد بعد ذلك وذكر أن خالد ابن برمك هو الذي اشار على المنصور ببنائها وأنه كان مستحشا فيها للصناع وقد شاور المنصور الأمراء في نقل القصر الأبيض من المدائن إلى بغداد لأجل قصر الامارة بها فقالوا لا تفعل فإنه آية في العالم وفيه مصلح أمير المؤمنين على بن أبي طالب فخالفهم ونقل منه شيئا كثيرا فلم يف ما تحصل منه بأجرة ما يصرف في حمله فتركه ونقل أبواب قصر واسط إلى

أبواب قصر الامارة ببغداد وقد كان الحجاج نقل حجارته من مدينة هناك كانت من بناء سليمان بن داود وكانت الجن قد عملت تلك الابواب وهي حجارة هائلة وقد كانت الاسواق وضجيجها تسمع من قصر الامارة فكانت أصوات الباعة وهوسات الاسواق تسمع منه فعب ذلك بعض بطارقة النصارى ممن قدم في بعض الرسائل من الروم فأمر المنصور بنقل الاسواق من هناك إلى موضع آخر وأمر بتوسعه الطرقات أربعين ذراعاً في أربعين ذراعاً ومن بنى في شيء من ذلك هدم

قال ابن جرير وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال وجدت في خزائن المنصور في الكتب أنه انفق على بناء مدينة السلام ومسجدها الجامع وقصر الذهب بها والاسواق وغير ذلك أربعة آلاف وثمانمائة وثلاثة وثمانين ألف درهم وكان أجرة الاستاذ من البنائين كل يوم قيراط فضة وأجرة الصانع من الحيتين إلى الثلاثة قال الخطيب البغدادي وقد رأيت ذلك في بعض الكتب وحكى عن بعضهم أنه قال انفق عليه ثمانية عشر ألف الف فإله اعلم وذكر ابن جرير أن المنصور ناقص أحد المهندسين الذي بنى بيتنا حسنا في قصر الامارة فنقصه درهما عما ساومه وانه حاسب بعض المستحئين على الذي كان عنده ففضل عنده خمسة عشر درهما فحبسه حتى جاء بها واحضرها وكان شحيحا قال الخطيب وبنائها مدورة ولا يعرف في أقطار الارض مدينة مدورة سواها ووضع أساسها في وقت اختاره له نوبخت المنجم ثم ذكر عن بعض المنجمين قال قال لي المنصور لما فرغ من بناء بغداد خذ الطالع لها فنظرت في طالعها وكان المشتري في القوس فأخبرته بما تدل عليه النجوم من طول زمانها وكثرة عمارتها وانصباب الدنيا إليها وفقر الناس إلى ما فيها قال ثم قلت له وأبشرك يا أمير المؤمنين أنه لا يموت فيها أحد من الخلفاء أبداً قال فرأيت يبتسم ثم قال الحمد لله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وذكر عن بعض الشعراء أنه قال في ذلك شعرا منه

قضى ربها ان لا يموت خليفة * بها إنه ما شاء في خلقه يقضي
وقد قرره على هذا الخطأ الخطيب وسلم ذلك ولم ينقصه بشيء بل قرره مع اطلاعه ومعرفته قال وزعم بعض الناس أن الامين قتل بدرب الانبار منها فذكرت ذلك للقاضي أبي القاسم على بن حسن التنوخي فقال محمد الامين لم يقتل بالمدينة إنما قد نزل في سفينة إلى دجلة ليتنزه فقبض عليه في وسط دجلة وقتل هناك وذكر ذلك الصولي وغيره وذكر عن بعض مشايخ بغداد أنه قال اتساع بغداد مائة وثلاثون جريبا وذلك بقدر ميلين في ميلين قال الامام أحمد بغداد من الصرا إلى باب التبن وذكر الخطيب أن بين كل بايين من أبوابها الثمانية ميلا وقيل أقل من ذلك وذكر الخطيب صفة قصر الامارة وأن فيه القبة الخضراء طولها ثمانون ذراعاً على رأسها تمثال فرس عليه فارس في يده رمح يدور به فأى جهة استقبلها واستمر مستقبلها علم السلطان أن في تلك الجهة قد وقع حدث فلم يلبث أن يأتي الخليفة خبره وهذه القبة وهي على مجلس في صدر إيوان المحكمة وطوله ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً وقد سقطت هذه القبة في ليلة برد ومطر ورعد وبرق ليلة الثلاثاء لسبع خلون من شهر جمادي الآخرة سنة تسع وعشرون وثلاثمائة وذكر الخطيب البغدادي أنه كان يباع في بغداد في أيام المنصور الكباش الغنم بدرهم والحمل بأربعة دنانق وينادى على لحم الغنم كل ستين رطلا بدرهم ولحم البقر كل تسعين رطلا بدرهم والتمر كل ستين رطلا بدرهم والزيت ستة عشر رطلا بدرهم والسمن ثمانية أرطال بدرهم والعسل عشرة أرطال بدرهم ولهذا الامن والرخص كثير ساكنوها وعظم أهلوها وكثير الدارج في أسواقها وأزقتها حتى كان المار لا يستطيع أن يجتاز في أسواقها لكثرة زحام أهلها قال بعض الأمراء وقد رجع من السوق طال والله ما طردت خلف الأرانب في هذا المكان

وذكر الخطيب أن المنصور جلس يوما في قصره فسمع ضجة عظيمة ثم أخرى ثم أخرى فقال للربيع الحاجب ما هذا فكشف فإذا بقرة نفرت من جازرها هاربة في الاسواق فقال الرومي يا أمير المؤمنين إنك بنيت بناء لم بينه أحد قبلك وفيه ثلاثة عيوب بعده من الماء وقرب الاسواق منه وليس عنده خضرة والعين خضرة تحب الخضرة فلم يرفع بها المنصور

رأساً ثم أمر بتغيير ذلك ثم بعد ذلك ساق إليها الماء وبنى عندها البساتين وحول الاسواق من ثم إلى الكرخ

قال يعقوب بن سفيان كمل بناء بغداد في سنة ست واربعين ومائه وفي سنة سبع وخمسين حول الاسواق إلى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول وأمر بتوسيعه الاسواق أربعين ألفاً وبعد شهرين من ذلك شرع في بناء قصره المسمى بالخلد فكمل سنة ثمان وخمسين ومائة وجعل أمر ذلك إلى رجل يقال له الوضاح وبنى للعامه جامعاً للصلاة والجمعة لئلا يدخلوا إلى جامع المنصور فأما دار الخلافة التي كانت ببغداد بعد ذلك فإنها كانت للحسن بن سهيل فانتقلت من بعده إلى بوران زوجة المأمون فطلبها منها المعتضد وقيل المعتمد فأنعمت له بها ثم استنظرته أياماً حتى تنتقل منها فأنظرها فشرعت في تلك الايام في ترميمها وتبييضها وتحسينها ثم فرشتها

بأنواع الفرش والبسط وعلقت فيها أنواع من الستور وأرصدت فيها ما ينبغي للخلافة من الجواني والخدم وألبستهم أنواع الملابس وجعلت في الخزائن ما ينبغي من أنواع الأطعمة والمأكول وجعلت في بعض بيوتها من أنواع الاموال والذخائر ثم أرسلت بمفاتيحها إليه ثم دخلها فوجد فيها ما أرصدته بها فهاله ذلك واستعظمه وكان أول خليفة سكنها وبنى عليها سوراً ذكره الخطيب

وأما التاج فبناه المكتفي على دجلة وحوله القباب والمجالس والميدان والثريا وحير الوحوش وذكر الخطيب صفة دار الشجرة التي كانت في زمن المقتدر بالله وما فيها من الفرش والستور والخدم والممالك والحشمة الباهرة والدنيا الظاهرة وأنها كان بها أحد عشر ألف طواشي وسبعمئة حاجب وأما الممالك فألوف لا يحصون كثرة وسيأتي ذكر ذلك مفصلاً في أيامهم ودولتهم التي ذهبت كأنها أحلام نوم بعد سنة ثلاثمائة وذكر الخطيب دار الملك التي بالمحرم وذكر الجوامع التي تقام فيها الجمعات وذكر الانهار والجسور التي بها وما كان في ذلك في زمن المنصور وما أحدث بعده إلى زمانه وأنشد لبعض الشعراء في جسر بغداد التي على دجله

يوم سرقنا في خلسة * في مجلس بقاء دجلة مفرد
رقق الهواء برقة وقدامه * فغدوت رقا للزمان المسعد
فكان دجلة طيلسان أبيض * والجسر فيها كالطراز الأسود
وقال آخر * يا حبذا جسر على متن دجلة

باتقان تأسيس وحسن ورونق

جمال وحسن للعراق ونزهة * وسلوة من أضناه فرط التشوق
تراه إذا ما جئته متأملاً * كسطر عبير خط في وسط مهرق
أوالعاج فيه الابنوس مرقش * مثال فيول تحتها أرض زئبق

والتقى مع السودان فهزموه أيضاً فلحقوه بالقيع فألقى لهم رداءه يشغلهم فيه حتى نجا بنفسه ومن اتبعه فلحق ببطن نخل على ليلتين من المدينة ووقع السودان على طعام المنصور كان مخزونا في دار مروان قد قدم به في البحر فنهبوه ونهبوا مال الجند الذين في المدينة من دقيق وسويق وغيره وباعوا ذلك بأرخص ثمن وذهب الخبر إلى المنصور بما كان من أمر السودان وخاف من معرفة ذلك فاجتمعوا وحطبتهم ابن أبي سيره وكان مسجوناً فصعد المنبر وفي رجليه القيود فحثهم على السمع والطاعة للمنصور وخوفهم شر ما صنعه مواليهم فاتفق رأيهم على ان يكفوا مواليهم ويفرقوهم ويذهبوا إلى أميرهم فيردوه إلى عمله ففعلوا ذلك فسكن الامر وهذا الناس وأنطقت الشرور ورجع عبدالله بن الربيع إلى المدينة فقطع يد وثيق وأبي النار وبهقلم ومسعر

وذكر الصولي قال ذكر أحمد بن أبي طاهر في كتاب بغداد أن ذراع بغداد من الجانبين ثلاثة وخمسون ألف جريب وأن الجانب الشرقي ستة وعشرون ألف جريب وسبعمئة وخمسون جريباً وأن عدة حماماتها ستون ألف حمام وأقل ما في كل حمام منها خمسة نفر حمامي وقيم وزبال ووقاد وسقاء وأن بازاء كل حمام خمسة مساجد فذلك ثلاثمائة ألف مسجد وأقل ما يكون في كل مسجد خمسة نفر يعني إماماً وقيماً ومأذوناً ومأمومين ثم تناقضت بعد ذلك ثم دثرت بعد ذلك حتى صارت كأنها خربة صورة ومعنى على ماسياتي بيانه في موضعه

وقال الحافظ أبو بكر البغدادي لم يكن لبغداد نظير في الدنيا في جلاله قدرها وفخامة أمرها وكثرة علاماتها وأعلامها وتميز خواصها وعوامها وعظم أقطارها وسعة أطرارها وكثرة دورها ودروبها ومنازلها وشوارعها ومساجدها وحماتها وخاناتها وطيب هوائها وعذوبة مائها وبرد ظلالها واعتدال صيفها وشتائها وصحة بيعها وخريفها وأكثر ما كانت عمارة وأهلا في أيام الرشيد ثم ذكرتنا قص أحوالها وهلم جرا إلى زمانه قلت وكذا من بعده إلى زماننا هذا ولا سيما في أيام هولوكو بن تولى بن جنكر بن خان التركي الذي ووضع معالمها وقتل خليفتها وعالمها وخرب دورها وهدم قصورها وأباد الخواص والعوام من أهلها في ذلك العام وأخذ الأموال والحواصل ونهب الذراري والأصائل وأورث بها حزنا يعدد به في المبكرات والأصائل وصيرها في الأقاليم وعبرة لكل معتبر عليم وتذكره لكل ذي عقل مستقيم وبدلت بعد تلاوة القرآن بالنغمات والألحان وإنشاد الأشعار وكان وبعد سماع الأحاديث النبوية بدرس الفلسفة اليونانية والمناهج الكلامية والتأويلات القرطبية وبعد العلماء بالأطباء وبعد الخليفة العباسي بشر الولاه من الاناسي وبعد الرياسة والنباهة بالخساسة والسفاهة وبعد الطلبة المشتغلين بالظلمة والعيارين وبعد العلم بالثقة والحديث وتعبير الرؤيا بالموشح ودوبيت ومواليا وما أصابهم ذلك إلا ببعض ذنوبهم وما ربك بظلام للعبيد والتحول منها في هذا الزمان لكثرة ما فيها من المنكرات الحسية والمعنوية وأكل الحشيشه والانتقال عنها إلى بلاد الشام الذي تكفل الله بأهلها أفضل وأكمل وأجمل وقد روى الامام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام وشرار أهل الشام إلى العراق

3 ما ورد في مدينة بغداد من الآثار وما فيها من الأخبار @ فيها أربع لغات بغداد وبغداد بأهمال الدال الثانية وإعجامها وبغدان بالنون آخره وبالميم مع ذلك أولا مغدان وهي كلمة أعجمية قيل أنها مركبة من يغ وداد فقيل يغ بستان وداد اسم رجل وقيل يغ اسم صنم وقيل شيطان وداد عطية الضم ولهذا كره عبدالله بن المبارك والأصمعي وغيرهما تسميتها بغداد وإنما يقال لها مدينة السلام وكذا أسماها بانيتها أبو جعفر المنصور لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام ومنهم من يسميها الزوراء فروى الخطيب البغدادي من طريق عمار بن سيف وهو متهم قال سمعت عاصم الأحول يحدث عن سفيان الثوري عن أبي جرير بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصرارة تجبي إليها خزائن الارض وملوكها جبابرة فلهي أسرع ذهابا في الارض من الوند الحديد في الارض الرخوة قال الخطيب وقد رواه عن عاصم الأحول سيف ابن أخت سفيان الثوري وهو أخو عمار بن يوسف قلت وكلاهما ضعيف متهم يرمى بالكذب ومحمد بن جابر اليماني ضعيف وأبو شهاب الحناطي ضعيف وروى عن سفيان الثوري

عن عاصم من طرق ثم أسند ذلك كله وأورد من طريق يحيى بن معين عن يحيى بن أبي كثير عن عمار بن سيف عن الثوري عن عاصم عن أبي عثمان عن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أحمد ويحيى ليس لهذا الحديث أصل وقال أحمد ما حدث به إنسان ثقة وقد علله الخطيب من جميع طرقه وساقه أيضا من طريق عمار بن سيف عن الثوري عن أبي عبيده حميد الطويل عن أنس بن مالك ولا يصح أيضا ومن طريق عمر بن يحيى عن سفيان عن قيس بن مسلم عن ربعي عن حذيفة مرفوعا بنحوه ولا يصح ومن غير وجه عن علي بن أبي طالب وابن مسعود وثوبان وابن عباس وفي بعضهما ذكر السفياني وأنه يخربها ولا يصح إسناد شيء من هذه الأحاديث وقد أوردها الخطيب باسنادها وألفاظها وفي كل منها نكاره وأقرب ما فيها عن كعب الاحبار وقد جاء في آثار عن كتب متقدمة أن بانيتها يقال له مقلاص وذو الدوانيق لبخله

3 فصل

@ محاسن بغداد ومساوئها وما روي في ذلك عن الائمة قال يونس بن عبدالله الأعلى الصدفي قال لي الشافعي هل رأيت بغداد قلت لا فقال ما رأيت الدنيا وقال الشافعي ما دخلت بلدا قط إلا عدته سفرا إلا بغداد فإنني حين دخلتها عدتها وطنا وقال بعضهم الدنيا بادية وبغداد حاضرتها وقال ابن عليه ما رأيت أعقل في

طلب الحديث من أهل بغداد ولا أحسن من دعه منهم وقال ابن مجاهد رأيت أبا عمر وبن العلاء في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال دعني من هذا من أقام ببغداد على السنة والجماعة ومات نقل من الجنة إلى الجنة وقال أبو بكر بن عياش الاسلام ببغداد وإنها لصياد تصيد الرجال ومن لم يرها لم يرا الدنيا وقال أبو معاوية بغداد دار الدنيا والآخرة وقال بعضهم من محاسن الاسلام يوم الجمعة ببغداد وصلاة يوم الجمعة ببغداد وصلاة التراويح بمكة ويوم العيد بطرسوس قال الخطيب من شهد يوم الجمعة بمدينة السلام عظم الله في قلبه محل الاسلام لأن مشايخنا كانوا يقولون يوم الجمعة ببغداد كيوم العيد في غيرها من البلاد وقال بعضهم كنت أواظب على الجمعة بجامع المنصور فعرض لي شغل فصليت في غيره فرأيت في المنام كأن قائلًا يقول تركت الصلاة في جامع المدينة وأنه ليصلي فيه كل جمعة سبعون وليًا وقال آخر أردت الانتقال من بغداد فرأيت كأن قائلًا يقول في المنام أنتقل من بلد فيه عشرة آلاف ولي لله عز وجل وقال بعضهم رأيت كأن ملكين أتيا بغداد فقال أحدهما لصاحبه أقبلها فقد حق القول عليها فقال الآخر كيف أقلب ببلد يختم فيها القرآن كل ليلة خمسة آلاف ختمه وقال أبو مسهر عن سعيد بن عبد العزيز بن سليمان بن موسى قال إذا كان علم الرجل حجازيا وخلقه عراقيا وصلاته شامية فقد كمل وقالت زبيدة لمنصور النمري قل شعرا تحب فيه بغداد الي فقد إختار عليها الرفاقه فقال ماذا ببغداد من طيب الافانين * ومن مناره للدنيا وللدن تحي الرياح بها المرضى إذا نسمت * وجوشيت بين أغصان الرياحين قال فأعطته ألفي دينار وقال الخطيب وقرأت في كتاب طاهر بن مظفر بن طاهر الخازن بخله من شعره

سقى الله صوب الغاديات محلة * ببغداد بين الكرخ فالخلد فالجسر هي البلدة الحسنة خصت لأهلها * بأشياء لم يجمعن مذكن في مصر هواء رقيق في اعتدال وصحة * وماء له طعم أذ من الخمر ودجلتها شيطان قد نظما لنا * بتاج إلى تاج وقصر إلى قصر تراها كمسك والمياه كفضة * وحصانها مثل اليواقيت والدر وقد أورد الخطيب في هذا أشعار كثيرة وفيما ذكرنا كفاية وقد كان الفراغ من بناء بغداد في هذه السنة أعني سنة ست وأربعين ومائة وقيل في سنة ثمان وأربعين وقيل إن خندقها وسورها كمل في سنة سبع وأربعين ولم يزل المنصور يزيد فيها ويتأنق في بنائها حتى آخر ما بنى فيها قصر الخلد فظن أنه يخلد فيها أو أنها تخلد فلا تخرب فعند كماله مات وقد خربت بغداد مرات كما سيأتي بيانه

قال ابن جرير وفي هذه السنة عزل المنصور سلم بن قتيبة عن البصرة وولى عليها محمد بن سليمان بن علي وذلك لأنه كتب إلى سلم يأمره بهدم بيوت الذين بايعوا إبراهيم بن عبدالله بن حسن فتوانى في ذلك فعزله وبعث ابن عمه محمد بن سليمان فعاتب بها فسادا وهدم دورا كثيرة وعزل عبدالله بن الربيع عن إمرة المدينة وولى عليها جعفر بن سليمان وعزل عن مكة السري بن عبدالله وولى عليها عبد الصمد بن علي قال وحج بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم ابن محمد بن علي قاله الواقدي وغيره قال وفيها غزا الصائفة من بلاد الروم جعفر بن حنظله البهرني وفيها توفي من الاعيان أشعث بن عبد الملك وهشام السائب الكلبي وهشام بن عروة وبزيد بن أبي عبيد في قول *2* ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائة

@ فيها أغار اشترخان الخوارزمي في جيش من الاتراك على ناحية أرمينية فدخلوا تفليس وقتلوا خلقا كثير وأسروا كثيرا من المسلمين وأهل الذمة وممن قتل يومئذ حرب بن عبدالله البراوندي الذي تنسب إليه الجربية ببغداد وكان مقيما بالموصل في الفين لمقابلة الخوارج فأرسله المنصور

لمساعدة المسلمين ببلاد أرمينية وكان في جيش جبريل بن يحيى فهزم جبريل وقتل حرب رحمه الله وفي هذه السنة كان مهلك عبد الله بن علي عم المنصور وهو الذي أخذ الشام من أيدي بني أمية وكان عليها واليا حتى مات السفاح فلما مات دعا إلى نفسه فبعث إليه المنصور أبا مسلم الخراساني فهزمه أبو مسلم وهرب عبدالله إلى عند

أخيه سليمان ابن علي والي البصرة فاختمه عنده مدة ثم ظهر المنصور على أمره فاستدعى به وسجنه فلما كان في هذه السنة عزم المنصور على الحج فطلب عمه عيسى بن موسى وكان ولي العهد من بعد المنصور عن وصية السفاح وسلم إليه عمه عبدالله بن علي وقال له إن هذا عدوي وعدوك فاقتله في غيبتك عنك ولا تتوانى وسار المنصور إلى الحج وجعل يكتب إليه من الطريق يستحثه في ذلك ويقول له ماذا صنعت فيما أودعت إليك منه مرة بعد مرة وأما عيسى بن موسى فإنه لما تسلم عمه حار في أمره وشاور بعض أهله فأشار بعضهم ممن له رأي أن المصلحة تقتضي أن لا تقتله وأبقه عندك وأظهر قتله فأنا نخشى أن يطالبك به جهرة فتقول قتله فيأمر بالقود فتدعى أنه أمرك بقتله بالسر بينك وبينه فتعجز عن إثبات ذلك فيقتلك به وإنما يريد المنصور قتله وقتلك ليستريح منكما معا فتغير عيسى بن موسى عند ذلك وأخفى عن عمه وأظهر أنه قتله فلما رجع المنصور من الحج أمر أهله أن يدخلوا عليه ويشفعوا في عمه عبدالله بن علي والحواء في ذلك فأجابهم إلى ذلك واستدعى عيسى بن موسى وقال له إن هؤلاء شفّعوا في عبدالله بن علي وقد أجبتهم إلى ذلك فسلمه إليهم فقال عيسى وأين عبدالله ذاك قتلته منذ أمرتني فقال المنصور لم أمرك بذلك ووجد ذلك وأن يكون تقدم إليه منه أمره في ذلك فأخضر عيسى الكتب التي كتب إليه المنصور مرة بعد مرة في ذلك فأنكر أن يكون أراد ذلك وصمم على الإنكار وصمم عيسى ابن موسى أنه قد قتله فأمر المنصور عند ذلك بقتل عيسى بن موسى قصاصا بعبد الله فخرج به بنو هاشم ليقتلوه فلما جاؤا بالسيف قال رودني إلى الخليفة فردوه إليه فقال له إن عمك حاضر ولم أقتله فقال هلم به فأخضر فسقط في يد الخليفة وأمر بسجنه بدار جدرانها مبنية على ملح فلما كان الليل أرسل على جدرانها الماء فسقط عليه البناء فهلك ثم أن المنصور خلع عيسى بن موسى عن ولاية العهد وقدم عليه ابنه المهدي وكان يجلسه فوق عيسى بن موسى عن يمينه ثم كان لا يلتفت إلى عيسى بن موسى وبهينه في الإذن والمشورة والدخول عليه والخروج من عنده ثم مازال يقصيه ويبعده ويتهدده ويتوعده حتى خلع نفسه بنفسه وباع لمحمد بن منصور وأعطاه المنصور على ذلك نحوًا من اثني عشر ألف درهم وانصلح أمر عيسى بن موسى وبنيه عند المنصور وأقبل عليه بعدما كان قد أعرض عنه وكان قد جرت بينهما قبل ذلك مكاتبات في ذلك كثيرة جدا ومراودات في تمهيد البيعة لابنه المهدي وخلع عيسى نفسه وإن العامة لا يعدلون بالمهدي أحدا وكذلك الأمراء والخواص ولم يزل به حتى أجاب إلى ذلك مكرها فعوضه عن ذلك ما ذكرنا وسارت بيعة المهدي في الآفاق شرقا وغربا وبعدا وقربا وفرح المنصور بذلك فرحا شديدا واستقرت الخلافة في ذريته إلى زماننا هذا فلم يكن الخليفة من بني العباس إلا من سلالاته ذلك تقدير العزيز العليم وفيها توفي عبيد الله بن عمر العمري وهاشم بن وهشام بن حسان صاحب الحسن البصري .

2 ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائة

@ فيها بعث المنصور حميد بن قحطبة لغزو الترك الذين عاثوا في السنة الماضية ببلاد تفلين فلم يجد منهم أحدا فإنهم انشمروا إلى بلادهم وحج بالناس فيها جعفر بن أبي جعفر ونواب البلاد فيها هم المذكرون في التي قبلها وفيها توفي جعفر بن محمد الصادق المنسوب إليه كتاب اختلاج الاعضاء وهو مكذوب عليه وفيها توفي سليمان بن مهران الأعمش أحد مشايخ الحديث في ربيع الأول منها وعمر بن الحارث والعوام بن حوشب والزبيدي ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ومحمد بن عجلان .

2 ثم دخلت سنة تسع وأربعين ومائة

@ فيها فرغ من بناء سور بغداد وخذقها وفيها غزا الصائفة العباس بن محمد فدخل بلاد الروم ومعه الحسين بن قحطبة ومحمد بن الأشعث ومات محمد بن الأشعث في الطريق وفيها حج بالناس محمد بن إبراهيم بن علي وولاه المنصور على مكة والحجاز عوضا عن عمه عبد الصمد بن علي وعمال الأمصار فيها هم الذين كانوا في السنة قبلها وفيها توفي زكريا بن أبي زائدة وكهمس بن الحسن والمثنى بن الصباح وعيسى بن عمر أبو عمرو الثقفي البصري النحوي شيخ سيبويه يقال إنه من موالي خالد بن الوليد وإنما نزل في ثقيف فنسب

إليهم وكان اماما كبيرا جليلا في اللغة والنحو والقراءات أخذ ذلك عن عبيد الله بن كثير وابن المحيص وعبدالله بن أبي اسحاق وسمع الحسن البصري وغيرهم وعنه الخليل بن أحمد الاصمعي وسيبويه ولزمه وعرف به وانتفع به وأخذ كتابه الذي سماه بالجامع فزاد عليه وبسطه فهو كتاب سيبويه اليوم وإنما هو كتاب شيخه وكان سيبويه يسأل شيخه الخليل بن أحمد عما أشكل عليه فيه فسأله الخليل أيضا عما صنف عيسى بن عمر فقال جمع بضعا وسبعين كتابا ذهبت كلها إلا كمال وهو بأرض فارس وهو الذي اشتغل فيه وأسألك عن غوامضه فأطرق الخليل ساعة ثم أنشد

ذهب النحو جميعا كله * غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع * وهما للناس شمس وقمر

وقد كان عيسى يغرب ويتقعر في عبارته جدا وقد حكى الجوهري عنه في الصحاح أنه سقط يوما عن حماره فاجتمع عليه الناس فقال مالكم تكأ تكأ كأتتم على تكأ كأتتم على تكأ كؤكم ذي مرة افرنقوا عني معناه مالكم تجمعتم علي تجمعتكم على مجنون انكشفوا عني وقال غيره كان به ضيق نفس مسقط بسببه فاعتقد الناس أنه مصروع فجعلوا يعودونه ويقرؤون عليه فلما أفاق من غشيته قال ما قال فقال بعضهم إني حسبته يتكلم بالفارسية وذكر ابن خلكان أنه كان صاحبا لأبي عمر بن العلاء وأن عيسى بن عمر قال يوما لأبي عمرو بن العلاء أنا أفصح من معد بن عدنان فقال له أبو عمرو كيف تقرأ هذا البيت

قد كن يخبان الوجوه تسترا * فالיום حين بدان للنظار
أو بدين فقال بدين فقال أبو عمرو أخطأت ولو قال بدان لأخطأ أيضا وإنما أراد أبو عمرو تغليطه وإنما الصواب بدون من بدا بيد وإذا ظهر وبدأ يبدأ إذا شرع في الشيء .
2 ثم دخلت سنة خمسين ومائة من الهجرة

@ فيها خرج رجل من الكفرة يقال له استاذسيس في بلاد خراسان فاستحوذ على أكثرها والتف معه نحو ثلاثمائة الف وقتلوا المسلمين هنالك خلقا كثير وهزموا الجيوش في تلك البلاد وسبوا خلقا كثير وتحكم الفساد بسببهم وتفاقم أمرهم فوجه المنصور خازم بن خزيمه إلى ابنه المهدي ليوليه حرب تلك البلاد ويضم إليه من الأجناد ما يقاوم أولئك فنهض المهدي في ذلك نهضة هاشمية وجمع الخازم بن خزيمه الامرة على تلك البلاد والجيوش وبعثه نحو من أربعين ألفا فسار إليهم وما زال يراوغهم ويمكرهم ويعمل الخديعة فيهم حتى فاجأهم بالحرب وواجههم بالطعن والضرب فقتل منهم نحو سبعين ألفا وأسر منهم أربعة عشر ألفا وهرب ملكهم استاذسيس فتحرز في جبل فجاء خازم إلى تحت الجبل وقتل أولئك الاسرى كلهم ولم يزل يحاصره حتى نزل على حكم بعض الأمراء فحكم أن يقيد بالحديد هو وأهل بيته وأن يعتق من معه من الأجناد وكانوا ثلاثين ألفا ففعل خازم ذلك كله وأطلق لكل واحد ممن كان مع استاذسيس ثوبين وكتب بما وقع من الفتح إلى المهدي فكتب المهدي بذلك إلى ابيه المنصور وفيها عزل الخليفة عن إمرة المدينة جعفر بن سليمان وولاه الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب وفيها حج بالناس عبد الصمد بن عم الخليفة وتوفي فيها جعفر ابن أمير المؤمنين المنصور ودفن أولا بمقابر بني هاشم من بغداد ثم نقل منها إلى موضع آخر وفيها توفي عبدالملك بن عبد العزيز بن جريح أحد أئمة أهل الحجاز ويقال إنه أول من جمع السنن وعثمان بن الاسود وعمر بن محمد بن زيد وفيها توفي الامام أبو حنيفة .

3 ذكر ترجمته

@ هو الامام أبو حنيفة وأسمه النعمان بن ثابت التيمي مولاهم الكوفي فقيه العراق وأحد أئمة الاسلام والسادة الاعلام وأحد أركان العلماء وأحد الأئمة أصحاب المذاهب المتنوعة وهو أقدمهم وفاة لأنه أدرك عصر الصحابة ورأى أنس بن مالك قيل وغيره وذكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة فالله أعلم .

وروى عن جماعة من التابعين منهم الحكم وحماد بن أبي سليمان وسلمه بن كهل وعامر الشعبي وعكرمة وعطاء وقتادة والزهرى ونافع مولى ابن عمر ويحيى بن سعيد الانصاري وأبو اسحاق السبيعي وروى عنه جماعة منهم ابنه حماد وإبراهيم بن طهمان واسحاق بن يوسف الازرق وأسد بن عمر والقاضي والحسن بن زياد اللؤلؤي وحمزة الزيات وداود

الطائي وزفر وعبدالرزاق وأبو نعيم ومحمد بن الحسن الشيباني وهشيم ووكيع وأبو يوسف القاضي وقال يحيى بن معين كان ثقة وكان من أهل الصدق ولم يتهم بالكذب ولقد ضربه ابن هبيرة على القضاء فأبى أن يكون قاضيا وقد كان يحيى بن سعيد يختار قوله في الفتوى وكان يحيى يقول لا تكذب الله ما سمعناه أحسن من رأي أبي حنيفة وقد أخذ بأكثر أقواله وقال عبدالله بن المبارك لولا أن الله أعانني بأبي حنيفة وسفيان الثوري لكنت كسائر الناس وقال في الشافعي رأيت رجلا لو كلمك في هذا السارية أن يجعلها ذها لقام بحجته وقال الشافعي من أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة ومن أراد السير فهو عيال على محمد بن اسحاق ومن أراد الحديث فهو عيال على مالك ومن أراد التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان وقال عبدالله بن داود الحربي ينبغي للناس أن يدعوا في صلاتهم لأبي حنيفة لحفظه الفقه والسنة عليهم وقال سفيان الثوري وابن المبارك كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه وقال أبو نعيم كان صاحب غوص في المسائل وقال مكى بن إبراهيم كان أعلم أهل الأرض وروى الخطيب بسنده عن أحمد بن عمرو أن أبا حنيفة كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن كل ليلة ويبكي حتى يرحمه جيرانه ومكث أربعين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء وختم القرآن في الموضوع الذي توفي فيه سبعين الف مرة وكانت وفاته في رجب من هذه السنة أعني سنة خمسين ومائة وعن ابن معين سنة إحدى وخمسين وقال غيره سنة ثلاث وخمسين والصحيح الأول وكان مولده في سنة ثمانين فتم له من العمر سبعون سنة وصلّى عليه ببغداد ست مرات لكثرة الزحام وقبره هناك رحمه الله .

2 ثم دخلت سنة إحدى وخمسين ومائة

@ فيها عزل المنصور عمر بن حفص عن السند وولى عليها هشام بن عمرو التغلبي وكان سبب عزله عنها أن محمد بن عبدالله بن حسن لما ظهر بعث ابنه عبدالله الملقب بالاشتر ومعه جماعة بهدية وخيول عتاق إلى عمر بن حفص هذا إلى السند فقبلها فدعوه إلى دعوة أبيه محمد بن عبدالله بن حسن في السير فأجابهم بذلك ولبسوا البياض ولما جاء خبر مقتل محمد بن عبدالله بالمدينة سقط في أيديهم وأخذوا في الاعتذار إلى عبدالله بن محمد فقال له عبدالله إني أخشى على نفسي فقال إني سأبعثك إلى ملك من المشركين في جوار أرضنا وأنه من أشد الناس تعظيما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه متى عرفك أنك من سلالة أحبك فأجابه إلى ذلك وسار عبدالله بن محمد إلى ذلك الملك وكان عنده أمانا وصار عبدالله يركب في موكب الزيدية ويتصيد في جحفل من الجنود وانضم إليه خلق وقدم عليه طوائف من الزيدية .

وأما المنصور فإنه بعث يعتب على عمر بن حفص نائب السند فقال رجل من الأمراء إبعثنى إليه واجعل القضية مسندة إلى فإني سأعتذر إليه من ذلك فإن سلمت وإلا كنت فداءك وفداء من عندك من الأمراء فأرسله سفيرا في القضية إلى المنصور فلما وقف بين يدي المنصور أمر بضرب عنقه وكتب إلى بن حفص بعزله عن السند وولاه بلاد إفريقية عوضا عن أميرها ولما وجه المنصور هشام بن عمرو إلى السند أمره أن يجتهد في تحصيل عبدالله بن محمد فجعل يتوانى في ذلك فبعث إليه المنصور يستحثه في ذلك ثم اتفق الحال أن سيفا أبا هشام بن عمرو لقي عبدالله بن محمد في بعض الأماكن فاقتتلوا فقتل عبدالله وأصحابه جميعا واشتبه عليهم مكانه في القتل فلم يقدروا عليه فكتب هشام بن عمرو إلى المنصور يعلمه بقتله فبعث يشكره على ذلك ويأمر بقتال الملك الذي آواه ويعلمه أن عبدالله كان قد تسرى بجارية هنالك وأولدها ولدا أسماه محمدا فاذا ظفرت بالملك فاحتفظ بالغلام فنهض هشام بن عمرو إلى ذلك الملك فقاتله فغلبه وقهره على بلاده وأمواله وحواصله وبعث بالفتح والاحماس وبذلك الغلام والملك إلى المنصور ففرح النصور بذلك وبعث الغلام إلى المدينة وكتب المنصور إلى نائبها يعلمه بصحة نسبه

وفي هذه السنة قدم المهدي بن المنصور على أبيه من خراسان فتلغاه أبوه والأمراء والأكابر إلى اثناء الطريق وقدم بعد ذلك نواب الشام وغيرها للسلام عليه وتهنئته بالسلامة والنصر وحمل إليه من الهدايا والتحف ما لا يحد ولا يوصف

3 بناء الرصافة

@ قال ابن جرير وفي هذه السنة شرع المنصور في بناء الرصافة لابنه المهدي بعد مقدمه من خراسان وهي في الجانب الشرقي من بغداد وجعل لها سورا وخذقا وعمل عندها ميدانا وبستانا وأجرى إليها الماء من نهر المهدي قال ابن جرير :
وفيهما جدد المنصور البيعة لنفسه ثم لولده المهدي من بعده ولعيسى بن موسى من بعدهما وجاء الأمراء والخوارج فبايعوا وجعلوا يقبلون يد المنصور ويد ابنه ويلمسون يد عيسى بن موسى ولا يقبلونها قال الواقدي وولى المنصور معن بن زائدة سجستان .
وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي وهو نائب مكة والطائف وعلى المدينة الحسن بن زيد وعلى الكوفة محمد بن سليمان وعلى البصرة جابر بن زيد الكلابي وعلى مصر يزيد بن حاتم ونائب خراسان حميد بن قحطبة ونائب سجستان معن بن زائدة وغزا الصائفة فيها عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد .
وفيهما توفي حنظلة بن أبي سفيان وعبدالله بن عون ومحمد بن اسحاق بن يسار صاحب السيرة النبوية التي جمعها وجعلها علما يهتدى به وفخرا يستجلى به والناس كلهم عيال عليه في ذلك كما قال الشافعي وغيره من الأئمة .

2 ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين ومائة

@ فيها عزل المنصور عن إمرة مصر يزيد بن حاتم وولاه محمد بن سعيد وبعث إلى نائب إفريقية وكان قد بلغه أنه عصى وخالف فلما جيء به أمر بضرب عنقه وعزل عن البصرة جابر ابن زيد الكلابي وولاه يزيد بن منصور وفيها قتل الخوارج معن بن زائدة بسجستان وفيها توفي عباد بن منصور ويونس بن يزيد اليلي .

2 ثم دخلت سنة ثلاث وخمسون ومائة

@ وفيها غضب المنصور على كاتبه أبي أيوب المرواني وسجنه وسجن أخاه خالدًا وبنى أخيه الاربعة سعيد ومسعودا ومخلدا ومحمدا وطالهم بالأموال الكثيرة وكان سبب ذلك ما ذكره ابن عساکر في ترجمة أبي جعفر المنصور وهو انه كان في زمن شبته قد ورد الموصل وهو فقير لا شيء له ولا معه شيء فاجر نفسه من بعض الملاحين حتى اكتسب شيئًا تزوج به امرأة ثم جعل بعدها ويمنيها أنه من بيت سيصير الملك إليهم سريعًا فاتفق حبلاها منه ثم تطلبه بنو أمية فهرب عنها وتركها حاملًا ووضع عندها رقعة فيها نسبه وأنه عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وأمرها إذا بلغها أمره أن تأتيه وإذا ولدت غلامًا أن تسميه جعفرًا فولدت غلامًا فسمته جعفرًا ونشأ الغلام فتعلم الكتابة وعوى العربية والأدب وأتقن ذلك إتقانًا جيدًا ثم آل الأمر إلى بني العباس فسألت عن السفاح فاذا هو ليس صاحبها ثم قام المنصور وصار الولد إلى بغداد فاختلف بكتاب الرسائل فأعجب به أيوب المرواني صاحب ديوان الانشاء للمنصور وحظي عنده وقدمه على غيره فاتفق حضوره معه بين يدي الخليفة فجعل الخليفة يلاحظه ثم بعث يومًا الخادم ليأتيه بكتاب فدخل ومعه الغلام فكتب بين يدي المنصور كتابًا وجعل الخليفة ينظر إليه ويتامله ثم سأله عن سنه فأخبره أنه جعفر فقال ابن من فسكت الغلام فقال مالك لا تتكلم فقال يأمرير المؤمنين إن من خبري كيت وكيت فتغير وجه الخليفة ثم سأله عن أمه فأخبره وسأله عن أحوال بلد الموصل فجعل يخبره والغلام يجيب ثم قام إليه الخليفة فاحتضنه وقال أنت إبني ثم بعثه بعقد ثمين ومال جزيل وكتاب إلى أمه يعلمها بحقيقة الامر وحال الولد وخرج الغلام ومعه ذلك من باب سر الخليفة فأحرز ذلك ثم جاء إلى أبي أيوب فقال ما بطأ بك عند الخليفة فقال إنه استكتبني في رسائل كثيره ثم تقاولا ثم فارقه الغلام مغضبا ونهض من فوره فاستأجر إلى الموصل ليعلم أمه ويحملها وأهلها إلى بغداد إلى أبيه الخليفة فسار مراحل ثم سأل عنه أبو أيوب فقيل سافر فظن أبو أيوب أنه أفشى شيئًا من أسرارهِ إلى الخليفة وفر منه فبعث في طلبه رسولًا وقال حيث وجدته فردهُ علي فسار الرسول في طلبه فوجده في بعض المنازل فخنقه وألقاه في بئر وأخذ ما كان معه فرجع إلى أبي أيوب فلما وقف أبو أيوب على الكتاب أسقط في يده وندم على بعثه خلفه وانتظر الخليفة عود ولده إليه واستبطاه وكشف عن خبره فاذا رسول أبي أيوب قد لحقه وقتله فحينئذ استحضر أبا أيوب وألزمه بأموال عظيمة وما زال في العقوبة حتى أخذ جميع أمواله وحواصله ثم قتله وجعل يقول هذا قتل حبيبي وكان المنصور كلما ذكر ولده حزن عليه حزنًا شديدًا .

وفيه خرجت الخوارج من الصفرية وغيرهم ببلاد افريقية فاجتمع منهم ثلاثمائة الف وخمسون ألفا ما بين فارس وراجل وعليهم أبو حاتم الانماطي وأبو عباد وانظم إليهم أبو قرة الصفري في أربعين ألفا فقاتلوا نائب افريقية فهزموا جيشه وقتلوه وهو عمر بن عثمان بن أبي صفرة الذي كان نائب السند كما تقدم قتله هؤلاء الخوارج رحمه الله وأكثر الخوارج الفساد في البلاد وقتلوا الحرير والاولاد وفيها ألزم المنصور الناس بلبس قلانس سود طوال جدا حتى كانوا يستعينون عن رفعها من داخلها بالقصب فقال أبو دلامه الشاعر في ذلك:

وكنا نرجى من إمام زيادة * فزاد الامام المرتجى في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها * دنان يهود جللت بالبرانس
وفيه غزا الصائفة معيوف بن يحيى الحجوري فأسر خلقا كثيرا من الروم بنيف على سنة
الاف أسير وغنم أموالا جزيلة وحج بالناس المهدي بن المنصور وهو ولي العهد الملقب
بالمهدي وكان على نيابة مكة والطائف محمد بن إبراهيم وعلى المدينة الحسن بن زيد
وعلى الكوفة محمد بن سليمان وعلى البصرة يزيد بن منصور وعلى مصر محمد بن سعيد
وذكر الواقدي أن يزيد بن منصور كان ولاه المنصور في هذه السنة اليمن فالله أعلم .
وفيه توفي أبان بن صمه وأسامة بن زيد الليثي وثور بن يزيد الحمصي والحسن بن عمارة
وقطر بن خليفة ومعمر وهشام بن الغازي والله أعلم .

2 ثم دخلت سنة أربع وخمسين ومائة
@ فيها دخل المنصور بلاد الشام وزار بيت المقدس وجهز يزيد بن حاتم في خمسين ألفا
وولاه بلاد إفريقيا وأمر بقتال الخوارج وانفق على هذا الجيش نحو ثلاث وستين ألف درهم
وغزا الصائفة زفر بن عاصم الهلالي وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم ونواب البلاد
والاقاليم هم المذكورون في التي قبلها سوى البصرة فعليها عبدالملك بن أيوب بن طبيان
وفيه توفي أبو أيوب الكاتب وأخوه خالد وأمر المنصور ببنى أخيه أن تقطع أيديهم وأرجلهم
ثم تضرب بعد ذلك أعناقهم ففعل ذلك بهم وفيها توفي .

3 أشعب الطامع
@ وهو أشعب بن جبير أبو العلاء ويقال أبو اسحاق المدني ويقال له أبو حميدة وكان أبوه
مولى لآل الزبير قتله المختار وهو خال الواقدي .
وروى عن عبدالله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في اليمين وأبان
بن عثمان وسالم وعكرمه وكان طريفا ماجنا يحبه أهل زمانه لخلاعه وطمعه وكان حميد
الغناء وقد وفد على الوليد بن زيد فترجمه ابن عساكر ترجمة ذكر عنه فيها أشياء مضحكة
واسند عنه حديثين .

وروى عنه أنه سئل يوما أن يحدث فقال حدثني عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال خصلتان من عمل بهما دخل الجنة ثم سكت فقيل له ما هما فقال نسي
عكرمة الواحد ونسيت أنا الأخرى وكان سالم بن عبدالله ابن عمر يستخفه ويستحليه
ويضحك منه وبأخذه معه إلى الغابة وكذلك كان غيره من أكابر الناس وقال الشافعي عبث
الولدان يوما بأشعب فقال لهم إن ههنا أناسا يفرقون الجوز ليطردهم
عنه فتسارع الصبيان إلى ذلك فلما رأهم مسرعين قال لعله حق فبتبعهم وقال له رجل ما بلغ
من طمعك فقال ما زفت عروس بالمدينة إلا رجوت أن تزف إلي فأكسح داري وأنظف بابي
واكنس بيتي واجتاز يوما برجل يصنع طبقا من قش فقال له زد فيه طورا أو طورين لعله أن
يهدي يوما لنا فيه هدية وروى ابن عساكر أن أشعب غنى يوما لسالم بن عبدالله بن عمر
قول بعض الشعراء :

مضين بها والبدر يشبه وجهها * مطهرة الأتواب والدين وافر
لها حسب زاك وعرض مهذب * وعن كل مكروه من الامر زاجر
من الخفرات البيض لم تلق ربية * ولم يستملها عن تقى الله شاعر
فقال له سالم أحسنت فزدنا فغنائه
قال ابن جرير وفي هذه السنة عزل المنصور سلم بن قتيبة عن البصرة وولى عليها محمد
بن سليمان بن علي وذلك لأنه كتب إلى سلم يأمره بهدم بيوت الذين بايعوا إبراهيم بن

عبدالله بن حسن فتوانى في ذلك فعزله وبعث ابن عمه محمد بن سليمان فعاث بها فسادا وهدم دورا كثيرة وعزل عبدالله بن الربيع عن إمرة المدينة وولى عليها جعفر بن سليمان وعزل عن مكة السرى بن عبدالله وولى عليها عبد الصمد بن علي قال وحج بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم ابن محمد بن علي قاله الواقدي وغيره قال وفيها غزا الصائفة من بلاد الروم جعفر بن حنظله البهرني وفيها توفي من الاعيان أشعث بن عبد الملك وهشام السائب الكلبي وهشام بن عروة وبزید بن أبي عبيد في قول ألمت بنا والليل داج كأنه جناح غراب عنه قد نفص القطرا فقلت أعطار نوى في رحالنا * وما علمت ليلي سوى ريحها عطرا فقال له أحسنت ولولا أن يتحدث الناس لأجزلت لك الجائزة وإنك من الأمر لمكان وفيها توفي جعفر بن برقان والحكم بن أبان وعبد الرحمن بن زيد بن جابر وقرعة بن خالد وأبو عمرو بن العلاء أحد أئمة القراء واسمه كنيته وقيل اسمه ريان والصحيح الأول وقال أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان بن عبدالله بن الحصين التميمي المازني البصري وقيل غير ذلك في نسبه كان علامة زمانه في الفقه والنحو وعلم القراءات وكان من كبار العلماء العاملين يقال إنه كتب ملء بيت من كلام العرب ثم تزهد فأحرق ذلك كله ثم راجع الأمر الأول فلم يكن عنده إلا ما كان يحفظه من كلام العرب وكان قد لقي خلقا كثيرا من أعراب الجاهلية كان مقدما أيام البصري ومن بعده من اختباراته في العربية قوله في تفسيره الغرة في الجنين إنها لا يقبل إلا أبيض غلاما ما كان أو جارية فهم ذلك من قوله عليه السلام غرة عبد أو أمة ولو أريد عبد كان أو جارية لما قيده بالغرة وإنما الغرة البياض قال ابن خلكان وهذا غريب ولا أعلم هل يوافق قول أحد الأئمة المجتهدين أم لا وذكر عنه أنه كان إذا دخل شهر رمضان لا ينشد بيتا حتى ينسلخ وإنما كان يقرأ القرآن وأنه كان يشتري له كل يوم كوزا جديدا وربحانا طريا وقد صحبه الاصمعي نحو من عشر سنين .

كانت وفاته في هذه السنة وقيل في سنة ست وخمسين وقيل تسع وخمسين فالله أعلم وقد قارب التسعين وقيل إنه جاوزها فالله أعلم وقبره بالشام وقيل بالكوفة فالله أعلم . وقد روى ابن عساکر في ترجمة صالح بن علي بن عبدالله بن العباس عن أبيه عن جده عبدالله بن عباس مرفوعا لأن يربي أحدكم بعد أربع وخمسين ومائة جرو وكلب خير له من أن يربي ولدا لصلبه وهذا منكر جدا وفي أسناده نظر ذكره من طريق تمام عن خثيمة بن سلمان عن محمد بن عوف الحمصي عن أبي المغيرة عبدالله بن السمط عن صالح به وعبدالله بن السمط هذا لا أعرفه وقد ذكره شيخنا الحافظ الذهبي في كتابه الميزان وقال روى عن صالح بن علي حديثا موضوعا .

2 ثم دخلت سنة خمس وخمسين ومائة

@ فيها دخل يزيد بن حاتم بلاد إفريقية فافتتحها عودا على بدء وقتل من كان فيها ممن تغلب عليها من الخوارج وقتل أمراءهم وأسرى كبراءهم وأذل أشرافهم واستبدل أهل تلك البلاد بالخوف أمنا وسلامة وبالاهانة كرامة وكان من جملة من قتل من أمرائهم أبو حاتم وأبو عباد الخارجي ثم لما استقامت له وبه الامور في البلدان دخل ذلك بلاد الفيروان فمهدها وأقر أهلها وقرر أمورها وأزال محذورها والله سبحانه أعلم .

3 بناء الرافقة وهي المدينة المشهورة

@ وفيها أمر المنصور ببناء الرافقة على منوال بناء بغداد في هذه السنة وأمر فيها ببناء سور وعمل خندق حول الكوفة وأخذ ما غرم على ذلك من أموال أهلها من كل إنسان من أهل اليسار أربعين درهما وقد فرضها أولا خمسة دراهم ثم جباها أربعين أربعين فقال في ذلك بعضهم

ذاك إكمال وهذا جامع * وهما للناس شمس وقمر
ذاك إكمال وهذا جامع * وهما للناس شمس وقمر
بالقومي مارأينا * في أمير المؤمنين
قسم الخمسة فينا * وجبانا أربعينا .

وفيهما غزا الصائفة يزيد بن أسد السلمي وفيها طلب ملك الروم الصلح من المنصور على أن يحمل إليه الجزية وفيها عزل المنصور أخاه العباس بن محمد عن الجزيرة وغرمه أموالا كثيرة وفيها عزل محمد بن سليمان بن علي عن إمرة الكوفة فقبل لأمر بلغته عنه في تعاطي منكرات وأمور لا تليق بالعمال وقيل لقتله محمد بن أبي العوجاء وقد كان ابن وقيل محمد بن أبي العوجاء هذا زنديقا يقال إنه لما أمر بضرب عنقه اعترف على نفسه بوضع أربعة آلاف حديث يحل فيها الحرام ويحرم فيها الحلال ويصوم الناس يوم الفطر ويفطروهم في أيام الصيام فأراد المنصور أن يجعل قتله له ذنبا فعزله به وإنما أراد أن يقيده منه فقال له عيسى بن موسى يا أمير المؤمنين لاتعزله بهذا ولا تقتله به فإنه إنما قتله على الزندقه ومتى عزلته به شكره العامه ودموك فتركه حينما ثم عزله وولى مكانه على الكوفة عمر بن زهير وفيها عزل عن المدينة الحسن بن زيد وولى عليها عمه عبد الصمد بن علي وجعل معه فليح بن سليمان مشرفا عليه وعلى إمرة مكة محمد بن إبراهيم بن محمد وعلى البصرة الهيثم بن معاوية وعلى مصر محمد بن سعيد وعلى إفريقية يزيد بن حاتم وفيها توفي صفوان ابن عمر وعثمان بن أبي العاتكة الدمشقيان وعثمان بن عطاء ومسعر بن كدام .
3 حماد الراوية

@ وهو ابن أبي ليلي ميسرة ويقال سابور بن المبارك بن عبيد الديلمي الكوفي مولى بكير ابن زيد الخيل الطائي كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها ولغاتها وهو الذي جمع السبع العلقات الطوال وإنما سمى الرواية لكثرة روايته الشعر عن العرب اختبره الوليد بن يزيد بن عبد الملك أمير المؤمنين في ذلك فأنشده تسعا وعشرين قصيدة على حروف المعجم كل قصيدة نحو من مائة بيت وزعم أنه لا يسمى شاعر من شعراء العرب إلا أنشد له ما لا يحفظه غيره فأطلق له مائة ألف درهم وذكر أبو محمد الحريري في كتابه درة الغواص أن هشام بن عبد الملك استدعاه من العراق من نائبه يوسف بن عمر فلما دخل عليه إذا هو في دار قوراء مرخمة بالرخام والذهب وإذا عنده جاريتان حسنتان جدا فاستنشده شيئا فأنشده فقال له سل حاجتك فقال كائنة ما كانت يا أمير المؤمنين فقال وما هي فقال تطلق لي إحدى هاتين الجاريتين فقال هما وما عليهما لك وأخلاه في بعض داره وأطلق له مائة ألف درهم هذا ملخص الحكاية والظاهر أن هذا الخليفة إنما هو الوليد بن يزيد فإنه ذكر أنه شرب معه الخمر وهشام لم يكن يشرب ولم يكن نائبه على العراق يوسف بن عمر إنما كان نائبه خالد بن عبدالله القسري وبعده يوسف بن عمر بن عبد العزيز وكانت وفاة حماد في هذه السنة عن ستين سنة قال ابن خلكان وقيل إنه أدرك أول خلافة المهدي في سنة ثمان وخمسين فالله أعلم .

وفيهما قتل حماد عجرد على الزندقه وهو حماد بن عمر بن يوسف بن كليب الكوفي ويقال إنه واسطى مولى بني سواد وكان شاعرا ماجنا ظريفا زنديقا متهما على الاسلام وقد أدرك الدولتين الأموية والعباسية ولم يشتهر إلا في أيام بنى العباس وكان بينه وبين بشار بن برد مهاجاة كثيرة وقد قتل بشار هذا على الزندقه أيضا كما سيأتي ودفن مع حماد هذا في قبره وقيل إن حمادا عجرد مات سنة ثمان وخمسين وقيل إحدى وستين ومائة فالله أعلم .
2 ثم دخلت سنة ست وخمسين ومائة

@ فيها ظفر الهيثم بن معاوية نائب المنصور على البصرة بعمره بن شداد الذي كان عاملا لإبراهيم ابن محمد على فارس فقبل أمر فقتعت يده ورجلاه وضربت عنقه ثم صلب وفيها عزل المنصور الهيثم بن معاوية هذا الذي فعل هذه الفعلة عن البصرة وولى عليها قاضيا سوار بن عبدالله فجمع له بين القضاء والصلاة وجعل على شرطتها وأحداثها سعيد بن دعلج ورجع الهيثم بن معاوية قاتل عمرو بن شداد إلى بغداد فمات فيها فجأة في هذه السنة وهو على بطن جارية له وصلى عليه المنصور ودفن في مقابر بني هاشم ويقال أصابته دعوة عمر بن شداد الذي قتله تلك القتل فليتيق العبد الظالم .

وحج بالناس العباس بن محمد أخو المنصور ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها وعلى فارس والأهواز وكور دجلة عمارة بن حمزة وعلى كرمان والسند هشام بن عمرو وفيها توفي حمزة الزيات في قول وهو أحد القراء المشهورين والعباد المذكورين وإليه تنسب المدود الطويلة في القراءة اصطلاحا من عنده وقد تكلم فيه بسببها بعض الأئمة

وأذكروها عليه وسعيد بن أبي عروبة وهو أول من جمع السنن في قول وعبد الله بن شوذب وعبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وعمر بن ذر .
2 ثم دخلت سنة سبع وخمسين ومائة

@ فيها بني المنصور قصره المسمى بالخلد في بغداد تفاؤلا بالتخليد في الدنيا فعند كماله مات وخرب القصر من بعده وكان المستحث في عمارته أبان بن صدقة والربيع مولى المنصور وهو حاجبه وفيها حول المنصور الأسواق من قرب دار الامارة إلى باب الكرخ وقد ذكرنا فيما تقدم سبب ذلك وفيها أمر بتوسعة الطرقات وفيها أمر بعمل جسر عند باب الشعير وفيها استعرض المنصور جنده وهم ملبسون السلاح وهو أيضا لابس سلاحا عظيما وكان ذلك عند دجلة وفيها عزل عن السند هشام بن عمرو وولي عليها سعيد بن الخليل وفيها غزا الصائفة يزيد بن أسيد السلمي فأوغل في بلاد الروم وبعث سنانا مولى البطلان مقدمة بين يديه ففتح حصونا وسبى وغنم وفيها حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي ونواب البلاد هم المذكورون في التي قبلها وفيها توفي الحسين بن واقد والامام الجليل علامة الوقت أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فقيه أهل الشام وإمامهم وقد بقي أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحو من مائتين وعشرين سنة .
3 شيء من ترجمة الأوزاعي رحمه الله

@ هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمرو الأوزاعي والأوزاع بطن من حمير وهو من أنفسهم قال محمد بن سعد وقال غيره لم يكن من أنفسهم وإنما نزل في محله الأوزاع وهي قرية خارج باب الفراديس من قرى دمشق وهو ابن عم يحيى بن عمرو الشيباني قال أبو زرعة وأصله من سبى السند فنزل الأوزاع فغلب عليه النسبة إليها وقال غيره ولد بعلبك ونشأ بالبقيع يتيما في حجر أمه وكانت تنتقل به من بلد إلى بلد وتادب بنفسه فلم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه ولا أروع ولا أعلم ولا أفصح ولا أوقر ولا أحلم ولا أكثر صمتا منه ما تكلم بكلمة إلا كان المتعین على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها

وكان يعاني الرسائل والكتابة وقد اکتتب مرة في بعث إلى الإمامة فسمع الحديث من يحيى بن أبي كثير وانقطع إليه فأرشدته إلى الرحلة إلى البصرة لیسع من الحسن وابن سيرين فسار إليها فوجد الحسن قد توفي من شهرين ووجد ابن سيرين مريضا فجعل يتردد لعيادته فقوي المرض به ومات ولم يسمع منه الأوزاعي شيئا ثم جاء فنزل دمشق بمحلة الأوزاع خارج باب الفراديس وساد أهلها في زمانه وسائر البلاد في الفقه والحديث المغازي وغير ذلك من علوم الاسلام وقد أدرك خلقا من التابعين وغيرهم وحدث عنه جماعات من سادات المسلمين كمالك بن أنس والثوري والزهري وهو من شيوخه وأثنى عليه غير واحد من الأئمة وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته قال مالك كان الأوزاعي إماما يقتدى به وقال سفيان بن عيينة وغيره كان الأوزاعي إمام أهل زمانه وقد حج مرة فدخل مكة وسفيان الثوري أخذ بزمام جملة ومالك بن أنس يسوق به والثوري يقول أفسحوا للشيخ حتى أجلساه عند الكعبة وجلسا بين يديه يأخذان عنه وقد تذاكر مالك والأوزاعي مرة بالمدينة من الظهر حتى صليا العصر ومن العصر حتى صليا المغرب فغمره الأوزاعي في المغازي وغمره مالك في الفقه أو في شيء من الفقه وتناظر الأوزاعي والثوري في مسجد الخليفة في مسألة رفع اليدين في الركوع والرفع منه فاحتج الأوزاعي على الرفع في ذلك بما رواه عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في الركوع والرفع منه واحتج الثوري بحديث يزيد بن أبي زياد فغضب الأوزاعي وقال تعارض حديث الزهري بحديث يزيد بن أبي زياد وهو رجل ضعيف فاحمار وجه الثوري فقال الأوزاعي لعلك كرهت ما قلت قال نعم قال فقم بنا حتى نلتعن عند الركن أينما على الحق فسكت الثوري وقال هقل بن زياد أفتي الأوزاعي في سبعين ألف مسألة بحديثنا وأخبرنا وقال أبو زرعة روى عنه ستون ألف مسألة وقال غيرهما أفتي في سنة ثلاث عشرة ومائة وعمره إذ ذاك خمس وعشرون سنة ثم لم يزل يفتي حتى مات وعقله زاك وقال يحيى القطان عن مالك اجتمع عندي الأوزاعي والثوري وأبو حنيفة فقلت أيهم أرجح قال الأوزاعي وقال محمد بن عجلان لم أر أحبا أنصح للمسلمين من الأوزاعي وقال غيره ما رؤى الأوزاعي صاحكا مقهقها قط ولقد كان يعط

الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه وبقلبه وما رأيناه يبكى في مجلسه قط وكان إذا خلى بكى حتى يرحم وقال يحيى بن معين العلماء أربعة الثوري وأبو حنيفة ومالك والأوزاعي قال أبو حاتم كان ثقة متبعا لما سمع قالوا وكان الأوزاعي لا يلحن في كلامه وكانت كتبه ترد على المنصور فينظر فيها ويتأملها ويتعجب من فصاحتها وحلاوة عباراتها وقد قال المنصور يوما لأحطى كتابه عنده وهو سليمان بن مجالد ينبغي أن نجيب الأوزاعي على ذلك دائما لنستعين بكلامه فيما نكتب به إلى الافاق إلى من لا يعرف كلام الأوزاعي فقال والله يا أمير المؤمنين لا يقدر أحد من أهل الأرض على مثل كلامه ولا على شيء منه وقال الوليد ابن مسلم كان الأوزاعي إذا صلى الصبح جلس يذكر الله سبحانه وتعالى حتى تطلع الشمس وكان يآثر عن السلف ذلك قال ثم يقومون فينذكرون في اللغة والفقه والحديث وقال الأوزاعي رأيت رب العزة في المنام فقال أنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال بفضلك أي رب ثم قلت يارب أمّتي على الإسلام فقال وعلى السنة وقال محمد بن سابور قال لي شيخ بجامع دمشق أنا ميت في يوم كذا وكذا فلما كان في ذلك اليوم رأيت في صحن الجامع يتفلى فقال لي اذهب إلى سرير الموتى فأحرزه لي عندك قبل أن تسبق إليه فقلت ماذا تقول فقال هو ما أقول لك وإني رأيت كأن قائلًا يقول فلان قدرني وفلان كذا وعثمان بن العاتكة نعم الرجل وأبو عمرو الأوزاعي خير من يمشي على وجه الأرض وأنت ميت في يوم كذا وكذا قال محمد بن شعيب فما جاء الظهر حتى مات وصلينا عليه بعدها وأخرجت جنازته ذكر ذلك ابن عساكر وكان الأوزاعي رحمه الله كثير العبادة حسن الصلاة ورعا ناسكا طويل الصمت وكان يقول من أطال القيام في صلاة الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة أخذ ذلك من قوله تعالى ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوم ثقيلا وقال الوليد بن مسلم ما رأيت أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعي في العبادة وقال غيره حج فما نام على الراحلة إنما هو في صلاة فاذا نعس استند إلى القتب وكان من شدة الخشوع كأنه أعمى ودخلت امرأة على الأوزاعي فرأت الحصر الذي يصلي عليه مبلولا فقالت لها لعل الصبي بال ههنا فقالت هذا أثر دموع الشيخ من بكائه في سجوده هكذا يصبح كل يوم وقال الأوزاعي عليك بأثار من سلف وأن رفضك الناس وإياك وأقوال الرجال وإن زخرفوه وحسنوه فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم وقال أيضا اصبر على السنة وقف حيث يقف القوم وقل ما قالوا وكف عما كفوا وليسعك ما وسعهم وقال العلم ما جاء عن أصحاب محمد ومالم يجيء عنهم فليس بعلم وكان يقول لا يجتمع حب علي و عثمان إلا في قلب مؤمن وإذا أراد الله بقوم شر فتح عليهم باب الجدل وسد عنهم باب العلم والعمل قالوا وكان الأوزاعي من أكرم الناس وأسخاهم وكان له في بيت المال على الخلفاء أقطاع صار إليه من بني أمية وقد وصل إليه من خلفاء بني أمية وأقاربهم وبني العباس نحو سبعين ألف دينار فلم يمسك منها شيئا ولا اقتنى شيئا من عقار ولا غيره ولا ترك يوم مات سوى سبعة دنائير كانت جهازه بل كان ينفق ذلك في سبيل الله وفي الفقراء والمساكين

ولما دخل عبدالله بن علي عم السفاح الذي أجلى بني أمية عن الشام وأزال الله سبحانه وتعالى دولتهم على يده دمشق فطلب الأوزاعي فتغيب عنه ثلاثة أيام ثم حضر بين يديه قال الأوزاعي دخلت عليه وهو على سرير وفي يده خيزرانه والمسودة عن يمينه وشماله معهم السيوف مصلته والعمد الحديد فسلمت عليه فلم يرد ونكت بتلك الخيزرانه التي في يده ثم قال يا أوزاعي ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة عن العباد والبلاد أجهادا ورباطا هو قال فقلت أيها الأمير سمعت يحيى بن سعيد الانصاري يقول سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول سمعت علقمة بن وقاص يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

انما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه قال فنكت بالخيزرانه أشد مما كان ينكت وجعل من حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم ثم قال يا أوزاعي ما تقول في دماء بني أمية فقلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يحل لمسلم دم امريء مسلم إلا باحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والتارك لدينه المفارق للجماعة فنكت بها أشد من ذلك ثم قال ما تقول في أموالهم فقلت إن كانت في أيديهم حراما فهي عليك أيضا وأن كانت لهم حلالا فلا تحل لك إلا بطريق شرعي فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك ثم قال إلا نوليكَ القضاء فقلت إن أسلافك لم يكونوا يشقون علي في ذلك وإنني أحب أن يتم ما ابتدؤني به من الاحسان فقال كأنك تحب الانصراف فقلت إن ورائي حرما وهم محتاجون إلى القيام عليهن وسترهن وقلوبهن مشغولة بسببي قال وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي فأمرني بالانصراف فلما خرجت إذا برسوله من ورائي وإذا معه مائتا دينار فقال يقول لك الامير استنفق هذه قال فتصدقت بها وانما أخذتها خوفا قال وكان في تلك الايام الثلاثة صائما فيقال إن الامير لما بلغه ذلك عرض عليه الفطر عنده فأبى أن يفطر عنده

قالوا ثم رحل الأوزاعي من دمشق فنزل بيروت مرابطا بأهله وأولاده قال الأوزاعي وأعجبني في بيروت إنني مررت بقبورها فإذا امرأة سوداء في القبور فقلت لها أين العماره يا هنتاه فقلت إن أردت العماره فهي هذه وأشارت إلى القبور وان كنت تريد الخراب فأمامك وأشارت إلى البلد فعزمت على الإقامة بها وقال محمد بن كثير سمعت الأوزاعي يقول خرجت يوما إلى الصحراء فإذا رجل جراد وإذا شخص راكب على جرادة منها وعليه سلاح الحديد وكلما قال بيده هكذا إلى جهة مال الجراد مع يده وهو يقول الدنيا باطل باطل باطل وما فيها باطل

باطل باطل وقال الأوزاعي كان عندنا رجل يخرج يوم الجمعة إلى الصيد ولا ينتظر الجمعة فحسب؟ ببغته فلم يبق منها إلا أذناها وخرج الأوزاعي يوما من باب مسجد بيروت وهناك كان فيه رجل يبيع الناطف وإلى جانبه رجل يبيع البصل وهو يقول له يا بصل أحلى من العسل او قال أحلى من الناطف فقال الأوزاعي سبحان الله أيظن هذا أن شيئا من الكذب يباح فكان هذا ما يري في الكذب بأسا

وقال الواقدي قال الأوزاعي كنا قبل اليوم نضحك ونلعب أما إذا صرنا أئمة يقتدى بنا فلا ترى أن يسعنا ذلك وينبغي أن نتحفظ وكتب إلى أخ له أما بعد فقد أحيط بك من كل جانب وإنه يسار بك في كل يوم وليله فاحذر الله والقيام بين يديه وأن يكون آخر العهد بك والسلام وقال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن إدريس سمعت أبا صالح كاتب الليث

يذكر عن الهقل ابن زياد عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته أيها الناس تقووا بهذه النعم التي أصبحت فيها على الهرب من نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فإنكم في دار الثواء فيها قليل وأنتم عما قليل عنها راحلون خلائف بعد القرون الماضية الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها فهم كانوا أطول منكم أعمارا وأمد أجساما وأعظم أحلاما وأكثر أموالا وأولادا فخذدوا الجبال وجابوا الصخر بالواد وتنقلوا في البلاد مؤيدين بطش شديد وأجساد كالعماد فما لبثت الايام والليالي أن طوت آثارهم وأخربت منازلهم وديارهم وأنست ذكرهم فهل تحسب منهم من أحد أو تسمع له ركزا كانوا بلهو الأمل آمنين وعن ميقات يوم موتهم غافلين فأبوا إياب قوم نادمين ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بيانا من عقوبة الله فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين وأصبح الباقون المتخلفون يبصرون في نعمة الله وينظرون في آثار نعمته وزوال نعمته عمن تقدمهم من الهالكين ينظرون والله في مساكن خاليه خاوية وقد كانت بالعز محفوفة وبالنعيم معروفة والقلوب إليها مصروفة والأعين نحوها ناظرة فأصبحت آية للذين يخافون العذاب الأليم وعبرة لمن يخشى وأصبحت بعدهم في أجل منقوص ودنيا منقوصة في زمان قد ولى عفوهُ وذهب رخاؤهُ وخيره وصفوه فلم يبق منه إلا جمعة شر وصباية كدر وأهاويل عبر وعقوبات غير وارسال فتن وتتابع زلال وردالة خلف بهم ظهر الفساد في البر والبحر يضيقون الديار ويغنون الاسعار بما يرتكبونه من العار والشنار فلا تكونوا أشباها لمن خدعه الأمل وغيره طول الاجل ولعبت به الاماني نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن إذا دعى بدر وإذا أنهى انتهى وعقل مثواه فمهد لنفسه وقد اجتمع الأوزاعي بالمنصور حين دخل الشام ووعظه وأحبه المنصور وعظمه ولما أراد الانصراف من بين يديه استأذنه أن لا يلبس السواد فأذن له فلما خرج قال المنصور للربيع

الحاجب الحقه فاسأله لم كره لبس السواد ولا تعلمه إني قلت لك فسأله الربيع فقال لأنني لم أر محرما أحرم فيه ولا ميتا كفن فيه ولا عروسا جليت فيه فلهذا أكرهه وقد كان الأوزاعي في الشام معظما مكرما أمره أعز عندهم من أمر السلطان وقد هم به بعض مرة فقال له أصحابه دعه عنك والله لو أمر أهل الشام أن يقتلونك لقتلوك ولما مات جلس على قبره بعض الولاة فقال رحمك الله فوالله لقد كنت أخاف منك أكثر مما أخاف من الذي ولاني يعني المنصور وقال ابن أبي العشرين ما مات الأوزاعي حتى جلس وحده وسمع شتمه بأذنه وقال أبو بكر بن أبي خثيمه حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى قال كنت جالسا عند الثوري فجاءه رجل فقال رأيت كأن ريحانة من المغرب يعني قلعت قال إن صدقت رؤياك فقد مات الأوزاعي فكتبوا ذلك فجاء موت الأوزاعي في ذلك اليوم وقال أبو مسهر بلغنا أن سبب موته أن امرأته أغلقت عليه باب حمام فمات فيه ولم تكن عامده ذلك فأمرها سعيد بن عبد العزيز بعثت رقبه قال وما خلف ذهبها ولا فضة ولا عقارا ولا متاعا إلا ستة وثمانين فضلت من عطائه وكان قد اكتتب في ديوان الساحل وقال غيره كان الذي أغلق عليه باب الحمام صاحب الحمام أغلقه وذهب لحاجة له ثم جاء ففتح الحمام فوجده ميتا قد وضع يده اليمنى تحت خده وهو مستقبل القبلة رحمه الله

قلت لا خلاف أنه مات ببيروت مرابطا واختلفوا في سنة وفاته فروى يعقوب بن سفيان عن سلمه قال قال أحمد رأيت الأوزاعي وتوفي سنة خمسين ومائة قال العباس بن الوليد البيروتي توفي يوم الأحد أول النهار لليلتين بقيتا من صفر سنة سبع وخمسين ومائة وهو الذي عليه الجمهور وهو الصحيح وهو قول أبي مسهر وهشام بن عمار بن الوليد بن مسلم في أصح الروايات عنه ويحيى بن معين ودحم وخليفة بن خياط وأبي عبيد وسعيد بن عبد العزيز وغير واحد قال العباس بن الوليد ولم يبلغ سبعين سنة وقال غيره جاوز السبعين والصحيح سبع وستون سنة لأن ميلاده في سنة ثمان وثمانون على الصحيح وقيل أنه ولد سنة ثلاث وسبعين وهذا ضعيف وقد رواه بعضهم في المنام فقال له دلني على عمل يقربني إلى الله فقال ما رأيت في الجنة درجة أعلى من درجة العلماء العاملين ثم المحزونين *2* ثم دخلت سنة ثمان وخمسين ومائة

@ فيها تكامل بناء قصر المنصور المسمى بالخلد وسكنه أياما يسيرة ثم مات وتركه وفيها مات طاغية الروم وفيها وجه المنصور ابنه المهدي إلى الرقة وأمره بعزل موسى بن كعب عن الموصل وأن يولى عليها خالد بن برمك وكان ذلك بعد نكته غريبة اتفقت لإحيى بن خالد وذلك أن المنصور كان قد غضب على خالد بن برمك وألزمه يحمل ثلاثة آلاف ألف فضاك ذرعا بذلك ولم يبق له مالا ولا حال وعجز عن أكثرها وقد أجله ثلاثة أيام وأن يحمل ذلك في هذه الثلاثة أيام وإلا قدمه هدر فجعل يرسل ابنه يحيى إلى أصحابه من الأمراء يستقرض منهم فكان منهم من أعطاه مائة ألف ومنهم أقل وأكثر قال يحيى بن خالد فيينا أنا ذات يوم من تلك الأيام الثلاثة على جسر بغداد وأنا مهموم في تحصيل ما طلب منا مما لا طاقة لنا به إذوثب إلى زاجر من أولئك الذين يكونون عند الجسر من الطرقية فقال لي أبشر فلم ألتفت إليه فتقدم حتى أخذ بلجام فرسي ثم قال لي أنت مهموم ليفرجن الله همك ولتتمرن غدا في هذا الموضع واللواء بين يديك فان كان ما قلت لك حقا عليك خمسة آلاف فقلت نعم ولو قال خمسون الفا لقلت نعم لبعد ذلك عندي وذهبت لشأني وقد بقي علينا من الحمل ثلاثمائة ألف فورد الخبر إلى المنصور بانتقاض الموصل وانتشار الاكراد فيها فأشار المنصور الأمراء من يصلح للموصل فأشار بعضهم بخالد بن برمك فقال له المنصور أويصلح لذلك بعد ما فعلنا به فقال نعم وأنا الضامن أنه يصلح لها فأمر بإحضاره فولاه إياها عنه بقية ما كان عليه وعقد له اللواء وولى ابنه يحيى أذربيجان وخرج الناس في خدمتهما قال يحيى فمررنا بالجسر فثار إلى ذلك الزاجر فطالبنني بما وعدته به فأمرت له به فقبض خمسة آلاف . وفي هذه السنة خرج المنصور إلى الحج فساق الهدى معه فلما جاوز الكوفة بمراحل أخذه وجعه الذي مات به وكان عنده سوء مزاج فاشتد عليه من شدة الحد وركوبه في المواجر وأخذته إسهال وأفرط به فقوي مرضه ودخل مكة فتوفي بها ليلة السبت لست مضين من ذي الحجة وصلّى عليه ودفن بكدا عند ثينة باب المعلاة التي بأعلا مكة وكان عمره يومئذ ثلاثا وقيل أربعا وقيل خمسا وستين وقيل إنه بلغ ثمانيا وستين والله أعلم وقد كتم الربيع الحاجب

موته حتى أخذ البيعة للمهدي من القواد ورؤس بني هاشم ثم دفن وكان الذي صلى عليه إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي وهو الذي أقام للناس الحج في هذه السنة .
3 ترجمة المنصور

@ هو عبدالله بن محمد بن علي بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم أبوجعفر المنصور وكان أكبر من أخيه أبي العباس السفاح وأمه أم ولد أسماها سلامة وروى عن جده عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه أورده ابن عساكر من طريق محمد بن إبراهيم السلمى عن المأمون عن الرشيد عن المهدي عن أبيه المنصور به بوع له بالخلافة بعد أخيه في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وعمره يومئذ إحدى وأربعون سنة أنه ولد سنة خمس وتسعين

على المشهور في صفر منها بالحميمة من بلاد البلقاء وكانت خلافته ثنتين وعشرين سنة إلا أياما وكان أسمر اللون موفور اللمة خفيف اللحية رحب الجبهة أقى الأنف أعين كان عينيه لسانان ناطقان يخالطه أبهمه الملك وتقبله القلوب وتتبعه العيون يعرف الشرف موطنه والعنف في صورته والليث في مشيته هكذا وصفه بعض من رآه وقد صح عن ابن عباس أنه قال منا السفاح والمنصور وفي روايه حتى نسلمها إلى عيسى بن مريم وقد روى مرفوعا ولا يصح ولا وقفه أيضا وذكر الخطيب أن أمه سلامة قالت رأيت حين حملت به كأنه خرج مني أسد فرأر واقفا على يديه فما بقي أسد حتى جاء فسجد له وقد رأى المنصور في صغره مناما غربيا كان يقول ينبغي أن يكتب في ألواح الذهب ويعلق في أعناق الصبيان فقال رأيت كأتي في المسجد الحرام وإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة والناس مجتمعون حولها فخرج من عنده مناد أين عبدالله فقام أخي السفاح يتخطى الرجال حتى جاء باب الكعبة فأخذ بيده فأدخله إياها فما لبث أن خرج ومعه لواء أسود ثم نودي أين عبدالله فقامت أنا وعمي عبدالله بن علي نستبق فسبقته إلى باب الكعبة فدخلتها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وبلال فعقد لي لواء وأوصاني بأمته وعممي عمامة كورها ثلاثة وعشرون كورا وقال خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة وقد اتفق سجن المنصور في أيام بني أمية فاجتمع به نوبخت المنجم وتوسم فيه الرياسة فقال له ممن تكون فقال من بني العباس فلما عرف منه نسبه وكنيته قال أنت الخليفة الذي تلى الأرض فقال له وبحك ماذا تقول فقال هو ما أقول لك فضع لي خطك في هذه الرقعة أن تعطيني شيئا إذا وليت فكتب له فلما ولي المنصور أعطاه وأسلم نوبخت على يديه وكان قبل ذلك مجوسيا ثم كان من أخص أصحاب المنصور وقد حج المنصور بالناس سنة أربعين ومائة وأحرم من الحيره وفي سنة أربع وأربعين وفي سنة سبع وأربعين وفي سنة ثنتين وخمسين ثم في هذه السنة التي مات فيها وبنى بغداد والرصافة والرفقة وقصره الخلد قال الربيع بن يونس الحاجب سمعت المنصور يقول الخلفاء أربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والملوك أربعة معاوية وعبدالمملك بن مروان وهشام بن عبدالمملك وأنا وقال مالك قال لي المنصور من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أبو بكر وعمر فقال أصبت وذلك رأي أمير المؤمنين وعن اسماعيل البهري قال سمعت المنصور على منبر عرفة يوم عرفه يقول أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه ورشده وخازنه على ماله أقسمه بإرادته وأعطيته بإذنه وقد جعلني الله عليه قفلا فان شاء أن يفتحني لأعطيאתكم وقسم أرزاقكم فتحني وإذا شاء أن يقفني قفلي فارغبوا إلى الله أيها الناس وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي

وهبكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه إذ يقول اليوم أكملت لكم دينكم وأنتمت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً أن يوفقني للصواب ويسددني للرشاد ويلهمني الرأفة بكم والأحسان اليكم ويفتحني لأعطيאתكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم فإنه سميع مجيب

وقد خطب يوما فاعترضه رجل وهو يثني على الله عز وجل فقال يا أمير المؤمنين أذكر من أنت ذاكره واتق الله فيما تأتيه وتذره فسكت المنصور حتى أنهى كلام الرجل فقال أعوذ بالله أن أكون ممن قال الله عز وجل فيه وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم أو أن أكون جبارا عصيا أيها الناس إن الموعدة علينا نزلت ومن عندنا نبتت ثم قال للرجل ما أظنك في

مقاتلك هذه تريد وجه الله وإنما أردت أن يقال عنك وعظ أمير المؤمنين أيها الناس لا يغرنكم هذا فتفعلوا كفعله ثم أمر به فاحتفظ به وعاد إلى خطبته فأكملها ثم قال لمن هو عنده أعرض عليه الدنيا فإن قبلها فأعلمني وأن ردها فأعلمني فما زال الرجل الذي عنده حتى أخذ المال ومال إلى الدنيا فولاه الحسبة والمظالم وأدخله على الخليفة في بزه حسنة وثياب وشارة وهيئة دنيوية فقال له الخليفة ويحك لو كنت محقا مريدا وجه الله بما قلت على رؤس الناس لما قبلت شيئا مما أرى ولكن أردت أن يقال عنك إنك وعظت أمير المؤمنين وخرجت عليه ثم أمر به فضربت عنقه وقد قال المنصور لابنه المهدي إن الخليفة لا يصلحه إلا التقوى والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة والرعية لا يصلحها إلا العدل وأولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلا من ظلم من دونه وقال أيضا يا بني استدم النعمة بالشكر والقدرة بالعفو والطاعة بالتأليف والنصر بالتواضع والرحمة للناس ولاتنس نصيبك من الدنيا ونصيبك من رحمة الله

وحضر عنده مبارك بن فضيلة يوما وقد أمر برجل أن يضرب عنقه وأحضر النطع والسيف فقال له مبارك سمعت الحسين يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة نادي مناد ليقيم من كان أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا فأمر بالعفو عن ذلك الرجل ثم أخذ يعدد على جلسائه عظيم جرائم ذلك الرجل وما صنعه وقال الاصمعي أتى المنصور برجل ليعاقبه فقال يا أمير المؤمنين الانتقام عدل والعفو فضل وتعود أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين وأدنى القسمين دون أرفع الدرجتين قال فعفا عنه

وقال الاصمعي قال المنصور لرجل من أهل الشام أحمد الله يا أعرابي الذي دفع عنكم الطاعون بولايتنا فقال إن الله لا يجمع علينا حشفا وسوء كيل ولا يتكم والطاعون والحكايات في ذكر حلمه وعفوه كثيرة جدا ودخل بعض الزهاد إلى المنصور فقال إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها واذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده قال فأفحم المنصور قوله وأمر له بمال فقال لو احتجت إلى مالك لما وعظتكم ودخل عمر بن عبيد القدري على المنصور فأكرمه وعظمه وقربه وسأله عن أهله وعياله ثم قال له عطني فقرا عليه سورة الفجر إن ربك لبالمرصاد فبكى المنصور بكاء شديدا حتى كأنه لم يسمع بهذه الآيات من قبل ثم قال له زدني فقال إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك ببعضها وإن هذا الأمر كان لمن قبلك ثم صار إليك هو صائر لمن بعدك واذكر ليلة تسفر عن يوم القيامة فبكى المنصور أشد من بكائه الأول حتى اختلفت اجفانه فقال له سليمان بن مجالد رفقا بأمير المؤمنين فقال عمرو وماذا على أمير المؤمنين أن يبكي من خشية الله عز وجل ثم أمر له المنصور بعشرة آلاف درهم فقال لا حاجة لي فيها فقال المنصور والله لتأخذنها فقال والله لا أخذنها فقال له المهدي وهو جالس في سواده وسيفه إلى جانب أبيه أيحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت فالتفت إلى المنصور فقال ومن هذا فقال هذا ابني محمد ولي العهد من بعدي فقال عمرو إنك سميت اسمي لم يستحقه لعمله وألبسته لبوسا ما هو لبوس الأبرار ولقد مهدت له أمرا أمتع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ثم التفت إلى المهدي فقال يا ابن أخي إذا حلف أبوك وحلف عمك فلأن أبوك أيسر من أن يحنث عمك لأن أباك أقدر على الكفارة من عمك ثم قال المنصور يا أبا عثمان هل من حاجة قال نعم قال وماهي قال لا تبعث إلى حتى أتيتك ولا تعطني حتى أسألك فقال المنصور إذا والله لا نلتقي فقال عمرو عن حاجتي سألتني فودعه وأنصرف فلما ولى أمده بصره وهو يقول

كلكم يمشي رويد * كلكم يطلب صيد

غير عمر بن عبيد

ويقال إن عمرو بن عبيد أنشد المنصور قصيدة في موعظة إياه وهي قوله
يا أيهذا الذي قد غره الأمل * ودون ما يأمل التنغيص والاجل
إلا ترى أنما الدنيا وزينتها * كمنزل الركب حلوا ثم ارتحلوا
حتوفها رصد وعيشها نكد * وصفوها كدر وملكها دول
تظل تفرع بالروعات ساكنها * فما يسوغ له لبن ولا جذل

كأنه للمنايا والردى غرض * تظل فيه بنات الدهر تنتقل
والنفس هاربة والموت يطلبها * وكل عسرة رجل عندها جلل
والمرء يسعى لوارثه * والقبر وارث ما يسعى له الرجل
وقال ابن دريد عن الرياشي عن محمد بن سلام قال رأيت جارية للمنصور ثوبه مرقوعا
فقالته خليفة وقميص مرقوع فقال ويحك أما سمعت ما قال ابن هرمة
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه * خلق وبعض قميصه مرقوع
وقال

وقال بعض الزهاد للمنصور أذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة مثلها وأذكر ليلة
تمخض عن يوم القيامة لا ليلة بعدها فأفخم المنصور قوله فأمر له بمال فقال لو احتجت إلى
مالك ما وعظمتك ومن شعره لما عزم على قتل أبي مسلم
إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة * فإن فساد الرأي أن يترددا
ولا تمهل الأعداء يوم لغدره * وبأدرهم أن يملكوا مثلها عدا
ولما قتله ورأه طريحا بين يديه * قد أكتفتك ثلاث ثلاث
جبلن عليك محتوم الحمام

خلافك وامتناعك من يميني * وقودك للجماهير العظام
ومن شعره أيضا * المرء يأمل أن يعي

ش وطول عمر قد يضره

تبلى بشاشته ويب * قى بعد حلو العيش مره

وتخونه الايام حتى * لا يرى شيئا يسره

كم شامت بي إن هلك * ت وقائل لله دره

قالوا وكان لمنصور في أول النهار يتصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولايات
ولعزل والنظر في مصالح العامة فإذا صلى الظهر دخل منزله واستراح إلى العصر فإذا
صلاها جلس لأهل بيته ونظر في مصالحهم الخاصة فإذا صلى نظر في الكتب والرسائل
الواردة من الأفاق وجلس عنده من يسامره إلى ثلث الليل ثم يقوم إلى أهله فينام في
فراشه إلى الثلث الآخر فيقوم إلى وضوئه وصلاته حتى يتفجر الصباح ثم يخرج فيصلي
بالناس ثم يدخل فيجلس في إيوانه وقد ولى بعض العمال على بلد فبلغه أنه قد تصدى
للصيد وأعد لذلك كلابا وبزاه فكتب إليه ثكلتك أمك وعشيرتك ويحك إنا إنما استكفيناك
واستعملناك على أمور المسلمين ولم نستكفيك أمور الوحوش في البراري فسلم ماتلى من
عملنا إلى فلان والحق بأهلك ملوما مدحورا

وأتى يوما بخارجي قد هزم جيوش المنصور غير مرة فلما وقف بين يديه قال له المنصور
ويحك يا ابن الفاعلة مثلك يهزم الجيوش فقال الخارجى ويحك سواء لك بيني وبينك أمس
السيف والقتل واليوم القذف والسب وما يؤمنك أن أراد عليك وقد يؤنس من الحياة فما
استقبلها أبدا

قال فاستحى منه المنصور وأطلقه فما رأى له وجهها إلى الحول وقال لابنه لما ولاه العهد يا
بنى أئتمم النعمة بالشكر والقدرة بالعفو والنصر بالتواضع والتألف بالطاعة ولا تنس نصيبك
من الدنيا ونصيبك من رحمة الله

وقال أيضا يابني ليس العاقل من يحتال للأمر الذي وقع فيه حتى يخرج منه ولكن العاقل
الذي يحتال للأمر الذي عشيته حتى لا يقع فيه وقال المنصور يا بني لا تجلس مجلسا إلا
وعندك من أهل الحديث من يحدثك فإن الزهري قال علم الحديث ذكر لا يحبه إلا ذكران
الرجال ولا يكرهه إلا مؤنثوهم وصدق أخو زهرة وقد كان المنصور في شببته يطلب العلم
من مظانه والحديث والفقهاء فنال جانبا جيدا وطرفا صالحا وقد قيل له يوما يا أمير المؤمنين
هل بقى شيء من اللذات لم تنله قال شيء واحد قالوا وما هو قال قول المح للشيخ من
ذكرت رحمك الله فاجتمع وزراءه وكتابه وجلسوا حوله وقالوا ليمل علينا أمير المؤمنين شيئا
من الحديث فقال لستم بهم إنما هم الدنسة ثيابهم المشققة أرجلهم الطويلة شعورهم رواد
الأفاق وقطاع المسافات تارة بالعراق وتارة بالحجاز وتارة بالشام وتارة باليمن فهؤلاء نقلة
الحديث

وقال يوم لابنه المهدي كم عندك من دابة فقال لا أدري فقال هذا هو التقصير فأنت لأمر الخلافة أشد تضييعاً فاتق الله يا بني وقالت خالصة إحدى حظيات المهدي دخلت يوماً على المنصور وهو يشتكي ضرسه ويداه على صدغيه فقال لي كم عندك من المال يا خالصة فقلت ألف درهم فقال ضعي يدك على رأسي واحلفي فقلت عندي عشرة آلاف دينار قال اذهبي فاحملها الي قالت فذهبت حتى دخلت على سيدي المهدي وهو مع زوجته الخيزران فشكوت ذلك إليه فوكزني برجله وقال وبحك إنه ليس يع وجع ولكني سألته بالأمس ما لا فتمارض وانه لا يسعك إلا ما أمرك به فذهبت إليه خالصة ومعها عشرة آلاف دينار فاستدعى بالمهدي فقال له تشكو الحاجة وهذا كله عند خالصه وقال المنصور لخازنه إذا علمت بمجيء المهدي فأنتي بخلقان الثياب فقال يا بني من ليس له خلق ليس له جديد وقد حضر الشتاء فنحتاج نعين العيال والولد فقال المهدي على كسوة أمير المؤمنين وعياله فقال دونك فافعل

وذكر ابن جرير عن الهيثم أن المنصور أطلق في يوم واحد لبعض أعمامه ألف ألف درهم وفي هذا اليوم فرق بي بيته عشرة الاف درهم ولا يعلم خليفة فرق مثل هذا في يوم واحد وقرأ بعض القراء عند المنصور الذين يخلون ويأمرون الناس بالبخل فقال والله لولا أن المال حصن

وقال ابن الدنيا حدثني محمد بن إدريس سمعت أبا صالح كاتب الليث للسلطان ودعامة للدين والدنيا وعزهما مابت ليلة واحدة وأنا احرز منه دينارا ولا درهما لما أجد لبذل المال من اللذة ولما أعلم في إعطائه من جزيل المثوبة وقرأ عنده قارئ آخر ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية فقال ما أحسن ما أدبنا ربنا عز وجل وقال المنصور سمعت على بن عبدالله يقول سادة أهل الدنيا الأسخياء وسادة أهل الآخرة الأتقياء

ولما عزم المنصور على الحج هذه السنة دعا ولده المهدي فأوصاه في خاصة نفسه وبأهل بيته عليه وبسائر المسلمين خيرا وعلمه كيف يفعل الاشياء وتسد الثغور وأوصاه بوصايا يطول بسطها وخرج عليه أن لا يفتح شيئا من خزائن المسلمين حتى يتحقق وفاته فان بها من الاموال ما يكفي المسلمين لو لم يجب إليهم من الخوارج درهم عشر سنين وعهد إليه أن يقضي ما عليه من الدين وهو ثلاثمائة ألف دينار فإنه لم ير قضاءها من بيت المال فامتثل المهدي ذلك كله وأحرم المنصور بحج وعمرة من الرصافة وساق بدنه وقال يا بني إنني ولدت في ذي الحجة وقد وقع لي أن أموت في ذي الحجة وهذا الذي جرأتي على الحج عامي هذا وودعه وسار واعتراه مرض الموت في أثناء الطريق فما دخل مكة إلا وهو ثقيل جدا فلما كان بأخر منزل نزله دون مكة إذا في صدر منزله مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لا بد واقع
أبا جعفر هل كاهن أو منجم * بك اليوم من كرب المنية مانع
فدعا بالحجبة فأقرأهم ذلك فلم يروا شيئا فعرف أن أجله قد نعى إليه قالوا ورأى المنصور في منامه ويقال بل هتف وهو يقول
أما ورب السكون والحرك * إن المنايا كثيرة الشرك
عليك يا نفس إن أسأت وإن * أحسنت يانفس كان ذاك لك
ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك
إلا ينقل السلطان عن ملك * إذا انفضى ملكه إلى ملك
حتى يصير أنه إلى ملك * ما عز سلطانه بمشترك
ذاك بديع السماء والارض والمر * سى من الجبال المسخر الفلك
فقال المنصور هذا أوان حضور أجلي وانقضاء عمري وكان قد رأى قبل ذلك في قصره الخلد الذي بناه وتأنق فيه مناما أفزعه فقال للربيع وبحك يا ربيع لقد رأيت مناما هالني رأيت قائلا
وقف في باب هذا القصر وهو يقول
كأنني بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه أهله ومنازله
وصار رئيس القصر من بعد بهجة * إلى جدث يبني عليه جنادله

فما أقام في الخلد إلا أقل من سنة حتى مرض في طريق الحج ودخل مكة مدنفا ثقيلًا وكانت وفاته ليلة السبت لست وقيل لسبع مضين من ذي الحجة وكان آخر ما تكلم به أن قال اللهم بارك لي في لقائك وقيل أنه قال يارب إن كنت عصيتك في أمور كثيرة فقد أطعتك في أحب الأشياء إليك شهادة أن لا إله إلا الله مخلصًا ثم مات وكان نقش؟ خاتمه الله ثقة عبد الله وبه يؤمن وكان عمره يوم وفاته ثلاثًا وستين سنة على المشهور منها ثنتان وعشرون سنة خليفة ودفن بباب المعلاة رحمه الله قال ابن جرير ومما رُئى به قول سلم الخاسر الشاعر
عجا للذي نعى الناعان * كيف فاهت بموته الشفتان
ملك أن عدا على الدهر يوما * أصبح الدهر ساقطًا للجران
ليت كفا حثت عليه ترابًا * لم تعد في يمنها بنان
حين دانت له البلاد على العس * ف وأغضى من خوفه الثقلان
ابن رب الزوراء قد قلدته ال * ملك عشرين خجة واثنتان
إنما المرء كالزناد إذا ما * أخذته قوادح النيران
ليس يثني هواه زجر ولا يق * دح في حبله ذوو الأذهان
قلدته أعنه الملك حتى * قاد أعداءه بغير عنان
يكسر الطرف دونه وتبرى اللاي * دي من خوفه على الأذقان
ضم أطراف ملكه ثم أضحى * خلف أقصاهم ودون الداني
هاشمي التشمير لا يحمل الثق * ل على غارب الشرود الهدان
ذو أناة ينسى لها الخائف الخوف * وعزم يلوى بكل حنان
ذهبت دونه النفوس حذارا * غير أن الأرواح في الأبدان
وقد دفن عند باب المعلاة بمكة ولا يعرف قبره لأنه أعمى قبره فان الربيع الحاجب حفر مائة قبر ودفنه في غيرها لئلا يعرف
3 ذكر اولاد المنصور

@ محمد المهدي وهو ولي عهده وجعفر الأكبر مات في حياته وأمهما أروى بنت منصور وعيسى ويعقوب وسليمان وأمهم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله وجعفر الأصغر من أم ولد كردية وصالح المسكين من أم ولد رومية ويقال لها قالى الفراشة والقاسم من أم ولد أيضا من امرأة من بني أمية .
3 ذكر خلافة المهدي بن المنصور

@ لما مات أبوه لست أو لسبع مضين من ذي الحجة من سنة ثمان وخمسين ومائة أخذت البيعة للمهدي من رؤس بني هاشم والقواد الذين هم مع المنصور في الحج قبل دفنه وبعث الربيع الحاجب بالبيعة مع البرد إلى المهدي وهو ببغداد فدخل عليه البريد بذلك يوم الثلاثاء النصف من ذي الحجة فسلم عليه بالخلافة وأعطاه الكتب بالبيعة وبايعه أهل بغداد ونفذت بيعته إلى سائر الآفاق وذكر ابن جرير أن المنصور قبل موته بيوم تحامل وتساند واستدعى بالأمراء فجدد البيعة لابنه المهدي فتسارعوا إلى ذلك وتبادروا إليه وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد ابن علي بن عبدالله بن عباس عن وصية عمه المنصور وهو الذي صلى عليه وقيل إن الذي صلى على المنصور عيسى بن موسى ولي العهد من بعد المهدي والصحيح الأول لأنه كان نائب مكة والطائف وعلى إمرة عبدالصمد بن علي وعلى الكوفة عمر بن زهير الضبي أخوالمسيب ابن زهير أمير الشرطة للخليفة وعلى خراسان حميد بن قحطبة وعلى خراج البصرة وأرضها عمارة ابن حمزة وعلى صلاتها وقضائها عبدالله بن الحسن العنبري وعلى أحداثها سعيد بن دعلج .

قال الواقدي وأصاب الناس في هذه السنة وباء شديد فتوفي فيه خلق كثير وجم غير منهم أفلح بن حميد وحيوة بن شريح ومعاوية بن صالح بمكة وزفر الهذيل بن قيس بن سليم ثم ساق نسبه إلى معد بن عدنان يقال له التميمي العنبري الكوفي الفقيه الحنفي أقدم أصحاب أبي حنيفة وفاة وأكثرهم استعمالا للقياس وكان عابداً اشتغل أولاً بعلم الحديث ثم غلب عليه الفقه والقياس ولد سنة ست عشر ومائة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة عن ثنتين وأربعين سنة رحمه الله وإيانا

2 ثم دخلت سنة تسع وخمسون ومائة

@ استهلكت هذه السنة وخليفة الناس أبو عبدالله محمد بن المنصور المهدي فبعث في اولها العباس ابن محمد إلى بلاد الروم في جيش كثيف وركب معهم مشيعا لهم فساروا إليها فافتتحوها مدينة عظيمة للروم وغنموا غنائم كثيرة ورجعوا سالمين لم يفقد منهم أحد وفيها توفي حميد بن قحطبة نائب خراسان فولى المهدي مكانه أبا عون عبدالملك بن يزيد وولى حمزة بن مالك سجستان وولى جبريل بن يحيى سمرقند وفيها بنى المهدي مسجد الرصافة وخذقها وفيها جهز جيشا كثيفا إلى بلاد الهند فوصلوا إليها في السنة الآتية وكان من أمرهم ما سنذكره وفيها توفي نائب السند معبد بن الخليل فولى المهدي مكانه روح بن حاتم بمشورة وزيره أبي عبدالله وفيها أطلق المهدي من كان في السجون إلا من كان محبوبا على دم أو من سعى في الارض فسادا أو من كان عنده حق لأحد وكان من جملة من أخرج من المطبق يعقوب بن داود مولى بني سليم والحسن بن إبراهيم ابن عبدالله بن حسن وأمر بصيرورة حسن هذا إلى نصير الخادم ليحترز عليه وكان الحسن قد عزم على الهرب من السجن قبل خروجه منه فلما خرج يعقوب بن داود ناصح الخليفة بما كان عزم عليه فنقله من السجن وأودعه عند نصير الخادم ليحتاط عليه وحظي يعقوب بن داود عند المهدي جدا حتى صار يدخل عليه في الليل بلا استئذان وجعله على أمور كثيرة وأطلق له مائة ألف درهم وما زال عنده كذلك حتى تمكن المهدي من الحسن بن إبراهيم فسقطت منزلة يعقوب عنده وقد عزل المهدي نوابا كثيرة عن البلاد وولى بدلهم وفي هذه السنة تزوج المهدي بأبنة عمه أم عبدالله بنت صالح بن علي وأعتق جاريته الخيزران وتزوجها أيضا وهي أم الرشيد وفيها وقع حريق عظيم في السفن التي في دجلة ببغداد ولما ولى المهدي سأل عيسى بن موسى وكان ولي العهد بعده أن يخلع نفسه من الأمر فامتنع المهدي أن يقيم بأرض الكوفة في ضيعة له فأذن له وكان قد استقر على إمرة الكوفة روح بن حاتم فكتب إلى المهدي إن عيسى بن موسى لا يأتي الجمعة ولا الجماعة مع الناس إلا شهرين من السنة وإنه إذا جاء يدخل بدوابه داخل باب المسجد فتروث دوابه حيث يصلي الناس فكتب إليه المهدي أن يعمل خشبا على أفواه السكك حتى لا يصل الناس إلى المسجد إلا مشاة فعلم بذلك عيسى بن موسى فاشترى قبل الجمعة دار المختار بن أبي عبيده من ورثته وكانت ملاصقة للمسجد وكان يأتي إليها من يوم الخميس فإذا كان يوم الجمعة ركب حمارا إلى باب المسجد فنزل إلى هناك وشهد الصلاة مع الناس وأقام بالكلية بالكوفة بأهله ثم ألح عليه المهدي في أن يخلع نفسه وتوعده إن لم يفعل ووعدته إن فعل فأجابه إلى ذلك فأعطاه أقطاعا عظيمة وأعطاه من المال عشرة الآف ألف وقيل عشرين ألف ألف وباع المهدي لولديه من بعده موسى الهادي ثم هارون الرشيد كما سيأتي .

وحج بالناس يزيد بن منصور خال المهدي وكان نائبا على اليمن فولاه الموسم واستقدمه عليه شوقا إليه وغالب نواب البلاد عزلهم المهدي غير أن إفريقية مع يزيد بن حاتم وعلى مصر محمد ابن سليمان أبو ضمرة وعلى خراسان أبو عون وعلى السند بسطام بن عمرو وعلى الاهواز وفارس عمارة بن حمزة وعلى اليمن رجاء بن روح وعلى اليمامة بشر بن المنذر وعلى الجزيرة الفضل بن صالح وعلى المدينة عبيد الله بن صفوان الجمحي وعلى مكة والطائف إبراهيم بن يحيى وعلى أحداث الكوفة إسحاق بن الصباح الكندي وعلى خراجها ثابت بن موسى وعلى قضائها شريك بن عبدالله النخعي وعلى أحداث البصرة عمارة بن حمزة وعلى صلاتها عبد الملك بن أيوب بن ظبيان النمري وعلى قضائها عبيد الله بن الحسن العنبري.

وفيها توفي عبد العزيز بن أبي رواد وعكرمة بن عمار ومالك بن مغول ومحمد بن عبدالرحمن ابن أبي ذيب المدني نظير مالك بن أنس في الفقه وربما أنكر على مالك أشياء ترك الأخذ فيها ببعض الاحاديث كان يراها مالك من إجماع أهل المدينة وغير ذلك من

المسائل

2 ثم دخلت سنة ستين ومائة

@ فيها خرج رجل بخراسان على المهدي منكرًا عليه أحواله وسيرته وما يتعاطاه يقال له يوسف البرم والتف عليه خلق كثير وتفاقم الأمر وعظم الخطب به فتوجه إليه يزيد بن مزيد فلقبه فاقتلا قتالا شديدا حتى تنازلا وتعانقا فأسر زيد بن مزيد يوسف هذا وأسر جماعة من

أصحابه فبعثهم إلى المهدي فأدخلوا عليه وقد حملوا على جمال محموله وجوههم إلى ناحية أذنان الإبل فأمر الخليفة هرثمة أن يقطع يدي يوسف ورجليه ثم يضرب عنقه وأعناق من معه وصلبهم على جسر دجلة الأكبر مما يلي عسكر المهدي وأطفا الله ثأرتهم وكفى شرهم *3* البيعة لموسى الهادي

@ ذكرنا أن المهدي الح على عيسى بن موسى أن يخلع نفسه وهو مع كل ذلك يمتنع وهو مقيم بالكوفة فبعث إليه المهدي أحد القواد الكبار وهو أبو هريرة محمد بن فروخ في ألف من أصحابه لاحضاره إليه وأمر كل واحد منهم أن يحمل طيلا فإذا واجهوا الكوفة عند إضاءة الفجر ضرب كل واحد منهم على طبله ففعلوا ذلك فارتجت الكوفة وخاف عيسى بن موسى فلما انتهوا إليه دعوه إلى حضرة الخليفة فأظهر أنه يشتكى فلم يقبلوا ذلك منه بل أخذوه معهم فدخلوا به على الخليفة في يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم من هذه السنة فاجتمع عليه وجوه بني هاشم والقضاة والاعيان وسألوه في ذلك وهو يمتنع ثم لم يزل الناس به بالرغبة والرغبة حتى أجاب يوم الجمعة لأربع مضين من المحرم بعد العصر وبوع لولدي المهدي موسى بن هارون الرشيد صباحه يوم الخميس لثلاث بقين من المحرم وجلس المهدي في قبة عظيمة في إيوان الخلافة ودخل الأمراء فبايعوه ثم نهض فصعد المنبر وجلس ابنه موسى الهادي تحته وقام عيسى بن موسى في أول درجة وخطب المهدي فأعلم الناس بما وقع من خلع عيسى بن موسى نفسه وأنه قد حلل الناس من الايمان التي له في أعناقهم وجعل ذلك إلى موسى الهادي فصدق عيسى بن موسى ذلك وباع المهدي علي ذلك ثم نهض الناس فبايعوا الخليفة على حسب مراتبهم وأسنانهم وكتب علي عيسى بن موسى مكتوبا مؤكدا بالايمان البالغة من الطلاق والعناق وأشهد عليه جماعة الأمراء والوزراء وأعيان بني هاشم وغيرهم وأعطاه ما ذكرنا من الاموال وغيرها .

وفيهما دخل عبدالملك بن شهاب المسمعي مدينة باربد من الهند في جحفل كبير فحاصرها. ونصبوا عليها المجانيق ورموها بالنفط فأحرقوا منها طائفة وهلك بشر كثير من أهلها وفتحوها عنوة وأرادوا الانصراف فلم يمكنهم ذلك لاعتلاء البحر فأقاموا هنالك فأصابهم داء في أفواههم يقال له حمام قر فمات منهم ألف نفس منهم الربيع بن صبيح فلما أمكنهم المسير ركبوا في البحر فهاجت عليهم ريح فغرق طائفة أيضا ووصل بقيتهم إلى البصرة ومعهم سبي كثير فيهم بنت ملكهم وفيها حكم المهدي بإلحاق ولد أبي بكر الثقفي إلى ولاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطع نسبهم من ثقيف وكتب بذلك كتابا إلى والي البصرة وقطع نسبه من زياد ومن نسب نافع ففي ذلك يقول بعض الشعراء وهو خالد النجار إن زياد ونافعا وأبا * بكره عندي من أعجب العجب ذا قرشي كما يقول وذا * مولى وهذا بزعمه عربي وقد ذكر ابن جرير أن نائب البصرة لم ينفذ ذلك .

وفي هذه السنة حج بالناس المهدي واستخلف على بغداد ابنه موسى الهادي واستصحب معه ابنه هارون الرشيد وخلقوا من الأمراء منهم يعقوب بن داود علي منزلته ومكانته وكان الحسن ابن إبراهيم قد هرب من الخادم فلحق بأرض الحجاز فاستأمن له يعقوب بن داود فأحسن المهدي صلته وأجزل جائزته وفرق المهدي في أهل مكة مالا كثيرا جدا كان قد قدم معه بثلاثين ألف درهم ومائة ألف ثوب وجاء من مصر ثلثمائة ألف دينار ومن اليمن مائتا ألف دينار فأعطاهم كلها في أهل مكة والمدينة وشيكت الحجة الى المهدي أنهم يخافون على الكعبة أن تنهدم من كثرة ما عليها من الكساوي فأمر بتجربدها فلما انتهوا إلى كساوي هشام بن عبدالملك وجدها من ديباج نخين فأمر بإزالتها وبقيت كساوي الخلفاء قبله وبعده فلما جردها طلاها بالخلوف وكساها كسوة حسنة جدا ويقال إنه استفتى مالكا في إعادة الكعبة إلى ما كانت عليه من بناية ابن الزبير فقال مالك دعها فإني أخشى أن يتخذها الملوك ملعبة فتركها على ما هي .

وحمل له محمد بن سليمان نائب البصرة الثلج إلى مكة وكان أول خليفة حمل إليه الثلج إليها زاده معاوية بن أبي سفيان فقال له مالك إنه يخشى أن ينكسر خشبه العتيق إذا زرع فتركه وتزوج من المدينة رقية بنت عمرو العثمانية وأنتخب من أهلها خمسمائة من أعيانها

ليكونوا حوله حرسا بالعراق وأنصارا وأجرى عليهم أرزاقا غير أعطياتهم وأقطعهم أقطاعا معروفة بهم .

وفيهما توفي الربيع بن صبيح وسفيان بن حسين أحد أصحاب الزهري وشعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي أبو بسطام ثم انتقلا إلى البصرة رأي شعبة الحسن وابن سيرين وروى عن أمم التابعين وحدث عنه خلق من مشايخه وأقرانه وأئمة الاسلام وهو شيخ المحدثين الملقب فيهم بأمير المؤمنين قاله الثوري وقال يحيى بن معين هو إمام المتقين وكان في غاية الزهد والورع والتقشف والحفظ وحسن الطريقة وقال الشافعي لولاه ما عرف الحديث بالعراق وقال الامام أحمد كان أمة وحده في هذا الشأن ولم يكن في زمانه مثله وقال محمد بن سعد كان ثقة مأمونا حجة صاحب حديث وقال وكيع إنني لأرجو أن يرفع الله لشعبة في الجنة درجات ندية عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صالح بن محمد بن حرزة كان شعبة أول من تكلم في الرجال وتبعه يحيى القطان ثم أحمد وابن معين وقال ابن المهدي ما رأيت أعقل من مالك ولا أشد تقشفا من شعبة ولا أنصح للأمة من ابن المبارك ولا أحفظ للحديث من الثوري وقال مسلم بن إبراهيم ما دخلت علي شعبة في وقت صلاة إلا ورأيت يصلي وكان أبا الفقراء وأما لهم وقال النضر ابن شميل ما رأيت أرحم بمسكين منه كان إذا رأى مسكينا لا يزال ينظر إليه حتى يغيب عنه وقال غيره ما رأيت أعبد منه لقد عبد الله حتى لص جلده بعظمة وقال يحيى القطان ما رأيت أرق للمسكين منه كان يدخل المسكين في منزله فيعطيه ما أمكنه قال محمد بن سعد وغيره مات في أول سنة ستين ومائة في البصرة عن ثمان وسبعين سنة .

2 ثم دخلت سنة إحدى وستين ومائة

@ فيها غزا الصائفة ثمامة بن الوليد فنزل دابق وجاشت الروم عليه فلم يتمكن المسلمون من الدخول اليها بسبب ذلك وفيها أمر المهدي بحفر الركايا وعمل المصانع وبناء القصور في طريق مكة وولى يقطين بن موسى على ذلك فلم يزل يعمل في ذلك إلى سنة إحدى وسبعين ومائة مقدار عشر سنين حتى صارت طريق الحجاز من العراق من أرفق الطرقات وأمنها وأطيبها وفيها وسع المهدي جامع البصرة من قبلته وغربه وفيها كتب إلى الأفاق أن لا تبقى مقصورة في مسجد جماعة وأن تقصر المنابر إلى مقدار منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل ذلك في المدائن كلها وفيها أتضعت منزله أبي عبيد الله وزير المهدي وظهرت عنده خيافته فضم إليه المهدي من يشرف عليه وكان ممن ضم إليه اسماعيل بن عليه ثم أبعداه وأخرجه من معسكره وفيها ولى القضاء عافية بن يزيد الأزدي وكان يحكم هو وابن علاثة في عسكر المهدي بالرصافة وفيها رجل يقال له المقنع بخراسان في قرية من قرى مرو كان يقول بالتناسخ وأتبعه على ذلك خلق كثير فجهز إليه المهدي عدة من أمرائه وأنفذ إليه جيوشا كثيرة منهم معاذ بن مسلم أمير خراسان وكان من أمره وأمرهم ماسنذكره

وحج بالناس فيها موسى الهادي بن المهدي وفيها توفي اسرايل بن يونس بن إسحاق السبيعي وزائدة بن قدامة سفيان بن سعد بن مسروق الثوري أحد أئمة الاسلام وعبادهم والمقتدي به أبو عبدالله الكوفي وروى عن غير واحد من التابعين وروى عنه خلق من الأئمة وغيرهم قال شعبة وأبو عاصم وسفيان بن عتيبة ويحيى بن معين وغير واحد وهو أمير المؤمنين في الحديث

وقال ابن المبارك كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ هو أفضلهم وقال أيوب ما رأيت كوفيا أفضله عليه وقال يونس بن عبيد ما رأيت أفضل منه وقال عبدالله ما رأيت أفقه من الثوري وقال شعبة ساد في الناس بالورع والعلم وقال اصحاب المذاهب الثلاثة ابن عباس زمانه والسعبي في زمانه والثوري في زمان وقال الامام أحمد لا يتقدمه في قلبي أحد ثم قال تدري من الامام الامام سفيان الثوري وقال عبد الرزاق سمعت الثوري يقول ما استودعت قلبي شيئا قط فخانني حتى إنني لأمر بالحائك يتغنى فأسد اذني مخافة أن أحفظ ما يقول وقال لأن أترك عشرة آلاف دينار يحاسبني الله عليها أحب الي من أن أحتاج الناس . قال محمد بن سعد أجمعوا أنه توفي في البصرة سنة إحدى وستين ومائة وكان عمره يوم مات أربعين وستين سنة وراه بعضهم في المنام يطير في الجنة من نخله إلى نخله ومن

شجرة إلى شجره وهو يقرأ الحمد لله الذي صدقنا وعده الآية وقال إذا ترأس الرجل سريعا
آخر بكثير من العلم وممن توفي فيها :
3 أبو دلامه

@ زيد بن الجون الشاعر الماجن أحد الظرفاء أصله من الكوفة وأقام ببغداد وحظي عند
المنصور لأنه كان يضحكه وينشده الأشعار ويمدحه حضر يوما جنازة امرأة المنصور وكانت
ابنة عمه يقال لها حمادة بنت عيسى وكان المنصور قد حزن عليها فلما سووا عليها التراب
وكان أبو دلامه حاضرا فقال له المنصور ويحك يا أبا دلامه ما أعددت لهذا اليوم فقال ابنة عم
أمير المؤمنين فضحك المنصور حتى استلقى ثم قال ويحك فضحتنا ودخل يوما على المهدي
بهنئه بقدمه من سفره وأنشده

إني حلفت لئن رأيتك سالما * بقري العراق وانت ذو وفر
لتصلين على النبي محمد * ولتملان دراهما حجري

فقال المهدي أما الأولى فنعم نصلي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأما الثانية فلا
فقال يا أمير المؤمنين هما كلمتان فلا تفرق بينهما فأمر أن يملا جره دراهم ثم قال له قم
فقال ينخرق منها قميصي فأفرغت منه في أكياسها ثم قام فحملها وذهب وذكر عنه ابن
خلكان أنه مرض ابن له فداواه طبيب فلما عوفي قال له ليس عندنا ما نعطيك ولكن أدع
فلان اليهودي بمبلغ ما تستحقه عندنا من أجرتك حتى أشهد أنا وولدي بالمبلغ المذكور قال
فذهب الطبيب إلى قاضي الكوفة محمد ابن عبدالرحمن بن أبي ليلى وقيل ابن شبرمه
فادعى عليه عنده فأنكر اليهودي فشهد له أبو دلامه وابنه فلم يستطع القاضي أن يرد
شهادتهما وخاف من طلب التزكية فأعطى الطبيب المدعي المال من عنده وأطلق اليهودي
وجمع القاضي بين المصالح توفي أبو دلامه في هذه السنة وقيل إنه أدرك خلافة الرشيد سنة
سبعين فإله أعلم .

2 ثم دخلت سنة ثنتين وستين ومائة

@ فيها خرج عبد السلام بن هاشم اليشكري بأرض قنسرين وأتبعه خلق كثير وقويت شوكته
فقاتله جماعة من الأمراء فلم يقدروا عليه فجهز إليه المهدي جيوشا وأنفق عليهم أموالا
فهزمهم مرات ثم آل الأمر به فقتل بعد ذلك وفيها غزا الصائفة الحسن بن قحطبة في
ثمانين ألفا من المرتزقة سوى المتطوعة فدمر الروم وحرق بلدانا كثيرة وخرّب أماكن
وأسر خلقا من الذراري وكذلك غزا يزيد بن أبي أسيد السلمي بلاد الروم من باب القبلا
فغنم وسلم وسبا خلقا كثيرا

وفيهما خرجت طائفة بجرجان فلبسوا الحمرة مع رجل يقال له عبد القهار فغزاه عمرو بن
الغلاء من طبرستان فقهر عبد القهار وقتله وأصحابه وفيها أجرى المهدي الأرزاق في سائر
الاقاليم والأفاق على المجذومين والمحبوسين وهذه مثوبة عظيمة ومكرمة جسيمة وفيها
حج بالناس إبراهيم بن جعفر بن المنصور وفيه توفي من الاعيان:

3 إبراهيم بن أدهم

@ أحد مشاهير العباد وأكابر الزهاد كانت له همة عالية في ذلك رحمه الله فهو إبراهيم بن
أدهم بن منصور بن يزيد بن عامر بن إسحاق التميمي ويقال له العجلي أصله من بلخ ثم
سكن الشام ودخل دمشق وروى الحديث عن أبيه الأعمش ومحمد بن زياد صاحب أبي
هريرة وأبي إسحاق السبيعي وخلق وحدث عنه خلق منهم بقرية والثوري وأبو إسحاق
الفزاري ومحمد بن حميد وحكى عنه الأوزاعي وروى الحديث عن ابن عساكر من طريق
عبدالله بن عبد الرحمن الجزري عن إبراهيم بن أدهم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال
دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي جالسا فقلت يا رسول الله إنك
تصلي جالسا فما أصابك قال الجوع يا أبا هريرة قال فبكيك فقال لا تبك فإن شدة يوم
القيامة لا تصيب الجائع إذا احتسب في دار الدنيا ومن طريق بقرية عن إبراهيم بن أدهم
حدثني أبو إسحاق الهمداني عن عمارة بن عزية عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم إن الفتنة تجيء فتنسّف العباد نسفاً وينجوا العالم منها بعلمه
قال النسائي إبراهيم بن أدهم ثقة مأمون أحد الزهاد وذكر أبو نعيم أنه كان ابن ملك من
ملوك خراسان وكان قد حبب إليه الصيد قال فخرجت مرة فأثرت ثعلبا فهتف بي هاتف

من قربوس سرجى ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت قال فوقف وقلت انتهيت انتهيت جاءني نذير من رب العالمين فرجعت إلى أهلي فخلت عن فرسي وجئت إلى بعض رعاة أبي فأخذت منه حبة وكساء ثم أقيت ثيابي إليه ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياما فلم يصف لي بها الحلال فسألت بعض المشايخ عن الحلال فأرشدني إلى بلاد الشام فأتيت طرطوس فعملت بها أياما أنظر البساتين وأحصد الحصاد وكان يقول ما تهنت بالعيش إلا في بلاد الشام أفر بديني من شاهق إلى شاهق ومن جبل إلى جبل فمن يراني يقول هو موسوس ثم خل البادية ودخل مكة وصحب الثوري والفضل بن عياض ودخل الشام ومات بها وكان لا يأكل إلا من عمل يديه مثل الحصاد وعمل الفاعل وحفظ البستان وغير ذلك وما روى عنه أنه وجد رجلا في البادية فعلمه اسم الله الأعظم فكان يدعو به حتى رأى الخضر فقال له إنما علمك أخي داود اسم الله الأعظم وذكره القشيري وابن عساكر عنه بإسناد لا يصح وفيه أنه قال له الياس علمك اسم الله الأعظم وقال إبراهيم أطيب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار

وذكر أبو نعيم عنه أنه كان أكثر دعائه اللهم أنقلني من ذل معصيتك إلى عز طاعتك وقيل له إن اللحم غلا فقال أرخصوه أي لا تشتروه فانه يرخص وقال بعضهم هتف به الهاتف من فوقه يا إبراهيم ما هذا العبت أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون اتق الله وعليك بالزاد ليوم القيامة فنزل عن دابته ورفض الدنيا وأخذ في عمل الآخرة وروى ابن عساكر بإسناد فيه نظر من ابتداء أمره قال بينما أنا يوما في منظره ببلخ وإذا شيخ حسن الهيئة حسن اللحية قد استظل بظلها فاخذ بمجامع قلبي فأمرت غلاما فدعاه فدخل فعرضت عليه الطعام فأبى فقلت من أين أقبلت قال من وراء النهر قلت أين تريد قال الحج قلت في هذا الوقت وقد كان أول يوم من ذي الحجة أو ثانيه فقال يفعل الله ما يشاء فقلت الصحبة قال إن أحببت ذلك فموعدك الليل فلما كان الليل جاءني فقال قم بسم الله فأخذت ثياب سفري وسرنا نمشي كأنما الأرض تجذب من تحتنا ونحن نمر على البلدان ونقول هذه فلانه هذه فلانه فإذا كان الصباح فارقني ويقول موعدك الليل فإذا كان الليل جاءني ففعلنا مثل ذلك فانتهينا إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم ثم سرنا إلى مكة فجننا ليل فقضينا الحج مع الناس ثم رجعنا إلى الشام فزرننا بيت المقدس وقال إني عازم على المقام بالشام ثم رجعت أنا إلى بلدي بلخ كسائر الضعفاء حتى رجعنا إليها ولم أسأله عن اسمه فكان ذلك أول أمرى وروى من وجه آخر فيه نظر وقال أبو حاتم الرازي عن أبي نعيم عن سفیان الثوري قال كان إبراهيم بن أدهم يشبه إبراهيم الخليل ولو كان في الصحابة كان رجلا فاضلا له سرائر وما رأيت

يظهر تسيحا ولا شيئا ولا أكل مع أحد طعاما إلا كان آخر من يرفع يديه وقال عبد الله بن المبارك كان إبراهيم رجلا فاضلا له سرائر ومعاملات بينه وبين الله عز وجل وما رأيت يظهر تسيحا ولا شيئا من عمله ولا أكل مع أحد طعاما إلا كان آخر من يرفع يده وقال بشر بن الحارث الحافي أربعة رفعهم الله بطيب المطعم إبراهيم ابن أدهم وسليمان بن الخواص ووهيب بن الورد ويوسف بن اسباط وروى ابن عساكر من طريق معاوية بن حفص قال إنما سمع إبراهيم بن أدهم حديثا واحدا فأخذ به فساد أهل زمانه قال حدثنا منصور عن ربعي بن خراش قال جاء رجلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس قال إذا أردت أن يحبك الله فأبغض الدنيا وإذا أردت أن يحبك الناس فما عندك من فضولها فانبذه اليهم وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو ربيع عن إدريس قال جلس إبراهيم إلى بعض العلماء فجعلوا يتذكرون الحديث وإبراهيم ساكت ثم قال حدثنا منصور ثم سكت فلم ينطق بحرف حتى قام من ذلك المجلس فعاتبه بعض أصحابه في ذلك فقال إني لأخشى مضرة ذلك المجلس في قلبي إلى هذا اليوم وقال رشدين بن سعد مر إبراهيم بن أدهم بالأوزاعي وحوله حلقة فقال لو ان هذه الحلقة على أبي هريرة لعجز عنهم فقام الأوزاعي وتركهم وقال إبراهيم بن بشر قيل لابن أدهم لم تركت الحديث فقال إني مشغول عنه بثلاث بالشكر على النعم والاستغفار من الذنوب وبالاستعداد للموت ثم صاح وغشى عليه فسمعوا هاتفا يقول لا تدخلوا بيني وبين أوليائي

وقال أبو حنيفة يوما لابراهيم بن أدهم قد رزقت من العباد شيئا صالحا فليكن العلم من بالك فانه رأس العباد وقوام الدين فقال له إبراهيم وأنت فليكن العبادة والعمل بالعلم من بالك وإلا هلكت وقال إبراهيم ماذا أنعم الله علي الفقراء لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم إنما يسأل ويحاسب هؤلاء المساكين الأغنياء وقال شفيق بن إبراهيم لفيت ابن أدهم بالشام وقد كنت رأيتك بالعراق وبين يديه ثلاثون شاكريا فقلت له تركت ملك خراسان وخرجت من نعمتك فقال اسكت ما تهنت بالعيش إلا ههنا أفر بدني من شاهق إلى شاهق فمن يراني يقول هو موسوسن أو حمال أو ملاح ثم قال بلغني أنه يؤتى بالفقير يوم القيامة فيوقف بين يدي الله فيقول له يا عبدي مالك لم تحج فيقول يا رب لم تعطني شيئا أحج به فيقول الله صدق عبدي اذهبوا به إلى الجنة وقال أقمت بالشام أربعين سنة ولم أقم بها لجهاد ولا رباط إنما نزلتها لأشبع من خبز حلال وقال الحزن حزن حزن لك وحزن عليك فحزنك على الآخرة لك وحزنك على الدنيا وزينتها عليك وقال الزهد ثلاثة واجب

ومستحب وزهد سلامة فأما الواجب فالزهد في الحرام والزهد عن الشهوات الحلال مستحب والزهد عن الشبهات سلامة وكان هو وأصحابه يمنعون أنفسهم الحمام والماء البارد والحذاء ولا يجعلون في ملحهم ابرارا وكان إذا جلس على سفرة فيها طعام طيب رمى بطيها إلى أصحابه وأكل هو الخبز والزيتون وقال قله الحرص والطمع تورث الصدق والورع وكثرة الحرص والطمع تورث الغم والجزع وقال له رجل هذه جبة أحب أن تقلها مني فقال إن كنت غنيا قبلتها وإن كنت فقيرا لم أقبلها قال أنا غني كم عندك قال الفان قال تود أن تكون أربعة الآف قال نعم قال فانت فقير لا أقبلها منك وقيل له لو تزوجت فقال لو أمكنني أن أطلق نفسي لطلقتها ومكث بمكة خمسة عشر يوما لاشيء له ولم يكن له زاد سوى الرمل بالماء وصلى بوضوء واحد خمس عشرة صلاة وأكل يوما على حافة الشريعة كسيرات مبلولة بالماء وضعل بين يديه أبو يوسف الغسولي فأكل منها ثم قام فشرب من الشريعة ثم جاء واستلقى على قفاه وقال يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش فقال أبو يوسف طلب القوم الراحة والنعيم فأخطأوا الطريق المستقيم فتبسم إبراهيم وقال من أين لك هذا الكلام وبينما هو بالمصيصة في جماعة من أصحابه إذا جاءه ركب فقال أيكم إبراهيم بن أدهم فأرشد إليه فقال يا سيدي أنا غلامك وإن أباك قد مات وترك مالا هو عند القاضي وقد جئت بك بعشرة الاف درهم لتنفقها عليك إلى بلخ وفرس وبغله فسكت إبراهيم طويلا ثم رفع رأسه فقال إن كنت صادقا فالدراهم والفرس والبغلة لك ولا تخبر به أحدا ويقال إنه ذهب بعد ذلك إلى بلخ وأخذ المال من الحاكم وجعله كله في سبيل الله وكان معه بعض أصحابه فمكثوا شهرين لم يحصل لهم شيء يأكلونه فقال له إبراهيم أدخل إلى هذه الغيضة وكان ذلك في يوم شات قال فدخلت فوجدت شجرة عليها خوخ كثير فملأت منه جرابي ثم خرجت فقال ما معك قلت خوخ فقال يا ضعيف اليقين لو صبرت لوجدت رطبيا جنيا كما رزقت مرين بنت عمران وشكا إليه بعض أصحابه الجوع فصلى ركعتين فإذا حوله دينار كثيرة فقال لصاحبه خذ منها دينارا فأخذه واشترى لهم به طعاما وذكروا أنه كان يعمل بالفاعل ثم يذهب فيشتري البيض والزبدة وتارة الشواء والجوزبان والخبيص فيطعمه أصحابه وهو صائم فإذا أفطر يأكل من رديء الطعام ويحرم نفسه المطعم الطيب لير به الناس تأليفا لهم وتحببا وتوددا إليهم

وأضاف الأوزاعي إبراهيم بن أدهم فقصر إبراهيم في الاكل فقال مالك قصرت فقال لأنك قصرت في الطعام ثم عمل إبراهيم طعاما كثيرا ودعا الأوزاعي فقال الأوزاعي أما تخاف أن يكون سرفا فقال لا إنما السرف ما كان في معصية الله فأما ما أنفقه الرجل على إخوانه فهو من الدين وذكر أنه حصد مرة بعشرين دينارا فجلس مرة عند حجام وهو صاحب له ليحلق رؤسهم ويحجمهم فكانه تبرم بهم واشتغل عنهم بغيرهم فتأذى صاحبه من ذلك ثم أقبل عليهم الحجام فقال ماذا تريدون قال إبراهيم أريد أن تحلق رأسي وتحجمني ففعل ذلك فأعطاه إبراهيم العشرين دينارا وقال أردت أن لا تحقر بعدها فقيرا أبدا وقال مضاعف بن عيسى ما فاق إبراهيم أصحابه بصوم ولا صلاة ولكن بالصدقة والسخاء

وكان إبراهيم يقول فروا من الناس كفراركم من الاسد الضاري ولا تخلفوا عن الجمعة والجماعة وكان إذا سافر مع أحد من أصحابه يحدثه إبراهيم وكان إذا حضر في مجلس فكأنما على رؤسهم الطير هيبة وإجلالا وربما تسامر هو وسفيان الثوري في الليلة الشتائية إلى الصباح وكان الثوري يتحرز معه في الكلام ورأى رجلا قيل له هذا قاتل خالك فذهب إليه فسلم عليه وأهدى له وقال بلغني أن الرجل لا يبلغ درجة اليقين حتى يأمنه عدوه وقال له رجل طوبى لك أفنيت عمرك في العبادة وتركت الدنيا والزوجات فقال الك عيال قال نعم فقال لروعة الرجل بعياله يعني في بعض الاحيان من الفاقة أفضل من عبادة كذا وكذا سنة وراه الأوزاعي ببيروت وعلى عنقه حزمة حطب فقال يا أبا اسحاق إن إخوانك يكفونك هذا فقال له اسكت يا أبا عمرو فقد بلغني أنه إذا وقف الرجل موقف مذلة في طلب الحلال وجبت له الجنة وخرج ابن أدهم من بيت المقدس فمر بطريق فأخذته المسلحة في الطريق فقالوا أنت عبد قال نعم قالوا أبق قال نعم فسجنوه فبلغ أهل بيت المقدس خبره فجاءوا برمتهم إلى نائب طبرية فقالوا علام سجنتم ابراهيم ابن أدهم قال ماسجنته قالوا بلى هو في سجنك فاستحضره فقال علام سجنتم فقال سل المسلحة قالوا أنت عبد قلت نعم وأنا عبدالله قالوا أبق قلت نعم وأنا عبد أبق من ذنوبي فخلى سبيله

وذكروا أنه مر مع رفقة فاذا الاسد على الطريق فتقدم إليه ابراهيم بن أدهم فقال له يا قسورة إن كنت أمرت فينا بشيء فافض ما أمرت به وإلا فعودك على يدك قالوا فولى السبع ذاهبا يضرب بذنبه ثم أقبل علينا إبراهيم فقال قولوا اللهم راعنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لا يرام وأرحمنا بقدرتك علينا ولا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال خلف بن تميم فما زلت أقولها منذ سمعتها فما عرض لي لص ولا غيره

وقد روى لهذا شواهد من وجوه آخر وروى أنه كان يصلي ذات ليلة فجاءه أسد ثلاثة فتقدم إليه أحدهم فشم ثيابه ثم ذهب فريض قريبا منه وجاء الثاني ففعل مثل ذلك وجاء الثالث ففعل مثل ذلك واستمر إبراهيم في صلاته فلما كان وقت السحر قال لهم إن كنتم أمرتم بشيء فهلتموا وإلا فانصرفوا فانصرفوا وصعد مرة جبلا بمكة ومعه جماعة فقال لهم فقال لهم لو أن وليا من أولياء الله قال لجبل زل لزال فتحرك الجبل تحته فوكزه برجله وقال اسكن اسكن وإنما ضربتكم مثلا لأصحابي وكان الجبل أبا قبيس وركب مرة سفينة فأخذهم الموج من كل مكان فلف إبراهيم رأسه بكسائه واضطجع وعج أصحاب السفينة بالصجيج والدعاء وأيقظوه وقالوا الا تري ما نحن فيه من الشدة فقال ليس هذه شدة وإنما الشدة الحاجة إلى الناس ثم قال اللهم أرئتنا قدرتك فأرنا عفوك فصار البحر كأنه قدح زيت وكان قد طالبه صاحب السفينة بأجرة حملة دينارين وألح عليه فقال له اذهب معي حتى أعطيك دينارين فأتى إلى جزيرة في البحر فتوضأ إبراهيم وصلى ركعتين ودعا وإذا ما حوله قد مليء دنائير فقال له خذ حقك ولا تزدد ولا تذكر هذا لأحد وقال حذيفة المرعشي أويت أنا وإبراهيم إلى مسجد خراب بالكوفة وكان قد مضى علينا أياما لم نأكل فيها شيئا فقال لي كأنك جائع قلت نعم فأخذ رقعة فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال المشار إليه بكل معنى

أنا حامد أنا ذاكر أنا شاكر * أنا جائع أنا حاسر أنا عاري
هي ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها ياباري
مدحي لغيرك وهج نار خضتها * فأجر عبيدك من دخول النار
ثم قال أخرج بهذه الرقعة ولا تعلق قلبك بغير الله سبحانه وتعالى وادفع هذه الرقعة لأول رجل تلقاه فخرجت فإذا رجل على بغلة فدفعتها إليه فلما قرأها بكى ودفع إلى ستمائة دينار وإنصرف فسألت رجلا من هذا الذي على البغلة فقالوا هو رجل نصراني فجئت إبراهيم فأخبرته فقال الآن يجيء فيسلم فما كان غير قريب حتى جاء فأكب على رأس إبراهيم

وأسلم وكان إبراهيم يقول دارنا امامنا وحياتنا بعد وفاتنا فاما الى الجنة وإما الى النار مثل لبصرك حضور ملك الموت وأعوانه لقبض روحك وانظر كيف تكون حينئذ ومثل له هول المضجع ومساءلة منكر ونكير وانظر كيف تكون ومثل له القيامة وأهوالها وأفزاعها والعرض والحساب وانظر كيف تكون ثم صرخ صرخة خر مغشيا عليه ونظر إلى رجل من أصحابه يضحك فقال له لا تطمع فيما لا يكون ولا تنسى ما يكون فقيل له كيف هذا يا أبا إسحاق فقال

لا تطمع في البقاء والموت يطلبك فكيف يضحك من يموت ولا يدري أين يذهب به إلى جنة
أم إلى نار لا تنس ما يكون الموت يأتيك صباحا أو مساء ثم قال أوه أوه ثم خر مغشيا عليه
وكان يقول مالنا نشكو فقرنا إلى
مثلنا ولا نسأل كشفه من ربنا ثم يقول ثكلت عبدا أمه أحب الدنيا ونسي ما في خزائن مولاه
وقال إذا كنت بالليل نائما وبالنهار هائما وفي المعاصي دائما فكيف ترضى من هو بأمورك
قائما ورآه بعض أصحابه وهو بمسجد بيروت وهو يبكي ويضرب بيديه على رأسه فقال ما
بيكيك فقال ذكرت يوما تنقلب فيه القلوب والابصار وقال إنك كلما أمعنت النظر في مرآة
التوبة بان لك قبح شين المعصية
وكتب إلى الثوري من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن أطلق بصره طال أسفه ومن
أطلق أمله ساء عمله ومن أطلق لسانه قتل نفسه وسأله بعض الولاة من أين معيشتك
فأنشأ يقول

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
وكان كثيرا ما يتمثل بهذه الايات * لما توعد الدنيا به من شرورها
يكون بكاء الطفل ساعة يوضع
وإلا فما يبكيه منها وإنها * لأروح مما كان فيه وأوسع
إذا أبصر الدنيا استهل كأنما * يرى ما سيلقى من أذاها ويسمع
وكان يتمثل أيضا * رأيت الذنوب تميت القلوب
ويورثها الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة للقلوب * وخير لنفسك عصيانها
وما أفسد الدين إلا ملوك * وأحبار سوء ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يربحوا * ولم يغل بالبيع ائمانها
لقد رتع القوم في جيفة * تبين لذي اللب أنتانها
وقال انما الورع بتسوية كل الخلق في قلبك والاشتغال عن عيوبهم بذنبك وعلبك باللفظ
الجميل من قلب ذليل لرب جليل فكر في ذنبك وتب إلى ربك ينبت الورع في قلبك واقطع
الطمع إلا من ربك وقال ليس من أعلام الحب أن تحب ما يبغضه حبيبك ذم مولانا الدنيا
فمدحنا وأبغضها فأحببناها وزهدنا فيها فأثرناها ورغبنا في طلبها ووعدكم خراب الدنيا
فحصنتموها ونهاكم عن طلبها فطلبتتموها وأذركم الكنوز فكنزتموها ودعتكم إلى هذه
الغرارة دواعيها فأجبتكم مسرعين مناديتها خدعتكم بغرورها ومنتكم فانقدتم خاضعين لأمانيتها
تتمرغون في زهراتها وزخارفها وتتنعمون في لذاتها وتتقلبون في شهواتها وتتلوثون بتبعاتها
تتبشون بمخالب الحرص عن خزائنها وتحفرون بمعاول الطمع في معادنها وشكى إليه رجل
كثرة عياله فقال ابعث الي منهم من لا رزقه على الله فسكت الرجل وقال ومررت في
بعض جبال فإذا حجر مكتوب عليه بالعربية
كل حي وإن بقي * فمن العيش يستقي
فاعمل اليوم واجتهد * وأحذر الموت يا شقي
قال فبينما أنا واقف أقرأ وأبكي وإذا برجل أشعر أغبر عليه مدرعة من شعر فسلم وقال مم
تبكي فقلت من هذا فأخذ بيدي ومضى غير بعيد فإذا بصخرة عظيمة مثل المحراب فقال
اقرأ وابك ولا تقصر وقام هو يصلي فإذا في أعلاه نقش بين عربي
لا تبغين جاها وجاهك ساقط * عند المليك وكن لجاهك مصلحا
وفي الجانب الآخر نقش بين عربي * من لم يثق بالقضاء والقدر
لا قى هموما كثيرة الضرر
وفي الجانب الايسر نقش بين عربي
ما أزين التقى وما أفيح الخنا * وكا مأخوذ بما جنا
وعند الله الجزا
وفي أسفل المحراب فوق الارض بذراع أو أكثر
انما الفوز والغنى * في تقى الله والعمل

قال فلما فرغت من القراءة التفت فإذا ليس الرجل هناك فما أدري أنصرف أم حجب عني
وقال أثقل الاعمال في الميزان أثقلها على الابدان ومن وفى العمل وفي الاجر ومن لم
يعمل رحل من الدنيا إلى الآخرة بلا قليل ولا كثير وقال كل سلطان لا يكون عادلا فهو واللص
بمنزلة واحدة وكل عالم لا يكون ورعا فهو والذئب بمنزلة واحدة وكل من خدم سوى الله
فهو والكلب بمنزلة واحدة وقال ما ينبغي لمن ذل لله طاعته أن يذل لغير الله في مجاعته
فكيف بمن هو يتقلب في نعم الله وكفايته وقال أعربنا في كلامنا فلم نلحن ولحنا في أعمالنا
فلم نعرب وقال كنا إذا رأينا الشباب يتكلم في المجلس أيسنا من خيره وقال جانبوا الناس
ولا تنقطعوا عن جمعة ولا جماعة

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب أخبرنا القاضي أبو محمد الحسن بن الحسن بن محمد بن
زامين الاسترابادي قال أنبا عبدالله بن محمد الشيرازي أنبا القاضي أحمد بن خرزاد
الأهوازي حدثني علي بن محمد القصري حدثني أحمد بن محمد سمعت سريرا السقطي
يقول سمعت بشر بن الحارث الجافي يقول قال إبراهيم بن أدهم وقفت على راهب

فأشرف على فقلت له عطني فأنشأ يقول

خذ عن الناس جانبا * كن بعدوك راهبا

إن دهرا أظلني * قد أراني العجائبا

قلب الناس كيف شئ * ت تجدهم عقاربا

قال بشر فقلت لإبراهيم هذه موعظة الراهب لك فعطني أنت فأنشأ يقول

توحش من الاخوان لا تبغ مونييا * ولا تتخذ خلاولا تبغ صاحبا

وكن سامري الفعل من نسل آدم * وكن أوحديا ما قدرت مجانبا

فقد فسد الاخوان والحب والاخا * فلست ترى الامذوقا وكاذبا

فقلت ولولا أن يقال مدهده * وتنكر حالاتي لقد صرت راهبا

قال سرى فقلت لبشر هذه موعظة إبراهيم لك فعطني أنت فقال عليك بالخمول ولزوم

بيتك فقلت بلغني عن الحسن أنه قال لولا الليل وملافة الاخوان ما باليت متى مت فأنشأ

بشر يقول

يا من يسر برؤية الاخوان * مهلا أمنت مكاييد الشيطان

خلت القلوب من المعاد وذكره * وتشاغلوا بالحرص والخسران

صارت مجالس من ترى وحديثهم * في هتك مستور وموت جنان

قال الحلبي فقلت لسرى هذه موعظة بشر فعطني أنت فقال ما عليك بالاخمال فقلت أحب

ذاك فأنشأ يقول

وأضاف الأوزاعي إبراهيم بن أدهم فقصر إبراهيم في الاكل فقال مالك قصرت فقال لأنك

قصرت في الطعام ثم عمل إبراهيم طعاما كثيرا ودعا الأوزاعي فقال الأوزاعي أما تخاف

يامن من يروم بزعمه إخمالا * إن كان حقا فاستعد خصالا

ترك المجالس والتذاكر يا أخي * واجعل خروجك للصلاة خيالا

بل كن بها حيا كأنك ميت * ولا يرتجى منه القريب وصالا

قال محمد بن محمد القصري قلت للحلبي هذه موعظة سرى لك فعطني أنت قال يا أخي

أحب الاعمال إلى الله ما صعد إليه من قلب زاهد في الدنيا فازهد في الدنيا يحبك الله ثم

أنشأ يقول

أنت في دار شتات * فتأهب لشتاتك

وأجعل الدنيا كيوم * صمته عن شهواتك

وأجعل الفطر إذا * ما صمته يوم وفاتك

قال ابن خرزاد فقلت لعلي هذه موعظة الحلبي لك فعطني أنت فقال لي احفظ وقتك واسخ

بنفسك لله عز وجل وانزع قيمة الاشياء من قلبك يصفولك بذلك سرى ويذكو به ذكرك ثم

أنشد يقول

حياتك أنفسا تعد فكما * مضى نفس منها انتقضت به جزاء

فتصبح في نقص وتمسي بمثله * ومالك معقول تحس به زراء

يميتك ما يحييك في كل ساعة * ويحدوك حاد ما يزيد بك الهزاء

قال أبو محمد لأحمد هذه موعظة على لك فعطني فقال يا أخي عليك يلزوم الطاعة وإياك أن تفارق باب الفناعة وأصلح مثواك ولا تؤثر هواك ولا تبع آخرتك بدنياك واشتغل بما يعينك بترك ما لا يعينك ثم أنشد

ندمت على ما كان مني ندامة * ومن يتبع ما تشتهي النفس يندم
فخافوا لكيما تأمنوا بعد موتكم * ستلقون ربا عادلا ليس بظلم
فليس المغرور بدنياه زاجر * سيندم إن زلت به النعل فاعلموا

قال ابن زامين فقلت لأبي محمد هذه موعظة أحمد لك فعطني أنت فقال أعلم رحمك الله أن الله عز وجل ينزل العبيد حيث نزلت قلوبهم بهمومها فانظر أين ينزل قلبك وأعلم أن الله سبحانه يقرب من القلوب علي حسب ما تقربت منه وتقرب منه على حسب ما قرب إليها فانظر من القريب من قلبك وأنشدني

قلوب رجال في الحجاب نزول * وأرواحهم فيما هناك حلول
تروح نعيم الأنس في عز قربه * بأفراد توحد الجليل تحول
لهم بفناء القرب من محض بره * عوائد بذل خطيهم جليل

قال الخطيب فقلت لابن زامين هذه موعظة الحميدي لك فعطني أنت فقال اتق الله وثق به ولا تتهمه فان اختياره لك خير من اختارك لنفسك وأنشدني

اتخذ الله صاحباً * ودع الناس جانباً
جرب الناس كيف شئت * تجدهم عقارباً

قال أبو الفرج غيث الصوري فقلت للخطيب هذه موعظة ابن زامين لك فعطني أنت فقال احذر نفسك التي هي أعدى أعدائك أن تتابعها على هواها فذاك أعضل دائك واستشرف الخوف من الله تعالى بخلافها وكرر على قلبك ذكر نعوتها وأوصافها فإنها الأمانة بالسوء والفحشاء والموردة من أطاعها موارد العطب والبلاء واعمد في جميع أمورك إلى تحري الصدق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقد ضمن الله لمن خالف هواه أن يجعل له جنة الخلد قراره ومأواه ثم أنشد لنفسه

إن كنت تبغي الرشاد محضاً * في أمر دنياك والمعاد
فخالف النفس في هواها * إن الهوى جامع الفساد

قال ابن عساكر المحظوظ أن إبراهيم بن أدهم توفي سنة ثنتين وستين ومائة وقال غيره إحدى وستين وقيل سنة ثلاث والصحيح ما قاله ابن عساكر والله أعلم وذكروا أنه توفي في جزيرة من

جزائر الروم وهو مرابط وأنه ذهب إلى الخلاء ليله مات نحو من عشرين مرة وفي كل مرة يجدد الوضوء بعد هذا وكان به البطن فلما كانت غشية الموت قال أو تروا لي قوسي فأوترره فقبض عليه فمات وهو قابض عليه يريد الرمي به إلى العدو رحمه الله وأكرم مثواه وقد قال أبو سعيد بن الأعرابي حدثنا محمد بن علي بن يزيد الصائغ قال سمعت الشافعي يقول كان سفيان معجبا به

أجاعتهم الدنيا فخافوا ولم يزل * كذلك ذو التقوى عن العيش ملجما
أخو طيء داود منهم ومسعر * ومنهم وهيب والعريب أين أدهما
وفي ابن سعيد قدوة البر والنهي * وفي الوارث الفاروق صدقا مقدما
وحسبك منهم بالفضل مع ابنه * ويوسف ان لم يأل أن يتسلما
أولئك أصحابي وأهل مودتي * فصلي عليهم ذو الجلال وسلما
فما ضر ذا التقوى نصال أسنة * وما زال ذو التقوى أعز وأكرما
وما زالت التقوى تريك على الفتى * إذا محض من العزم ميسما

وروى البخاري في كتاب الأدب عن إبراهيم بن أدهم وأخرج الترمذي في جامعه حديثا معلقا في المسح على الخفين والله سبحانه أعلم

وفيها توفي سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي الفقيه الزاهد أخذ الفقه عن أبي حنيفة قال سفيان بن عيينه ثم ترك داود الفقه وأقبل على العبادة ودفن كتبه قال عبدالله بن المبارك وهل الأمر إلا ما كان عليه داود الطائي قال ابن معين كان ثقة وقد على المهدي ببغداد ثم عاد إلى الكوفة ذكره الخطيب البغدادي وقال مات في سنة ستين ومائة وقيل سنة

ست وخمسين ومائة وقد ذكر شيخنا الذهبي في تاريخه أنه توفي في هذه السنة أعني سنة
ثنتين وستين ومائة فإله أعلم .

2 ثم دخلت سنة ثلاث وستين ومائة

@ فيها حصر المقفع الزنديق الذي كان قد نبع بخراسان وقال بالتناسخ واتبعه على جهالته
وضلالته خلق من الطعام وسفهاء الأنام والسفلة من العوام فلما كان في هذا العام لجأ إلى
قلعة كش فحاصره سعيد الحريشي فألج عليه في الحصار فلما أحس بالغلبة تحسّى سما
وسم نساءه فماتوا جميعا عليهم لعائن الله ودخل الجيش الإسلامي قلعته فاختروا رأسه
وبعثوه إلى المهدي وكان المهدي يحلب قال ابن خلكان كان اسم المقنع عطاء وقيل حكيم
والأول أشهر وكان أولا قصارا ثم ادعى الربوبية مع أنه كان أعور قبيح المنظر وكان يتخذ له
وجها من ذهب واتبعه على جهالته خلق كثير وكان يرى الناس قمرا يرى من مسيرة شهرين
ثم يغيب فعظم اعتقادهم له ومنعوه بالسلاح وكان يزعم لعنة الله تعالى عما يقولون علوا
كبيرا ان الله ظهر في صورة آدم ولهذا سجدت له الملائكة ثم نوح ثم في الانبياء واحدا واحدا
ثم تحول إلى أبي مسلم الخراساني ثم تحول إليه ولما حاصره المسلمون في قلعته كان
جددها بناحية كش مما وراء النهر ويقال لها سنام تحسّى هو ونساؤه سما فماتوا واستحوذ
المسلمون على حواصله وأمواله

وفيهما جهز المهدي البعوث من خراسان وغيرها من البلاد لغزو الروم وامر على الجميع ولده
هارون الرشيد وخرج من بغداد مشيعا له فسار معه مراحل واستخلف على بغداد ولده
موسى الهادي وكان في هذا الجيش الحسين بن قحطبة والربيع الحاجب وخالد بن برمك
وهو مثل الوزير للرشيد ولي العهد ويحيى بن خالد وهو كاتبه وإليه النفقات وما زال المهدي
مع ولده مشيعا له حتى بلغ الرشيد إلى بلاد الروم وارتاد هناك المدينة المسماة بالمهدية في
بلاد الروم ثم رجع إلى الشام وزار بيت المقدس فسار الرشيد إلى بلاد الروم ثم رجع إلى
الشام وزار بيت المقدس فسار الرشيد إلى بلاد الروم في جحافل عظيمة وفتح الله عليهم
فتوحات كثيرة وغنموا أموالا جزيلة جدا وكان لخالد بن برمك في ذلك أثر جميل لم يكن
لغيره وبعثوا بالبشارة مع سليمان بن برمك إلى المهدي فأكرمه المهدي وأجزل عطاءه
وفيهما عزل المهدي عمه عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وولى عليها زفر بن عاصم الهلالي
ثم عزله وولى عبد الله بن صالح بن علي وفيها ولى المهدي ولده هارون الرشيد بلاد
المغرب وأذربيجان وأرمينية وجعل على رسائله يحيى بن خالد بن برمك وولى وعزل جماعة
من النواب وحج بالناس فيها المهدي علي بن المهدي

وفيهما توفي إبراهيم بن طهمان وحريز بن عثمان الحمصي الرحبي وموسى بن علي اللخمي
المصري وشعيب بن أبي حمزة وعيسى بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح وإليه
ينسب قصر عيسى ونهر عيسى ببغداد قال يحيى بن معين كان له مذهب جميل وكان معتزلا
للسلطان توفي في هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة وهمام بن يحيى ويحيى بن أيوب
المصري وعبيدة بنت أبي كلاب العابد بكت من خشية الله أربعين سنة حتى عميت وكانت
تقول أشتهي الموت فاني أخشى أن أجني على نفسي جناية تكون سبب هلاكي يوم القيامة
2 ثم دخلت سنة أربع وستين ومائة

@ فيها غزا عبد الكبير بن عبد الحميد بن زيد بن الخطاب بلاد الروم فأقبل إليه ميخائيل
البطريق في نحو تسعين الفا فيهم طازاذ الأرمني البطريق ففشل عنه عبد الكبير ومنع
المسلمين من القتال وانصرف راجعا - فأراد المهدي ضرب عنقه فكلّم فيه فحبسه في
المطبق.

وفي يوم الأربعاء في أواخر ذي القعدة أسس المهدي قصرا من لبن بعبسا باذ ثم عزم على
الذهاب إلى الحج فإصابه حمى فرجع من أثناء الطريق فعطش الناس في الرجعة حتى كاد
بعضهم يهلك فغضب المهدي على يقطين صاحب المصانع وبعث من حيث رجع المهلب بن
صالح بن أبي جعفر ليحج بالناس فحج بهم عامئذ وفيها توفي شيبان بن عبد الرحمن النحوي
وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ومبارك بن فضالة صاحب الحسن البصري
2 ثم دخلت سنة خمس وستين ومائة

@ فيها جهاز المهدي ولده الرشيد لغزو الصائفة وأنفذ معه من الجيوش خمسة وتسعين ألفا وسبعمائة وثلاثة وتسعين رجلا وكان معه من النفقة مائة ألف دينار وأربعة وتسعون ألف دينار وأربعمائة وخمسون ديناراً ومن الفضة إحدى وعشرون ألفاً وأربعمائة ألف وأربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم قله ابن جرير فبلغ بجنوده خليج البحر الذي على القسطنطينية وصاحب الروم يومئذ أغسطه امرأة أليون ومعها ابنها في حجرها من الملك الذي توفي عنها فطلبت الصلح من الرشيد على أن تدفع له سبعين ألف دينار في كل سنة فقبل ذلك منها وذلك بعد ما قتل من الروم في الوقائع أربعة وخمسين ألفاً وأسروا من الداراري خمسة آلاف رأس وستمائيه وأربعين رأساً وقتل من الأسرى ألفي قتيل صبوا وغنم من الدواب بأدواتها عشرين ألف فرس وذبح من البقر والغنم مائة الآف رأس وبيع البرذون بدرهم والبغل بأقل من عشرة دراهم والدرع بأقل من درهم وعشرون سيفاً بدرهم فقال في ذلك مروان بن أبي حفصة

أطفت بقسطنطينية الروم مسنداً * إليها القنا حتى اكتسا الذل سورها
وما رمتها حتى أتتك ملوكها * بجزيتها والحرب تغلي قدورها
وحج بالناس صالح بن أبي جعفر المنصور وفيها توفي سليمان بن المغيرة وعبدالله بن العلاء
ابن دبر وعبد الرحمن بن نائب بن ثوبان ووهب بن خالد
2 ثم دخلت سنة ست وستين ومائة

@ في المحرم منها قدم الرشيد من بلاد الروم فدخل بغداد في أبهة عظيمة ومعه الروم يحملون الجزية من الذهب وغيره وفيها أخذ المهدي البيعه لولده هارون من بعد موسى الهادي ولقب بالرشيد

وفيها سخط المهدي على يعقوب بن داود وكان قد حظي عنده حتى استوزره وارتفعت منزلته في الوزارة حتى فوض إليه جميع أمر الخلافة وفي ذلك يقول بشار بن برد
بني امية هبوا طال نومكم * إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبوا * خليفة الله بين الخمر والعود
فلما نزل السعادة والوشاة بينه وبين الخليفة حتى أخرجوه عليه وكلما سعوا به إليه دخل إليه فأصلح أمره معه حتى وقع من أمره ما سأذكره وهو أنه دخل ذات يوم على المهدي في مجلس عظيم قد فرش بأنواع الفرش وألوان الحرير وحول ذلك المكان أصحاب مزهرة بأنواع الازاهير فقال يا يعقوب كيف رأيت مجلسنا هذا فقال يا أمير المؤمنين ما رأيت أحسن منه فقال هو لك بما فيه وهذه الجارية ليتم بها سرورك ولى إليك حاجة أحب أن تقضيها قلت وما هي يا أمير المؤمنين فقال حتى تقول نعم فقلت نعم وعلى السمع والطاعة فقال الله فقلت الله قال وحياء رأسي قلت وحياء رأسك فقال ضع يدك على رأسي وقل ذلك ففعلت فقال إن ههنا رجل من العلويين أحب أن تكفينيه والظاهر أنه الحسن بن إبراهيم بن عبدالله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب فقلت نعم فقال وعجل علي ثم أمر بتحويل ما في ذلك المجلس إلى منزلي وأمر لي بمائة ألف درهم وتلك الجارية فما فرحت بشي فرحي بها فلما صار بمنزلي حجبتها من جانب الدار في خدر فأمرت بذلك العلوي فجيء به فجلس إلى فتكلم فما رأيت أعقل منه ولا أفهم ثم قال لي يا يعقوب تلقي الله بدمي وأنا رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله ولكن إذهب حيث شئت وابن شئت فقال إني أختار بلاد كذا وكذا فقلت اذهب كيف شئت ولا يظهرن عليك المهدي فتهلك وأهلك فخرج من عندي وجهزت معه رجلين يسفرانه ويوصلانه بعض البلاد ولم أشعر بأن الجارية قد أحاطت علما بما جرى وانها كالجاسوس علي فبعثت بخادمها إلى المهدي فأعلمته بما جرى فبعث إلى تلك الطريق فردوا ذلك العلوي فحسبه عنده في بيت من دار الخلافة وأرسل الي من اليوم الثاني فذهبت إليه ولم أشعر من أمر العلويين بشيء فلما دخلت عليه قال ما فعل العلوي قلت مات قال الله قلت الله قال فضع يدك على رأسي واحلف بحياته ففعلت فقال يا غلام أخرج ما في هذا البيت فخرج العلوي فاسقط في يدي فقال المهدي دمك حلال ثم أمر به فألقي في بئر في المطبق قال يعقوب فكنت في مكان لا أسمع فيه ولا أبصر فذهب بصري وطال شعري حتى صرت مثل البهائم ثم مضيت على مدد متطاولة فبينما أنا ذات يوم إذ دعيت فخرجت من البئر فقيل لي سلم على أمير المؤمنين

فسلمت وأنا أظنه المهدي فلما ذكرت المهدي قال رحم الله المهدي فقلت الهادي فقال
رحم الله الهادي فقلت الرشيد قال نعم فقلت يا أمير المؤمنين قد رأيت ما حل بي من
الضعف والعلّة فان رأيت أن تطلقني فقال أين تريد قلت مكة فقال اذهب راشدا فسار إلى
مكة فما لبث بها إلا قليلا حتى مات رحمه الله تعالى

وقد كان يعقوب هذا يعظ المهدي في تعاطيه شرب النبيذ بين يديه وكثرة سماع الغناء فكان
يلومه على ذلك ويقول ما على هذا استوزرتني ولا على هذا صحبتك أبعث الصلوات الخمس
في المسجد الحرام يشرب الخمر ويغنى بين يديك فيقول له المهدي فقد سمع عبد الله بن
جعفر فقال له يعقوب إن ذلك لم يكن له من حسناته ولو كان هذا قربه لكان كلما داوم عليه
العبد أفضل وفي ذلك يقول بعض الشعراء حتا للمهدي على ذلك
فدع عنك يعقوب بن داود جانبا * وأقبل على صهباء طيبة النشر

وفيهما ذهب المهدي إلى قصره المسمى بعيسا بأبنى له بالأجر بعد القصر الاول الذي بناه
بالبن فسكنه وضرب هناك الدراهم والدنانير وفيها أمر المهدي بإقامة البريد بين مكة
والمدينة واليمن ولم يفعل أحد هذا قبل هذه السنة وفيها خرج موسى الهادي إلى جرجان
وفيهما ولي القضاء أبا يوسف صاحب ابي حنيفة وفيها حج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد
عامل الكوفة ولم يكن في هذه السنة صائفة للهدنة التي كانت بين الرشيد وبين الروم وفيها
توفي صدقة بن عبدالله السمين وأبو الأشهب العطاري وأبو بكر النهشلي وعفير بن معدان
2 ثم دخلت سنة سبع وستين ومائة

@ فيها وجه المهدي ابنه موسى الهادي إلى جرجان في جيش كثيف لم ير مثله وجعل على
رسائله أبان بن صدقة وفيها توفي عيسى بن موسى الذي كان ولي العهد من بعد المهدي
مات بالكوفة فأشهد نائبها روح بن حاتم على وفاته القاضي وجماعة من الاعيان ثم دفن
وكان قد امتنع من الصلاة عليه فكتب إليه المهدي يعنفه أشد التعنيف وأمر بمحاسنته على
عمله وفيها عزل المهدي أبا عبيدالله معاوية بن عبيد الله عن ديوان الرسائل وولاه الربيع بن
يونس الحاجب فاستخلف فيه سعيد بن واقد وكان أبو عبيد الله يدخل على مرتبته وفيها وقع
وباء شديد وسعال كثير ببغداد والبصرة وأظلمت الدنيا حتى كانت كالليل حتى تعالي النهار
وكان ذلك لليال يقين من ذي الحجة من هذه السنة وفيها تتبع المهدي جماعة من الزنادقة في
سائر الآفاق فاستحضرهم وقتلهم صبورا بين يديه وكان المتولي أمر الزنادقة عمر الكلواذي
وفيهما أمر المهدي بزيادة كثيرة في المسجد الحرام فدخل في ذلك دور كثيرة وولى ذلك
ليقطين بن موسى الموكل بأمر الحرمين فلم يزل في عمارة ذلك حتى مات المهدي كما
سيأتي ولم يكن للناس صائفة للهدنة وحج بالناس نائب المدينة إبراهيم بن محمد وتوفى بعد
فراغه من الحج بأيام وولى مكانه اسحاق بن عيسى بن علي بن عبدالله بن عباس
وممن توفي فيها من الاعيان

بشار بن برد أبو معاذ الشاعر مولى عقيل ولد أعمى وقال الشعر وهو دون عشر سنين وله
التشبيهات التي لم يهتد اليها البصراء وقد أثنى عليه الأصمعي والجاحظ وأبو تمام وأبو عبيدة
وقال

له ثلاثة عشر الف بيت من الشعر فلما بلغ المهدي أنه هجاه وشهد عليه قوم أنه زنديق أمر
به فضرب حتى مات عن بضع وسبعين سنة وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات فقال بشار بن
برد بن يرجوخ العقيلي مولاهم وقد نسبته صاحب الاغانى فأطال نسبه وهو بصري قدم بغداد
أصله من طخارستان وكان ضخما عظيم الخلق وشعره في اول طبقات المولدين ومن
شعره البيت المشهور

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فإن الحب أقصاني
وقوله * انا والله اشتهي سحر عينيك
وأخشى مصارع العشاق

وله

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة * والاذن تعشق قبل العين احيانا
اتخذ الله صاحبا * ودع الناس جانبا
قالوا لم لا نرى عينك قلت لهم الاذن كالعين تروى القلب مكانا

وله

إذا بلغ الرأي التشاور فاستعن * بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فريش الخوافي قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم تؤد بقائم
كان بشار يمدح المهدي حتى وشى إليه الوزير أنه هجاه وقذفه ونسبه إلى شيء من الزندقة
وأنه يقول بتفضيل النار على التراب وعذر إبليس في السجود لأم وأنه أنشد
الأرض مظلمة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار
فأمر المهدي بضربه فضرب حتى مات ويقال إنه غرق ثم نقل إلى البصرة في هذه السنة
وفيها توفي الحسن بن صالح بن حي وحمام بن سلمه والربيع بن مسلم وسعيد بن عبد
العزیز ابن مسلم وعتبة الغلام وهو عتبة بن أبان بن صمعة أحد العباد المشهورين البكائين
المذكورين كان يأكل من عمل يده في الخوص ويصوم الدهر ويفطر على الخبز والملح
والقاسم الحذاء وأبو هلال محمد بن سليم ومحمد بن طلحة وأبو حمزة اليشكري محمد بن

ميمون

2 ثم دخلت سنة ثمان وستين ومائة

@ فيها في رمضان منها نقضت الروم ما بينهم وبين المسلمين من الصلح الذي عقده هارون
الرشيد عن أمر أبيه المهدي ولم يستمروا على الصلح إلا ثنتين وثلاثين شهرا فبعث نائب
الجزيرة خيلا إلى الروم فقتلوا وأسروا وغنموا وسلموا وفيها اتخذ المهدي دواوين الأزرمة ولم
يكن بنو أمية يعرفون ذلك وفيها حج بالناس على بن محمد المهدي الذي يقال له ابن ربيعة
وفيها توفي الحسن

ابن يزيد بن حسن بن علي بن أبي طالب ولاة المنصور المدينة خمس سنين ثم غضب عليه
فضربه وحبسها وأخذ جميع ماله وحمام عجرد كان ظريفا ماجنا شاعرا وكان ممن يعاشر
الوليد ابن يزيد وبهاجي بشار بن برد وقدم على المهدي ونزل الكوفة واتهم بالزندقة قال بن
قتيبة في طبقات الشعراء ثلاثة حمادون بالكوفة يرمون بالزندقة حماد الرواية وحمام عجرد
وحمام بن الزبيرقان النحوي وكانوا يتشاعرون ويتماجنون وخارجه بن مصعب وعبد الله بن
الحسن ابن الحصن بن أبي الحسن البصري قاضي البصرة بعد سوار سمع خالد الحذاء
وداود بن أبي هند وسعيدا الجربري وروى عنه ابن المهدي وكان ثقة فقهائ به اختيارات تعزى
إليه غريبة في الأصول والفروع وقد سئل عن مسألة فأخطأ في الجواب فقال له قائل
الحكم فيها كذا وكذا فأطرق ساعة ثم قال إذا أرجع وأنا صاغر لأن أكون ذنبا في الحق أحب
الي من أن أكون رأسا في الباطل توفي في ذي القعدة من هذه السنة وقيل بعد ذلك بعشر
سنين قاله أعلم غوث ابن سليمان بن زياد بن ربيعة أبو يحيى الجرمي قاضي مصر كان من
خيار الحكام ولي الديار المصرية ثلاث مرات في أيام المنصور والمهدي وفليح بن سليمان
وقيس بن الربيع في قول ومحمد بن عبدالله بن علاثة بن علقمة بن مالك أبو اليسر العقلي
قاضي الجانب الشرقي من بغداد للمهدي وهو وعافية بن يزيد وكان لابن علاثة قاضي
الجن لأنه كانت بئر يصاب من أخذ منها شيئا فقال أيها الجن إنا حكمنا ان لكم الليل ولنا
النهار فكان من أخذ منها شيئا في النهار لم يصبه شيء قال ابن معين كان ثقة وقال البخاري
في حفظه شيء

2 ثم دخلت سنة تسع وستين ومائة

@ فيها في المحرم منها توفي المهدي بن المنصور بمكان يقال له ما سبذان بالحمى وقيل
مسموما وقيل عضه فرس فمات
هذه ترجمته

هو محمد بن علي بن عبدالله بن عباس أبو عبدالله المهدي أمير المؤمنين وإنما لقب
بالمهدي رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث فلم يكن به وإن اشتركا في الاسم فقد
افترقا في الفعل ذلك يأتي آخر الزمان عند فساد الدنيا فيملا الأرض عدلا كما ملئت فجورا
وظلما وقد قيل إن في أيامه ينزل عيسى بن مريم بدمشق كما سيأتي ذلك في أحاديث
الفتن والملاحم وقد جاء في حديث من طريق عثمان بن عفان أن المهدي من بني العباس
وجاء موقوفا على ابن عباس وكعب الاحبار ولا يصح وتتقدير صحة ذلك لا يلزم أن يكون على

التعيين وقد ورد في حديث آخر أن المهدي من ولد فاطمة فهو يعارض هذا والله أعلم وأم المهدي بن المنصور أم موسى

بنت منصور بن عبدالله الحميري وروى عن أبيه عن جده عبدالله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر ببسم الله الرحمن الرحيم رواه عنه يحيى بن حمزة النهشلي قاضي دمشق وذكر أنه صلى خلف المهدي حين قدم دمشق فجهر في السورتين بالبسملة وأسند ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه غير واحد من يحيى بن حمزة ورواه المهدي عن المبارك بن فضاله ورواه عنه أيضا جعفر ابن سليمان الضبيعي ومحمد بن عبدالله الرقاشي وأبو سفيان سعيد بن يحيى بن المهدي

وكان مولد المهدي في سنة ست أو سبع وعشرين ومائة أو في سنة إحدى وعشرون ومائة ولى الخلافة بعد موت أبيه في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وعمره إذ ذاك ثلاث وثلاثون سنة ولد بالحميمة من أرض البلقاء وتوفي في المحرم من هذه السنة أعني سنة تسع وستين ومائة عن ثلاث أو ثمان وأربعين سنة وكانت خلافته عشر سنين وشهرا وبعض الشهر وكان أسمر طويلا جعد الشعر على إحدى عينيه نكته بيضاء قيل على عينه اليمنى وقيل اليسرى قال الربيع الحاجب رأيت المهدي يصلي في ليلة مقمرة في بهولة عليه ثياب حسنة فما أدري هو أحسن أم القمر أم بهوة أم ثيابه فقرا فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم الآية ثم أمرني فأحضرت رجلا من أقاربه كان مسجونا فأطلقه ولما جاء خبر موت أبيه بمكة كما تقدم كتم الأمر يومين ثم نودي في الناس يوم الخميس الصلاة جامعة فقام فيهم خطيبا فأعلمهم بموت أبيه وقال إن أمير المؤمنين دعى فأجاب فعند الله أحسن أمير المؤمنين وأستعينه على خلافة المسلمين ثم بايعه الناس بالخلافة

يومئذ وقد عزاه أبو دلامة وهناك في قصيدة له يقول فيها
عيناى واحدة ترى مسرورة * بأمرها جذلا وأخرى تذرف
تكي وتضحك تارة ويسؤها * ما أنكرت ويسرها ما تعرف
فيسؤها موت الخليفة محرما * ويسرها أن قام هذا الأراف
ما أن رأيت كما رأيت ولا أرى * شعرا أرجله وأخر ينتف
هلك الخليفة يال أمة أحمد * واناكم من بعده من يخلف
أهدى لهذا الله فضل خلافة * ولذاك جنات النعيم تزخرف

وقد قال المهدي يوما في خطبة أباها الناس أسروا مثلما تعلنون من طاعتنا تهنكم العافية وتحمدوا العاقبة واخفظوا جناح الطاعة لمن ينشر معدلته فيكم ويطوي ثوب الاصر عنكم وأهل عليكم السلامة ولين المعيشة من حيث أراه الله مقدا ذلك على فعل من تقدمه والله لأعفين عمري من عقوبتكم ولأحملن نفسي على الاحسان اليكم قال فأشرفت وجوه الناس من حسن كلامه ثم استخرج حواصل أبيه من الذهب والفضة التي كانت لا تحد ولا توصف كثرة ففرقها

في الناس ولم يعط أهله ومواليه منها شيئا بل أجرى لهم أرزاقا بحسب كفايتهم من بيت المال لكل واحد خمسمائة في الشهر غير الاعطيات وقد كان أبوه حريصا على توفير بيت المال وإنما كان ينفق في السنة ألفي درهم من مال السراة وأمر المهدي ببناء مسجد الرصافة وعمل خندق وسور حولهما وبنى مدنا ذكرناها فيما تقدم وذكره عن شريك بن عبدالله القاضي أنه لا يرى الصلاة خلفه فأحضره فتكلم معه ثم قال له المهدي في جملة كلامه يا ابن الزانية فقال له شريك مه مه يا أمير المؤمنين فلقد كانت صوامه قوامه فقال له يا زنديق لأقتلنك فضحك شريك فقال يا أمير المؤمنين إن للزنادقة علامات يعرفون بها شربهم القهوات واتخاذهم القينات فأطرق المهدي وخرج شريك من بين يديه وذكروا أنه هاجت ريح شديدة فدخل المهدي بيتا في داره فألرق خده بالتراب وقال اللهم إن كنت انا المطلوب بهذه العقوبة دون الناس فما أنا ذا بين يديك اللهم لا تشمت بي الاعداء من أهل الاديان فلم يزل كذلك حتى نجلت ودخل عليه رجل يوما ومعه نعل فقال هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اهديتها لك فقال هاتها فناوله إياها فقبلها ووضعها على عينيه وأمر له بعشرة آلاف درهم فلما انصرف الرجل قال المهدي والله اني لأعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير هذه النعل فضلا عن أن يلبسها ولكن لو

ردته لذهب يقول للناس أهديت إليه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها على فتصدقه الناس لأن العامة تميل إلى أمثالها ومن شأنهم نصر الضعيف على القوي إن كان ظالما فاشترينا لسانه بعشرة آلاف درهم ورأينا هذا أرجح وأصلح واشتهر عنه أنه كان يحب اللعب بالحمام والسباق بينها فدخل عليه جماعة من المحدثين فيهم عتاب بن إبراهيم فحدثه بحديث أبي هريرة لا سبق إلا في خوف أو نعل أو حافر وزاد الحديث أو جناح فأمر له بعشرة آلاف ولما خرج قال والله إنني أعلم أن عتابا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر بالحمام فذبحه ولم يذكر عتابا بعدها وقال الواقدي دخلت على المهدي يوما فحدثته بأحاديث فكتبتها عني ثم قام فدخل بيوت نسائه ثم خرج وهو ممتليء غيظا فقلت مالك يا أمير المؤمنين فقال دخلت على الخيزران فقامت ومزقت ثوبي وقالت ما رأيت منك خيرا واني والله يا واقدي إنما اشتريتها من نخاس وقد نالت عندي ما نالت وقد بايعت لولديها بأمره المؤمنين من بعدي فقلت يا أمير المؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انهن يغلبن الكرام ويغلبهن اللثام وقال

خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله وقد خلقت المرأة من ضلع أعوج إن قومته كسرته وحدثته في هذا الباب بكلام حضرني فأمر لي بألفي دينار فلما وإفيت المنزل إذا رسول الخيزران قد لحقني بألفي دينار إلا عشرة دنانير وإذا معه أثواب أخر وبعثت تشكرني وثنيت على معروف

وذكر أن المهدي كان قد أهدر دم رجل من أهل الكوفة وجعل لمن جاء به مائة الف فدخل الرجل بغداد متنكرا فلقبه رجل فأخذ بمجامع ثوبه ونادى هذا طلبه أمير المؤمنين وجعل الرجل يريد أن يفلت منه فلا يقدر فيبينما هما يتجاذبان وقد اجتمع الناس عليهما إذ مر أمير في موكبه وهو معن بن زائده فقال الرجل يا أبا الوليد خائف مستجير فقال معن وبلك مالك وله فقال هذا طلبه أمير المؤمنين جعل لمن جاء به مائة الف قال معن أما علمت أني قد أجرته أرسله من يدك ثم أمر بعض غلمانه فترجل وأركبه وذهب به إلى منزله وانطلق ذلك الرجل إلى باب الخليفة وأنهى اليهم الخبر فبلغ المهدي فأرسل إلى معن فدخل عليه فسلم ولم يرد عليه السلام وقال يا معن أبلغ من أمرك أن تجير على قال نعم قال ونعم أيضا نعم قد قتلت في دولتكم أربعة الاف مصل فلا يجار لي رجل واحد فأطرق المهدي ثم رفع رأسه إليه وقال وقد أجرنا من أجرت يا معن فقال يا أمير المؤمنين إن الرجل ضعيف فأمر له بثلاثين الفا فقال إن جريمته عظيمة وإن جوائز الخلفاء على قدر جرائم الرعية فأمر له بمائة الف فحملت بين يدي معن إلى ذلك الرجل فقال له معن خذ المال وأدع لأمير المؤمنين وأصلح نيتك في المستقبل

وقدم المهدي مرة البصرة فخرج ليصلي بالناس فجاء أعرابي فقال يا أمير المؤمنين مر هؤلاء فلينتظروني حتى أتوا يعني المؤذنين فأمرهم بانتظاره ووقف المهدي في المحراب لم يكبر حتى قيل له هذا الاعرابي قد جاء فكبر فتعجب الناس من سماحة أخلاقه وقدم أعرابي ومعه كتاب مختوم فجعل يقول هذا كتاب أمير المؤمنين إلى أين الرجل الذي يقال له الربيع الحاجب فأخذ الكتاب وجاء به إلى الخليفة وأوقف الاعرابي وفتح الكتاب فإذا هو قطعة أديم فيها كتابة ضعيفة والاعرابي يزعم أن هذا خط الخليفة فتبسم المهدي وقال صدق الاعرابي هذا خطي إني خرجت يوما إلى الصيد فضعت عن الجيش وأقبل الليل فتعودت بتعويذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقع لي نار من بعيد فقصدتها فإذا هذا الشيخ وامراته في خباء يوقدان نارا فسلمت عليهما فردا السلام وفرش لي كساء وسقاني من لبن مشوب بماء فما شربت شيئا إلا وهي أطيب منه ونمت نومة على تلك العباءة ما أذكر أني نمت أحلى منها فقام إلى شويهة فذبحها فسمعت امرأته تقول له عمدت إلى مكسبك ومعيشة أولادك فذبحتها هلكت نفسك وعيالك فما التفت إليها واستيقظت فاشتويت من لحم تلك الشويهة وقلت له أعندك شيء أكتب لك فيه كتابا فأثاني بهذه القطعة فكتبت بهذه القطعة فكتبت له بعود من ذلك الرماد خمسمائة الف وإنما أردت خمسين الفا والله لأنفذنها له كلها ولو لم يكن في بيت المال سواها فأمر له بخمسمائة الف

فقبضها الاعرابي واستمر مقيما في ذلك الموضع في طريق الحاج من ناحية الانبار فجعل يقري الضيف ومن مر به من الناس فعرف منزله بمنزل مضيف أمير المؤمنين المهدي وعن سوار صاحب رحبة سوار قال انصرفت يوما من عند المهدي فجننت منزلي فوضع لي الغداء فلم تقبل نفسي عليه فدخلت خلوتي لأنام في القائلة فلم يأخذني نوم فاستدعيت بعض حظاياي لاتلهي بها فلم تنبسط نفسي اليها فنهضت فخرجت من المنزل وركبت بغلتي فما جاوزت الدار إلا قليلا حتى لقيني رجل ومعه الف درهم فقلت من أين هذه فقال من ملكك الجديد فاستصحبته معي وسرت في أزقة بغداد لأتشاءغل عما أنا فيه من الضجر فحانت صلاة العصر عند مسجد في بعض الحارات فنزلت لأصلي فيه فلما قضيت الصلاة إذا برجل أعمى قد أخذ بشيبي فقال إن لى اليك حاجة اليك ف قلت ما حاجتك فقال اني رجل ضرير ولكني لما شممت رائحة طيبك ظننت أنك من أهل النعمة والثروة فأحببت أن أفصي اليك حاجتي فقلت وما هي فقال إن هذا القصر الذي تجاه المسجد كان لأبي فسافر منه إلى خراسان فباعه وأخذني معه وأنا صغير فافترقنا هناك وأصابني أنا الضرر فرجعنا إلى بغداد بعد أن مات أبي فجننت إلى صاحب هذا القصر أطلب منه شيئا اتبلغ به لعلني أجمع بسوار فإنه كان صاحبا لأبي فلعله أن يكون عنده سعة وجود منها علي فقلت ومن أبوك فذكر رجلا كان أصحاب الناس الي فقلت إنني أنا سوار صاحب ابيك وقد منعني الله يومك هذا النوم والقرار والاكل والراحة حتى أخرجني من منزلي لأجتمع بك وأجلسني بين يديك وأمرت وكيلني فدفع له الألفي الدرهم التي معه وقلت له إذا كان الغد فأت منزلي في مكان كذا وكذا وركبت فجننت دار الخلافة وقلت ما أتجف المهدي الليلة في السمر بأغرب من هذا فلما قصصت عليه القصة تعجب من ذلك جدا وأمر لذلك الأعمى بألفي دينار وقال لي هل عليك دين قلت نعم قال كم قلت خمسون الف دينار فسكت وحادثني ساعة ثم قمت من بين يديه فوصلت إلى المنزل إذا الحمالون قد سبقوني بخمسين الف دينار وألفي دينار للأعمى فانتظرت الأعمى أن يجي في ذلك اليوم فتأخر فلما أمسى عدت إلى المهدي فقال قد فكرت في أمرك فوجدتك إذا قضيت دينك لم يبقى معك شيء وقد أمرت لك بخمسين ألف دينار أخرى فلما كان اليوم الثالث جاءني الأعمى فقلت قد رزقني الله بسببك خيرا كثيرا ودفعت له الألفي دينار التي من عند الخليفة وزدته من عندي أيضا وقفت امرأة المهدي فقالت يا عصبة رسول الله اقض حاجتي فقال المهدي ما سمعتها من أحد غيرها إقضوا حاجتها واعطوها عشرة الآف درهم ودخل ابن الخياط على المهدي فامتدحه فأمر له بخمسين الف درهم ففرقها ابن الخياط وأنشأ يقول
أخذت بكفي كفه ابتغي الغنى * ولم أدر أن الجود من كفه يعدى
فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى * أفدت وأعدني فبددت ما عندي
قال فبلغ ذلك المهدي فأعطاه بدل كل درهم دينار وبالجملة فان للمهدي مآثر ومحاسن كثيرة وقد كانت وفاته بما سبذان كان قد خرج اليها ليعث إلى ابنه الهادي ليحضر إليه من جرجان حتى يخلعه من ولايه العهد ويجعله بعد هارون الرشيد فامتنع الهادي من ذلك فركب المهدي إليه قاصدا إحصاره فلما كان بماسبذان مات بها وكان قد رأى في النوم وهو يقصره ببغداد المسمى بقصر السلامه كان شيخا وقف بباب القصر ويقال إنه سمع هاتفا يقول
كأنني بهذا القصر قد باد أهله * وأوحش منه ربه ومنازله
وصار عميد التوم بعد بهجة * ملك إلى قبر عليه جنادله
ولم يبق إلا ذكره وحديثه * تنادي عليه معولات حلائله
فما عاش بعدها إلا عشرا حتى مات وروى أنه لما قال له الهاتف
كأنني بهذا القصر قد باد أهله * وقد درست أعلامه ومنازله
فأجابه المهدي كذاك أمور الناس يبلى جديدها * وكل فتى يوما ستبلى فعائله
فقال الهاتف تزود من الدنيا فإنك ميت * وإنك مسئول فما أنت قائله
فأجابه المهدي * أقول بأن الله حق شهادته
وذلك قول ليس تحصى فضائله * فقال الهاتف
تزود من الدنيا فإنك راحل * وقد أرف الأمر الذي بك نازل
فأجابه المهدي * متى ذاك خبرني هديت فإنني

سأفعل ما قد قلت لي وأعاجله * فقال الهاتف
تلبث ثلاثا بعد عشرين ليلة * إلى منتهى شهر وما أنت كامله
قالوا فلم يعش بعدها إلا تسعا وعشرين يوما حتى مات رحمه الله تعالى
وقد ذكر ابن جرير اختلافا في سبب موته فقيل إنه ساق خلف ظبي والكلاب بين يديه فدخل
الطبي إلى خربة فدخلت الكلاب وراءه وجاء الفرس فحمل بمشوار فدخل الخربة فكسر
ظهره وكانت وفاته بسبب ذلك وقيل أن بعض حظايا بعثت إلى أخرى لبنا مسموما فمر
الرسول بالمهدي فأكل منه فمات وقيل بل بعثت إليها بصينيه فيها الكمثرى وفي أعلاها
واحدة كبيرة مسمومة وكان المهدي يعجبه الكمثرى فمرت به الجارية ومعها تلك الصينية
فأخذ التي في أعلاها فأكلها فمات من ساعته فجعلت الحظية تندبه وتقول وأمير المؤمنين
أردت أن يكون لي وحدي قتلته بيدي وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة أعني سنة
تسع وستين ومائة وله من العمر ثلاث وأربعون سنة على المشهور وكانت خلافته عشر
سنين وشهرا وكسورا ورثاه الشعراء بمراثي كثيرة قد ذكرها ابن جرير وابن عساكر
وفيها توفي عبيدالله بن زياد ونافع بن عمر الجمحي ونافع بن أبي نعيم القاري.
3 خلافة موسى الهادي بن المهدي

@ توفي أبوه في المحرم من أول سنة تسع وستين ومائة كان ولي العهد من بعد أبيه وكان
أبوه قد عزم قبل موته على تقديم أخيه الرشيد عليه في ولاية العهد فلم يتفق ذلك حتى
مات المهدي بما سبذان وكان الهادي إذ ذاك بجران فهم بعض الدولة منهم الربيع الحاجب
وطائفة من القواد على تقديم الرشيد عليه والمبايعة له وكان الرشيد حاضرا ببغداد وعزموا
على النفقة على الجند لذلك تنفيذا لماراه المهدي من ذلك فأسرع الهادي السير من جرجان
إلى بغداد حين بلغه الخبر فساق منها إليها في عشرين يوما فدخل بغداد وقام في الناس
خطيبا وأخذ البيعة منهم فبايعوه وتغيب الربيع الحاجب فتطلبه الهادي حتى حضر بين يديه
فعفا عنه وأحسن إليه وأقره على حجو بيته وزاده الوزراء ولايات آخر وشرع الهادي في
تطلب الزنادقة من الآفاق فقتل منهم طائفة كثيرة واقتدى في ذلك بأبيه وقد كان موسى
الهادي من أفكه الناس مع أصحابه في الخلوة فاذا جلس في مقام الخلافة كانوا لا
يستطيعون النظر إليه لما يعلوه من المهابة والرياسة وكان شابا حسنا وقورا مهيبا
وفيها أعني سنة تسع وستين ومائة خرج بالمدينة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن
علي بن أبي طالب وذلك أنه أصبح يوما وقد لبس البياض وجلس في المسجد النبوي وجاء
الناس إلى الصلاة فلما رأوه ولوا راجعين والتف عليه جماعة فبايعوه على الكتاب والسنة
والرضى من أهل البيت وكان سبب خروجه أن متوليها خرج منها إلى بغداد ليهنئ الخليفة
بالولاية ويعزبه في أبيه ثم جرت أمور اقتضت خروجه والتف عليه جماعة وجعلوا مأواهم
المسجد النبوي ومنعوا الناس من الصلاة فيه ولم يجبه أهل المدينة إلى ما أراد بل جعلوا
يدعون عليه لأنتهاهه المسجد حتى ذكر أنهم كانوا يقدرون في جنبات المسجد وقد اقتتلوا مع
المسودة مرات فقتل من هؤلاء وهؤلاء ثم ارتحل إلى مكة فأقام بها إلى زمن الحج فبعث
إليه الهادي جيشا فقاتلوه بعد فراغ الناس من الموسم فقتلوه وقتلوا طائفة من أصحابه
وهرب بقيتهم وتفرقوا شذرا مذرا فكان مدة خروجه إلى أن قتل تسعة أشهر وثمانية عشر
يوما وقد كان كريما من أجود الناس دخل يوما على المهدي فأطلق له أربعين ألف دينار
ففرقها في أهله وأصدقائه من أهل بغداد والكوفة ثم خرج من الكوفة وما عليه قميص إنما
كان عليه فروة وليس تحتها قميص

وفيها حج بالناس سليمان بن أبي جعفر عم الخليفة وغزا الصائفة من طريق درب الراهب
معتوق بن يحيى في جحفل كثيف وقد أقبلت الروم مع بطريقها فبلغوا الحدث وفيها توفي
الحسن بن علي بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب قتل في أيام التشريق
كما تقدم.

والربيع بن يونس الحاجب مولى المنصور وكان حاجبه ووزيره وقد وزر للمهدي والهادي
وكان بعضهم يطعن في نسبه وقد أورد الخطيب في ترجمة حديثا من طريقة ولكنه منكر
وفي صحته عنه نظر وقد ولي الحجووية بعده ولده الفضل بن الربيع ولاه إياها الهادي
2 ثم دخلت سنة سبعين ومائة من الهجرة النبوية

@ وفيها عزم الهادي على خلع أخيه هارون الرشيد من الخلافة وولاية العهد لابنه جعفر بن الهادي فانقادا هارون لذلك ولم يظهر عليه منازعة بل أجاب واستدعى الهادي جماعة من الأمراء فأجابوه إلى ذلك وأبت أمهما الخيزران وكانت تميل إلى ابنها هارون أكثر من موسى وكان الهادي قد منعها من التصرف في شيء من المملكة لذلك بعدما كانت قد استحوذت عليه في أول ولايته وانقلبت الدول إلى بابها والأمراء إلى جانبها فحلف الهادي لئن عاد أمير إلى بابها ليضرب عنقه ولا يقبل منه شفاعة فامتنعت من الكلام في ذلك وحلفت لا تكلمه أبدا وانتقلت عنه إلى منزل آخر وألح هو على أخيه هارون في الخلع وبعث إلى يحيى بن خالد بن برمك وكان من أكابر الأمراء الذين هم من في صف الرشيد فقال له ماذا ترى فيما أريد من خلع هارون وتولية ابني جعفر فقال له خالد اني اخشى ان تهون الايمان على الناس ولكن المصلحة تقتضي ان تجعل جعفرا ولي العهد من بعد هارون وايضا فأني اخشى ان لا يجيب أكثر الناس إلى البيعة لجعفر لأنه دون البلوغ فيتفاهم الأمر ويختلف الناس فأطرق مليا وكان ذلك ليلا ثم أمر بسجنه ثم أطلقه وجاء يوما إليه أخوة هارون الرشيد فجلس عن يمينه بعيدا فجعل الهادي ينظر إليه مليا ثم قال يا هارون تطمع أن تكون وليا للعهد حقا فقال إي والله ولئن كان ذلك لأصلن من قطعت ولأنصفن من ظلمت ولأزوجن بنيك من بناتي فقال ذاك الظن بك فقام إليه هارون يقبل يده فحلف الهادي ليجلس معه على السرير فجلس معه ثم أمر له بألف دينار وأن يدخل الخزائن فيأخذ منها ما أراد وإذا جاء الخراج دفع إليه نصفه ففعل ذلك كله ورضي الهادي عن الرشيد ثم سافر الهادي إلى حديثة الموصل بعد الصلح ثم عاد منها فمات بعبسباد ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول وقيل لآخر سنة سبعين ومائة وله من العمر ثلاث وعشرون سنة وكانت خلافته سنة اشهر وثلاثة وعشرون يوما وكان طويلا جميلا أبيض بشفته العليا تقلص .

وقد توفي في هذه الليلة خليفة وهو الهادي وولى خليفة وهو الرشيد وولد خليفة وهو المأمون بن الرشيد وقد قالت الخيزران أمهما في أول الليل إنه بلغني أن يولد خليفة ويموت خليفة ويولى خليفة يقال انها سمعت ذلك من الأوزاعي قبل ذلك بمدة وقد سرها ذلك جدا ويقال إنها سمعت ولدها الهادي خوفا منها على ابنها الرشيد ولأنه كان قد أبعدها وأقصاها وقرب حظيته خالصة وأدناها فالله أعلم
3 وهذا ذكر شيء من ترجمة الهادي

@ هو موسى بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس أبو محمد الهادي ولي الخلافة في محرم سنة تسع وستين ومائة ومات في النصف من ربيع الأول أو الآخر سنة سبعين ومائة وله من العمر ثلاث وقيل أربع وقيل ست وعشرون سنة والصحيح الأول ويقال إنه لم يل الخلافة أحد قبله في سنة وكان حسنا جميلا أبيض وكان طويلا وكان قوي الباس يشب على الدابة وعليه ذرعان وكان أبوه يسميه ربحانتي ذكر عيسى بن دأب قال كنت يوما عند الهادي إذ جيء بطست فيه رأس جاريتين قد ذبحا وقطعا لم أر أحسن صورا منهما ولا مثل شعورهما وفي شعورهما اللآليء والجواهر منضدة ولا رأيت مثل طيب ريحهما فقال لنا الخليفة أتدرون ما شأن هاتين قلت لا فقال إنه ذكر أنه تركب إحداهما الأخرى يفعلان الفاحشة فأمرت الخادم فرصدهما ثم جاءني فقال إنهما مجتمعتان فجئت فوجدتهما في لحاف واحد وهما على الفاحشة فأمرت بجز رقابهما ثم أمر برفع رؤسهما من بين يديه ورجع إلى حديثه الأول كأنه لم يضيع شيئا وكان شهما خبيرا بالملك كريما ومن كلامه ما أصلح الملك بمثل تعجيل العقوبة للجاني والعفو عن الزلات ليقل الطمع عن الملك وغضب يوما من رجل فاسترضى عنه فرضي فشرع الرجل يعتذر فقال الهادي إن الرضا كفاك مؤنة الاعتذار وعزى رجلا في ولده فقال له سرى هو عدو وفتنة وساءك وهو صلاة ورحمة وروي الزبير بن بكار أن مروان ابن أبي حفصة أنشد الهادي قصيدة له منها قوله تشابه يوما بأسه ونواله * فما أحد يدري ليهما الفضل فقال له الهادي أيما أحب إليك ثلاثون ألفا معجلة أو مائة ألف تدور في الدواوين فقال يا أمير المؤمنين أو أحسن من ذلك قال ما هو قال تكون ألفا معجلة ومائة ألف تدور بالدواوين فقال وأحسن من ذلك نعجل الجميع لك فامر له بمائة ألف وثلاثين ألفا معجلة

قال الخطيب البغدادي حدثني الأزهرى ثنا سهل بن أحمد الديباجي ثنا الصولى ثنا الغلابى حدثني محمد بن عبدالرحمن التيمى المكي حدثني المطلب بن عكاشة المزني قال قدمنا على أبي محمد الهادي شهودا علي رجل منا أنه شتم قريشا وتخطى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس لنا مجلس أحضر فيه فقهاء أهل زمانه ومن كان بالحضرة على بابه وأحضر الرجل وأحضرنا فيشهدنا عليه بما سمعنا منه فتغير وجه الهادي ثم نكس رأسه ثم رفعه ثم قال إني سمعت أبي المهدي يحدث عن أبيه المنصور عن أبيه علي بن عبدالله بن عباس قال من أهان قريشا أهانه الله وأنت يا عدو الله لم ترضى بأن أذيت قريشا حتى تخطيت إلى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأضربوا عنقه فما برحنا حتى قتل

توفي الهادي في ربيع الاول من هذه السنة وصلى عليه أخوه هارون ودفن في قصر بناه وسماه الابيض بعيساباذ من الجانب الشرقي من بغداد وكان له من الولد تسعة سبعة ذكور وابنتان فالذكور جعفر وعباس وعبدالله واسحاق وإسماعيل وسليمان وموسى الأعمى الذي ولد بعد وفاته فسمى باسم أبيه والبنتان هما أم عيسى التي تزوجها المأمون وأم العباس تلقب توبه

3 خلافة هارون الرشيد بن المهدي

@ بوع له بالخلافة ليلة مات أخوه وذلك ليلة الجمعة للنصف من ربيع الأول سنة سبعين ومائة وكان عمر الرشيد يومئذ ثنتان وعشرين سنة فبعث إلى يحيى بن خالد بن برمك فأخرجه من السجن وقد كان الهادي عزم تلك الليلة على قتله وقتل هارون الرشيد وكان الرشيد ابنه من الرضاة فولاه حينئذ الوزارة وولى يوسف بن القاسم بن صبيح كتابة الانشاء وكان هو الذي قام خطيبا بين يديه حتى أخذت البيعة له على المنبر بعيساباذ ويقال إنه لما مات الهادي في الليل جاء يحيى ابن خالد بن برمك إلى الرشيد فوجده نائما فقال قم يا أمير المؤمنين كم تروعني لو سمعك هذا الرجل لكان ذلك أكبر ذنوبي عنده فقال قد مات الرجل فجلس هارون فقال أشر علي في الولايات فجعل يذكر الأقاليم لرجال يسميهم فيوليهام الرشيد فبينما هما كذلك إذ جاء آخر فقال أبشر يا أمير المؤمنين فقد ولدك الساعة غلام فقال هو عبدالله وهو المأمون ثم أصبح فصلى على أخيه الهادي ودفنه بعيساباذ وحلف لا يصلي الظهر إلا ببغداد فلما فرغ من الجنزة أمر بضرب عنق أبي عصمة القائد لأنه كان مع جعفر بن عبد الهادي فزاحموا الرشيد على جسر فقال أبو عصمة أصبر وقف حتى يجوز ولى العهد فقال الرشيد السمع والطاعة للأمير فجاز جعفر وأبو عصمة ووقف الرشيد مكسورا ذليلا فلما ولي بضرب عنق أبي عصمة ثم سار إلى بغداد فلما انتهى إلى جسر بغداد استدعى بالغواصين فقال إني سقطت مني ههنا خاتم كان والدي المهدي قد اشتراه لي بمائة ألف فلما كان من أيام بعث إلى الهادي يطلبه فألقيته إلى الرسول فسقط ههنا فغاص الغواصون وراءه فوجدوه فسر به الرشيد سرورا كثيرا ولما ولى الرشيد يحيى بن خالد الوزارة قال له قد وضعت اليك أمر الرعية وخلعت ذلك من عنقي وجعلته في عنقك فول من رأيت وأعزل من رأيت ففي ذلك يقول إبراهيم بن الموصلي

ألم تر الشمس كانت سقيمة * فلما ولى هارون أشرق نورها
بيمن أمين الله هارون ذي الندى * فهارون واليها ويحيى وزيرها ثم إن هارون أمر يحيى بن خالد أن لا يقطع أمرا إلا بمشاورة والدته الخيزران فكانت هي المشاورة في الأمور كلها فتبرم وتحل وتمضي وتحكم

وفيها أمر الرشيد بسهم ذوي القربى أن يقسم بين بني هاشم على السواء وفيها تتبع الرشيد خلقا من الزنادقة فقتل منهم طائفة كثيرة وفيها خرج عليه بعض أهل البيت وفيها ولد الأمين محمد بن الرشيد ابن زبيدة وذلك يوم الجمعة لست خلت من شوال من هذه السنة وفيها كمل بناء مدينة طرسوس على يدي فرج الخادم التركي ونزلها الناس وفيها حج بالناس أمير المؤمنين الرشيد وأعطى أهل الحرمين أموالا كثيرة ويقال إنه غزا في هذه السنة أيضا وفي ذلك يقول داود بن رزين الشاعر

بهارون لاح النور في كل بلدة * وقام به في عدل سيرته النهج
إمام بذات الله أصبح شغله * وأكثر ما يعني به الغزو والحج

تضيق عيون الناس عن نور وجهه * إذا ما بدا للناس منظره البلج
وإن أمين الله هارون ذا الندا * ينيل الذي يرجوه أضعاف ما يرجو
وغزا الصائفة فيها سليمان بن عبد الله البكائي
ذكر من توفي فيها من الأعيان

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم أبو عبد الرحمن الفراهيدي ويقال الفرهودي الأزدي شيخ
النحاة وعنه أخذ سيبويه والنضر بن شميل وغير واحد من أكابرهم وهو الذي اخترع علم
العروض قسمه إلى خمس دوائر وفرعه إلى خمسة عشر بحرا وزاد الأخفش فيه بحرا آخر
وهو الخبب وقد قال بعض الشعراء

قد كان شعر الورى صحيحا * من قبل أن يخلق الخليل
وقد كان له معرفة بعلم النغم وله فيه تصنيف أيضا وله كتاب العين في اللغة ابتدأه وأكملاه
النضر بن شميل وأضرابه من أصحاب الخليل كمؤرخ السدوسي ونصر بن علي الجهضمي
فلم يناسبوا ما وضعه الخليل وقد وضع ابن درستويه كتابا وصف فيه ما وقع لهم من الخلل
فأفاد وقد كان الخليل رجلا صالحا عاقلا وقورا كاملا وكان متقللا من الدنيا جدا صبورا على
خشونة العيش وضيقة وكان يقول لا يجاوز همي ما وراء بابي وكان ظريفا حسن الخلق وذكر
أنه اشتغل رجل عليه في العروض وكان بعيد الذهن فيه قال فقلت له يوما كيف تقطع هذا
البيت

إذا لم تستطع شيئا فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع
فشرع معي في تقطيعه على قدر معرفته ثم إنه نهض من عندي فلم يعد إلي وكأنه فهم ما
أشرت

إليه ويقال إنه لم يسم أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم بأحمد سوى أبيه وروى عن أحمد
بن أبي خثيمة والله أعلم ولد الخليل سنة مائة من الهجرة ومات بالبصرة سنة سبعين ومائة
على المشهور وقيل سنة ستين وزعم ابن الجوزي في كتابه شذوذ والعقود أنه توفي سنة
ثلاثين ومائة وهذا غريب جدا والمشهور الأول

وفيهما توفي الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي مولاهم المصري المؤدب
راوية الشافعي وآخر من روى عنه وكان رجلا صالحا تفرس فيه الشافعي وفي البيهقي
والمزني وابن عبد الحكم فوافق ذلك ما وقع في نفس الامر ومن شعر الربيع هذا
صبرا جميلا ما أسرع الفرجا * من صدق الله في الامور ونجا
من خشي الله لم ينله أذى * ومن رجا الله كان حيث رجا
فاما الربيع بن سليمان بن داود الجيزي فانه روى عن الشافعي أيضا وقد مات في سنة ست
وخمسين ومائتين والله أعلم

2 ثم دخلت سنة إحدى وسبعين ومائة

@ فيها أضاف الرشيد الخاتم الى يحيى بن خالد مع الوزارة وفيها قتل الرشيد ابا هريرة
محمد بن فروخ نائب الجزيرة صبرا في قصر الخلد بين يديه وفيها خرج الفضل بن سعيد
الجروري فقتل وفيها قدم روح بن حاتم نائب إفريقية وفيها خرجت الخيزران إلى مكة
فأقامت بها إلى أن شهدت الحج وكان الذي حج بالناس فيها عبد الصمد بن علي عم الخلفاء

2 ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين ومائة

@ فيها وضع الرشيد عن أهل العراق العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف وفيها خرج
الرشيد من بغداد يرتاد له موضعا يسكنه غير بغداد فتشوش فرجع وفيها حج بالناس يعقوب
بن أبي جعفر المنصور عم الرشيد وفيها عزا الصائفة اسحاق بن سليمان بن علي
2 ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة

@ فيها توفي بالبصرة محمد بن سليمان فأمر الرشيد بالاجتياط على حواصله التي تصلح
للخلفاء فوجدوا من ذلك شيئا كثيرا من الذهب والفضة والأمتعة وغير ذلك فنضدوه ليستعان
به على الحرب وعلى مصالح المسلمين وهو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن
عباس وامه ام حسن بنت جعفر بن حسن بن علي وكان من رجالات قریش
وشجعانهم جمع له المنصور بين البصرة والكوفة وزوجه المهدي ابنته العباسه وكان له من

الاموال شيء كثير كان دخله في كل يوم مائة ألف وكان له خاتم من ياقوت أحمر لم ير مثله ورزى الحديث عن أبيه عن جده الأكبر وهو حديث مرفوع في مسح رأس اليتيم إلى مقدم رأسه ومسح رأس من له أب إلى مؤخر رأسه وقد وفد على الرشيد فهناه بالخلافة فأكرمه وعظمه وزاده في عمل شيئا كثيرا ولما أراد الخروج خرج معه الرشيد يشيعة إلى كلوذا توفي في جماد الآخرة من هذه السنة عن إحدى وخمسين سنة وقد أرسل الرشيد من اصطفي من ماله الصامت فوجد له من الذهب ثلاثة آلاف دينار ومن الدراهم ستة آلاف ألف خارجا عن الأملاك وقد ذكر ابن جرير أن وفاته ووفاة الخيزران في يوم واحد وقد وقفت جارية من جواربه على قبره فأنشأت تقول

أمسى التراب لمن هويت مبيتا * الق التراب فقل له حيثنا
إننا بحبك يا تراب وما بنا * إلا كرامة من عليه حيثنا
وفيها توفيت الخيزران جارية المهدي وأم أمير المؤمنين الهادي والرشيد اشتراها المهدي وحظيت عنده جدا ثم أعتقها وتزوجها ولدت له خليفتين موسى الهادي والرشيد ولم يتفق هذا لغيرها من النساء إلا الولادة بنت العباس العباسية زوجة عبد الملك بن مروان وهي أم الوليد وسليمان وكذلك لشاه فرند بنت فيروز بن يزدجرد ولدت لمولاه الوليد بن عبد الملك مروان وإبراهيم وكلاهما ولي الخلافة وقد روى من طريق الخيزران عن مولاه المهدي عن أبيه عن جده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من اتقى الله وقاه كل شيء ولما عرضت الخيزران على المهدي ليشتريها أعجبتة إلا دقة في ساقها فقال لها يا جارية إنك لعلى غاية المنى والجمال لولا دقة ساقيك وخموشهما فقلت يا أمير المؤمنين إنك أحوج ما تكون إليهما لا تراهما فاستحسن جوابها واشتراها وحظيت عنده جدا وقد حجت الخيزران مرة في حياة المهدي فكتب إليها وهي بمكة

يستوحش لها ويتشوق إليها بهذا الشعر
نحن في غاية السرور ولكن * ليس بكم يتم السرور
عيب ما نحن فيه يا أهل ودي * أنكم غيب ونحن حضور
فأجدوا في السير بل إن قدرتم * أن تطيروا مع الرياح فطيروا
فأجابته أو أمرت من أجابة * قد أتانا الذي وصفت من الشو
ق فكندا وما قدرنا نظير
ليت أن الرياح كن يؤدين * اليكم ما قد يكن الضمير
لم أزل صبة فإن كنت بعدي * في سرور فدام ذاك السرور
وذكر أنه أهدي إليها محمد بن سليمان نائب البصرة الذي مات في اليوم الذي ماتت فيه مائة وصيفة مع كل وصيفة جام من فضة مملوء مسكا فكتبت إليه ان كان ما بعثته ثمنا عن طننا فيك فطننا فيك أكثر مما بعثت وقد بخستنا في الثمن وان كنت تريد به زيادة المودة فقد أتهمتني في المودة وردت ذلك عليه وقد اشترت الدار المشهورة بها بمكة المعروفة بدار الخيزران فزادتها في المسجد الحرام

وكان مغل ضياعها في كل سنة ألف ألف وستين ألفا واتفق موتها ببغداد ليلة الجمعة لثلاث بقين من جمادى الآخرة من هذه السنة وخرج ابنها الرشيد في جنازتها وهو حامل سريرها يخب في الطين فلما انتهى إلى المقبرة أتى بماء فغسل رجليه وليس خفا وصلّى عليها ونزل لحدها فلما خرج من القبر أتى بسرير فجلس عليه واستدعى بالفضل بن الربيع فولاه الخاتم والنفقات وأنشد الرشيد قول ابن نويره حين دفن أمه الخيزران
وكنا كندمائي جذيمة برهة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأني ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا
وفيها توفيت غادر

جارية كانت لموسى الهادي كان يحبها حبا شديدا جدا وكانت تحسن الغناء جدا فبينما هي يوما تغنيه إذ أخذته فكرة غيبته عنها وتغير لونه فسأله بعض الحاضرين ما هذا يا أمير المؤمنين فقال أخذتني فكرة أني أموت وأخي هارون يتولى الخلافة بعدي ويتزوج جاريته هذه ففداه الحاضرون ودعوا له بطول العمر ثم استدعى أخاه هارون فأخبره بما وقع فعوذه

الرشيد من ذلك فاستحلفه الهادي بالإيمان المغلظة من الطلاق والعناق والحج ماشيا حافيا أن لا يتزوجها فحلف له واستحلف الجارية كذلك فحلفت له فلم يكن إلا أقل من شهرين حتى مات ثم خطبها الرشيد فقالت كيف بالإيمان التي حلفناها أنا وأنت فقال اني أكفر عني وعنك فتزوجها وحظيت عنده جدا حتى كانت في حجرة فلا يتحرك خشية أن يزعجها فبينما هي ذات ليلة نائمة إذا انتبهت مذعورة تبكي فقال لها ما شأنك فقالت يا أمير المؤمنين رأيت

الهادي في منامي هذا وهو يقول
أخلفت عهدي بعد ما * جاورت سكان المقابر
ونسيتي وحشت في * إيمانك الكذب الفواجر
ونكحت غادرة أخي * صدق الذي سماك غادر
أمسيت في أهل البلى * وعددت في الموتى الغواير
لا يهنك الألف الجد * يد ولا تدور عنك الدوائر
ولحقت بي قبل الصبا * ح وصرت حيث غدوت صائر
فقال الرشيد أضغاث أحلام فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين فكأنما كتبت هذه الابيات في قلبي ثم ما زالت ترتعد وتضطرب حتى ماتت قبل الصباح وفيها ماتت هيلانه جارية الرشيد وهو الذي سماها هيلانه لكثرة قولها هي لانه قال الأصمعي وكان لها محبا وكانت قبله لخالد بن يحيى بن برمك فدخل الرشيد يوما منزله قبل الخلافة فاعترضته في طريقه وقالت آمالنا منك نصيب فقال وكيف السبيل إلى ذلك فقالت استوهيني من هذا الشيخ فاستوهبها من يحيى بن خالد فوهبها له وحظيت عنده ومكثت عنده ثلاثة سنين ثم

توفيت فحزن عليها حزنا شديدا ورثاها وكان من قوله فيها
قد قلت لما ضمنوك الثرى * وجالت الحسرة في صدري
أذهب فلاق الله لا سرني * بعدك شيء آخر الدهر
وقال العباس بن الأحنف في موتها * يامن تباشرت القبور بموتها
قصد الزمان مساءتي فرماك
أبغى الأنيس فما أرى لي مؤنسا * إلا التردد حيث كنت أراك
قال فأمر له الرشيد بأربعين ألفا لكل بيت عشرة آلاف فإله أعلم
2 ثم دخلت سنة أربع وسبعين ومائة من الهجرة النبوية
@ فيها وقعت عصبية بالشام وتخيبط من أهلها وفيها استقضى الرشيد يوسف ابن أبي يوسف وأبوه حي وفيها عزا الصائفة عبد الملك بن صالح فدخل بلاد الروم وفيها حج بالناس الرشيد فلما اقترب من مكة بلغه أن فيها وباء فلم يدخل مكة حتى كان وقت الوقوف فوقف ثم جاء المزدلفة ثم منى ثم دخل مكة فطاف وسعى ثم ارتحل ولم ينزل بها
2 ثم دخلت سنة خمس وسبعين ومائة

@ فيها أخذ الرشيد بولاية العهد من بعده لولده محمد بن زيده وسماه الامين وعمره إذ ذاك خمس سنين فقال في ذلك سلم الخاسر
قد وفق الله الخليفة إذ بنى * بيت الخلافة للهجان الأزهر
فهو الخليفة عن أبيه وجده * شهدا عليه بمنظر وبمخبر
قد باع الثقلان في مهد الهدى * لمحمد بن زبيدة ابنة جعفر
وقد كان الرشيد يتوسم النجاة والرجاحة في عبدالله المأمون ويقول والله فيه حزم المنصور ونسك المهدي وعزة نفس الهادي ولو شئت أن أقول الرابعة مني لقلت وإني لأقدم محمد بن زبيدة وإني لأعلم أنه متبع هواه ولكن لأستطيع غير ذلك ثم أنشأ يقول
لقد بان وجه الرأي غير أنني * غلبت على الأمر الذي كان أحزما
وكيف يرد الدار في الضرع بعدما * نوزع حتى صار نهبا مقسما
أخاف التواء الأمر بعد استوائه * وأن ينقص الأمر الذي كان أبرما
وغزا الصائفة عبد الملك بن صالح في قول الواقدي وحج بالناس الرشيد وفيها سار يحيى بن عبدالله بن حسن إلى الديلم وتحرك هناك من الأعيان
3 شعوانة العابدة الزاهدة

@ كانت أمة سوداء كثيرة العبادة روى عنها كلمات حسان وقد سألها الفضل بن عياض الدعاء فقالت أما بينك وبينه ما إن دعوته استجاب لك فشقق الفضل بن عياض عليه وفيها توفي الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم قال ابن خلكان كان مولا قيس بن رفاعة وهو مولى عبد الرحمن بن مسافر الفهمي كان الليث إمام الديار المصرية بلا مدافعة وولد بقرقشندة من بلاد مصر سنة أربع وتسعين وكانت وفاته في شعبان من هذه السنة ونشأ بالديار المصرية وقال ابن خلكان أصله من قلقشندة وضبطه بلامين الثانية متحركة وحكى عن بعضهم أنه كان جيد الذهن وأنه ولي القضاء بمصر فلم يحمداوا ذهنه بعد ذلك ولد سنة أربع وعشرين ومائة وذلك غريب جدا وذكروا أنه كان يدخله من ملكه في كل سنة خمسة الاف دينار وقال آخرون كان يدخله من الغلة في كل سنة ثمانون ألف دينار وما وجبت عليه زكاة وكان إماما في الفقه والحديث والعربية قال الشافعي كان الليث أفقه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه وبعث إليه مالك يستهديه شيئا من العصفر لأجل جهاز ابنته فبعث إليه بثلاثين حملا فاستعمل منه مالك حاجته وباع منه بخمسمائة دينار وبقيت عنده منه بقية وحج مرة فأهدى له مالك طبقا فيه رطب فرد الطبق وفيه ألف دينار وكان يهب للرجل من أصحابه من العلماء الألف دينار وما يقارب ذلك وكان يخرج إلى الاسكندرية في البحر هو وأصحابه في مركب ومطبخه في مركب ومناقبه كثيرة جدا وحكى ابن خلكان أنه سمع قائلا يقوم يوم مات الليث

ذهب الليث فلا ليث لكم * ومضى العلم غربا وقبر فالتفتوا فلم يروا أحدا وفيها توفي

المنذر بن عبدالله بن المنذر

القرشي عرض عليه المهدي أن يلي القضاء ويعطيه من بيت المال مائة ألف درهم فقال اني عاهدت الله أن لا إلى شيئا وأعيذ أمير المؤمنين بالله أن أخيس بعهدي فقال له المهدي الله قال الله قال انطلق فقد أعفيتك

2 ثم دخلت سنة ست وسبعين ومائة

@ فيها كان ظهور يحيى بن عبدالله بن حسن بن علي بن أبي طالب ببلاد الديلم واتبه خلق كثير وجم غفير وقويت شوكته وارتحل إليه الناس من الكور والأمصار فانزعج لذلك الرشيد وقلق من أمره فندب إليه الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك في خمسين الفا وولاه كور الجبل والري وجرجان وطبرستان وقومس وغير ذلك فسار الفضل بن يحيى إلى تلك الناحية في أبهة عظيمة وكتب الرشيد تلحقه مع البرد في كل منزلة وأنواع التحف والبر وكاتب الرشيد صاحب الديلم ووعدته بألف ألف درهم إن هو سهل خرج يحيى إليهم وكتب الفضل بن يحيى بن عبدالله يعده ويمنيه ويؤمله ويرجيه وأنه إن خرج إليه أن يقيم له العذر عند الرشيد فامتنع يحيى أن يخرج إليهم حتى يكتب له الرشيد كتاب أمان بيده فكتب الفضل إلى الرشيد بذلك ففرح الرشيد ووقع منه موقعا عظيما وكتب الامان بيده وأشهد عليه القضاة والفقهاء ومشيخة بني هاشم منهم عبد الصمد بن علي وبعث الامان وأرسل معه جوائز وتحفا كثيرة إليهم ليدفعوا ذلك إلى جميعه ليه ففعلوا فدخلوا بغداد وتلقاه الرشيد وأكرمه وأجزل له في العطاء وخدمه آل برمك خدمة عظيمة بحيث إن يحيى بن خالد كان يقول خدمته بنفسى وولدي وعظم الفضل عند الرشيد جدا بهذه الفعلة حيث سعى بالصلح بين العباسيين والفاطميين ففي ذلك يقول مروان ابن ابي حفصة بن يحيى ويشكره على صنيعه هذا

ظفرت فلا شلت يد برمكية * رتقت بها الفتق الذي بين هاشم

على حين أعياه الرتقين التمامه * فكفوا وقالوا ليس بالمتلائم

وما زال قدح الملك يخرج فائرا * لكم كلما ضمت قداح المساهم

قالوا ثم أن الرشيد تنكر ليحيى بن عبدالله بن حسن وتغير عليه ويقال إنه سجنه ثم

استخضره وعنده جماعات من الهاشميين واحضر الامان الذي بعث به إليه فسأل الرشيد محمد بن الحسن عن الامان أصحيح هو قال نعم فتغيظ الرشيد عليه وقال أبو البختری ليس هذا الامان بشيء فاحكم فيه بما شئت ومزق الامان وبصق فيه البختری وأقبل الرشيد على يحيى بن عبدالله فقال هيه هيه هيه وهو يتسم تبسم الغضب وقال ان الناس يزعمون أنا

سممناك فقال يحيى يا أمير المؤمنين إن لنا قرابة ورحما وحقا فعلام تعذيني وتحسيني فرق له الرشيد فاعترض بكار بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير فقال يا أمير المؤمنين لا يغرنك هذا الكلام من هذا فإنه عاص شاق وإنما هذا منه مكر وخبت وقد أفسد علينا مدينتنا وأظهر

فيها العصيان فقال له يحيى ومن أنتم عافاكم الله وإنما هاجر أبوك إلى المدينة بأبائي وآباء هذا ثم قال يحيى يا أمير المؤمنين لقد جاءني هذا حين قتل أخي محمد بن عبدالله فقال لعن الله قاتله وأنشدني فيه نحو من عشرين بيتا وقال لي إن تحركت إلى هذا الأمر فأنا أول من يبايعك وما يمنحك أن تلحق بالبصرة وأيدينا معك قال فتغير وجه الرشيد ووجه الزبير وأنكر وشرع يحلف الايمان المغلظة إنه لكاذب في ذلك وتحير الرشيد ثم قال ليحيى الحفظ شيئا من المرثية قال نعم وأنشده منها جانبا فازداد الزبير في الإنكار فقال له يحيى بن عبدالله فقل إن كنت كاذبا فقد برئت من حول الله وقوته ووكلني الله إلى حولي وقوتي فامتنع من الحلف بذلك فعزم عليه الرشيد فحلف بذلك فما كان إلا أن خرج من عند الرشيد فرماه الله بالفالج فمات من ساعته ويقال إن امرأته غمت وجهه بمخدة فقتله الله ثم إن الرشيد أطلق يحيى بن عبد الله وأطلق ل مائة ألف دينار ويقال إنما حبسه بعض يوم وقيل ثلاثة أيام وكان جملة ما وصله من المال من الرشيد أربعمائة ألف دينار من بيت المال وعاش بعد ذلك كله شهرا واحدا ثم مات رحمه الله

وفيها وقعت فتنة عظيمة بالشام بين النزارية وهم قيس واليمانية وهم يمن وهذا كان أول يوم بدو أمر العشيرتين بحوران وهم قيس ويمن أعادوا ما كانوا عليه في الجاهلية في هذا الآن وقتل منهم في هذه السنة بشر كثير وكان على نيابة الشام كلها من جهة الرشيد ابن عمه موسى بن عيسى وقيل عبد الصمد بن علي فالله أعلم وكان على نيابة دمشق بخصوصها سندی بن سهيل أحد مولي جعفر المنصور وقد هدم سور دمشق حين ثارت الفتنة خوفا من أن يتغلب عليها أبو الهيثام المزي رأس القيسية وقد كان مزب هذا دميم الخلق قال الجاحظ وكان لا يحلف المكارى ولا الملاح ولا الحائك ويقول القول قولهم ويستخير الله في الحمال ومعلم الكتاب وقد توفي سنة أربع ومائتين فلما تفاقم الأمر بعث الرشيد من جهته موسى بن يحيى بن خالد ومعه جماعة من القواد ورؤس الكتاب فأصلحوا بين الناس وهدأت الفتنة واستقام أمر الرعية وحملوا جماعات من رؤس الفتنة إلى الرشيد فرد أمرهم إلى يحيى بن خالد فعفا عنهم وأطلقهم وفي ذلك يقول بعض الشعراء

قد هاجت الشام هيجا * يشيب رأس الوليد
فصب موسى عليها * بخيله وجنوده
فدانت الشام لما أتى * بسنح وحيده
هذا الجواد الذي ب * د كل جود بجوده
أعده جود أبيه * يحيى وجود جدوده
فجاد موسى بن يحيى * بطارف وتليده
ونال موسى ذرى المجد * وهو حشو مهوده
خصصنه بمدحي * منثورة وقصيده
من البرامك عودا * له فأكرم بعوده
حووا على الشعر طرا * خفيفة ومديده

وفيها عزل الرشيد الغطريف بن عطاء عن خراسان وولاهها حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي الملقب بالعروس وفيها ولى الرشيد جعفر بن يحيى بن خالد نيابة مصر فاستجاب عليها جعفر عمر بن مهران وكان رديء الخلق رديء الشكل زمن الكف أحول وكان سبب ولايته إياها أن نائبها موسى ابن عيسى كان قد عزم على خلع الرشيد فقال الرشيد والله لأعزلنه ولأولين عليها أحسن الناس فاستدعى عمر بن مهران هذا فولاه عليها عن نائبه جعفر بن يحيى البرمكي فسار إليها على بغل وغلماه أبو ردة على بغل آخر فدخلها كذلك فانتهى إلى مجلس نائبها موسى بن عيسى فجلس في أخريات الناس فلما انفض الناس أقبل عليه موسى بن عيسى وهو لا يعرف من هو فقال الك حاجة يا شيخ قال نعم أصلح الله الأمير ثم دفع الكتب إليه فلما قرأها قال أنت عمر بن مهران قال نعم قال لعن الله فرعون

حين قال أليس لي ملك مصر ثم سلم إليه العمل وارتحل منها وأقبل عمر بن مهران على عمله وكان لا يقبل شيئاً من الهدايا إلا ما كان ذهباً أو فضة أو فماشاً ثم يكتب على كل هدية اسم مهديها ثم يطلب الخراج ويلج في طلبه عليهم وكان بعضهم يماطله به فأقسم لا يماطله أحد إلا فعل به وفعل فجمع من ذلك شيئاً كثيراً وكان يبعث ما جمعه إلى بغداد ومن ما طله بعثه إلى بغداد فتأدب الناس معه ثم جاءهم القسط الثاني فعجز كثير منهم عن الأداء فجعل يستحضر ما كانوا أدوه إليه من الهدايا فإن كان نقداً أداه عنهم وإن كان برا باعة وأداه عنهم وقال لهم إني إنما ادخرت هذا لكم إلى وقت حاجتكم ثم أكمل استخراج جميع الخراج بديار مصر ولم يفعل ذلك أحد من قبله ثم أنصرف عنها لأنه كان شرط الرشيد أنه إذا مهد البلاد وجبى الخراج فذاك إذنه في الانصراف ولم يكن معه بالديار المصرية جيش ولا غيره سوى مولاه أبو درة وحاجبه وهو منفذ أموره وفيها غزال الصائفة عبد الرحمن بن عبد الملك ففتح حصناً وفيها حجت زبيدة زوجة الرشيد ومعها أخوها وكان أمير الحج سليمان بن أبي جعفر المنصور عم الرشيد وفيها توفي

3 إبراهيم بن صالح

@ ابن علي بن عبدالله بن عباس كان أميراً على مصر توفي في شعبان . إبراهيم بن هرمة كان شاعراً وهو إبراهيم بن علي بن سلمه بن عامر بن هرمة أبو اسحاق الفهري المدني وفد على المنصور في وفد من أهل المدينة حين استوفدهم عليه فجلسوا إلى ستر دون المنصور يرى الناس من ورائه ولا يرونه وأبو الخصب الحاجب واقف يقول يا أمير المؤمنين هذا فلان الخطيب فيأمره فيخطب ويقول هذا فلان الشاعر فيأمره فينشد حتى كان من آخرهم ابن هرمة هذا فسمعته يقول لا مرحباً ولا أهلاً ولا انعم الله بك عينا قال فقلت هلكت ثم استنشدني فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها

سرى ثوبة عند الصبا المتجايل * وقرب للبين الخليط المزائل
حتى انتهيت إلى قولي * فأما الذي أمنتته بأمن الردى
وأما الذي حاولت بالتكل ثاكل

قال فأمر برفع الحجاب فإذا وجهه كأنه فلقه قمر فاستنشدني بقية القصيدة وأمر لي بالقرب بين يديه والجلوس إليه ثم قال وبحك يا إبراهيم لولا ذنوب بلغتني عنك لفصلتك على أصحابك فقلت يا أمير المؤمنين كل ذنب بلغتني عنك لم تعف عنه فأنا مقربه قال فتناول المخصرة فضربني بها ضربتين وأمر لي بعشرة آلاف وخلعه وعفى عني وألحقتني بنظرائي وكان من جملة ما نقم المنصور عليه قوله ومهما ألام على حبههم * فإني أحب بني فاطمه بني بنت من جاء بالمحكما * ت وبالدين وبالسنه قائما فليست أبالي بحبي لهم * سواهم من النعم السائمه قال الأحفش قال لنا ثعلب قال الاصمعي ختمت الشعراء بإبن هرمة ذكر وفاته في هذه السنة أبو الفرج ابن الجوزي وفيها توفي الجراح بن مليح والد وكيع بن الجراح وسعيد بن عبد الرحمن ابن عبدالله بن جميل أبو عبد الله المدني ولى قضاء بغداد سبعة عشر سنة لعسكر المهدي وثقة ابن معين وغيره وفيها توفي :

3 صالح بن بشير المري

@ أحد العباد الزهاد كان كثير البكاء وكان يعظ فيحضر مجلسه سفيان الثوري وغيره من العلماء ويقول سفيان هذا نذير قوم وقد استدعاه المهدي ليحضر عنده ف جاء إليه راكباً على حمار فدناه من بساط الخليفة وهو راكب فأمر الخليفة ابنه ولي العهد من بعده موسى الهادي وهارون الرشيد أن يقيما إليه لينزلاه عن دابته فابتدراه فأنزلاه فأقبل صالح على نفسه فقال لقد خبت وخسرت إن أنا داهنت ولم أصدع بالحق في هذا اليوم وفي هذا المقام ثم جلس إلى المهدي فوعظه موعظة بليغة حتى أبكاه ثم قال له اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصم من خالفه في أمته ومن كان محمد خصمه كان الله خصمه فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله حجاً تضمن لك النجاة وإلا فاستسلم للهلكة واعلم أن أبطأ الصرعى نهضة صريع هوى بدعته وأعلم أن الله قاهر فوق عباده وأن أثبت الناس قدما

آخذهم بكتاب الله وسنة رسوله وكلام طويل فبكى المهدي وأمر بكتابة ذلك الكلام في دواوينه

وفيها توفي عبدالملك بن محمد بن محمد بن أبي بكر عمرو بن حزم قدم قاضيا بالعراق وفرج بن فضالة التنوخي الحمصي كان على بيت المال ببغداد في خلافة الرشيد فتوفي في هذه السنة وكان مولده سنة ثمان وثمانين فمات وله ثمان وثمانون سنة ومن مناقبه أن المنصور دخل يوما إلى قصر الذهب فقام الناس لإفرج بن فضالة فقال له وقد غضب عليه لم لم تقم قال خفت أن يسألني الله عن ذلك ويسألك لم رضيت بذلك وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم القيام للناس قال فبكى المنصور وقربه به وقضى حوائجه والمسبيب بن زهير بن عمرو أبو سلمه الضبي كان والي الشرطة ببغداد في أيام المنصور والمهدي والرشيد وولى خراسان مرة للمهدي عاش ستا وتسعين سنة والوضاح بن عبدالله أبو عوانه السري مولاهم كان من أئمة المشايخ في الرواية توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين

2 ثم دخلت سنة سبع وسبعين ومائة

@ فيها عزل الرشيد جعفر البرمكي عن مصر وولى عليها اسحاق بن سليمان وعزل حمزة بن مالك عن خراسان وولى عليها الفضل بن يحيى البرمكي مضافا الى ما كان بيده من الأعمال بالري وسجستان وغير ذلك وذكر الواقدي أنه أصاب الناس ريح شديدة وظلمه في أواخر المحرم من هذه السنة وكذلك في أواخر صفر منها وفيها حج بالناس الرشيد وفيها توفي شريك بن عبدالله القاضي الكوفي النخعي سمع أبا اسحاق وغير واحد وكان مشكورا في حكمه وتنفيذ الأحكام وكان لا يجلس للحكم حتى يتعدى ثم يخرج ورقة من خفة فينظر فيها ثم يأمر بتقديم الخصومة إليه فحرص بعض أصحابه على قراءة ما في تلك الورقة فإذا فيها شريك بن عبدالله اذكر الصراط وحدته يا شريك بن عبدالله اذكر الموقف بين يدي الله عز وجل كانت وفاته يوم السبت مستهل ذي القعدة منها وفيها توفي عبدالواحد بن زيد ومحمد بن مسلم وموسى بن أعين

2 ثم دخلت سنة ثمان وسبعين ومائة

@ فيها وثبت طائفة من الحوفية من قيس وقضاة على عامل مصر اسحاق بن سليمان فقاتلوهم حتى أذعنوا بالطاعة وأدوا ما عليهم من الخراج والوظائف واستمر هزئمه نائبا على مصر نحو من شهر عوضا عن إسحاق بن سليمان ثم عزله الرشيد عنها وولى عليها عبد الملك بن صالح وفيها وثبت طائفة من أهل إفريقية فقتلوا الفضل بن روح بن حاتم وأخرجوا من كان بها من آل المهلب فبعث اليهم الرشيد هزئمه فرجعوا إلى الطاعة على يديه وفيها فوض الرشيد أمور الخلافة كلها إلى يحيى بن خالد بن برمك وفيها خرج الوليد بن طريف بالجزيرة وحكم بها وقتل خلقا من أهلها ثم

مضى منها إلى أرمينية فكان من أمره ما سنذكره وفيها سار الفضل بن يحيى إلى خراسان فأحسن السيرة فيها وبنى فيها الربط والمساجد وعزا ما وراء النهر وأخذ بها جندا من العجم سماهم العباسية وجعل ولاؤهم له وكانوا نحو من خمسمائة ألف وبعث منهم نحو من عشرين ألفا إلى بغداد فكانوا يعرفونه بها بالكرمينية وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصه

ما الفضل إلا سهاب لأفول له * عند الحروب إذا ما تأفل الشهب

حام على ملك قوم غر سهمهم * من الورثة في أيديهم سيب

أمست يد لبني ساق الحجيج بها * كتائب مالها في غيرهم أرب

كتائب لبني العباس قد عرفت * ما ألف الفضل منها العجم والعرب

أثبت خمس مئين في عدادهم * من الألوف التي أحصت لها الكتب

يقارعون عن القوم الذين هم * أولى بأحمد في الفرقان إن نسبوا

إن الجواد بن يحيى الفضل لا ورق * يبقى على جود كفيه ولا ذهب

ما مر يوم له مذ شد مئزرة * إلا تمول أقوام بما يهب

كم غاية في الندى والبأس أحرزها * للطلالين مداها دونها تعب

يعطى النهى حين لا يعطي الجواد ولا * ينبو إذا سلت الهندية القضب

ولا الرضى والرضى لله غاية * إلى سوى الحق يدعوه لا الغضب

وقد فاض عرفك حتى ما يعادله * غيث مغيث ولا يحر له حذب

وكان قد أنشده قبل خروجه إلى خراسان
ظفرت فلا شلت يد برمكية * رتقت بها الفتق الذي بين هاشم
ألم تر أن الجود من يد آدم تحدر حتى صار في راحة الفضل
إذا ما أبو العباس سحت سماؤه * فيالك من هطل وبالك من وبل
وقال فيه أيضا

فيها العصيان فقال له يحيى ومن أنتم عافاكم الله وإنما هاجر أبوك إلى المدينة بأبائي وآباء
هذا ثم قال يحيى يا أمير المؤمنين لقد جاءني هذا حين قتل أخي محمد بن عبدالله فقال لعن
الله قاتله وأنشدني فيه نحو من عشرين بيتا وقال لي إن تحركت إلى هذا الأمر فأنا أول من
يباعك وما يمنعك أن تلحق بالبصرة وأيدينا معك قال فتغير وجه الرشيد ووجه الزبير وأنكر
وشرع يحلف الايمان المغلظة إنه لكاذب في ذلك وتحير الرشيد ثم قال ليحيى الحفظ شيئا
من المراثية قال نعم وأنشده منها جانباً فازداد الزبير في الإنكار فقال له يحيى بن عبدالله
فقل إن كنت كاذبا فقد برئت من حول الله وقوته ووكلني الله إلى حولي وقوتي فامتنع من
الحلف بذلك فعزم عليه الرشيد فحلف بذلك فما كان إلا أن خرج من عند الرشيد فرماه الله
بالفالج فمات من ساعته ويقال إن امرأته غمت وجهه بمخدة فقتله الله
إذا أم طفل راعها جوع طفلها دعته بإسم الفضل فاعتصم الطفل
ليحيى بك الاسلام إنك عزه * وإنك من قوم صغيرهم كهل
قال فأمر له بمائة ألف درهم ذكره ابن جرير وقال سلم الخاسر فيهم أيضا
وكيف تخاف من بؤس بدار * يجورها البرامكة البحور

وقوم منهم الفضل بن يحيى * نفر ما يوازنه نغير
له يومان يوم ندى وبأس * كأن الدهر بينهما أسر
إذا مالبرمكي غدا عشر * فهمته أمير أو وزير
وقد اتفق للفضل في هذه السفارة الى خراسان أشياء غريبة وفتح بلادا كثيرة منها كابل وما
وراء النهر وقهر ملك الترك وكان ممتنعا وأطلق أموالا جزيلة جدا ثم أقفل راجعا الى بغداد
فلما اقترب منها خرج الرشيد ووجوه الناس اليه وقدم عليه الشعراء والخطباء وأكابر الناس
فجعل يطلق الألف ألف والخمسائة ألف نحوها وأنفذ في ذلك من الأموال شيئا كثيرا لا
يمكن حصره إلا بتعب وكلفه وقد دخل عليه بعض الشعراء والبدر موضوعة بين يديه وهي
تفرق على الناس فقال

كفى الله بالفضل بن يحيى بن خالد * وجود يديه يخل كل بخيل
فأمر له بمال جزيل وغزا الصائفة في هذه السنة معاوية بن زفير بن عاصم وغزا الشاتية
سليمان ابن راشد وحج بالناس فيها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن
عباس نائب مكة

وفيها توفي جعفر بن سليمان وعنتر بن القاسم وعبد الملك بن محمد بن ابي بكر بن عمرو
بن حزم القاضي ببغداد وصلى عليه الرشيد ودفن بها وقد قيل إنه مات في التي قبلها فالله
أعلم

2 ثم دخلت سنة تسع وسبعين ومائة

@ فيها كان قدوم الفضل بن يحيى من خراسان وقد استخلف عليها عمر بن جميل فولى
الرشيد عليها منصور بن يزيد بن منصور الحميري وفيها عزل الرشيد خالد بن برمك على
الحجوبة وردا الى الفضل بن ربيع وفيها خرج بخراسان حمزة بن أترك السجستاني وكان
من أمره ماسياتي طرف منه وفيها رجع الوليد بن طريف الشاري الى الجزيرة واشتدت
شوكته وكثر أتباعه فبعث اليه الرشيد يزيد بن مزيد الشيباني فراوغه حتى قتله وتفرق
أصحابه فقالت الفارعة في أخيها الوليد بن طريف ترثيه
أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد إلا من التقى * ولا المال إلا من قنا وسيوف
وفيها خرج الرشيد معتمرا من بغداد شكر لله عز وجل فلما قضى عمرته أقام بالمدينة حتى
حج بالناس في هذه السنة فمشى من مكة الى منى ثم الى عرفات وشهد المشاهد
والمشاعر كلها ماشيا ثم انصرف الى بغداد على طريق البصرة وفيها توفي

3 اسماعيل بن محمد

@ بن ابن يزيد ربيعة أبو هاشم الحميري الملقب بالسيد كان من الشعراء المشهورين المبرزين فيه ولكنه كان رافضيا خبيثا وشيعيا غثيا وكان ممن يشرب الخمر ويقول بالرجعة أي بالدور قال يوما لرجل أقرضني دينارا ولك عندي مائة دينار إذا رجعنا الى الدنيا فقال له الرجل اني أخشى أن تعود كلبا أو خنزيرا فيذهب ديناري . وكان قبحة الله يسب الصحابة في شعره قال الأصمعي ولولا ذلك ما قدمت عليه أحدا في طبقتة ولا سيما الشيخين وابنيهما وقد أورد ابن الجوزي شيئا من شعره في ذلك كرهت أن أذكره لبشاعته وشناعته وقد اسود وجهه عند الموت وأصابه كرب شديد جدا ولما مات لم يدفونه لسبه الصحابة رضي الله عنهم وفيها توفي .

3 حماد بن زيد

@ أحد أئمة الحديث وخالد بن عبدالله أحد الصلحاء وكان من سادات المسلمين اشترى نفسه من الله أربع مرات ومالك بن أنس الامام والهقل بن زياد صاحب الأوزاعي وأبو الأحوص وكلهم قد ذكرناهم في التكميل
3 والإمام مالك

@ هو أشهرهم وهو أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة فهو مالك بن أنس بن مالك بن عامر بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيلان بن حشد بن عمر بن الحارث وهو ذو أصبح الحميري أبو عبدالله المدني إمام دار الهجرة في زمانه روى مالك عن غير واحد من التابعين وحدث عنه خلق من الأئمة منهم السفينان وشعبة وابن المبارك والأوزاعي وابن مهدي وابن جريح والليث والشافعي والزهري وشيخه ويحيى بن سعيد الأنصاري وهو شيخه ويحيى بن سعيد القطان ويحيى بن يحيى الاندلسي ويحيى بن يحيى النيسابوري قال البخاري أصح الاسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر وقال سفينان بن عيينه ما كان أشد انتقاده للرجال وقال يحيى بن معين كل من روى عن مالك فهو ثقة إلا أبا أمية وقال غير واحد هو أثبت أصحاب نافع والزهري وقال الشافعي إذا جاء الحديث فمالك النجم وقال من أراد الحديث فهو عيال على مالك ومناقبه كثيرة جدا وثناء الأئمة عليه أكثر من أن يحضروا في هذا المكان قال أبو مصعب سمعت مالكا يقول ما أفيتت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك وكان إذا أراد أن يحدث تنظف وتطيب وسرح لحيته ولبس أحسن ثيابه وكان يلبس حسنا وكان نقش خاتمه حسبي الله ونعم الوكيل وكان إذا دخل منزله قال ما شاء الله ولا قوة الا بالله وكان منزله مبسوطا بأنواع المفارش ومن وقت خروج محمد بن عبدالله بن حسن لزم مالك بيته فلم يكن يأتي أحدا لا لعزاء ولا لهناء ولا يخرج لجمعة ولا لجماعة ويقول ما كل ما يعلم يقال وليس كل أحد يقدر على الاعتذار ولما احتضر قال أشهد أن لا إله إلا الله ثم جعل يقول لله الأمر من قبل ومن بعد ثم قبض في ليلة أربعة عشر من صفر وقيل من ربيع الأول من هذه السنة وله خمس وثمانون سنة قال الواقدي بلغ سبعين سنة ودفن بالبقيع وقد روى الترمذي عن سفينان بن عيينه عن ابن جريح عن أبي الزبير عن أبي صالح عن أبي هريرة يوشك أن يضرب الناس أكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة ثم قال هذا حديث حسن وقد روى عن ابن عيينه أنه قال هو مالك بن أنس وكذا قال عبد الرزاق وعن ابن عيينه رواية أنه عبدالعزیز بن عبدالله العمري وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات فأطنب وأتى بفوائد حمة

2 ثم دخلت سنة ثمانون ومائة

@ فيها هاجت الفتنة بالشام بن النزارية واليمنية فانزعج الرشيد لذلك فندب جعفر البرمكي الى الشام في جماعة من الأمراء والجنود فدخل الشام فانقاد الناس له ولم يدع جعفر بالشام فرسا ولا سيفا ولا رمحا الا استلبه من الناس وأطفا الله به نار تلك الفتنة وفي ذلك يقول بعض الشعراء

لقد اوقدت بالشام نيران فتنة * فهذا الشام تخمد نارها
إذا جابش موج البحر من آل برمك * عليها خبت شهبانها وشرارها
رماها أمير المؤمنين بجعفر * وفيه تلافى صدعها وانكسارها
رماها بميمون النقية ماجد * تراضى به قحطانها ونزارها

ثم كر جعفر راجعا الى بغداد بعدما استخلف على الشام عيسى العكي ولما قدم على الرشيد أكرمه وقربه وأدناه وشرع جعفر يذكر كثرة وحشته له في الشام ويحمد الله الذي من عليه برجوعه الى أمير المؤمنين ورؤيته وجهه وفيها ولي الرشيد جعفرا خراسان وسجستان فاستعمل على ذلك محمد بن الحسن بن قحطية ثم عزل جعفرا عن خراسان بعد عشرين ليلة وفيها هدم الرشيد سور الموصل بسبب كثرة الخوارج وجعل الرشيد جعفرا على الحرس ونزل الرشيد الرقة واستوطنها واستتاب على بغداد ابنه الامين محمدا وولاه العراقيين وعزل هرثمة عن إفريقية واستدعاه الى بغداد فاستتابه جعفر على الحرس وفيها كانت بمصر زلزلة شديدة سقط منها رأس منارة الاسكندرية وفيها خرج بالجزيرة خراشة الشيباني فقتله مسلم بن بكار بن مسلم العقيلي وفيها ظهرت طائفة بجرجان يقال لها المحمرة لبسوا الحمرة واتبعوا رجلا يقال له عمر بن محمد العمركي وكان ينسب الى الزندقة فبعث الرشيد يأمر بقتله فقتل وأطفا الله نارهم في ذلك الوقت وفيها غزا الصائفة زفر بن عاصم وحج بالناس موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس وفيها كانت وفاة جماعة من الاعيان .

3 اسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الانصاري

@ قاريء أهل المدينة ومؤدب على بن المهدي ببغداد وقد مات على بن المهدي في هذه السنة أيضا وقد ولي إمارة الحج غير مرة وكان أسن من الرشيد بشهور

3 حسان بن ابي سنان

@ ابن أبي أوفى بن عوف التنوخي الأنباري ولد سنة ستين ورأى أنس بن مالك ودعا له فجاه من نسله قضاة ووزراء وصلحاء وأدرك الدولتين الأموية والعباسية وكان نصرانيا فأسلم وحسن إسلامه وكان يكتب بالعربية والفارسية والسريانية وكان يعرب الكتب بين يدي ربيعة لما ولاه السفاح الأنبار وفيها توفي عبد الوارث بن سعيد البيروتي أحد الثقات وعافية بن يزيد

ابن قيس القاضي للمهدي على جانب بغداد الشرقي هو ابن علاثة وكانا يحكما بجامع الرصافة وكان عافية عابدا زاهدا ورعا دخل يوما على المهدي في وقت الظهر فقال يا أمير المؤمنين اعفني فقال له المهدي ولم أعفك هل اعترض عليك أحد من الأمراء فقال له لا ولكن كان بين اثنين خصومة عندي فعمد أحدهما إلى رطب السكر وكأنه سمع أني أحبه فأهدى إلى منه طبقا لا يصلح إلا لأمير المؤمنين فردته عليه فلما أصبحنا وجلسنا إلى الحكومة لم يستوبا عندي في قلبي ولا نظري بل مال قلبي إلي المهدي منهما هذا مع أني لم أقبل منه ما أهداه فكيف لو قبلت منه فأعفني عفا الله عنك فأعفاه وقال الأصمعي كنت عند الرشيد يوما وعنده عافية قد أحضره لأن قوما استعدوا عليه إلى الرشيد فجعل الرشيد يوقفه على ما قيل عنه وهو يجيب عما يسأله وطال المجلس فعطس الخليفة فشتمته الناس ولم يشتمته عافية فقال له الرشيد لم لم تشمتني مع الناس فقال لأنك لم تحمد الله واحتج بالحديث في ذلك فقال له الرشيد ارجع لعملك فوالله ما كنت لتفعل ما قيل عنك وأنت لم تسامحنى في عطسة لم أحمد الله فيها ثم رده ردا جميلا إلى ولايته وفيها توفي

سبيويه

إمام النحاة واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر المعروف بسبيوية مولى بنى الحارث بن كعب وقيل آل مولى الربيع بن زياد وإنما سمي بسبيويه لأن أمه كانت ترقصه وتقول له ذلك ومعنى سبيويه رائحة التفاح وقد كان في ابتداء أمره يصحب أهل الحديث والفقهاء وكان يستملى على حماد بن سلمة فلحن يوما فرد عليه قوله فأنف من ذلك فلزم الخليل بن أحمد فبرع في النحو ودخل بغداد وناظر الكسائي وكان سبيويه شابا حسنا جميلا نظيفا وقد تعلق من كل علم بسبب وضرب مع كل أهل أدب بسهم مع حداثة سنه وقد صنف في النحو كتابا لا يلحق شأوه وشرحه أئمة النحاة بعده فانغمروا في لجج بحره واستخرجوا من درره ولم يبلغوا إلى قعره وقد زعم ثعلب أنه لم ينفرد بتصنيفه بل ساعده جماعة في تصنيفه نحو من أربعين نفسا هو أحدهم وهو أصول الخليل فادعاه سبيويه إلى نفسه وقد استبعد ذلك السيرافي في كتاب طبقات النحاة قال وقد أخذ سبيويه اللغات عن أبي الخطاب والأخفش

وغيرهما وكان سيبويه يقول سعيد بن أبي العروبة والعروبة يوم الجمعة وكان يقول من قال
عروبة فقد أخطأ فذكر ذلك ليونس فقال
أصاب لله دره وقد ارتحل إلى خراسان ليحظى عند طلحة بن طاهر فإنه كان يحب النحو
فمرض هناك مرضه الذي توفي فيه فتمثل عند الموت
يؤمل دنيا لتبقى له * فمات المؤمل قبل الأمل
يربى فسيلا ليقبى له * فعاش الفسيل ومات الرجل
ويقال إنه لما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه فدمعت عين أخيه فاستفاق فرآه يبكي فقال
وكنا جميعا فرق الدهر بيننا
الى الامد الاقصى فمن يأمن الدهرا
قال الخطيب البغدادي يقال إنه توفي وعمره ثنتان وثلاثون سنة وفيها توفيت
عفيرة العابدة

كانت طويلة الحزن كثيرة البكاء قدم قريب لها من سفر فجعلت تبكى فقيل له في ذلك
فقال لقد ذكرني قدوم هذا الفتى يوم القدوم على الله فمسرور ومثبور وفيها مات مسلم
بن خالد الزنجي شيخ الشافعي كان من أهل مكة ولقد تكلموا فيه لسوء حفظه
2 ثم دخلت سنة احدى وثمانين ومائة
@ فيها غزا الرشيد بلاد الروم فافتتح حصنا يقال له الصفصاف فقال في ذلك مروان بن أبي
حفصة

إن أمير المؤمنين المنصفا * قد ترك الصفصاف قاعا صفصفا
وفيها غزا عبد الملك بن صالح بلاد الروم أنقرة وافتتح مطمورة وفيها تغلبت المحمرة على
جرجان وفيها أمر الرشيد أن يكتب في صدور الرسائل الصلاة على رسول الله صلي الله
عليه وسلم بعد الثناء على الله عز وجل وفيها حج بالناس الرشيد وتعجل بالنفر وسأله يحيى
بن خالد أن يعفيه من الولاية فأعفاه وأقام يحيى بمكة وفيها توفي
الحسن بن قحطبة تاحد أكابر الأمراء وحمزة بن مالك ولى إمره خراسان في أيام الرشيد
وخلف بن خليفة شيخ الحسن بن عرفة عن مائة سنة
وعبد الله بن المبارك

أبو عبد الرحمن المروزي كان أبوه تركيا مولى لرجل من التجار من بنى حنظلة من أهل
همدان وكان ابن المبارك إذا قدمها أحسن إلى ولد مولاهم وكانت أمه خوارزمية ولد لثمان
عشرة ومائة وسمع إسماعيل بن خالد والأعمش وهشام بن عروة وحميد الطويل وغيرهم
من أئمة التابعين وحدث عنه خلائق من الناس وكان موصوفا بالحفظ والفقه والعريبة والزهد
والكرم والشجاعة والشعر له التصانيف الحسان والشعر الحسن المتضمن حكما جمة وكان
كثير الغزو والحج وكان له رأس مال نحو أربعمائة ألف يدور يتجر به في البلدان فحيث اجتمع
بعالم أحسن إليه وكان يربو كسبه في كل سنة على مائة ألف ينفقها كلها في أهل العبادة
والزهد والعلم وربما أنفق من رأس ماله قال

سفيان بن عيينة نظرت في أمره وأمر الصحابة فما رأيتهم يفضلون عليه إلا في صحبتهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إسماعيل بن عياش ما على وجه الأرض مثله وما
أعلم خصلة من الخير إلا وقد جعلها الله في ابن المبارك ولقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه
من مصر إلى مكة فكان يطعمهم الخبيص وهو الدهر صائم وقدم مرة الرقة وبها هارون
الرشيد فلما دخلها احتفل الناس به وازدحم الناس حوله فأشرفت أم ولد للرشيد من قصر
هناك فقالت ما للناس فقيل لها قدم رجل من علماء خراسان يقال له عبد الله بن المبارك
فانجفل الناس إليه فقالت المرأة هذا هو الملك لا ملك هارون الرشيد الذي يجمع الناس
عليه بالسوط والعصا والرغبة والرغبة

وخرج مرة إلى الحج فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بالقائه على مزبلة هناك
وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة
منها فأخذت ذلك الطائر الميت ثم لفته ثم أسرعته به إلى الدار فجاء فسألها عن أمرها
وأخذها الميتة فقالت أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الأزار وليس لنا قوت إلا ما يلقي على
هذه المزبلة وقد حلت لنا الميتة منذ أيام وكان أبونا له مال فظلم وأخذ ماله وقتل فأمر ابن

المبارك برد الأحمال وقال لو كبله كم معك من النفقة قال ألف دينار فقال عد منها عشرين ديناراً تكفيها إلى مرو وأعطاها الباقي فهذا أفضل من حننا في هذا العام ثم رجع وكان إذا عزم على الحج يقول لأصحابه من عزم منكم في هذا العام على الحج فليأتي بنفقته حتى أكون أنا أنفق عليه فكان يأخذ منهم نفقاتهم ويكتب على كل صرة اسم صاحبها ويجمعها في صندوق ثم يخرج بهم في أوسع ما يكون من النفقات والركوب وحسن الخلق والتيسير عليهم فإذا قضوا حجتهم فيقول لهم هل أوصاكم أهلوكم بهدية فيشتري لكل واحد منهم ما وصاه أهله من الهدايا المكية واليمينية وغيرها فإذا جاؤا إلى المدينة اشترى لهم منها الهدايا المدنية فإذا رجعوا إلى بلادهم بعث من أثناء الطريق إلى بيوتهم فأصلحت وبيعت أبوابها ورمم شعثها فإذا وصلوا إلى البلد عمل وليمة بعد قدومهم ودعاهم فأكلوا وكساهم ثم دعا بذلك الصندوق ففتح وأخرج منه تلك الصرر ثم يقسم عليهم أن يأخذ كل واحد نفقته التي عليها اسمه فيأخذونها وينصرفون إلى منازلهم وهم شاكرون ناشرون لواء الشاء الجميل وكانت سفرته تحمل على بعير وحدها وفيها من أنواع المأكول من اللحم والدجاج والحلوى وغير ذلك ثم يطعم الناس وهو الدهر صائم في الحر الشديد وسأله مرة سائل فأعطاه درهما فقال له بعض أصحابه إن هؤلاء يأكلون الشواء والفالودج وقد كان يكفيه قطعة فقال والله ما ظننت أنه يأكل إلا البقل والخبز فأما إذا كان يأكل الفالودج والشواء فإنه لا يكفيه درهم ثم أمر بعض غلمانته فقال رده وادفع إليه عشرة دراهم وفضائله ومناقبه كثيرة جدا قال أبو عمر بن عبد البر أجمع العلماء على قبوله وجلالته وإمامته وعدله توفي عبد الله بن المبارك بهيت في هذه السنة في رمضان عن ثلاث وستين سنة ومفضل بن فضالة

ولى قضاء مصر مرتين وكان دينا ثقة فسأل الله أن يذهب عنه الأمل فأذهبه فكان بعد ذلك لا يهنئه العيش ولا شيء من الدنيا فسأل الله أن يرده عليه فرده فرجع إلى حاله ويعقوب التائب

العابد الكوفي قال علي بن الموفق عن منصور بن عمار خرجت ذات ليلة وأنا أظن أنني قد أصبحت فإذا علي ليل فجلست إلى باب صغير وإذا شاب يبكي وهو يقول وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولكن سولت لى نفسي وغلبتني شفتوتي وغرني سترك المرخي على فلان من عذابك من يستنقذني وبحبل من أتصل إن أنت قطعت حبلك عنى واسواتاه على ما مضى من أيامى في معصية ربي يا ولى كم أتوب وكم أعود قد حان لى أن أستحي من ربي عز وجل قال منصور فقلت أعود بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرهم قال فسمعت صوتا واضطرابا شديدا فذهبت لحاجتي فلما رجعت مررت بذلك الباب فإذا جنازة موضوعة فسألت عنه فإذا ذاك الفتى قد مات من هذه الآية

2 ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين ومائة

@ فيها أخذ الرشيد لولده عبد الله المأمون ولاية العهد من بعد أخيه محمد الأمين بن زبيدة وذلك بالرقعة بعد مرجعه من الحج وضم ابنه المأمون إلى جعفر بن يحيى البرمكي وبعثه إلى بغداد ومعه جماعة من أهل الرشيد خدمة له وولاه خراسان وما يتصل بها وسماه المأمون وفيها رجع يحيى بن خالد البرمكي من مجاورته بمكة إلى بغداد وفيها غزا الصائمه عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ مدينة أصحاب الكهف وفيها سملت الروم عيني ملكهم قسطنطين بن اليون وملكوا عليهم أمه رينى وتقلب أعسطه وحج بالناس موسى بن عيسى بن العباس

وفيها توفي من الأعيان إسماعيل بن عياش الحمصى أحد المشاهير من أئمة الشاميين وفيه كلام ومروان بن أبي حفصة الشاعر المشهور المشكور كان يمدح الخلفاء والبرامكة ومعن بن زائدة حصل من الأموال شئيا كثيرا جدا وكان مع ذلك من أبخل الناس لا يكاد يأكل اللحم من بخله ولا يشعل في بيته سراجا ولا يلبس من الثياب الا الكرباسي والفرو الغليظ وكان رفيقه

سلم الخاسر إذا ركب إلى دار الخلافة يأتي على بردون وعليه حلة تساوي ألف دينار والطيب ينفخ من ثيابه ويأتي هو في شر حالة وأسوئها وخرج يوما إلى المهدي فقالت امرأة من أهله إن أطلق لك الخليفة شيئا فاجعل لي منه شيئا فقال إن أعطاني مائة ألف درهم فلك درهم فأعطاه ستين ألفا فأعطاه أربعة دوانيق توفي ببغداد في هذه السنة ودفن في مقبرة نصر بن مالك

والقاضي أبو يوسف

واسمه يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حسنة وهي أمه وأبوه بحير بن معاوية استصغر يوم أحد وأبو يوسف كان أكبر أصحاب أبي حنيفة روى الحديث عن الأعمش وهمام ابن عروة ومحمد بن إسحاق ويحيى بن سعيد وغيرهم وعنه محمد بن الحسن وأحمد بن حنبل ويحيى ابن معين قال علي بن الجعد سمعته يقول توفي أبي وأنا صغير فأسلمتني أمي إلى قصار فكانت أمر علي حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها فكانت أمي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة وتذهب بي إلى القصار ثم كنت أخالفها في ذلك وأذهب إلى أبي حنيفة فلما طال ذلك عليها قالت لأبي حنيفة إن هذا صبي يتيم ليس له شيء إلا ما أطعمه من مغزلي وإنك قد أفسدته علي فقال لها اسكتي يا رعناء ها هو ذا يتعلم العلم وسيأكل الفالودج بدهن الفستق في صحن الفيروزج فقالت له إنك شيخ قد خرفت قال أبو يوسف فلما وليت القضاء وكان أول من ولاه القضاء الهادي وهو أول من لقب قاضي القضاة وكان يقال له قاضي قضاة الدنيا لأنه كان يستنيب في سائر الأقاليم التي يحكم فيها الخليفة قال أبو يوسف فينا أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أتى بالفالودج في صحن فيروزج فقال لي كل من هذا فانه لا يصنع لنا في كل وقت وقلت وما هذا يا أمير المؤمنين فقال هذا الفالودج قال فتبسمت فقال مالك تبسم فقلت لاشئ أبقي الله أمير المؤمنين فقال لتخبرني فقصصت عليه القصة فقال إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا والآخرة ثم قال رحم الله أبا حنيفة فلقد كان ينظر بعين عقله ما لا

ينظر بعين رأسه وكان أبو حنيفة يقول عن أبي يوسف إنه أعلم أصحابه وقال المزني كان أبو يوسف أتبعهم للحديث وقال ابن المديني كان صدوقا وقال ابن معين كان ثقة وقال أبو زرعة كان سليما من التجهم وقال بشار الخفاف سمعت أبا يوسف يقول من قال القرآن مخلوق فحرام كلامه وفرض مياينته ولا يجوز السلام ولا رده عليه ومن كلامه الذي ينبغي كتابته بماء الذهب قوله من طلب المال بالكيف أفلس ومن تتبع غرائب الحديث كذب ومن طلب العلم بالكلام تزندق ولما تناظر هو ومالك بالمدينة بحضرة الرشيد في مسألة الصاع وزكاة الخضروات احتج مالك بما استدعى به من تلك الصيعان المنقولة عن آبائهم وأسلافهم وبأنه لم يكن الخضروات يخرج فيها شيء في زمن الخلفاء الراشدين فقال أبو يوسف لو رأيت صاحبى ما رأيت لرجع كما رجعت وهذا انصاف منه

وقد كان يحضر في مجلس حكمه العلماء على طبقاتهم حتى إن أحمد بن حنبل كان شابا وكان يحضر مجلسه في أثناء الناس فيتناظرون ويتباحثون وهو مع ذلك يحكم ويصنف أيضا وقال وليت هذا الحكم وأرجو الله أن لا يسألني عن جور ولا ميل إلى أحد إلا يوما واحدا جاءني رجل فذكر أن له بستانا وأنه في يد أمير المؤمنين فدخلت إلى أمير المؤمنين فأعلمته فقال البستان لي اشتراه لي المهدي فقلت إن رأي أمير المؤمنين أن يحضره لأسمع دعواه فأحضره فادعى بالبستان فقلت ما تقول يا أمير المؤمنين فقال هو بستاني فقلت للرجل قد سمعت ما أجاب فقال الرجل يحلف فقلت أتحلف يا أمير المؤمنين فقال لا فقلت سأعرض عليك اليمين ثلاثا فان حلفت وإلا حكمت عليك يا أمير المؤمنين فعرضتها عليه ثلاثا فامتنع فحكمت بالبستان للمدعى قال فكنت في أثناء الخصومة أو دان ينفصل ولم يمكني أن أجلس الرجل مع الخليفة وبعث القاضي أبو يوسف في تسليم البستان إلى الرجل وروى المعافي بن زكريا الجريري عن محمد بن أبي الأزهر عن حماد بن أبي إسحاق عن أبيه عن بشر بن الوليد عن أبي يوسف قال بينا أنا ذات ليلة قد نمت في الفراش إذا رسول الخليفة يطرق الباب فخرجت منزعا فقال أمير المؤمنين يدعوك فذهبت فإذا هو جالس ومعه عيسى ابن جعفر فقال لي الرشيد إن هذا قد طلبت منه جارية يهينها فلن يفعل أو يعينها وإني أشهدك إن لم يجنبني إلى ذلك قتلته فقلت لعيسى لم لم تفعل فقال إنني حالف بالطلاق والعتاق وصدقة مالى كله أن لا أبيعها ولا أهبها فقال لي الرشيد فهل له من مخلص

فقلت نعم يبيعك نصفها وبهيك نصفها فوهبه النصف وباعه النصف بمائة ألف دينار فقبل منه ذلك وأحضرت الجارية فلما رآها الرشيد قال هل لى من سبيل عليها الليلة قلت إنها مملوكة ولا بد من استيرائها إلا أن تعتقها وتتزوجها فإن الحرة لا تستبرأ قال فأعتقها وتزوجها منه بعشرين ألف دينار وأمر لى بمائتي ألف درهم وعشرين تختا من ثياب وأرسلت إلى الجارية بعشرة آلاف دينار

قال يحيى بن معين كنت عند أبي يوسف فجاءته هدية من ثياب ديقي وطيب وفانيل ندوغير ذلك فإذا كرنى رجل في إسناد حديث من أهديت له هدية وعنده قوم جلوس فهم شركاؤه فقال أبو يوسف إنما ذاك في الأقط والتمر والزبيب ولم تكن الهدايا في ذلك الوقت ماترون يا غلام ارفع هذا إلى الخزانة ولم يعطهم منها شيئا وقال بشر بن غياث المريسي سمعت أبا يوسف يقول صحبت أبا حنيفة سبع عشرة سنة ثم انصبت على الدنيا سبع عشرة سنة وما أظن أجلي إلا أن اقترب فما مكث بعد ذلك إلا شهورا حتى مات

وقد مات أبو يوسف في ربيع الأول من هذه السنة عن سبع وستين سنة ومكث في القضاء بعده ولده يوسف وقد كان نائبه على الجانب الشرقي من بغداد ومن زعم من الرواة أن الشافعي اجتمع بأبي يوسف كما يقوله عبد الله بن محمد البلوي الكذاب في الرحلة التي ساقها الشافعي فقد أخطأ في ذلك إنما ورد الشافعي بغداد في أول قدمة قدمها إليها في سنة أربع وثمانين وإنما اجتمع الشافعي بمحمد بن الحسن الشيباني فأحسن إليه وأقبل عليه ولم يكن بينهما شأن كما يذكره بعض من لا خبره له في هذا الشأن والله أعلم وفيها توفي يعقوب بن داوود بن طهمان

أبو عبد الله مولى عبد الله بن حازم السلمى استوزره المهدي وحظى عنده جدا وسلم إليه أزمة الأمور ثم لما أمر بقتل ذلك العلوى كما تقدم فأطلقه ونمت عليه تلك الجارية سجنه المهدي في بئر وبنيت عليه قبة وبنيت شعره حتى صار مثل شعور الأنعام وعمى ويقال بل غشي بصره ومكث نحو من خمسة عشر سنة في ذلك البئر لا يرى ضوءا ولا يسمع صوتا إلا في أوقات الصلوات يعلمونه بذلك ويدلى إليه في كل يوم رغيف وكوز ماء فمكث كذلك حتى انقضت أيام المهدي وأيام الهادي وصدر من أيام الرشيد قال يعقوب فاتاني آت في منامي فقال

عسى الكرب الذي أمسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

فيأمن خائف ويفك عان ويأتي أهله النائي الغريب

فلما أصبحت نوديت فظننت أنني أعلم بوقت الصلاة ودلى إلى حبل وقيل لى اربط هذا الحبل فو وسطك فأخرجونى فلما نظرت إلى الضياء لم أبصر شيئا وأوقفت بين يدي الخليفة فقيل لى سلم على أمير المؤمنين فظننته المهدي فسلمت عليه بإسمه فقال لست به فقلت الهادي فقال لست به فقلت السلام عليك يا أمير المؤمنين الرشيد فقال نعم ثم قال والله إنه لم يشفع فيك عندي أحد ولكنى البارحة حملت جارية لى صغيرة على عنقي فذكرت حملك إياى على عنقك فرحمت ما أنت فيه من الضيق فأخرجتك ثم أنعم عليه وأحسن إليه فغار منه يحيى بن خالد بن برمك وخشى أن يعيده إلى منزلته التى كان عليها أيام المهدي وفهم ذلك يعقوب فاستأذن الرشيد في الذهاب إلى مكة فأذن له فكان بها حتى مات في هذه السنة رحمه الله وقال يخشى يحيى أن أرجع إلى الولايات لا والله ما كنت لأفعل أبدا ولو رددت إلى مكاني وفيها توفي يزيد بن زريع أبو معاوية شيخ الامام أحمد بن حنبل في الحديث كان ثقة عالما عابدا ورعا توفي أبوه وكان والى البصرة وترك من المال خمسمائة درهم فلم يأخذ منها يزيد درهما واحدا وكان يعمل الخوص بيده ويققات منه هو وعياله توفي بالبصرة في هذه السنة وقيل قبل ذلك فالله أعلم

2 ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة

@ فيها خرجت الخزر على الناس من جهة أرمينية فعاثوا في تلك البلاد فسادا وسبوا من المسلمين وأهل الذمة نحو من مائة ألف وقتلوا بشرا كثيرا وانهزم نائب أرمينية سعيد بن مسلم فأرسل الرشيد إليهم خازم بن خزيمة ويزيد بن مزيد في جيوش كثيرة كثيفة فأصلحوا ما فسد في تلك البلاد وحج بالناس العباس بن موسى الهادي

وفيهما توفي من الأعيان علي بن الفضيل بن عياض في حياة أبيه كان كثير العبادة والورع والخوف والخشية ومحمد بن صبيح أبو العباس مولى بنى عجل المذكر ويعرف بابن السماك روى عن إسماعيل بن أبي خالد والأعمش والثوري وهشام بن عروة وغيرهم ودخل يوما على الرشيد فقال إن لك بين يدي الله موقفا فانظر أين منصرفك إلى الجنة أم النار فبكى الرشيد حتى كاد يموت

وموسى بن جعفر

ابن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب أبو الحسن الهاشمي ويقال له الكاظم ولد سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة وكان كثير العبادة والمروءة إذا بلغه عن أحد أنه يؤذيه أرسل إليه بالذهب والتحف ولد له من الذكور والإناث أربعون نسمة وأهدى له مرة عبد عسيبة فاشتراه واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار وأعتقه ووهب المزرعة له وقد استدعاه المهدي إلى بغداد فحبسه فلما كان في بعض الليالي رأى المهدي علي بن أبي طالب وهو يقول له يا محمد فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم فاستيقظ مذعورا وأمر به فأخرج من السجن ليلا فأجلسه معه وعانقه وأقبل عليه وأخذ عليه العهد أن لا يخرج عليه ولا على أحد من أولاده فقال والله ما هذا من شأنى ولا حدثت فيه نفسى فقال صدقت وأمر له بثلاثة آلاف دينار وأمر به فرد إلى المدينة فما أصبح الصباح إلا وهو على الطريق فلم يزل بالمدينة حتى كانت خلافة الرشيد فحج فلما دخل ليسلم على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه موسى بن جعفر الكاظم فقال الرشيد السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم فقال موسى السلام عليك يا أبت فقال الرشيد هذا هو الفخر يا أبا الحسين ثم لم يزل ذلك في نفسه حتى استدعاه في سنة تسع وستين وسجنه فأطال سجنه فكتب إليه موسى رسالة يقول فيها أما بعد يا أمير المؤمنين إنه لم ينقض عنى يوم من البلاء إلا انقضى عنك يوم من الرخاء حتى يفضى بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون توفي لخمس بقين من رجب من هذه السنة ببغداد وقبره هناك مشهور وفيها توفي

هاشم بن بشير بن أبي حازم

القاسم بن دينار أبو معاوية السلمى الواسطى كان أبوه طباحا للحجاج بن يوسف الثقفي ثم كان

بعد ذلك يبيع الكوامخ وكان يمنع ابنه من طلب العلم ليساعده على شغله فأبى إلا أن يسمع الحديث فاتفق أن هاشما مرض فجاءه أبو شبيبة قاضى واسط عائدا له ومعه خلق من الناس فلما رآه بشير فرح بذلك وقال يا بنى أبلغ من أمرك أن جاء القاضي إلى منزلى لا أمنعك بعد هذا اليوم من طلب الحديث كان هاشم من سادات العلماء وحدث عنه مالك وشعبة والثوري وأحمد بن حنبل وخلق غير هؤلاء وكان من الصلحاء العباد ومكث يصلى الصبح بوضوء العشاء قبل أن يموت بعشر سنين

ويحي بن زكريا

ابن أبي زائدة قاضى المدائن كان ما الأئمة الثقات ويونس بن حبيب أحد النحاة النجباء أخذ النحو عن أبي عمرو بن العلاء وغيره وأخذ عنه الكسائي والفراء وقد كانت له حلقة بالبصرة ينتابها أهل العلم والأدب والفصحاء من الحاضرين والغرباء توفي في هذه السنة عن ثمان

وسبعين سنة

2 ثم دخلت سنة أربع وثمانين ومائة

@ فيها رجع الرشيد من الرقة إلى بغداد فأخذ الناس بأداء بقايا الخراج الذى عليهم وولى رجلا يضرب الناس على ذلك ويحبسهم وولى على أطراف البلاد وعزل وولى وقطع ووصل وخرج بالجزيرة أبو عمرو الشاري فبعث إليه الرشيد من قبله شهر زور وحج بالناس فيها إبراهيم بن محمد العباسى وفيها توفي

أحمد بن الرشيد

كان زاهدا عابدا قد تنسك وكان لا يأكل إلا من عمل يده في الطين كان يعمل فاعلا فيه وليس يملك الا مروا وزنبلا أى مجرفة وقفة وكان يعمل في كل جمعة بدرهم ودانق يتقرب بهما من الجمعة إلى الجمعة وكان لا يعمل إلا في يوم السبت فقط ثم يقبل على العبادة بقية أيام الجمعة وكان من زبيدة في قول بعضهم والصحيح أنه من امرأة كان الرشيد قد أحبها

فتزوجها فحملت منه بهذا الغلام ثم إن الرشيد أرسلها إلى البصرة وأعطها خاتما من ياقوت أحمر وأشياء نفيسة وأمرها إذا أفضت إليه الهلافة أن تأتيه فلما صارت الخلافة إليه لم تأته ولا ولدها بل اختفيا وبلغه أنهما ماتا ولم يكن الأمر كذلك وفحص عنهما فلم يطلع لهما على خير فكان هذا الشاب يعمل بيده ويأكل من كدها ثم رجع إلى بغداد وكان يعمل في الطين ويأكل مدة زمانية هذا وهو ابن أمير المؤمنين ولا يذكر للناس من هو إلى أن اتفق مرضه في دار من كان يستعمله في الطين فمرضه عنده فلما احتضر أخرج الخاتم وقال لصاحب المنزل اذهب بهذا إلى الرشيد وقل له صاحب هذا الخاتم يقول لك إياك أن تموت في سكرتك هذه فتندم حيث لا ينفع نادما ندمه واحذر انصرافك من بين يدي الله إلى الدارين وأن يكون آخر العهد بك فإن ما أنت فيه لو دام لغيرك لم يصل إليك وسيصير إلى غيرك وقد بلغك أخبار من مضى

قال فلما مات دفنه وطلبت الحضور عند الخليفة فلما أوقفت بين يديه قال ما حاجتك قلت هذا الخاتم دفعه إلي رجل وأمرني أن أدفعه إليك وأوصاني بكلام أقوله لك فلما نظر الخاتم عرفه فقال ويحك وأين صاحب هذا الخاتم قال فقلت مات يا أمير المؤمنين ثم ذكرت الكلام الذي أوصاني به وذكرت له أنه يعمل بالفاعل في كل جمعة يوما بدرهم وأربع دوانيق أو بدرهم ودانق يتقوت به وسائر الجمعة ثم يقبل على العبادة قال فلما سمع هذا الكلام قام فضرب بنفسه الأرض وجعل يتمرغ ويتقلب ظهرا لبطن ويقول والله لقد نصحتني يا بني ثم بكى ثم رفع رأسه إلى الرجل وقال أتعرف قبره قلت نعم أنا دفنته قال إذا كان العشى فائتني فقال فأتيته فذهب إلى قبره فلم يزل يبكي عنده حتى أصبح ثم أمر لذلك الرجل بعشرة آلاف درهم وكتب له ولعياله رزقا وفيها مات

عبد الله بن مصعب

ابن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي والد بكار أئمه الرشيد بولاية المدينة فقبلها بشروط عدل اشترطها فأجابته إلى ذلك ثم أضاف إليه نيابة اليمن فكان من أعدل الولاة وكان عمره يوم تولى نحو من سبعين سنة

عبد الله بن عبد العزيز العمري

أدرك أبا طوالة وروى عن أبيه وإبراهيم بن سعد وكان عابدا زاهدا وعظ الرشيد يوما فأطنب وأطيب قال له وهو واقف على الصفا أنتظر كم حولها يعنى الكعبة من الناس فقال كثير فقال كل منهم يسأل يوم القيامة عن خاصة نفسه وأنت تسأل عنهم كلهم فيكى الرشيد بكاء كثيرا وجعلوا يأتونه بمنديل بعد منديل ينشف به دموعه ثم قال له يا هارون إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه فيكيف بمن يسرف في أموال المسلمين كلهم ثم تركهم وانصرف والرشيد يبكي وله معه مواقف محمودة غير هذه توفي عن ست وستين سنة

ومحمد بن يوسف بن معدان

أبو عبد الله الأصبهاني أدرك التابعين ثم اشتغل بالعبادة والزهادة كان عبد الله بن المبارك يسميه عروس الزهاد وقال يحيى بن سعيد القطان ما رأيت أفضل منه كان كأنه قد عاين وقال ابن مهدي ما رأيت مثله وكان لا يشتري خبزه من خباز واحد ولا بقله من بقال واحد كان لا يشتري إلا ممن لا يعرفه يقول أخشى أن يحابوني فأكون ممن يعيش بدينه وكان لا يضع جنبه للنوم صيفا ولا شتاء ومات ولم يجاوز الأربعين سنة رحمة الله

2 ثم دخلت سنة خمس وثمانين ومائة

@ فيها قتل أهل طبرستان متوليهم مهرويه الرازي فولى الرشيد عليهم عبد الله بن سعيد الحرشي وفيها قتل عبد الرحمن الأنباري أبان بن قحطبة الخرجي بمرج العلقة وفيها عاث حمزة الشاري بلاد باذغيس من خراسان فنهض عيسى بن على بن عيسى إلى عشرة آلاف من جيش حمزة فقتلهم وسار وراء حمزة إلى كابل وزابليستان وفيها خرج أبو الخصيب فتغلب على أبيورد وطوس ونيسابور وحاصر مرو وقوى أمره وفيها توفي يزيد بن يزيد ببردعة فولى الرشيد مكانه ابنه أسد بن يزيد واستأذن الوزير يحيى بن خالد الرشيد في أن يعتمر في رمضان فأذن له ثم رابط بجنده إلى وقت الحج وكان أمير الحج في هذه السنة منصور بن محمد بن عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس وفيها توفي

عبد الصمد بن علي
ابن عبد الله بن عباس عم السفاح والمنصور ولد سنة أربع ومائة وكان ضخماً الخلق جدا ولم
يبدل أسنانه وكانت أصولها صفيحة واحدة قال يوما للرشيدي يا أمير المؤمنين هذا المجلس
اجتمع فيه عم أمير المؤمنين وعم عمه وعم عمه وعم عمه وذلك أن سليمان بن أبي جعفر عم
الرشيدي والعباس بن محمد بن علي عم سليمان وعبد الصمد بن علي عم السفاح وتلخيص
ذلك أن عبد الصمد عم عم عم الرشيدي لأنه عم جده روى عبد الصمد عن أبيه عن جده عبد
الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن البر والصلة ليطلقان الأعمار ويعمران
الديار ويشريان الأموال ولو كان القوم فجارا وبه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن
البر والصلة ليخفان الحساب يوم القيامة ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين
يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب وغير ذلك من
الأحاديث

ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس المعروف بالامام كان على إمارة
الحاج وإقامة سقايته في خلافة المنصور عدة سنين توفي ببغداد فصلى عليه الأمين في
شوال من هذه السنة ودفن بالعباسية
وفيهما توفي من مشايخ الحديث تمام بن إسماعيل وعمرو بن عبيد والمطلب بن زياد
والمعافي ابن عمران في قول ويوسف بن الماجشون وأبو إسحاق الفزاري إمام أهل الشام
بعد الأوزاعي في المغازي والعلم والعبادة
ورابعة العدوية

وهي رابعة بنت إسماعيل مولاة آل عتيك العدوية البصرية العابدة المشهورة ذكرها أبو نعيم
في الحلية والرسائل وابن الجوزي في صفوة الصفوة والشيخ شهاب الدين السهروردي في
المعارف والفشيرى وأثنى عليها أكثر الناس وتكلم فيها أبو داود السجستاني واتهمها
بالزندقة

فلعله بلغه عنها أمر وأنشد لها السهروردي في المعارف
ولى قضاء مصر مرتين وكان ديناً ثقة فسأل الله أن يذهب عنه الأمل فأذهبه فكان بعد ذلك لا
يهنئه العيش ولا شئ من الدنيا فسأل الله أن يردّه عليه فردّه فرجع إلى حاله
إني جعلتك في الفؤاد محدثي * وأبحت جسمي من أراد جلوسى
فالجسم منى للجليس موانس * وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسى
وقد ذكروا لها أحوالا وأعمالا صالحة وصيام نهار وقيام ليل ورؤيت لها منامات صالحة فالله
أعلم توفيت بالقدس الشريف وقبرها شرقيه بالطور والله أعلم
2 ثم دخلت سنة ست وثمانين ومائة

@ فيها خرج علي بن عيسى بن ماهان من مرو لحرب أبي الخصيب إلى نسا فقاتله بها
وسبى نساءه وذريته واستقامت خراسان وحج بالناس فيها الرشيدي ومعه ابناه محمد الأمين
وعبد الله المأمون فبلغ جملة ما أعطى لأهل الحرمين ألف دينار وخمسين ألف دينار
وذلك أنه كان يعطى الناس فيذهبون إلى الأمين فيعطيهم فيذهبون إلى المأمون فيعطيهم
وكان إلى الأمين ولاية الشام والعراق وإلى المأمون همدان إلى بلاد المشرق ثم تابع الرشيدي
لولده القاسم من بعد ولديه ولقيه المؤمن وولاه الجزيرة والثغور والعواصم وكان الباعث له
على ذلك أن ابنه القاسم هذا كان في حجر عبد الملك بن صالح ولما بايع الرشيدي لولديه كتب
إليه

يا أيها الملك الذى * لو كان نجما كان سعدا

اعقد لقاسم بيعة * واقدح له في الملك زندا

فالله فرد واحد * فاجعل ولاة العهد فردا

ف فعل الرشيدي ذلك وقد حمده قوم على ذلك وذمه آخرون ولم ينتظم للقاسم هذا أمر بل
اختطفته المنون والأقذار عن بلوغ الأمل والأوطار ولما قضى الرشيدي حجه أحضر من معه
من الأمراء والوزراء وأحضر ولي العهد محمدا الأمين وعبد الله المأمون وكتب بمضمون
ذلك صحيفة وكتب فيها الأمراء والوزراء خطوطهم بالشهادة على ذلك وأراد الرشيدي أن

يعلقها في الكعبة فسقطت فقبل هذا أمر سريع انتفاضه وكذا وقع كما سيأتي وقال إبراهيم
الموصلى في عقد هذه البيعة في الكعبة
خير الأمور مغبة * وأحق أمر بالتمام
أمر قضى أحكامه الر * حمن في البلد الحرام
وقد أطال القول في هذا المقام أبو جعفر بن جرير وتبعه ابن الجوزي في المنتظم
وفيها توفي من الأعيان
أصبع بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو ريان في رمضان منها وحسان بن إبراهيم
قاضي

كرمان عن مائة سنة وسلم الخاسر الشاعر
وهو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء وإنما قيل له الخاسر لأنه باع مصحفا واشترى به
ديوان شعر لامرئ القيس وقيل لأنه أنفق مائتي ألف في صناعة الأدب وقد كان شاعرا
منطيقا له قدرة على الانشاء على حرف واحد كما قال في موسى الهادي
موسى المطر غيث بكر ثم انهمر كم اعتبر ثم فتر وكم قدر ثم غفر عدل السير باقي الأثر
خير البشر فرع مضر بدر لمن نظر هو الوزر لمن حضر والمفتخر لم غير
وذكر الخطيب أنه كان على طريقة غير مرضية من المجون والفسق وأنه كان من تلاميذ
بشار ابن برد وأن نظمه أحسن من نظم بشار فمما غلب فيه بشارا قوله
من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
فقال مسلم

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور
فغضب بشار وقال أخذ معاني كلامي فكساها ألفاظا أخف من ألفاظي وقد حصل له من
الخلفاء والبرامكة نحو من أربعين ألف دينار وقيل أكثر من ذلك ولما مات ترك ستة وثلاثين
ألف دينار وديعة عند أبي الثمر العسائي فغنى إبراهيم الموصلى يوما الرشيد فأطرب به
فقال له سل فقال يا أمير المؤمنين أسألك شيئا ليس فيه من مالك شيء ولا أرزأوك شيئا
سواه قال وما هو فذكر له وديعة سلم الخاسر وأنه لم يترك وارثا فأمر له بها ويقال إنها
كانت خمسين ألف دينار
والعباس بن محمد

ابن علي بن عبد الله بن عباس عم الرشيد كان من سادات قريش ولى إمارة الجزيرة في
أيام الرشيد وقد أطلق له الرشيد في يوم خمسة آلاف ألف درهم وإليه تنسب العباسية وبها
دفن وعمره خمس وستون سنة وصلى عليه الامين
ويقطين بن موسى

كان أحد الدعاة إلى دولة بنى العباس وكان داهية ذا رأى وقد احتال مرة حيلة عظيمة لما
حبس مروان الحمار إبراهيم بن محمد بحران فتخيرت الشيعة العباسية فيمن يولون ومن
يكون ولى الأمر من بعده إن قتل فذهب يقطين هذا إلى مروان فوقف بين يديه في صورة
تاجر فقال يا أمير المؤمنين إني قد بعث إبراهيم بن محمد بضاعة ولم أقبض ثمنها منه حتى
أخذته سلك فإن رأى أمير المؤمنين أن يجمع بيني وبينه لأطالبه بمالي فعل قال نعم فأرسل
به إليه مع غلام فلما رآه قال يا عدو الله إلى من أوصيت بعدك أخذ مالي منه فقال له إلى
ابن الحارثية يعنى أخاه عبد الله السفاح فرجع يقطين إلى الدعاة إلى بنى العباس فأعلمهم
بما قال فبايعوا السفاح فكان من أمره
ما ذكرناه

2 ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة

@ فيها كان مهلك البرامكة علة يدي الرشيد قتل جعفر بن يحيى بن خالد الرمكي ودمر
ديارهم واندرست آثارهم وذهب صغارهم وكبارهم وقد اختلف في سبب ذلك علناقوال ذكره
ابن جرير وغيره قيل إن الرشيد كان قد سلم يحيى بن عبد الله بن حسن إلى جعفر الرمكي
ليسجنه عنده فما زال يحيى يترفق له حتى أطلقه فم الفضل بن الربيع ذلك إلى الرشيد فقال
له للرشيد وبلك لا تدخل بيني وبين جعفر فلعله أطلقه عن أمرى وأنا لا أشعر ثم سأل
الرشيد جعفرا عن ذلك فصدقه فتغيظ عليه وحلف ليقتلنه وكره البرامكة ثم قتلهم وقلاهم

بعد ما كانوا أحظى الناس عنده وأحبهم إليه وكانت أم جعفر والفضل أم الرشيد من الرضاة وقد جعلهم الرشيد من الرفعة في الدنيا وكثرة المال بسبب ذلك شيئا كثيرا لم يحصل لمن قبلهم من الوزراء ولا لمن بعدهم من الأكابر والوؤساء بحيث إن جعفرا بنى دارا غرم عليها عشرين ألف ألف درهم وكان ذلك من جملة ما نغمه عليه الرشيد ويقال إنما قتلهم الرشيد لأنه كان لا يمر ببلد ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر ويقال إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد وإظهار الزندقة وقيل إنما قتلهم بسبب العباسة ومن العلماء من أنكر ذلك وإن كان ابن جرير قد ذكره

وذكر ابن الجوزي أن الرشيد سئل عن سبب قتله البرامكة فقال لو أعلم أن قميصي يعلم ذلك لأحرقته وقد كان جعفر يدخل على الرشيد بغير إذن حتى كان يدخل عليه وهو في الفراش مع حظاياه وهذه وجاهة ومنزلة عليه وكان عنده من أحظى العشرة على الشراب المسكر فإن الرشيد كان يستعمل في أواخر أيام خلافته المسكر وكان أحب أهله إليه العباسة بنت المهدي وكان يحضرها معه وجعفر البرمكي حاضرا أيضا معه فزوجه بها ليحل النظر إليها واشترط عليه أن لا يطأها وكان الرشيد ربما قام وتركها وهما ثملان من الشراب وربما واقعها جعفر فحبلت منه فولدت ولدا وبعتته مع بعض جواربها إلى مكة وكان يربي بها

وذكر ابن خلكان أن الرشيد لم زوج أخته العباسة من جعفر أحبها حبا شديدا فراودته عن نفسه فامتنع أشد الامتناع خوفا من الرشيد فاحتالت عليه وكانت أمه تهدي له في كلة ليلة جمعة جارية حسناء بكرا فقالت لأمه أدخليني عليه بصفة جارية فهابت ذلك فتهدتها حتى فعلت ذلك فلما دخلت عليه لم يتحقق وجهها فواقعها فقالت له كيف رأيت خديعة بنات الملوك وحملت من تلك الليلة فدخل على أمه فقال بعيني والله برخيص ثم إن والده يحيى بن خالد جعل يضيق على عيال الرشيد في النفقة حتى شككت زبيدة ذلك إلى الرشيد مرات ثم أفضت له سر العباسة فاستشاط غيظا ولما أخبرته أن الوالد قد أرسلت به إلى مكة حج عام ذلك حتى تحقق الأمر ويقال

إن بعض الجوارب نمت عليها إلى الرشيد وأخبرته بما وقع وأن الولد بمكة وعنده جوار وأموال وحلى كثيرة فلم يصدق حتى حج في السنة الخالية ثم كشف الأمر عن الحال فإذا هو كما ذكر وقد حج في هذه السنة التي حج فيها الرشيد يحيى بن خالد فجعل يدعو عند الكعبة اللهم إن كان يرزقك عنى سلب جميع مالي وولدي وأهلي فافعل ذلك وأبق على منهم الفضل ثم خرج فلما كان عند باب المسجد رجع فقال اللهم والفضل معهم فإني راض برضاك عنى ولا تستثن منهم أحدا

فلما قفل الرشيد من الحج صار إلى الحيرة ثم ركب في السفن إلى الغمر من أرض الأنبار فلما كانت ليلة السبت سلخ المحرم من هذه السنة أرسل مسرورا الخادم ومعه حماد بن سالم أبو عصمة في جماعة من الجند فأطافوا بجعفر بن يحيى ليلا فدخل عليه مسرور الخادم وعنده بختيشوع المتطبب وأبو ركانة الأعمى المغنى الكلوزاني وهو في أمره وسروره وأبو ركانة يغنيه

قال فلما مات دفنه وطلبت الحضور عند الخليفة فلما أوقفت بين يديه قال ما حاجتك قلت هذا الخاتم دفعه إلي رجل وأمرني أن أدفعه إليك وأوصاني بكلام أقوله لك فلما نظر الخاتم عرفه فقال ويحك وأين صاحب هذا الخاتم قال فقلت مات يا أمير المؤمنين ثم ذكرت الكلام الذي أوصاني به وذكرت له أنه يعمل بالفاعل في كل جمعة يوما بدرهم وأربع دوانيق أو بدرهم ودانق يتقوت به سائر الجمعة ثم يقبل على العبادة قال فلما سمع هذا الكلام قام فضرب بنفسه الأرض وجعل يتمرغ ويتقلب ظهرا لبطن ويقول والله لقد نصحتني يابني ثم بكى ثم رفع رأسه إلى الرجل وقال أتعرف قبره قلت نعم أنا دفنته قال إذا كان العشى فأتني فقال فأتته فذهب إلى قبره فلم يزل يبكي عنده حتى أصبح ثم أمر لذلك الرجل بعشرة آلاف درهم وكتب له ولعياله رزقا وفيها مات فلا تبعد فكل فتى سيأتي * عليه الموت يطرق أو يغادي

فقال الخادم له يا أبا الفضل هذا الموت قد طرقك أجب أمير المؤمنين فقام إليه يقبل قدميه ويدخل عليه أن يمكنه فيدخل إلى أهله فيوصي إليهم ويودعهم فقال أما الدخول فلا سبيل إليه ولكن أوص فأوصى وأعتق جميع ممالئكه أو جماعة منهم وجاءت رسل الرشيد تستحثه فأخرج إخراجا عنيفا فجعلوا يقودونه حتى أتوا به المنزل الذي فيه الرشيد فحسبه وقيده ب قيد حمار وأعلموا الرشيد بما كان يفعل فأمر بضرب عنقه فجاء السيف إلى جعفر فقال إن أمير المؤمنين قد أمرني أن أتبه برأسك فقال يا أبا هاشم لعل أمير المؤمنين سكران فإذا صحت عاتبك في فعاوده فرجع إلى الرشيد فقال إنه يقول لعلك مشغول فقال يا ماص بظر أمه اتنني برأسه فكرر عليه جعفر المقالة فقال الرشيد في الثالثة برئت من المهدي إن لم تأتني برأسه لأبعثن من يأتيني برأسك ورأسه فرجع إلى جعفر فحز رأسه وأتى به إلى الرشيد فألقاه بين يديه وأرسل الرشيد من ليلته البرد بالاحتياط على البرامكة جميعهم ببغداد وغيرها ومن كان منهم بسبيل فأخذوا كلهم عن آخرهم فلم يفلت منهم أحد وحبس يحيى بن خالد في منزله وحبس الفضل بن يحيى في منزل آخر وأخذ جميع ما كانوا يملكونه من الدنيا وبعث الرشيد برأس جعفر وجثته فنصب الرأس عند الجسر الأعلى وشقت الجثة باثنتين فنصب نصفها الواحد عند الجسر الأسفل والآخر عند الجسر الآخر ثم أحرقت بعد ذلك ونودي في بغداد أن لا أمان للبرامكة ولا لمن أوامهم إلا محمد بن يحيى بن خالد فإنه مستثنى منهم لنصحه للخليفة وأتى الرشيد بأنس بن أبي شيخ كان يتهم بالزندقة وكان مصاحبا لجعفر فدار بينه وبين الرشيد كلام ثم أخرج الرشيد من تحت فراشه سيفا وأمر بضرب عنقه به وجعل يتمثل ببيت قيل في قتل أنس قبل ذلك

تلمظ السيف من شوق إلى أنس * فالسيف يلحظ والأقدار تنتظر
فضربت عنق أنس فسبق السيف الدم فقال الرشيد رحم الله عبد الله بن مصعب فقال
الناس إن السيف كان للزبير بن العوام ثم شحنت السجون بالبرامكة واستلبت أموالهم كلها وزالت عنهم النعمة وقد كان الرشيد في اليوم الذي قتل جعفرا في آخره هو وإياه راكبين في الصيد في أوله وقد خلا به دون ولاة العهود وطيبه في ذلك بالغالية بيده فلما كان وقت المغرب ودعه الرشيد وضمه إليه وقال لولا أن الليلة ليلة خلوتي بالنساء ما فارقتك فذهب إلى منزلك واشرب واطرب وطب عيشا حتى تكون على مثل حالي فأكون أنا وأنت في اللذة سواء فقال والله يا أمير المؤمنين لا أشتهى ذلك إلا معك فقال لا انصرف إلى منزلك فانصرف عنه جعفر فما هو إلا أن ذهب من الليل بعضه حتى أوقع به من البأس والنكال ما تقدم ذكره وكان ذلك ليلة السبت آخر ليلة من المحرم وقيل إنها أول ليلة من صفر في هذه السنة كان عمر جعفر إذ ذاك سبعا وثلاثين سنة ولما جاء الخبر إلى أبيه يحيى بن خالد بقتله قال قتل الله ابنه ولما قيل له قد خربت دارك قال خرب الله دوره ويقال إن يحيى لما نظر إلى دوره وقد هتكت ستورها واستبيحت قصورها وانتهب ما فيها قال هكذا تقوم الساعة وقد كتب إليه بعض أصحابه يعزبه فيما جرى له فكتب إليه جواب التعزية أنا بقضاء الله راض وبإختياره عالم ولا يؤاخذ الله العباد إلا بذنوبهم وما الله بظلام للعبيد وما يغفر الله أكثر ولله الحمد وقد أكثر الشعراء من المرثي في البرامكة فمن ذلك قول الرقاشي وقيل إنها لأبي

نواس

الآن استرحنا واستراحت ركابنا * وأمسك من يحدي ومن كان يحتدى
فقل للمطايا قد أمنت من السرى * وطى الفياقي فدفا بعد فدفا
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر * ولن تطفري من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعلطي * وقل للرزايا كل يوم تجدي
ودونك سيفا برمكيا مهندا * أصيب بسيف هاشمي مهندا
وقال الرقاشي وقد نظر إلى جعفر وهو على جذاعه * أما والله خوف واش
وعين للخليفة لا تنام * لطفنا حول جذعك واستلمنا
كما للناس بالحجر استلام * فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى
حساما فله السيف الحسام * على اللذات والدنيا جميعا
ودولة آل برمك السلام

قال فاستدعاه الرشيد فقال له كم كان يعطيك جعفر كل عام قال ألف دينار فأمر له

بألفي دينار وقال الزبير بن بكار عن عمه مصعب الزبيري قال لما قتل الرشيد جعفرا وقفت امرأة على حمار فاره فقالت بلسان فصيح والله يا جعفر لئن صرت اليوم آية لقد كنت في المكارم غاية ثم أنشأت تقول

ولما رأيت السيف خالط جعفرا * ونادى متاد للخليفة في يحي
بكيت على الدنيا وأيقنت أنما * قصارى الفتى يوما مفارقة الدنيا
وما هي إلا دولة بعد دولة * تخول ذا نعمى وتعقب ذا بلوى
إذا أنزلت هذا منازل رفعة * من الملك حطت إلى الغاية القصوى
قال ثم حركت حمارها فذهبت فكانها كانت ريحا لا أثر لها ولا يعرف أين ذهبت
وذكر ابن الجوزي أن جعفرا كان له جارية يقال لها فتينة مغنية لم يكن لها في الدنيا نظير
كان مشتراها عليه بمن معها من الجوارى مائة ألف دينار فطلبها منه الرشيد فامتنع من ذلك
فلما قتله الرشيد اصطفى تلك الجارية فأحضرها ليلة في مجلس شرابه وعنده جماعة من
جلسائه وسماره فأمر من معها أن يغنين فاندفعت كل واحدة تغنى حتى انتهت النوبة إلى
فتينة فأمرها بالغناء فأسبلت دمعها وقالت أما بعد السادة فلا فغضب الرشيد غضبا شديدا
وأمر بعض الحاضرين أن يأخذها إليه فقد وهبها له ثم لما أراد الانصراف قال له فيما بينه
وبينه لا تطأها ففهم أنه إنما يريد بذلك كسرهما فلما كان بعد ذلك أحضرها وأظهر أنه قد
رضى عنها وأمرها بالغناء فامتنعت وأرسلت دمعها وقالت أما بعد السادة فلا فغضب الرشيد
أشد من غضبه في المرة الأولى وقال النطع والسياف وجاء السياف فوقف على رأسها فقال
له الرشيد إذا أمرت ثلاثا وعقدت أصابعي ثلاثا فاضرب ثم قال غن فبكت وقالت أما بعد
السادة فلا فقعد أصبعه الخنصر ثم أمرها الثانية فامتنعت فعقد اثنتين فارتعد الحاضرون
وأشفقوا غاية الشفاق وأقبلوا عليها يسألونها أن تغنى لئلا تقتل نفسها وأن تجيب أمير
المؤمنين إلى ما يريد ثم أمرها الثالثة فاندفعت تغنى كارهة
لما رأيت الدنيا قد درست * أيقنت أن النعيم لم يعد
قال فوثب إليها الرشيد وأخذ العود من يدها وأقبل يضرب به وجهها ورأسها حتى تكسر
وأقبلت الدماء وتطايرت الجوار من حولها وحملت من بين يديه فماتت بعد ثلاث
وروى أن الرشيد كان يقول لعن الله من أعراني بالبرامكة فما وجدت بعدهم لذة ولا راحة
ولا رجاء وددت والله أني شطرت نصف عمري وملكي وأنى تركتهم على حالهم
وحكى ابن خلكان أن جعفرا اشترى جارية من رجل بأربعين ألف دينار فالتفتت إلى بائعها
وقالت اذكر العهد الذى بينى وبينك لا تأكل من ثمنى شيئا فبكى سيدها وقال اشهدوا أنها
حرة وأنى قد تزوجتها فقال جعفر اشهدوا أن الثمن له أيضا وكتب إلى نائب له أما بعد فقد
كثر شاكوك وقل شاكروك فاما أن تعدل وإما تعتزل ومن أحسن ما وقع منه من التلطف في
إزالة هم الرشيد وقد دخل عليه منجم يهودي فأخبره أنه سيموت في هذه السنة فحمل
الرشيد هما عظيما فدخل عليه جعفر فسأله ما الخبر فأخبره بقول اليهودي فاستدعى جعفر
اليهودي فقال له كم بقى لك من العمر فذكر مدة طويلة فقال يا أمير المؤمنين اقتله حتى
تعلم كذبه فيما أخبر عن عمره فأمر الرشيد باليهودي فقتل وسرى عن الرشيد الذي كان فيه
وبعد مقتل البرامكة قتل الرشيد إبراهيم بن عثمان بن نهيك وذلك أنه حزن على البرامكة
ولاسيما على جعفر كان يكثر البكاء عليهم ثم خرج من حيز البكاء إلى حيز الانتصار لهم
والأخذ بثأرهم وكان إذا شرب في منزله يقول لجاريته ائتني بسيفي فيسله ثم يقول والله
لأقتلن قاتله فأكثر أن يقول ذلك فخشى ابنه عثمان أن يطلع الخليفة على ذلك فيهلكهم عن
آخرهم ورأى أن أباه لا ينزع عن هذا فذهب إلى الفضل بن الربيع فأعلمه فأخبر الفضل
الخليفة فاستدعى به فاستخبره فأخبره فقال من يشهد معك عليه فقال فلان الخادم فجاء
به فشهد فقال الرشيد لا يحل قتل أمير كبير بمجرد قول غلام وخصى لعلهما قد تواطأ على
ذلك فأحضره الرشيد معه على الشراب ثم خلا به فقال وبحك يا إبراهيم إن عندي سرا أحب
أن أطلعك عليه ألقنى في الليل والنهار قال وما هو قال إنى ندمت على قتل البرامكة
ووددت أنى خرجت من نصف ملكى ونصف عمري ولم أكن فعلت بهم ما فعلت فإنى لم أجد
بعدهم لذة ولا راحة فقال رحمة الله على أبى الفضل يعنى جعفرا وبكى وقال والله ياسيدي
لقد أخطأت في قتله فقال له قم لعنك الله ثم حبسه ثم قتله بعد ثلاثة أيام وسلم أهله وولده

وفي هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بسبب انه بلغه أنه يريد الخلافة واشتد غضبه بسببه على البرامكة الذين هم في الحبوس ثم سجنه فلم يزل في السجن حتى مات الرشيد فأخرجه الأمين وعقد له على نيابة الشام وفيها ثارت العصبية بالشام بين المضرية والنزارية فبعث إليهم الرشيد محمد بن منصور بن زياد فأصلح بينهم وفيها كانت زلزلة عظيمة بالمصيصة فانهدم بعض سورها ونضب ماؤها ساعة من الليل وفيها بعث الرشيد ولده القاسم على الصائفة وجعله قريانا ووسيلة بين يديه وولاه العواصم فسار إلى بلاد الروم فحاصروهم حتى افتدوا بخلق من الأسارى يطلقونهم ويرجع عنهم ففعل ذلك وفيها نقصت الروم الصلح الذي كان بينهم وبين المسلمين الذي كان عقده الرشيد بينه وبين رنى ملكة الروم الملقبة أغسطه وذلك أن الروم عزلوها عنهم وملكوا عليهم النقفور وكان شجاعا يقال إنه

منه سلالة آل جفنة فخلعوا رنى وسلموا عينيها فكتب نقفور إلى الرشيد من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلى أقامتكم مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثاله إليها وذلك من ضعف النساء وحمقهن فإذا قرأت كتابي هذا فاردد إلى ما حملته إليك من الأموال واقتد نفسك به وإلا فالسيف بيننا وبينك فلما قرأ هارون الرشيد كتابه أخذه الغضب الشديد حتى لم يتمكن أحد أن ينظر إليه ولا يستطيع مخاطبته وأشفق عليه جلساؤه خوفا منه ثم استدعى بدواة وكتب على ظهر الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه والسلام ثم شخص من فوره وسار حتى نزل بباب هرقله ففتحتها واصطفى ابنة ملكها وغنم من الأموال شيئا كثيرا وخرّب وأحرق فطلب نقفور منه الموادعه على خراج يؤدية إليه في كل سنة فأجابته الرشيد إلى ذلك فلما رجع من غزوته وصار بالرقعة نقض الكافر العهد وخان الميثاق وكان البرد قد اشتد جدا فلم يقدر أحد أن يجئ فيخبر الرشيد بذلك لخوفهم على أنفسهم من البرد حتى يخرج فصل الشتاء وحج بالناس فيها عبد الله به عباس بن محمد بن على

ذكر من توفي فيها من الأعيان

جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل البرمكى الوزير ابن الوزير وولاه الرشيد الشام وغيرها من البلاد وبعثه إلى دمشق لما ثارت الفتنة العشييران بحوران بين قيس ويمن وكان ذلك أول نار ظهرت بين قيس ويمن في بلاد الاسلام كان خامدا من زمن الجاهلية فأثاروه في هذا الأوان فلما قدم جعفر بجيشة خمدت الشرور وظهر السرور وقيلت في ذلك أشعار حسان قد ذكر ذلك ابن عساكر في ترجمة جعفر من تاريخه منها
لقد أوقدت في الشام نيران فتنة * فهذا أوان الشام تخمد نارها
إذا جابش سوج البحر من ال برمك * عليها خبت شهبانها وشرارها
رماها أمير المومنين بجعفر * وفيه تلافي صدعها وأنجبارها
هو الملك المأمول للبر والتقوى * وصولاته لا يستطاع خطارها
وهي قصيدة طويلة وكانت له فصاحة وبلاغة وذكاء وكرم زائد كان أبوه قد ضمه إلى القاضي أبي يوسف فتفقّه عليه وصار له اختصاص بالرشيد وقد وقع ليلة بحضرة الرشيد زيادة علنآلف توقيع ولم يخرج في شئ منها عن موجب الفقه وقد روى الحديث عن أبيه عن عبد الحميد الكاتب عن عبد الملك بن مروان كاتب عثمان عن زيد بن ثابت كاتب الوحي قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

إذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السنين فيه

رواه الخطيب وابن عساكر من طريق أبي القاسم الكعبي المتكلم واسمه عبد الله بن أحمد البلخي وقد كان كاتباً لمحمد بن زيد عن أبيه عن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن زريق عن الفضل بن سهل ذي الرياستين عن جعفر بن يحيى به وقال عمرو بن بحر الجاحظ قال جعفر للرشيد يا أمير المؤمنين قال لى أبي يحيى إذا أقبلت الدنيا عليك فاعط وإذا أدبرت فاعط فانها لا تبقى وأنشدنى أبي

لا تبخلن لدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فإن تولت فأحرى أن تجود بها * فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف
قال الخطيب ولقد كان جعفر من علو القدر ونفاذ الأمر وعظم المحل وجلالة المنزلة عند
الرشيد على حالة انفراد بها ولم يشاركه فيها أحد وكان سماح الأخلاق طلق الوجه ظاهر
البشر أما جوده وسخاؤه وبذله وعطاؤه فأشهر من أن يذكر وكان أيضا من ذوي الفصاحة
والمذكورين بالبلاغة

وروى ابن عساكر عن مهذب حاجب العباس بن محمد صاحب قطيعة العباس والعباسية أنه
أصابته فاقة وضائقة وكان عليه ديون فألح عليه المطالبون وعنده سقط فيه جواهر شراؤه
عليه ألف ألف فأتى به جعفرا فعرضه عليه وأخبره بما هو عليه من الثمن وأخبره بالحاج
المطالبين بديونهم وأنه لم يبق له سوى هذا السقط فقال قد اشتريته منك بألف ألف ثم
أقبضه المال وقبض السقط منه وكان ذلك ليلا ثم أمر من ذهب بالمال إلى منزله وأجلسه
معه في السمر تلك الليلة فلما رجع إلى منزله إذا السقط قد سبقه إلى منزله أيضا قال فلما
أصبحت غدوت إلى جعفر لأتشكر له فوجدته مع أخيه الفضل على باب الرشيد يستأذن عليه
فقال له جعفر إني قد ذكرت أمرك للفضل وقد أمر لك بألف ألف وما أظنها إلا قد سبقتك
إلى منزلك وسأفاوض فيك أمير المؤمنين فلما دخل ذكر له أمره وما لحقه من الديون فأمر
له بثلاثمائة ألف دينار
وكان جعفر ليلة في سمره عند بعض أصحابه فجاءت الخنفساء فركبت ثياب الرجل فألقاها
عنه جعفر وقال إن الناس يقولون من قصدته الخنفساء يبشر بمال يصيبه فأمر له جعفر
بألف دينار ثم عادت الخنفساء فرجعت إلى الرجل فأمر له بألف دينار أخرى
وحج مرة مع الرشيد فلما كانوا بالمدينة قال لرجل من أصحابه انظر جارية اشتريها تكون
فائقة في الجمال والغناء والدعابة ففتش الرجل فوجد

جارية
على النعت فطلب سيدها فيها مالا كثيرا على أن يراها جعفر فذهب جعفر إلى منزل سيدها
فلما رآها أعجب بها فلما غنته أعجبه أكثر فساومه صاحبها فيها فقال له جعفر قد أحضرتنا
مالا فإن أعجبك وإلا زدناك فقال لها سيدها إني كنت في نعمة وكنت عندي في غاية السرور
وإنه قد انقبض على حالي وإني قد أحببت أن
أبيعك لهذا الملك لكي تكوني عنده كما كنت عندي فقالت له الجارية والله ياسيدي لو ملكت
منك كما ملكت مني لم أبعك بالدنيا وما فيها وأين ما كنت عاهدتني أن لا تتبعني ولا تأكل من
ثمني فقال سيدها لجعفر وأصحابه أشهدكم أنها حرة لوجه الله وأني قد تزوجتها فلما قال
ذلك نهض جعفر وقام أصحابه وأمروا الحمال أن يحمل المال فقال جعفر والله لا يتبعني
وقال للرجل قد ملكتك هذا المال فأنفقه على أهلك وذهب وتركه
هذا وقد كان يبخل بالنسبة إلى أخيه الفضل إلا أن الفضل كان أكثر منه مالا وروى ابن
عساكر من طريق الدار قطني بسنده أنه لما أصيب جعفر وجدوا له في جرة ألف دينار زنة
كل دينار مائة دينار مكتوب على صفحة الدينار جعفر
وأصفر من ضرب دار الملوك * يلوح على وجهه جعفر
يزيد على مائة واحدا * متى تعطه معسرا يوسر
وقال أحمد بن المعلى الرواية كتبت عنان جارية الناطفي لجعفر تطلب منه أن يقول لأبيه
يحي أن يشير على الرشيد بشرائها وكتبت إليه هذه الأبيات من شعرها في جعفر
يا لائمي جهلا ألا تقصر * من ذا على حر الهوى يصبر
لا تلحنى إذا شربت الهوى * صرفا فمزوج الهوى سكر
أحاط بي الحب فخلقي له * بحر وقدامي له أبحر
تحقق رايات الهوى بالردى * فوقي وحولي للهوى عسكر
سيان عندي في الهوى لائم * أقل فيه والذي يكثر
أنت المصفي من بنى برمك * يا جعفر الخيرات يا جعفر
لا يبلغ الواصف في وصفه * ما فيك من فضل ولا يعشر

من وفر المال لأغراضه * فجعفر أغراضه أوفر
ديباجة الملك على وجهه * وفي يديه العارض الممطر
سحت علينا منهما ديمة * ينهل منها الذهب الأحمر
لو مسحت كفاه جلودة * نضر فيها الورق الأخضر
لا يستتم المجد إلا فتى * يصبر للبذل كما يصبر
يهتز تاج الملك من فوقه * فخرا ويزهى تحته المنبر
أشبهه البدر إذا ما بدا * أو غرة في وجهه يزهر
والله ما أدري أبدر الدجى * في وجهه أم وجهه أنور
يستمطر الزوار منك الندى * وأنت بالزوار تستبشر
وكتبت تحت أبياتها حاجتها فركب من فوره إلى أبيه فأدخله علي الخليفة فأشار على بشارتها
فقال لا والله لا اشتريها وقد قال فيها الشعراء فأكثرُوا واشتهر أمرها وهي التي يقول فيها

أبو نواس
لا يشتريها إلا ابن زانية * أو قلطان يكون من كانا
وعن ثمامة بن أشرس قال بت ليلة مع جعفر بن يحيى بن خالد فانتبه من منامه يبكي مذعورا
فقلت ما شأنك قال رايت شيئا جاء فأخذ بعضاتي هذا الباب وقال
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
قال فأجبت * بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
صروف الليالي والجدود العوائر

قال ثمامة فلما كانت الليلة القابلة قتله الرشيد ونصب رأسه على الجسر ثم خرج الرشيد
فنظر إليه فتأمله ثم أنشأ يقول
تقاصك دهرك ما أسلفا * وكدر عيشك بعد الصفا
فلا تعجبين فإن الزمان * رهين بتفريق ما ألفا
قال فنظرت إلى جعفر وقلت أما لئن أصبحت اليوم آية فلقد كنت في الكرم والجود غاية
قال فنظر إلى كأنه جمل صؤول ثم أنشأ يقول
ما يعجب العالم من جعفر * ما عينوه فبنا كانا
من جعفر أو من أبوه ومن * كانت بنو برمك لولانا
ثم حول وجه فرسه وانصرف

وقد كان مقتل جعفر ليلة السبت مستهل صفر من سنة سبع وثمانين ومائة وكان عمره
سبعاً وثلاثين سنة ومكث وزيرا سبع عشرة سنة وقد دخلت عبادة أم جعفر على أناس في
يوم عيد أضحى تستمنحهم جلد كبش تدفأ به فسألوها عن ما كانت فيه من النعمة فقالت
لقد أصبحت في مثل هذا اليوم وإن على رأسي أربعمائة وصيفة وأقول إن ابني جعفرا عاق
لي وروى الخطيب البغدادي بإسناده أن سفیان بن عيينة لما بلغه قتل الرشيد جعفرا وما
أجل بالبرامكة استقبال القبلة وقال اللهم إن جعفرا كان قد كفاني مؤنة الدنيا فاكفه مؤوه
الأخره حكاية غريبة

حكاية غريبة
ذكر ابن الجوزي في المنتظم أن المأمون بلغه أن رجلا يأتي كل يوم إلى قبور البرامكة
فيبكي عليهم ويندهم فبعث من جاء به فدخل عليه وقد يئس من الحياة فقال له وبك ما
يحملك عل صنيك هذا فقال يا أمير المؤمنين إنهم أسدوا إلى معروفًا وخيرا كثيرا فقال وما
الذي

أسدوه إليك فقال أنا المنذر بن المغيرة من أهل دمشق كنت بدمشق في نعمة عظيمة
واسعة فزالت عني حتى أفضى بي الحال إلى أن بعث داري ثم لم يبق لي شيء فأشار بعض
أصحابي على بقصد البرامكة ببغداد فأتيت أهلي وتحملت بعيالي فأتيت بغداد ومعني نيف
وعشرون امرأة فأنزلتني في مسجد مهجور ثم قصدت مسجدا مأهولا أصلى فيه فدخلت
مسجدا فيه جماعة لم أر أحسن وجوها منهم فجلست إليهم فجعلت أدبر في نفسي كلما
أطلب به منهم قوتا للعيال الذين معي فيمعنني من ذلك السؤال الحياء فبينما أنا كذلك إذا
بخادم قد أقبل فدعاهم فقاموا كلهم وقمت معهم فدخلوا دارا عظيمة فإذا الوزير يحيى بن

خالد جالس فيها فجلسوا حوله فعقد عقد ابنته عائشة على ابن عم له ونشروا فلق المسك وبنادق العنبر ثم جاء الخدم إلى كل واحد من الجماعة بصينية من فضة فيها ألف دينار ومعها فتات المسك فأخذها القوم ونهضوا وبقيت أنا جالسا وبين يدي الصينية التي وضعوها لي وأنا أهاب أن أخذها من عظمتها في نفسي فقال لي بعض الحاضرين ألا تأخذها وتذهب فمددت يدي فأخذتها فأفرغت ذهبها في جيبى وأخذت الصينية تحت إبطي وقمت وأنا خائف أن تؤخذ منى فجعلت أتلفت والوزير ينظر إلى وأنا لا أشعر فلما بلغت الستارة أمرهم فردوني فئست من المال فلما رجعت قال لي ما شأنك خائف فقصصت عليه خبري فبكى ثم قال لأولاده خذوا هذا فضموه إليكم فجاءني خادم فأخذ منى الصينية والذهب وأقمت عندهم عشرة أيام من ولد إلى ولد وخاطري كله عند عيالي ولا يمكنني الانصراف فلما انقضت العشرة الأيام جاءني خادم فقال ألا تذهب إلى عيالك فقلت بلى والله فقام يمشى أمامي ولم يعطنى الذهب ولا الصينية فقلت يا ليت هذا كان قبل أن يؤخذ منى الصينية والذهب ياليت عيالي رأوا ذلك فسار يمشى أمامي إلى لم أر أحسن منها فدخلتها فإذا عيالي يتمرغون في الذهب والحبر فيها وقد بعثوا إلى الدار مائة ألف درهم وعشرة آلاف دينار وكتابا فيه تملك الدار بما فيها وكتابا آخر فيه تملك قريتين جليلتين فكنت مع البرامكة في أطيب عيش فلما أصيبوا أخذ منى عمرو بن مسعدة العريتين والزمنى بخارجهما فكلما لحقتني فاقة قصدت دورهم وقبورهم فبكت عليهم فأمر المأمون برد القريتين فبكى الشيخ بكاء شديدا فقال المأمون مالك ألم استأنف بك جميلا قال بلى ولكن هو من بركة البرامكة فقال له المأمون امض مصاحبا فإن الوفاء مبارك ومراعاة حسن العهد والصحة من الايمان وفيها توفي

الفضيل بن عياض

أبو علي التميمي أحد أئمة العباد الزهاد وهو أحد العلماء والأولياء ولد بخراسان بكورة دينور وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الأعمش ومنصور بن المعتمر وعطاء بن السائب وحصين بن

عبد الرحمن وغيرهم ثم انتقل إلى مكة فتعبد بها وكان حسن التلاوة كثير الصلاة والصيام وكان سيدا جليلا ثقة من أئمة الرواية رحمه الله ورضى عنه وله مع الرشيد قصة طويلة وقد روي ذلك مطولا في كيفية دخول الرشيد عليه منزله وما قال له الفضيل بن عياض وعرض عليه الرشيد المال فأبى أن يقبل منه ذلك توفي بمكة في المحرم من هذه السنة وذكروا أنه كان شاطرا يقطع الطريق وكان يتعشق جارية فبينما هو ذات ليلة يتسور عليها جدارا إذ سمع قارئاً يقرأ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فقال بلى وتاب وأقلع عما كان عليه ورجع إلى خربة فبات بها فسمع سفارا يقولون خذوا حذرکم إن فضيلا أمامكم يقطع الطريق فامنهم واستمر على توبته حتى كان منه ما كان من السيادة والعبادة والزهادة ثم صار علما يقتدى به ويهتدى بكلامه وفعاله

قال الفضيل لو أن الدنيا كلها حلال لا أحاسب بها لكنت أتقذرها كما يتقذر أحدكم الجيفة إذا مر بها أن تصيب ثوبه وقال العمل لأجل الناس شرك وترك العمل لأجل الناس رياء والاخلاص أن يعافيك الله منهما وقال له الرشيد يوما ما أزهك فقال أنت أزه منى لأنى أنا زهدت في الدنيا التي هي أقل من جناح بعوضة وأنت زهدت في الآخرة التي لا قيمة لها فأنا زاهد في الفاني وأنت زاهد في الباقي ومن زهده في ذرة أزه منى زهد في بعرة وقد روي مثل هذا عن أبي حازم أنه قال ذلك لسليمان بن عبد الملك

وقال لو أن دعوة مستجابة لجعلتها للامام لأن به صلاح الرعية فإذا صلح أمننت العباد والبلاد وقال إنى لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي وامراتى وفار بيتي وقال في قوله تعالى ليلوكم أيكم أحسن عملا قال يعنى أخلصه وأصوبه إن العمل يجب أن يكون خالصا لله وصوابا على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها توفي

بشر بن المفضل وعبد السلام بن حرب وعبد العزيز بن محمد الدراوردي وعبد العزيز العمى وعلى بن عيسى الأمير ببلاد الروم مع القاسم بن الرشيد في الصائفة ومعتمر بن سليمان وأبو شعيب البرائي الزاهد وكان أول من سكن براتا في كوخ له يتعبد فيه فهويته امرأة من

بنات الرؤساء فانخلعت مما كانت فيه من الدنيا والسعادة والحشمة وتزوجته وأقامت معه
في كوخه تتعبد حتى ماتا يقال إن اسمها جوهرة
2 ثم دخلت سنة ثمان وثمانين ومائة

@ فيها غزا إبراهيم بن إسرائيل الصائفة فدخل بلاد الروم من درب الصفصاف فخرج
التقفور للقائمة فجرح التقفور ثلاث جراح وانهزم وقتل من أصحابه أكثر من أربعين ألفا
وغنموا أكثر من

أربعة آلاف دابة وفيها رابط القاسم بن الرشيد بمرج دابق وفيها حج بالناس الرشيد وكانت
آخر حجاته وقد قال أبو بكر حين رأى الرشيد منصرفا من الحج وقد اجتاز بالكوفة لا يحج
الرشيد بعدها ولا يحج بعده خليفة أبدا وقد رأى الرشيد بهلول الموله فوعظه موعظة حسنة
فروينا من طريق الفضل بن الربيع الحاجب قال حججت مع الرشيد فمررنا بالكوفة فإذا
بهلول المجنون يهذي فقلت اسكت فقد أقبل أمير المؤمنين فسكت فلما جازاه اليهودج قال
يا أمير المؤمنين حدثني أيمن بن نائل ثنا قدامة بن عبد الله العامري قال رأيت النبي صلى
الله عليه وسلم بمنى على جمل وتحتة رجل رث ولم يكن ثم طرد ولا ضرب ولا إليك إليك
قال الربيع فقلت يا أمير المؤمنين إنه بهلول فقال قد عرفته قل يا بهلول فقال
هب أن قد ملكت الأرض طرا * ودان لك العباد فكان ماذا
أليس غدا مصيرك جوف قبر * ويحثو عليك التراب هذا ثم هذا
قال أجدت يا بهلول أغيره قال نعم يا أمير المؤمنين من رزق الله مالا وجمالا فعف في
جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الله من الأبرار قال فظن أنه يريد شيئا فقال إنا أمرنا
بقضاء دينك فقال لا تفعل يا أمير المؤمنين لا يقضى دين بدين اردد الحق الى أهله وأقضى
دين نفسك من نفسك قال إنا أمرنا أن يجرى عليك رزق تفتات به قال لا تفعل يا أمير
المؤمنين فإنه سبحانه لا يعطيك وينساني وها أنا قد عشت عمرا لم تجر على رزقا انصرف
لا حاجة لي في جرايتك قال هذه ألف دينار خذها فقال ارددها على أصحابها فهو خير لك وما
أصنع أنا بها انصرف عني فقد آذبتني قال فانصرف عنه الرشيد وقد تصاغرت عنده الدنيا
وممن توفي فيها من الأعيان

ابو اسحاق الفزاري
إبراهيم بن محمد بن الحارث بن إسماعيل بن خارجة إمام أهل الشام في المغازي وغير ذلك
أخذ عن الثوري والأوزاعي وغيرها توفي في هذه السنة وقيل قبلها
وإبراهيم الموصلي

النديم وهو إبراهيم بن ماهان بن بهمن أبو إسحاق أحد الشعراء والمغنين والندماء للرشيد
وغيره أصله من الفرس وولد بالكوفة وصحب شبابها وأخذ عنهم الغناء ثم سافر إلى
الموصل ثم عاد إلى الكوفة فقالوا الموصلي ثم اتصل بالخلفاء أولهم المهدي وحظى عند
الرشيد وكان من جملة سماره وندمائه ومغنيه وقد أثرى وكثر ماله جدا حتى قيل إنه ترك
أربعة وعشرين ألف ألف

درهم وكانت له طرف وحكايات غريبة وكان مولده سنة خمس عشرة ومائة في الكوفة
ونشأ في كفالة بنى تميم فتعلم منهم ونسب إليهم وكان فاضلا بارعا في صناعة الغناء وكان
مزوجا بأخت المنصور الملقب بزلزل الذي كان يضرب معه فاذا غنى هذا وضرب هذا اهتز
المجلس توفي في هذه السنة على الصحيح وحكى ابن خلكان في الوفيات أنه توفي وأبو
العتاهية وأبو عمرو الشيباني ببغداد في يوم واحد من سنة ثلاث عشرة ومائتين وصح الأول
ومن قوله في شعره عند احتضاره قوله
مل والله طيببي * من مقاساة الذي بي
سوف أنعى عن قريب * لعدو وحيب

تخفق رايات الهوى بالردى * فوقى وحولي للهوى عسكر
وفيها مات جرير بن عبد الحميد ورشد بن سعد وعبدة بن سليمان وعقبة بن خالد وعمر ابن
أيوب العابد أحد مشايخ أحمد بن حنبل وعيسى بن يونس في قول
2 ثم دخلت سنة تسع وثمانين ومائة

@ فيها رجع الرشيد من الحج وسار إلى الري فولى وعزل وفيها رد على بن عيسى إلى ولاية خراسان وجاءه نواب تلك البلاد بالهدايا والتحف من سائر الأشكال والألوان ثم عاد إلى بغداد فأدركه عيد الأضحى بقصر اللصوص فضحى عنده ودخل إلى بغداد لثلاث بقين من ذي الحجة فلما اجتاز بالجسر أمر بجثة جعفر بن يحيى البرمكي فأحرقته ودفنت وكانت مصلوبة من حين قتل إلى هذا اليوم ثم ارتحل الرشيد من بغداد إلى الرقة ليسكنها وهو متأسف على بغداد وطيبها وإنما مراده بمقامه بالرقة ردع المفسدين بها وقد قال العباس بن الأحنف في خروجهم من بغداد مع الرشيد

ما أنخنا حتى ارتحلنا فما ن * فرق بين المناخ والارتحال
ساءلونا عن حالنا إذ قدمنا * فقرنا وداعهم بالسؤال
وفيها فادى الرشيد الأسارى من المسلمين الذين كانوا ببلاد الروم حتى يقال إنه لم يترك بها أسيراً من المسلمين فقال فيه بعض الشعراء
وفكت بك الأسرى التي شيدت لها * محابس ما فيها حميم يزورها
على حين أعياء المسلمين فكأكها * وقالوا سجون المشركين قبورها
وفيها رابط القاسم بن الرشيد بمرج دابق يحاصر الروم وفيها حج بالناس العباس بن موسى ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس
ذكر من توفي فيها من الأعيان
على بن حمزة يع عبد الله بن فيروز أبو الحسن الأسدي مولاهم الكوفي المعروف بالكسائي لأحرامه في كساء وقيل لاشتغاله على حمزة الزيات في كساء كان نحوياً لغوياً أحد أئمة القراء أصله

من الكوفة ثم استوطن بغداد فأدب الرشيد وولده الأمين وقد قرأ على حمزة بن حبيب الزيات قراءته وكان يقرئ بها ثم اختار لنفسه قراءة وكان يقرأ بها وقد روى عن أبي بكر بن عياش وسفيان بن عيينة وغيرهما وعنه يحيى بن زياد الفراء وأبو عبيد قال الشافعي من أراد النحو فهو عيال على الكسائي أخذ الكسائي عن الخليل صناعة النحو فسأله يوماً عن من أخذت هذا العلم قال من بوادي الحجاز فرحل الكسائي إلى هناك فكتب عن العرب شيئاً كثيراً ثم عاد إلى الخليل فإذا هو قد مات وتصدر في موضعه يونس فجرت بينهما مناظرات أقر له فيها يونس بالفضل وأجلسه في موضعه
قال الكسائي صليت يوماً بالرشيد فأعجبته قراءتي فغلطت غلطة ما غلطها صبي أردت أن أقول لعلمهم يرجعون فقلت لعلمهم ترجعين فما تجاسر الرشيد أن يردها فلما سلمت قال أي لغة هذه فقلت إن الجواد قد يعثر فقال أما هذا فنعم وقال بعضهم لقيت الكسائي فإذا هو مهموم فقلت مالك فقال إن يحيى بن خالد قد وجه إلى ليسألني عن أشياء فأخشى من الخطأ فقلت قل ما شئت فانت الكسائي فقال قطعته الله يعنى لسانه إن قلت ما لم أعلم وقال الكسائي يوماً قلت لنجار بكم هذان الببان فقال بسالحيان يا مصفعان توفي الكسائي في هذه السنة على المشهور عن سبعين سنة وكان في صحبة الرشيد ببلاد الري فمات بنواحيها هو ومحمد بن الحسن في يوم واحد وكان الرشيد يقول دفنت الفقة والعربية بالري قال ابن خلكان هو ومحمد بن الحسن في يوم واحد وكان الرشيد يقول دفنت الفقة والعربية بالري قال ابن خلكان وقيل إن الكسائي توفي بطوس سنة ثنتين وثمانين ومائة وقد رأى بعضهم الكسائي في المنام ووجهه كالبدر فقال ما فعل بك ربك فقال غفر لي بالقرآن فقلت ما فعل حمزة قال ذاك في عليين ما نراه إلا كما نرى الكوكب وفيها توفي محمد بن الحسن بن زفر

أبو عبد الله الشيباني مولاهم صاحب أبي حنيفة أصله من قرية من قرى دمشق قدم أبوه العراق فولد بواسط سنة ثنتين ومائة ونشأ بالكوفة نسمع من أبي حنيفة ومسعر والثوري وعمر بن ذر ومالك بن مغول وكتب عن مالك بن أنس والأوزاعي وأبي يوسف وسكن بغداد ثم عزله وكان يقول لأهله لا تسألوني حاجة من حاجات الدنيا فتشغلوا قلبي وخذوا ما شئتم من مالي فإنه أقل لهمى وأفرغ لقلبي وقال الشافعي ما رأيت حبراً سميماً مثله ولا رأيت أخف روحاً منه ولا أفصح منه كنت إذا سمعته يقرأ القرآن كأنما ينزل القرآن بلغته وقال أيضاً

ما رأيت أعقل منه كان يملأ العين والقلب قال الطحاوي كان الشافعي قد طلب من محمد بن الحسن

كتاب السير فلم يجبه إلى الاعارة فكتب إليه
قل للذي لم تر عيناي مثله * حتى كان من رآه قد رأى من قبله
العلم ينهى أهله أن يمنعوه أهله * لعله ببذله لأهله لعله
قال فوجه به إليه في الحال هدية لا عارية وقال إبراهيم الحربي قيل لأحمد بن حنبل هذه
المسائل الدقاق من ابن هي لك من كتب محمد بن الحسن رحمه الله وقد تقدم أنه مات هو
والكسائي في يوم واحد من هذه السنة فقال الرشيد دفنت اليوم اللغة والفقه جميعا وكان
عمره ثمانية وخمسين سنة

2 ثم دخلت سنة تسعين ومائة من الهجرة
@ فيها خلع رافع بن ليث بن نصر بن سيار نائب سمرقند الطاعة ودعا إلى نفسه وتابعه أهل
بلده وطائفة كثيرة من تلك الناحية واستفحل أمره فسار إليه نائب خراسان على بن عيسى
فهزمه رافع وتفاقم الأمر به وفيها سار الرشيد لغزو بلاد الروم لعشر بقين من رجب وقد
ليس على رأسه قلنسوة فقال فيها أبو المعلا الكلابي
فمن يطلب لقاءك أو يرده * فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض العدو على طمر * وفي أرض الترفه فوق كور
وما حاز الثغور سواك خلق * ومن المتخلفين على الأمور
فسار حتى وصل إلى الطوانة فعسكر بها وبعث إليه نقفور إليه بالطاعة وحمل الخراج
والجبة حنة عن رأس ولده ورأسه وأهل مملكته في كل سنة خمسة عشر ألف دينار وبعث
يطلب من الرشيد جارية قد أسروها وكانت ابنة ملك هرقله وكان قد خطبها على ولده فبعث
بها الرشيد مع هدايا وتحف وطيب بعث يطلبه من الرشيد واشترط عليه الرشيد أن يحمل
في كل سنة ثلثمائة ألف دينار وأن لا يعمر هرقله ثم أنصرف الرشيد راجعا واستتاب على
الغزو عقبة بن جعفر ونقض أهل قبرص العهد فغزاهم معيوف بن يحيى فسي أهلها وقتل
منهم خلقا كثيرا وخرج رجل من عبد القيس فبعث إليه الرشيد من قتله وحج بالناس فيها
عيسى بن موسى الهادي

من توفي فيها من الأعيان والمشاهير
أسد بن عمرو بن عامر أبو المنذر البجلي الكوفي صاحب أبي حنيفة حكم ببغداد وبواسط
فلما انكف بصره عزل نفسه عن القضاء قال أحمد بن حنبل كان صدوقا ووثقه ابن معين
وتكلم فيه على بن المديني والبخاري وسعدون المجنون صام ستين سنة فخف دماغه
فسماه الناس مجنونا وقف يوما على حلقة ذي النون المصري فسمع كلامه فصرخ ثم أنشأ
يقول

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكى * ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر
وقال الأصمعي مررت به وهو جالس عند رأس شيخ سكران يذب عنه فقلت له مالي أراك
عند رأس هذا الشيخ فقال إنه مجنون فقلت أنت مجنون أو هو قال لا بل هو لأنني صليت
الظهر والعصر في جماعة وهو لم يصل جماعة ولا فرادي وهو مع هذا قد شرب الخمر وأنا
لم أشربها قلت فهل قلت في هذا شيئا قال نعم ثم أنشأ يقول
تركت النبيذ لأهل النبيذ * وأصبحت أشرب ماء قراحا
لأن النبيذ يذل العزيز * ويكسو السواد الوجود الصباحا
فان كان ذا جائزا للشباب * فما العذر منه إذا الشيب لاحا
قال الأصمعي فقلت له صدقت أنت العاقل وهو المجنون
وعبيدة بن حميد بن صهيب أو عبد الرحمن التميمي الكوفي مؤدب الأمين روى عن الأعمش
وغيره وعنه أحمد بن حنبل وكان يثنى عليه وفيها توفي

يحيى بن خالد بن برمك
أبو على الوزير والد جعفر البرمكي ضم إليه المهدي ولده الرشيد فرباه وأرضعنه امرأته مع
الفضل بن يحيى فلما ولي الرشيد عرف له حقه وكان يقول قال أبي قال أبي وفوض إليه
أمور الخلافة وأزمتها ولم يزل كذلك حتى نكبت البرامكة فقتل جعفر وولد أباه يحيى في

الحبس حتى مات في هذه السنة وكان كريما فصيحاً ذا رأى سديد يظهر من أموره خير
وصلاح قال يوماً لولده خذوا من كل شئ طرفاً فإن من جهل شيئاً عاداه وقال لأولاده اكتبوا
أحسن ما تسمعون واحفظوا أحسن ما تكتبون وتحدثوا بأحسن ما تحفظون وكان يقول لهم
إذا أقيمت الدنيا فأنفقوا منها فإنها لا تبقى وإذا أدبرت فأنفقوا منها فإنها لا تبقى وكان إذا
سأله في الطريق وهو راكب أقل ما يأمر له بمائتي درهم فقال رجل يوماً

يا سمى الحصور يحيى * أتيت لك من فضل ربنا جنتان
كل من مر في الطريق عليكم * فله من نوالكم مائتان
مائتا درهم لمثلتي قليل * هي للفارس العجلان

فقال صدقت وأمر فسبق به إلى الدار فلما رجع سأل عنه فإذا هو قد تزوج وهو يريد أن
يدخل على أهله فأعطاه صداقها أربعة آلاف وعن دار أربعة آلاف وعن الأمتعة أربعة آلاف
وكلفه الدخول أربعة آلاف وأربعة آلاف يستظهر بها وجاء رجل يوماً فسأله شيئاً فقال وبحك
لعد جئتنى في وقت لا أملك فيه مالا وقد بعث إلى صاحب لي يطلب منى أن يهدى إلى ما
أحب لقد جئتنى في وقت لا أملك فيه مالا وقد بعث إلي صاحب لي يطلب منى أن يهدى إلى
ما أحب وقد بلغني أنك تريد أن تباع جارية لك وأنت قد أعطيت فيها ثلاثة آلاف دينار واني
سأطلبها

فلا تبعها منه بأقل من ثلاثين ألف دينار فجأوني فبلغوا معي بالمساومة إلى عشرين ألف
دينار فلما سمعتها ضفف قلبي عن ردها وأحببت إلى بيعها فأخذها وأخذت العشرين ألف
دينار فأهداها إلى يحيى فلما اجتمعت بيحيى قال بكم بعثتها قلت بعشرين ألف دينار قال إنك
لخسيس خذ جارتك إليك وقد بعث إلى صاحب فارس يطلب منى أن أستهديه شيئاً واني
سأطلبها منه فلا تبها بأقل من خمسين ألف دينار فجأوني فوصلوا في ثمنها إلى ثلاثين ألف
دينار فبعثتها منهم فما جئته لا منى أيضاً وردها على فقلت أشهدك أنها حرة واني قد تزوجتها
وقلت جارية قد أفادتني خمسين ألف دينار لا أفرط فيها بعد اليوم

وذكر الخطيب أن الرشيد طلب من منصور بن زياد عشرة آلاف درهم ولم يكن عنده منها
سوى ألف ألف درهم فضاق ذرعاً وقد توعدّه بالقتل وخراب الديار إن لم يحملها في يومه
ذلك فدخل على يحيى بن خالد وذكر أمره فأطلق له خمسة آلاف ألف واستطلق له من ابنه
الفضل ألفي ألف وقال لابنه يا بني بلغني أنك تريد أن تشتري بها ضيعة وهذه ضيعة تغل
الشكر وتبقى مدى الدهر وأخذ له من ابنه جعفر ألف ألف ومن جاريته دنائير عقداً اشتراه
بمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار وقال للمترسم عليه قد حسبتاه عليك بألفي ألف فلما
عرضت الأموال على الرشيد رد العقد وكان قد وهبه لجارية يحيى فلم يعد فيه بعد إذ وهبه
وقال له بعض بنيه وهم في السجن والقيود يا أبت بعد الأمر والنهي والنعمة صدنا إلى هذا
الحال فقال يا بني دعوه مظلوم سرت ليليل ونحن عنها غافلون ولم يغفل الله عنها ثم أنشأ
يقول

رب قوم قد غدوا في نعمة * زمنا والدهر ريان غدق
سكت الدهر زمانا عنهم * ثم أبكاهم دما حين نطق

وقد كان يحيى بن خالد هذا يجري على سفيان بن عيينة كل شهر ألف درهم وكان سفيان
يدعوه له سجوده يقول اللهم انه قد كفاني المؤنة وفرغني للعبادة فاكفه أمر آخرته فلما مات
يحيى رآه بعض أصحابه في المنام فقال ما فعل الله بك قال غفر لي بدعاء سفيان وقد كان
وفاة يحيى بن خالد رحمه الله في الحبس في الرافقة لثلاث خلون من المحرم من هذه لسنة
عن سبعين سنة وصلى عليه ابنه الفضل ودفن على شط الفرات وقد وجد في جيبه رقعة
مكتوب فيها بخطه قد تقدم الخصم والمدعا عليه بالأثر والحاكم العدل الذي لا يجور
ولا يحتاج إلى بينه فحملت إلى الرشيد فلما قرأها بكى يومه ذلك وبقي أياماً يتبين الأسى في

وجهه وقد قال بعض الشعراء في يحيى بن خالد
سألت النداء هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل ورائه * توارث رقي والد بعد والد

2 ثم دخلت سنة احدى وتسعين ومائة

@ فيها خرج رجل بسواد العراق يقال له ثروان بن سيف وجعل يتنقل فيها من بلد إلى بلد فوجه إليه الرشيد طوق بن مالك فهزمه وجرح ثروان وقتل عامة أصحابه وكتب بالفتح إلى الرشيد وفيها خرج بالشام أبو النداء فوجه إليه الرشيد يحي بن معاذ واستنابه على الشام وفيها وقع الثلج ببغداد وفيها غزا بلاد الروم يزيد بن مخلد الهبيري في عشرة آلاف فأخذت عليه الروم المضيق فقتلوه في خمسين من أصحابه على مرحلتين من طرسوس وانهزم الباقون وولي الرشيد غزو الصائفة لهرثمة بن أعين وضم إليه ثلاثين ألفا فيهم مسرور الخادم وإليه النفقات

وخرج الرشيد إلى الحدث ليكون قريبا منهم وأمر الرشيد بهدم الكنائس والديور وألزم أهل الذمة بتميز لباسهم وهياتهم في بغداد وغيرها من البلاد وفيها عزل الرشيد على بن موسى عن إمرة خراسان وولاه هرتمة بن أعين وفيها فتح الرشيد هرقله في شوال وخربها وسبى أهلها وبث الجيوش والسرايا بأرض الروم إلى عين زربة والكنيسة السوداء وكان دخل هرقله في كل يوم مائة ألف وخمسة وثلاثين ألف مرتزق وولي حميد بن معيوف سواحل الشام إلى مصر ودخل جزيرة قبرص فسبى أهلها وحملهم حتى باعهم بالرافقة فبلغ ثمن الأسقف ألفي دينار باعهم أبو البختری القاضي

وفيها أسلم الفضل بن سهل على يدي المأمون وحج بالناس فيها الفضل بن عباس بن محمد بن علي العباسي وكان والى مكة ولم يكن للناس بعد هذه السنة صائفة إلى سنة خمس عشرة ومائتين وفيها توفي من الأعيان

سلمة بن الفضل الأبرش وعبد الرحمن بن القاسم الفقيه الراوي عن مالك بن يونس بن أبي إسحاق قدم على الرشيد فأمر له بمال جزيل نحو من خمسين ألفا فلم يقبله والفضل بن موسى الشيباني ومحمد بن سلمة ومحمد بن الحسين المصيصي أحد الزهاد الثقات قال لم أتكلم بكلمة أحتاج إلى الاعتذار منها منذ خمسين سنة وفيها توفي معمر الرقي *2* ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين ومائة

@ فيها دخل هرتمة بن أعين إلى خراسان نائبا عليها وقبض على بن عيسى فأخذ أمواله وحواصله وأركبه على بعير وجهه لذنبه ونادى عليه ببلاد خراسان وكتب إلى الرشيد بذلك فشكره على ذلك ثم أرسله إلى الرشيد بعد ذلك فحبس بداره ببغداد وفيها ولي الرشيد ثابت بن نصر بن مالك نياحة الثغور بلاد الروم وفتح مطمورة وفيها كان الصلح بين المسلمين والروم على يد ثابت

ابن نصر وفيها خرجت الخرمية بالجبل وبلاد أذربيجان فوجه الرشيد إليهم عبد الله بن مالك بن الهيثم الخزاعي في عشرة آلاف فارس فقتل منهم خلقا وأسر وسبى ذراريهم وقدم بهم ببغداد فأمر له الرشيد بقتل الرجال منهم وبالذرية فبيعوا فيها وكان قد غزاهم قبل ذلك خزيمه بن خازم وفي ربيع الأول منها قدم الرشيد من الرقة إلى بغداد في السفن وقد استخلف على الرقة ابنه القاسم وبين يديه خزيمه بن خازم ومن نية الرشيد الذهاب إلى خراسان لغزو رافع بن ليث الذي كان قد خلع الطاعة واستحوذ على بلاد كثيرة من بلاد سمرقند وغيرها ثم خرج الرشيد في شعبان قاصدا خراسا واستخلف علي بن بغداد ابنه محمدا الأمين وسأل المأمون من أبيه أن يخرج معه خوفا من غدر أخيه الأمين فأذن له فسار معه وقد شكوا الرشيد في أثناء الطريق إلى بعض أمرائه جفاء من غدر أخيه الأمين فأذن له فسار معه وقد شكوا الرشيد في أثناء الطريق إلى بعض أمرائه جفاء بنيه الثلاثة الذين جعلهم ولاة للعهد من بعده وأراه داء في جسده وقال إن لكل واحد من الأمين والمأمون والقاسم عندي عينا على وهم يعدون أنفاسي ويتمنون انقضاء أيامي وذلك شر لهم لو كانوا يعلمون فدعا له ذلك الأمير ثم أمر له الرشيد بالانصراف إلى عمله وودعه وكان آخر العهد به وفيها تحرك ثروان الحروري وقتل عامل السلطان بطف البصرة وفيها قتل الرشيد الهيصم اليماني ومات عيسى بن جعفر وهو يريد اللحاق بالرشيد فمات في الطريق وفيها حج بالناس العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر المنصور وفيها توفي اسماعيل بن جامع

ابن اسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة أبو القاسم أحد المشاهير بالغناء كان ممن يضرب به المثل وقد كان أولا يحفظ القرآن ثم صار إلى صناعة الغناء وترك القرآن

وذكر عنه أبو الفرج بن علي بن الحسين صاحب الأغاني حكايات غريبة من ذلك أنه قال كنت يوما مشرفا من غرفة بحران إذ أقبلت جارية سوداء معها قربة تستقي الماء فجلست ووضعت قريبتها واندفعت تغنى

إلى الله أشكو بخلها وسماحتي * لها غسل منى وتبذل غلقما
فردى مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركه هائم القلب مغرما
وتبذل غلقما

فردى مصاب القلب أنت قتلته * ولا تتركه هائم القلب مغرما
قال فمسمعت مالا صبر لي عنه ورجوت أن تعيده فقامت وانصرفت فنزلت وانطلقت وراءها وسألته أن تعيده فقالت إن على خراجا كل يوم درهمين فأعطيتها درهمين فأعادته فحفظته وسلكته يومي ذلك فلما أصبحت أنسيته فأقبلت السوداء فسألته أن تعيده فلم تفعل إلا بدرهمين ثم قالت كأنك تستكثر أربعة دراهم كأنني بك وقد أخذت عليه أربعة آلاف دينار قال فغنيته ليلة للرشييد فأعطاني ألف دينار ثم استعانيه ثلاث مرات أخرى وأعطاني ثلاثة آلاف دينار فتبسمت فقال مم تبسمت فذكرت له القصة فضحك وألقى إلى كيسا آخر فيه ألف دينار وقال

لا أكذب السوداء وحكى عنه أيضا قال أصبحت يوما بالمدينة وليس معي إلا ثلاثة دراهم فإذا جارية على رقبته جرة تريد الركي وهي تسعى وتترنم بصوت شجي شكونا إلى أحيابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا وذلك لأن النوم يغشى عيونهم * سريرا ولا يغشى لنا النوم أعينا إذا ما دنا الليل المضر بذي الهوى * جزعنا وهم يستبشرون إذ دنا فلو أنهم كانوا يلاقون مثلما * نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا قال فاستعدته منها وأعطيتها الدراهم الثلاثة فقالت لتأخذن بدلها ألف دينار وألف دينار فأعطاني الرشييد ثلاثة آلاف دينار في ليلة على ذلك الصوت وفيها توفي بكر بن النطاح أبو وائل الحنفي الشاعر المشهور نزل بغداد زمن الرشييد وكان يخالط أبا العتاهية قال أبو عفان أشعر أهل العدل من المحدثين أربعة أولهم بكر بن النطاح وقال المبرد سمعت الحسن بن رجاء يقول اجتمع جماعة من الشعراء ومعهم بكر بن النطاح يتناشدون فلما فرغوا من طولهم أنشد بكر بن النطاح لنفسه ما ضرها لو كتبت بالرضى * فجف جفن العين أو أغمضا شفاعة مردودة عندها * في عاشق يود لو قد قضى يانفس صبرا واعلمى أنما * يأمل منها مثلما قد مضى لم تمرض الأجفان من قاتل * بلحظة إلا لأن أمرضا قال فابتدروه يقلبون رأسه ولما مات رثاه أبو العتاهية فقال مات ابن نطاح أبو وائل * بكر فأمسى الشعر قد بانا وفيها توفي بهلول المجنون كان يأوى إلى مقابر الكوفة وكان يتكلم بكلمات حسنة وقد وعظ الرشييد وغيره كما تقدم

وعبد الله بن إدريس الأودي الكوفي سمع الأعمش وابن جريح وشعبة ومالكا وخلقا سواهم وروى عنه جماعات من الأئمة وقد استدعاه الرشييد ليوليه القضاء فقال لا أصلح وامتنع أشد الامتناع وكان قد سأل قبله وكيعا فامتنع أيضا فطلب حفص بن غياث فقبل وأطلق لكل واحد خمسة آلاف عوضا عن كلفته التي تكلفها في السفر فلم يقبل وكيع ولا ابن إدريس وقبل ذلك حفص فحلف ابن إدريس لا يكلمه أبدا ووج الرشييد في بعض السنين فاجتاز بالكوفة ومعه القاضي أبو يوسف والأمين والمأمون فأمر الرشييد أن يجتمع شيوخ الحديث ليسمعوا ولديه فاجتمعوا إلا ابن إدريس هذا وعيسى بن يونس فركب الأمين والمأمون بعد فراغهما من سماعهما على من اجتمع من

المشايع إلى ابن إدريس فاسمعهما مائة حديث فقال له المأمون يا عم إن أردت أعدتها من حفظي فأذن له فأعادها من حفظه كما سمعها فتعجب لحفظه ثم أمر له المأمون بمال فلم يقبل منه شيئا ثم سارا إلى عيسى بن يونس فسمعا عليه ثم أمر له المأمون بعشرة آلاف فلم يقبلها فظن أنه استقلها فأضعفها فقال والله لو ملأت لى المسجد مالا إلى سقفه ما

قبلت منه شيئاً على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما احتضر ابن إدريس بكت
ابنته فقال علام تبكي فقد ختمت هذا البيت أربعة آلاف ختمة
صعصعة بن سلام

ويقال ابن عبد الله أبو عبد الله الدمشقي ثم تحول إلى الأندلس فاستوطنها في زمن عبد
الملك ابن معاوية وابنه هشام وهو أول من أدخل علم الحديث ومذهب الأوزاعي إلى بلاد
الأندلس وولى الصلاة بقرطبة وفي أيامه غرست الأشجار بالمسجد الجامع هناك كما يراه
الأوزاعي والشاميون ويكرهه مالك وأصحابه وقد روى عن مالك والأوزاعي وسعيد بن عبد
العزیز وروى عنه جماعة منهم عبد الملك بن حبيب الفقيه وذكره في كتاب الفقهاء وذكره
ابن يونس في تاريخه مصر والحميدي في تاريخ الأندلس وحرر وفاته في هذه السنة
وحكى عن شيخه ابن حزم أن صعصعة هذا أول من أدخل مذهب الأوزاعي إلى الأندلس
وقال ابن يونس أول من أدخل علم الحديث إليها وذكر أنه توفي قريبا من سنة ثمانين ومائة
والذي حرره الحميدي في هذه السنة أثبت

علي بن ظبيان
أبو الحسن العيسى قاضي الشرقية من بغداد ولاة الرشيد ذلك كان ثقة عالما من أصحاب
أبي حنيفة ثم ولاة الرشيد قضاء القضاء وكان الرشيد يخرج معه إذا خرج من عنده مات
بقوميسين في هذه السنة
العباس بن الأحنف

ابن الأسود بن طلحة الشاعر المشهور كان من عرب خراسان ونشأ ببغداد وكان لطيفا
طريفا مقبولا حسن الشعر قال أبو العباس قال عبد الله بن المعتز لو قيل لى من أحسن
الناس شعرا تعرفه لقتل العباس
قد سحب الناس أذيال الطنون بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم
وصادق ليس يدري أنه صدقا

وقد طلبه الرشيد ذات ليلة في أثناء الليل فانزعج لذلك وخاف نساؤه فلما وقف بين يدي
الرشيد قال له ويحك إنه قد عن لى بيت في جارية لى فأحببت أن تشفعه بمثله فقال يا أمير
المؤمنين ما خفت أعظم من هذه الليلة فقال ولم فذكر له دخول الحرس عليه في الليل ثم
جلس حتى سكن روعه ثم قال نا قلت يا أمير المؤمنين فقال
حنان قد رأيناها فلم نر مثلها بشرا * يزيدك وجهها حسنا إذا مازدته نظرا
فقال الرشيد زد فقال * إذا ما الليل مال عليك بالاضلام واعتكرا
ودج فلم تر فجرا * فابرزها تر قمرا
فقال إنا قد رأيناها وقد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم ومن شعره الذي أقر له فيه بشار ابن
برد وأثبتته في سلك الشعراء بسببه قوله
أبكى الذين أذاقوني مودتهم * حتى إذا أيقظوني للهوى رقدوا
واستنهضوني فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملوني منهم قعدوا
وله أيضا * وحدتني يا سعد عنها فزدتني
جنونا فزدني من حديثك ياسعد
هواها هوى لم يعرف القلب غيره * فليس له قبل وليس له بعد
قال الاصمعي دخلت على العباس بن الأحنف بالبصرة وهو طريح على فراشه يجود بنفسه
وهو يقول

يا بعيد الدار عن وطنه * مفردا يبكى على شجنه
كلما جد النحيب به * زادت الأسقام في بدنه
ثم أغمى عليه ثم انتبه بصوت طائر على شجرة فقال * ولقد زاد الفؤاد شجا
هاتف يبكي على فننه
شاقه ما شاقني فبكى * كلنا يبكي على سكنه

قال ثم أغمى عليه أخرى فحركته فإذا هو قد مات قال الصولي كانت وفاته في هذه السنة وقيل بعدها وقيل قبلها في سنة ثمان وثمانين ومائة فالله أعلم وزعم بعض المؤرخين أنه بقي بعد الرشيد

عيسى بن جعفر بن أبي جعفر المنصور

أخو زبيدة كان نائبا على البصرة في أيام الرشيد فمات في أثناء هذه السنة وفيها توفي الفضل بن يحيى

ابن خالد بن برمك أخو جعفر وأخوته كان هو والرشيد يتراضعان أرضعت الخيزران فضلا وأرضعت أم الفضل وهي زبيدة بنت بن بربه هارون الرشيد وكانت زبيدة هذه من مولدات تبين البرية وقد قال في ذلك بعض الشعراء

كفى لك فضلا أن أفضل حرة * غدتك بشدى والخليفة واحد

لقد زنت يحيى في المشاهد كلها * كما زان يحيى خالدا في المشاهد

قالوا وكان الفضل أكرم من أخيه جعفر ولكن كان فيه كبر شديد وكان عبوسا وكان جعفر أحسن بشرا منه وأطلق وجهها وأقل عطاء وكان الناس إليه أميل ولكن خصلة الكرم تغطي جميع القبائح فهي تستر تلك الخصلة التي كانت في الفضل وقد وهب الفضل لطباخه مائة ألف درهم فعابه أبوه على ذلك فقال يا أبت إن هذا كان يصحبنى في العسر واليسر والعيش الخشن واستمر معي في هذا الحال فأحسن صحتي وقد قال بعض الشعراء

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا * من كان يعتادهم في المنزل الخشن

ووهب يوما لبعض الأدياء عشرة آلاف دينار فبكى الرجل فقال له مم تبكي أستقلتها قال لا والله ولكنني أبكي أن الأرض تأكل مثلك أو تواري مثلك

وقال على بن الجهم عن أبيه أصبحت يوما لا أملك شيئا حتى ولا علف الدابة فقصدت الفضل

ابن يحيى فإذا هو قد أقبل من دار الخلافة في موكب من الناس فلما رأني رحب بي وقال

هلم فسرت معه فلما كان ببعض الطريق سمع غلاما يدعو جارية من دار وإذا هو يدعوها

باسم جارية له يحبها فانزعج لذلك وشكا إلى ما لقي من ذلك فقلت أصابك ما أصحاب أخي بنى عامر حيث يقول

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى * فهيج أحزان الفؤاد ولا يدري

دعا باسم ليلي غيرها وكأنما * أطار بليلى طائرا كان في صدري

فقال اكتب لي هذين البيتين قال فذهبت إلى بقال فرهنت عنده خاتمي على ثمن ورقة وكتبتهما له فأخذهما وقال انطلق راشدا فرجعت إلى منزلي فقال لي غلامي هات خاتمك حتى نرهنه على طعام لنا وعلف للدابة فقلت إنني رهنته فما أمسينا حتى أرسل إلى الفضل بثلاثين ألفا من الذهب وعشرة آلاف من الورق أجراه على كل شهر وأسلفني شهرا ودخل على الفضل يوما بعض الأكابر فأكرمه الفضل وأجلسه معه على السرير فشكا إليه الرجل دينا عليه وسأله أن يكلم في ذلك أمير المؤمنين فقال نعم وكم دينك قال ثلاثمائة ألف درهم فخرج من عنده وهو مهموم لضعف رده عليه ثم مال إلى بعض إخوانه فاستراح عنده ثم رجع إلى منزله فإذا المال قد سبقه إلى داره وما أحسن ما قال فيه بعض الشعراء

لك الفضل يا فضل بن يحيى بن خالد * وما كل من يدعى بفضل له فضل

رأى الله فضلا منك في الناس واسعا * فسماك فضلا فالتقى الاسم والفعل

وقد كان الفضل أكبر رتبة عند الرشيد من جعفر وكان جعفر أحظى عند الرشيد منه وأخص وقد ولى الفضل أعمالا كبارا منها نيابة خراسان وغيرها ولما قتل الرشيد البرامكة وحبسهم جلد الفضل هذا مائة سوط وخلده في الحبس حتى مات في هذه السنة قبل الرشيد بشهور خمسة في الرقة وصلى عليه بالقصر الذي مات فيه أصحابه ثم أخرجت جنازته فصلى عليها الناس ودفن هناك وله خمس وأربعون سنة وكان سبب موته ثقل أصابه في لسانه اشتد به يوم الخميس ويوم الجمعة وتوفي

قبل أذان الغداة من يوم السبت قال ابن جرير وذلك في المحرم من سنة ثلاث وتسعين

ومائة وقال ابن الجوزي في سنة ثنتين وتسعين فالله أعلم

وقد أطال ابن خلكان ترجمته وذكر طرفا صالحا من محاسنه ومكارمه من ذلك أنه ورد بلخ حين كان نائبا على خراسان وكان بها بيت النار التي كانت تعبدها المجوس وقد كان جده

برمك من خدامها فهدم بعضه ولم يتمكن من هدمه كله لقوة احكامه وبنى مكانه مسجدا لله تعالى وذكر أنه كان يتمثل في السجن بهذه الأبيات وببكي إلى الله فيما نالنا نرفع الشكوى * ففي يده كشف المضرة والبلوى خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها * فلا نحن في الأموات فيها ولا الأحياء إذا جاءنا السجن يوما لحاجة * عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ومحمد بن أمية الشاعر الكاتب وهو من بيت كلهم شعراء وقد اختلط أشعار بعضهم في بعض

ومنصور بن الزبيران
ابن سلمة أبو الفضل النميري الشاعر امتدح الرشيد وأصله من الجزيرة وأقام ببغداد ويقال لجدته مطعم الكبيش الرخم وذلك أنه أضاف قوما فجعلت الرخم تحوم حولهم فأمر بكبيش يذبح للرخم حتى لا يتأذى بها ضيفانه ففعل له ذلك فقال الشاعر فيه أبوك زعيم بنى قاسط * وخالك ذو الكبيش يغذي الرخم وله أشعار حسنة وكان يروي عن كلثوم بن عمرو وكان شيخه الذي أخذ عنه الغناء يوسف بن القاضي أبي يوسف

سمع الحديث من السري بن يحيى ويونس بن أبي إسحاق ونظر في الرأي وتفقه وولى قضاء الجانب الشرقي ببغداد في حياة أبيه أبي يوسف وصلى بالناس الجمعة بجامع المنصور عن أمر الرشيد توفي في رجب من هذه السنة وهو قاضي ببغداد *2* ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة

@ قال ابن جرير في المحرم منها توفي الفضل بن يحيى وقال ابن الجوزي توفي الفضل في سنة ثنتين وتسعين كما تقدم وما قاله ابن جرير أقرب قال وفيها توفي سعيد الجوهري قال وفيها وافي الرشيد جرجان وانتهت إليه خزائن على بن عيسى تحمل على ألف وخمسمائة بغير وذلك في صفر منها ثم تحول منها إلى طوس وهو عليل فلم يزل بها حتى كانت وفاته فيها وفيها توقع هزيمة نائب العراق هو ورافع بن الليث فكسره هزيمة وافتتح بخارى وأسر أخاه بشير بن الليث فبعثه إلى الرشيد وهو بطوس قد ثقل عن السير فلما وقف بين يديه شرع يترقق له فلم يقبل منه بل قال والله لو لم يبق من عمري إلا أن أحرك شفتي بقتلك لقتلتك ثم دعا بقصاب فجزأه بين يديه أربعة عشر عضوا ثم رفع الرشيد يديه إلى السماء يدعو الله أن يمكنه من أخيه كما يمكنه من أخيه بشير

وفاة الرشيد
كان قد رأى وهو بالكوفة رؤيا أفزعته وغمه ذلك فدخل عليه جبريل بن بختيشوع فيقال مالك يا أمير المؤمنين فقال رأيت كفا فيها تربة حمراء خرجت من تحت سريري وقائلا يقول هذه تربة هارون فهون عليه جبريل أمرها وقال هذه من أضغاث الأحلام من حديث النفس فتناسها يا أمير المؤمنين فلما سار يريد خراسان ومر بطوس واعتقلته العلة بها ذكر رؤياه فهاله ذلك وقال لجبريل ويحك أما تذكر ما قصصته عليك من الرؤيا فقال بلى فدعا مسرورا الخادم وقال اتنبي بشئ من تربة هذه الأرض فجاءه بتربة حمراء في يده فلما رآها قال والله هذه الكف التي رأيت والتربة التي كانت فيها قال جبريل فوالله ما أتت عليه ثلاث حتى توفي وقد أمر بحفر قبره موته في الدار التي كان فيها وهي دار حميد بن أبي غانم الطائي فجعل ينظر إلى قبره وهو يقول يا ابن آدم تصير إلى هذا ثم أمر أن يقرأوا القرآن في قبره فقرأوه حتى ختموه وهو في محفة على شفير القبر ولما حضرته الوفاة احتبى بملاءة وجلس يقاسي سكرات الموت فقال له بعض من حضر لو اضطجعت كان أهون عليك فضحك ضحكا صحيحا ثم قال أما سمعت قول الشاعر
وإني من قوم كرام يزيدهم * شماسا وصبرا شدة الحدثان
مات ليلة السبت وقيل ليلة الأحد مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة عن خمس وقيل سبع وأربعين سنة وكان ملكه ثلاثا وعشرين سنة
وهذه ترجمته

هو هارون الرشيد أمير المؤمنين ابن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي أبو محمد ويقال أبو جعفر وأمه الخيزران أم ولد كان مولده في شوال سنة ست وقيل سبع وقيل ثمان وأربعين ومائة وقيل إنه ولد سنة خمسين ومائة وبويج له بالخلافة بعد موت أخيه موسى الهادي في ربيع الأهل سنة سبعين ومائة بعهد من أبيه المهدي روى الحديث عن أبيه وجده وحدث عن المبارك بن فضالة عن الحسن بن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا النار ولو بشق تمره وهو على المنبر وهو يخطب الناس وقد حدث عنه ابنه وسليمان الهاشمي والد إسحاق ونباته بن عمرو وكان الرشيد أبيض طويلا جميلا وقد غزا الصائفة في حياة أبيه مرارا وعقد الهدنة بين المسلمين والروم بعد محاصرته القسطنطينية وقد لقي المسلمون من ذلك جهدا وخوفا شديدا وكان الصلح مع امرأة ليون وهي الملقبة بأغسطه على حمل كثير تبذله للمسلمين في كل عام ففرح المسلمون بذلك وكان هذا الذي حدا أباه على البيعة له بعد أخيه في سنة ست وستين ومائة ثم لما أفضت إليه الخلافة في سنة سبعين كان من أحسن الناس سيرة وأكثرهم غزوا وحجا ولهذا قال فيه أبو السعلي

فمن يطلب لقاءك أو يردده * فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففي أرض العدو على طمر * وفي أرض الترفه فوق كور
وما حاز الثغور سواك خلق * من المخلفين على الأمور

وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بالف درهم وإذا حج أحج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة بالنفقة السابغة والكسوة التامة وكان يحب التشبه بجده أبي جعفر المنصور إلا في العطاء فإنه كان سريع العطاء جزيله وكان يحب الفقهاء والشعراء ويعطيهم ولا يضع لديه بر ومعروف وكان نقش خاتمه لا إله إلا الله وكان يصلى في كل يوم مائة ركعة تطوعا إلى أن فارق الدنيا إلا أن تعرض له علة وكان ابن أبي مريم هو الذي يضحكه وكان عنده فضيلة بأخبار الحجاز وغيرها وكان الرشيد قد أنزله في قصره وخلطه بأهله بنه الرشيد يوما إلى صلاة الصبح فقام فتوضأ ثم أدرك الرشيد وهو يقرأ ومالي لا أعبد الذي فطرني فقال ابن أبي مريم لا أدري والله فضحك الرشيد وقطع الصلاة ثم أقبل عليه وقال وبحك اجتنب الصلاة والقرآن وقل فيما عدا ذلك ودخل يوما العباس بن محمد على الرشيد ومعه برنية من فضة فيها غالية من أحسن الطيب فجعل يمدحها ويزيد في شكرها وسأل من الرشيد أن يقبلها منه فقبلها فاستوهبها منه ابن أبي مريم فوهبها له فقال له العباس وبحك جئت بشيء منعت نفسي وأهلي وأثرت به أمير المؤمنين سيدي فأخذته فحلف ابن مريم لي طيبين به استه ثم أخذ منها شيئا فطلى به استه ودهن جوارحه كلها منها والرشيد لا يتمالك نفسه من الضحك ثم قال لخادم قائم عندهم يقال له خاقان اطلب لي غلامتي فقال الرشيد ادع له غلامه فقال له خذ هذه الغالية واذهب بها إلى ستك فمرها فلتطيب منها إستها حتى أرجع إليها فأنيكها فذهب الضحك بالرشيد كل مذهب ثم أقبل ابن أبي مريم على العباس بن محمد فقال له جئت بهذه الغالية تمدحها عند أمير المؤمنين الذي ما تمطر السماء شيئا ولا تنبت الأرض شيئا إلا وهو تحت تصرفه وفي يده وأعجب من هذا أن قيل لملك الموت ما أمرك به هذا فأنفذه وأنت تمدح هذه الغالية عنده كأنه يقال أو خباز أو طباخ أو تمار فكاد الرشيد يهلك من شدة الضحك ثم أمر لابن أبي مريم بمائة ألف درهم وقد شرب الرشيد يوما دواء فسأله ابن أبي مريم أن يلي الحجابة في هذا اليوم ومهما حصل له كان بينه وبين أمير المؤمنين فولاه الحجابة فجاءت الرسل بالهدايا من كل جانب من عند

زبيدة

والبرامكة كبار الأمراء وكان حاصله في هذا اليوم ستين ألف دينار فسأله الرشيد في اليوم الثاني عما تحصل فأخبره بذلك فقال له فأين نصيبي فقال ابن أبي مريم قد صالحتك عليه بعشرة آلاف تفاع

وقد استدعى إليه أبا معاوية الضرير محمد بن حازم ليسمع منه الحديث قال أبو معاوية ما ذكرت عنده حديثا إلا قال صلى الله عليه وسلم على سيدي وإذا سمع فيه موعظة بكى حتى يبل الثرى وأكلت عنده يوما ثم قمت لأغسل يدي فصب الماء على وأنا لا أراه ثم قال يا أبا

معاوية أتدري من يصب عليك الماء قلت لا قال يصب عليك أمير المؤمنين قال أبو معاوية فدعوت له فقال إنما أردت تعظيم العلم وحدثه أبو معاوية يوما عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بحدِيث احتجاج آدم وموسى فقال عم الرشيد أين التقيا يا أبا معاوية فغضب الرشيد من ذلك غضبا شديدا وقال أتعرض على الحديث على بالنطع والسيف فأحضر ذلك فقام الناس إليه يشفعون فيه فقال الرشيد هذه زندقة ثم أمر بسجنه وأقسم أن لا يخرج حتى يخبرني من ألقى إليه هذا فأقسم عمه بالإيمان المغلظه ما قال هذا له أحد وإنما كانت هذه الكلمة بادرة منى وأنا أستغفر الله وأتوب إليه منها فأطلقه وقال بعضهم دخلت على الرشيد وبين يديه رجل مضروب العنق والسياف يمسح سيفه في قفا الرجل المقتول فقال الرشيد قتلته لأنه قال القرآن مخلوق فقتله على ذلك قرينة إلى الله عز وجل وقال بعض أهل العلم يا أمير المؤمنين انظر هؤلاء الذين يحبون أبا بكر وعمر ويقدمونهما فأكرمهم بعز سلطانتك فقال الرشيد أولست كذلك أنا والله كذلك أحبها وأحب من يحبهما وأعاقب من يبغضهما وقال له ابن السماك إن الله لم يجعل أحدا فوقك فأجتهد أن لا يكون فيهم أحد أطوع إلى الله منك فقال لئن كنت أقصرت في الكلام لقد أبلغت في الموعظة

وقال له الفضيل بن عياض أو غيره ان الله لم يجعل احدا من هؤلاء فوقك في الدنيا فاجهد نفسك ان لا يكون احد منهم فوقك في الآخرة فأكدح انفسك واعملها في طاعة ربك ودخل عليه ابن السماك يوما فاستسقى الرشيد فأتى بقلة فيها ماء مبرد فقال لابن السماك عطنى فقال يا أمير المؤمنين بكم كنت مشتريا هذه الشربة لو منعها فقال بنصف ملكى فقال اشرب هنيئا فلما شرب قال أرأيت لو منعت خروجها من بدلك بكم كنت تشتري ذلك قال بنصف ملكي الآخر فقال إن ملكا قيمة نصفه شربه ماء وقيمة نصفه الآخر بولة لخليق أن لا يتنافس فيه فبكى هارون

وقال ابن قتيبة ثنا الرياشي سمعت الأصمعي يقول دخلت على الرشيد وهو يقلم أظفاره يوم الجمعة فقلت له في ذلك فقال أخذ الأظفار يوم الخميس من السنة وبلغني أن أخذها يوم الجمعة ينفي الفقر فقلت يا أمير المؤمنين أو تخشى الفقر فقال يا أصمعي وهل أحد أخشى للفقر منى وروى ابن عساكر عن إبراهيم المهدي قال كنت يوما عند الرشيد فدعا طباخه فقال أعندك في الطعام لحم جزور قال نعم ألوان منه فقال أحضره مع الطعام فلما وضع بين يديه أخذ لقمة منه فوضعها في فيه فضحك جعفر البرمكي فترك الرشيد مضغ اللقمة وأقبل عليه فقال مم تضحك قال لا شئ يا أمير المؤمنين ذكرت كلاما بيني وبين جاريتي البارحة فقال له بحقي عليك لما أخبرتني به قال حتى تأكل هذه اللقمة فألقاها من فيه وقال والله لتخبرني فقال يا أمير المؤمنين بكم تقول إن هذا الطعام من لحم الجزور يقوم عليك قال بأربعة درهم قال لا والله يا أمير المؤمنين بل بأربعمائة ألف درهم قال وكيف ذلك قال إنك طلبت من طباخك لحم جزور قبل هذا اليوم بمدة طويلة فلم يوجد عنده فقلت لا يخلون المطبخ من لحم جزور فنحن ننحر كل يوم جزورا لأجل مطبخ أمير المؤمنين لأننا لا نشترى من السوق لحم جزور فصرف في لحم الجزور من ذلك اليوم إلى هذا اليوم أربعمائة ألف درهم ولم يطلب أمير المؤمنين لحم جزور إلا هذا اليوم قال جعفر فضحكت لأن أمير المؤمنين إنما ناله من ذلك هذه اللقمة فهي على أمير المؤمنين بأربعمائة ألف قال فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا وأمر برفع السماط من بين يديه وأقبل على نفسه يوبخها ويقول هلكت والله يا هارون ولم يزل يبكي حتى أذنه المؤذنون بصلاة الظهر فخرج فصلى بالناس ثم رجع يبكي حتى أذنه المؤذنون بصلاة العصر وقد أمر بألفي ألف تصرف إلى فقراء الحرمين في كل حرم ألف ألف صدقة وأمر بألفي ألف يتصدق بها في جاني بغداد الغربي والشرقي وبألف ألف يتصدق بها على فقراء الكوفة والبصرة ثم خرج إلى صلاة العصر ثم رجع يبكي حتى صلى المغرب ثم رجع فدخل عليه أو يوسف القاضي فقال ما شأنك يا أمير المؤمنين باكيا في هذا اليوم فذكر أمره وما صرف من المال الجزيل لأجل شهوته وإنما ناله منها لقمة فقال أبو يوسف لجعفر هل كان ما تذبونه من الجزور يفسد أو يأكله الناس قال بل يأكله الناس فقال أبشر يا أمير المؤمنين بثواب الله فيما صرفته من المال الذي أكله المسلمون في الأيام الماضية وبما يسره الله عليك من الصدقة وبما رزقك

الله من خشيته وخوفه في هذا اليوم وقد قال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فأمر له الرشيد بأربعمائة ألف ثم استدعى بطعام فأكل منه فكان غداؤه في هذا اليوم عشاء وقال عمرو بن بحر الجاحظ اجتمع للرشيد من الجد والهزل ما لم يجتمع لغيره من بعده كان أبو يوسف قاضيه والبرامكة وزراره وحاجبه الفضل بن الربيع أنبه الناس وأشدهم تعاضما ونديمه عمر بن العباس بن محد صاحب العباسية وشاعره مروان بن أبي حفصة ومغنيه إبراهيم الموصلي واحد عصره في صناعته ومضحكه ابن أبي مريم وزامره برصوما وزوجته أم جعفر يعني زبيدة وكانت أرغب الناس في كل خير وأسرعهم إلى كل بر ومعروف أدخلت الماء الحرم بعد امتناعه من ذلك إلى أشياء من المعروف أجراها الله على يدها وروى الخطيب البغدادي أن الرشيد كان يقول إنا من قوم عظمت رزيتهم وحسنت بعثتهم ورثنا رسول الله ص وبقيت فينا خلافة الله وبينما الرشيد يطوف يوما بالبيت إذ عرض له رجل فقال يا أمير المؤمنين إني أريد أن أكلمك بكلام فيه غلظة فقال لا ولا نعمت عين قد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني فأمره أن يقول له قولنا وعن شعيب بن حرب قال رأيت الرشيد في طريق مكة فقلت في نفسي قد وجب عليك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فخوفتني فقالت إنه الآن يضرب عنقك فقلت لا بد من ذلك فناديت فقلت يا هارون قد أتعبت الأمة والبهائم فقال خذوه فأدخلت عليه وفي يده لت من حديد يلعب به وهو جالس على كرسي فقال ممن الرجل فقلت رجل من المسلمين فقال ثكلتك أمك ممن أنت فقلت من الأنبار فقال ما حملك على أن دعوتني بإسمي قال فخطر ببالي شيء لم يخطر قبل ذلك فقلت أنا أدعو الله بإسمه يا الله أفلا أدعوك باسمك وهذا الله سبحانه قد دعا أحب خلقه إليه بأسمائهم يا آدم يا نوح يا هود يا صالح يا إبراهيم يا موسى يا عيسى يا محمد وكنى أبغض خلقه إليه فقال تبت بدا أبي لهب فقال الرشيد أخرجوه أخرجوه وقال له ابن السماك يوما إنك تموت وحدك وتدخل القبر وحدك وتبعث منه وحدك فاحذر المقام بين يدي الله عز وجل والوقوف بين الجنة والنار حين يؤخذ بالكظم وتزل القدم ويقع الندم فلا توبة تقبل ولا عثرة تقال ولا يقبل فداء بمال فجعل الرشيد يبكي حتى علا صوته فقال يحيى بن خالد له يا ابن السماك لقد شققت على أمير المؤمنين الليلة فقام فخرج من عنده وهو يبكي وقال له الفضيل بن عياض في كلام كثير ليلة وعظه بمكة يا صبيح الوجه إنك مسؤل عن هؤلاء كلهم وقد قال تعالى وتقطعتم بهم الأسباب قال حدثنا ليث عن مجاهد الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا فبكى حتى جعل يشهق وقال الفضيل استدعاني الرشيد يوما وقد زخرف منازلهم وأكثر الطعام والشراب واللذات فيها ثم استدعى أبا العتاهية فقال له صف لنا ما نحن فيه من العيش والنعيم فقال عش ما بدا لك سالما * في ظل شاهقة القصور تسعى عليك بما اشتهيت * لدى الرواح إلى البكور فاذا النفوس تقعقت * عن ضيق حشرة الصدور فهناك تعلم موقنا * ما كنت إلا في غرور قال فبكى الرشيد بكاء كثيرا شديدا فقال له الفضل بن يحيى دعاك أمير المؤمنين تسير فأحزنته فقال له الرشيد دعه فإنه رأنا في عمى فكره أن يزيدنا عمى ومن وجه آخر أن الرشيد قال لأبي العتاهية عطني أبيات من الشعر وأوجز فقال لا تأمن الموت في طرف ولا نفس * ولو تمتعت بالحجاب والحرس واعلم بأن سهام الموت صائبة * لكل مدرع منها ومترس ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * إن السفينة لا تجري على اليبس ر قال فخر الرشيد مغشيا عليه وقد حبس الرشيد مرة أبا العتاهية وأرصد عليه من يأتيه بما يقول فكتب مرة على جدار الحبس أما والله إن الظلم شوم * وما زال المسئى هو الظلوم إلى ديان يوم الدين نمضى * وعند الله تجتمع الخصوم قال فاستدعاه واستعجله في حل ووهبه ألف دينار وأطلقه وقال الحسن بن أبي الفهم ثنا محمد بن عباد عن سفيان بن عيينة قال دخلت على الرشيد فقال ما خبرك فقلت بعين الله ما تخفي البيوت * فقد طال التحمل والسكوت

فقال يا فلان مائة ألف لابن عيينة تغنيه وتغنى عقبه ولا تضر الرشيد شيئاً وقال الأصمعي كنت مع الرشيد في الحج فمررنا بواد فإذا على شفيره امرأة حسناء يديها قصعة وهي تسأل منها وهي تقول

طحطحتنا طحاطح الأعوام * ورمتنا حوادث الأيام
فأتيناكم نمد أكفا * نائلات لزدكم والطعام
فاطلبوا الأجر والمثوبة فينا * أيها الزائرون بيت الحرام
من رأني فقد رأني ورحلي * فارحموا غرتي وذل مقامي
قال الأصمعي فذهبت إلى الرشيد فأخبرته بأمرها فجاء بنفسه حتى وقف عليها فسمعها فرحمها وبكى وأمر مسرورا الخادم أن يملاً قصعتها ذهباً فملأها حتى جعلت تفيض يمينا وشمالا وسمع مرة الرشيد أعرابيا يحدو إبله في طريق الحج
أيها المجمع هما لأنهم * أنت تقضي ولك الحمى تحم
كيف ترقيق وقد جف القلم * حطت الصحة منك والسقم
فقال الرشيد لبعض خدمه ما معك قال أربعمئة دينار فقال ادفعها إلى هذا الأعرابي فلما قبضها ضرب رفيقه بيده على كتفه وقال متمثلاً
وكنت جليس قعقاع بن عمرو * ولا يشقى بقعقاع جليس
فأمر الرشيد بعض الخدم أن يعطى المتمثل ما معه من الذهب فإذا معه مائتا دينار قال أبو عبيد إن أصل هذا المثل أن معاوية بن أبي سفيان أهديت له هدية جامات من ذهب فرقها على جلسائه والى جانبه قعقاع بن عمرو وإلى جانب القعقاع أعرابي لم يفضل له منها شيئاً فأطرق الأعرابي حياء فدفع إليه القعقاع الجام الذي حصل له فنهض الأعرابي وهو يقول
وكنت جليس قعقاع بن عمرو إلى آخره

وخرج الرشيد يوماً من عند زيده وهو يضحك فقبل له مم تضحك يا أمير المؤمنين فقال دخلت اليوم إلى هذه المرأة يعني زبيدة فأقبلت عندها وبت فما استيقظت إلا على صوت ذهب يصب قالوا هذه ثلثمائة ألف دينار قدمت من مصر فقالت زبيدة هبها لي يا ابن عم فقلت هي لك ثم ما خرجت حتى عربت على وقالت أي خير رأيتك منك وقال الرشيد مرة للمفضل الضبي ما أحسن ما قيل في الذئب ولك هذا الخاتم وشراؤه ألف وستمئة دينار فأنشد قول الشاعر

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي * بأخرى الرزايا فهو يقطان نائم
فقال ما قلت هذا إلا لتسلبنا الخاتم ثم ألقاه إليه فبعثت زبيدة فاشترته منه بألف وستمئة دينار وبعثت به إلى الرشيد وقالت إنني رأيتك معجبا به فردته إلى المفضل والدنانير وقال ما كنا لنهب شيئاً ونرجع فيه

وقال الرشيد يوماً للعباس بن الأحنف أي بيت قالت العرب أرق فقال قول جميل في بثينة ألا ليتني أعمى أصم تفودني * بثينة لا يخفي على كلامها
فقال له الرشيد أرق منه قولك في مثل هذا * طاف الهوى في عباد الله كلهم حتى إذا مر بي من بينهم وقفا

فقال له العباس فقولك يا أمير المؤمنين أرق من هذا كله
أما يكفيك أنك تملكني * وأن الناس كلهم عبيدي
وأنت لو قطعت يدي ورجلي * لقلت من الهوى أحسنت زبدي
قال فضحك الرشيد وأعجبه ذلك ومن شعر الرشيد في ثلاث حظيات كن عنده من الخواص قوله

ملك الثلاث الناشآت عناني * وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها * وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك إلى أن سلطان الهوى * وبه قوين أعز من سلطاني
ومما أورد له صاحب العقد في كتابه * تبدى الصدود وتخفي الحب عاشقة
فالنفس راضية والطرف غضبان

وذكر ابن جرير وغيره أنه كان في دار الرشيد من الجوارى والحظايا وخدمهن وخدم زوجته وأخواته أربعة آلاف جارية وأنهن حضرن يوماً بين يديه فغنته المطربات منهن فطرب جدا

وأمر بمال فنثر عليهن وكان مبلغ ما حصل لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف درهم في ذلك اليوم رواه ابن عساكر أيضا

وروى أنه اشترى جارية من المدينة فأعجب بها جدا فأمر باحضار مواليتها ومن يلوذ بها ليقتضي حوائجهم فقدموا عليه بثمانين نفسا فأمر الحاجب وهو الفضل بن الربيع أن يتلقاهم ويكتب حوائجهم فكان فيهم رجل قد أقام بالمدينة لأنه كان يهوى تلك الجارية فبعثت إليه فأتى به فقال له الفضل ما حاجتك قال حاجتي أن يجلسني أمير المؤمنين مع فلانة فأشرب ثلاثة أرطال من خمر وتعيني ثلاثة أصوات فقال أمجنون أنت فقال لا ولكن أعرض حاجتي هذه على أمير المؤمنين فذكر للرشيدي ذلك فأمر بإحضاره وأن تجلس معه الجارية بحيث ينظر إليهما ولا يريانه فجلست على كرسي والخدام بين يديها وأجلس على كرسي فشرب رطلا وقال لها غنى

خليلي عوجا بارك الله فيكما * وإن لم تكن هند بأرضكما قصدا
وقولا لها ليس الضلال أجازنا * ولكننا جزنا لنلقاكم عمدا
غدا يكثر البادون منا ومنكم * وتزداد داري من دياركم بعدا
قال فغنته ثم استعجله الخدم فشرب رطلا آخر وقال غنى جعلت فداك
تكلم منا في الوجوه عيوننا * فحن سكوت والهوى يتكلم
ونغضب أحيانا ونرضى بطرفنا * وذلك فيما بيننا ليس يعلم
قال فغنته ثم شرب رطلا ثالثا وقال غنى جعلني الله فداك
أحسن ما كنا تفرقنا * وخاننا الدهر وما كنا
فليت ذا الدهر لنا مرة * عاد لنا يوما كما كنا

قال ثم قام الشاب إلى درجة هناك ثم ألقى نفسه من أعلاها على أم رأسه فمات فقال الرشيدي عجل الفتى والله لو لم يعجل لوهبتها له

وفضائل الرشيدي ومكارمه كثيرة جدا قد ذكر الأئمة من ذلك شيئا كثيرا فذكرنا منه أنموذجا صالحا وقد كان الفضيل بن عياض يقول ليس موت أحد أعز علينا من موت الرشيدي لما أخوف بعده من الحوادث وإني لأدعو الله أن يزيد في عمره من عمرى قالوا فلما مات الرشيدي وظهرت تلك الفتن والحوادث والاختلافات وظهر القول بخلق القرآن فعرفنا ما كان تخوفه الفضيل من ذلك وقد تقدمت رؤياه لذلك الكف وتلك التربة الحمراء وقائل يقول هذه تربة أمير المؤمنين فكان موته بطوس وقد روى ابن عساكر أن الرشيدي رأى في منامه قائلا يقول كأنني بهذا القصر قد باد أهله الشعر إلى آخره

وقد تقدم أن ذلك إنما رآه أخوه موسى الهادي وأبوه محمد المهدي فالله أعلم وقد منا أنه أمر بحفر قبره في حياته وأن تقرأ فيه ختمة تامة وحمل حتى نظر إليه فجعل يقول الى هنا تصير يا ابن آدم ويبكي وأمر أن يوسع عند صدره وأن يمد من عند رجليه ثم جعل يقول ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ويبكي وقيل إنه لما احتضر قال اللهم انفعنا بالاحسان واغفر لنا الاساءة يا من لا يموت ارحم من يموت وكان مرضه بالدم وقيل بالسل وجبريل الطيب يكتم ما به من العلة فأمر الرشيدي رجلا أن يأخذ ماءه في قارورة ويذهب به إلى جبريل فيريه إياه ولا يذكر له بول من هو فإن سأله قال هو بول مريض عندنا فما رآه جبريل قال لرجل عنده هذا مثل ماء ذلك الرجل ففهم صاحب القارورة من عنى به فقال له بالله عليك أخبرني عن حال صاحب هذا الماء فإن لي عليه مالا فإن كان به رجاء وإلا أخذت مالي منه فقال اذهب فتخلص منه فإنه لا يعيش إلا أياما فلما جاء وأخبر الرشيدي بعث

إلى جبريل فتغيب حتى مات الرشيدي وقد قال الرشيدي وهو في هذه الحال إني بطوس مقيم مالي بطوس حميم * أرجو إلهي لما بي فإنه بي رحيم
لقد أتى بي طوسا قضاؤه المحتوم * وليس إلا رضائي والصبر والتسليم
مات بطوس يوم السبت لثلاث من جمادي الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وقيل إنه توفي في جمادي الأولى وقيل في ربيع الأول وله من العمر خمس وقيل سبع وقيل ثمان وأربعون سنة ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وشهر وثمانية عشر يوما وقيل ثلاثة أشهر وصلى عليه ابنه صالح ودفن بقرية من قرى طوس يقال لها سناباد وقال بعضهم قرأت على خيام الرشيدي بسناباد والناس منصرفون من طوس من بعد موته

منازل العسكر معمورة * والمنزل الأعظم مهجور
خليفة الله بدار البلى * تسعى على أجدائه المور
أقبلت العبر تباهي به * وانصرفت تندبه العبر
وقد رثاه أبو الشيص فقال * غربت في الشرق شمس
فلها العينان تدمع

ما رأينا قط شمسا * غربت من حيث تطلع
وقد رثاه الشعراء بقصائد قال ابن الجوزي وقد خلف الرشيد من الميراث ما لم يخلفه أحد
من الخلفاء وخلف من الجواهر والاثاث والأمتعة سوى الضياع والدور ما قيمته مائة ألف ألف
دينار وخمسة وثلاثون ألف دينار قال ابن جرير وكان في بيت المال سبعمائة ألف ألف ونيف
ذكر زوجاته وبنيه وبناته

تزوج أم جعفر زبيدة بنت عمه جعفر بن أبي جعفر المنصور تزوجها في سنة خمس وستين
ومائة في حياة أبيه المهدي فولدت له محمدا الأمين وماتت زبيدة في سنة ست عشرة
ومائتين كما سيأتي وتزوج أمة العزيز أم ولد كانت لأخيه موسى الهادي فولدت له علي بن
الرشيد وتزوج أم محمد بنت صالح المسكين والعباسة بنت عمه سليمان بن أبي جعفر فزفتا
إليه في ليلة واحدة سنة سبع وثمانين ومائة بالرقعة وتزوج عزيزة بنت الغطريف وهي بنت
خاله أخي أمه الخيزران وتزوج ابنة عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن
عفان العثمانية ويقال لها الجرشية لأنها ولدت بجرش بالمين وتوفي عن أربع زبيدة وعباسة
وابنة صالح والعثمانية هذه وأما الحظايا من الجوار فكثير جدا حتى قال بعضهم إنه كان في
داره أربعة آلاف جارية سراري حسان

وأما أولاده الذكور فمحمدا الأمين بن زبيدة وعبد الله المأمون من جارية اسمها مراحل
ومحمد أبو إسحاق المعتصم من أم ولد يقال لها ماردة والقاسم المؤمن من جارية يقال لها
قصف وعلى أمة أمة العزيز وصالح من جارية اسمها رثم ومحمد أبو يعقوب ومحمد أبو
عيسى ومحمد أبو العباس ومحمد أبو علي كل هؤلاء من أمهات أولاد وكان من الإناث سكيئة
من قصف وأم حبيب من ماردة وأروى وأم الحسين وأم محمد وهي حمدونة وفاطمة وأمها
غصص وأم سلمة وخديجة وأم القاسم رملة وأم علي وأم الغالية وربطة كلهن من أمهات
أولاد

خلافة محمد الأمين لما توفي الرشيد بطوس في جمادي الآخرة من هذه السنة أعني سنة
ثلاث وتسعين ومائة كتب صالح بن الرشيد إلى أخيه ولي العهد من بعد أبيه محمد الأمين بن
زبيدة وهو ببغداد يعلمه بوفاة أبيه ويعزيه فيه فوصل الكتاب صحبة رجاء الخادم ومعه الخاتم
والقضيب والبردة يوم

الخميس الرابع عشر من جمادي الآخرة فركب الأمين من قصره الخلد إلى قصر أبي جعفر
المنصور وهو قصر الذهب على شط بغداد فصلى بالناس ثم صعد المنبر فخطبهم وعزاهم
في الرشيد وبسط آمال الناس ووعدهم الخير فبايعه الخواص من قومه ووجوه بني هاشم
والأمراء وأمر بصرف أعطيات الجند عن سنتين ثم نزل وأمر عمه سليمان بن جعفر أن يأخذ
له البيعة من بقية الناس فلما انتظم أمر الأمين واستقام حاله حسده أخوه المأمون ووقع
الخلف بينهما على ما سنذكره إن شاء الله تعالى

اختلاف الأمين والمأمون

كان السبب في ذلك أن الرشيد لما وصل إلى أول بلاد خراسان وهب جميع ما فيها من
الحواصل والدواب والسلاح لولده المأمون وجدد له البيعة وكان الأمين قد بعث بكر بن
المعتمر يكتب في خفية ليوصلها إلى الأمراء إذا مات الرشيد فلما توفي الرشيد نفذت الكتب
إلى الأمراء وإلى صالح بن الرشيد وفيها كتاب إلى المأمون يأمره بالسمع والطاعة فأخذ
صالح البيعة من الناس إلى الأمين وارتحل الفضل بن الربيع بالجيش إلى بغداد وقد بقي في
نفوسهم تحرج من البيعة التي أخذت للمأمون وكتب إليهم المأمون يدعوهم إلى بيعته فلم
يجيبوه فوقع الوحشة بين الأخوين ولكن تحول عامة الجيش إلى الأمين فعند ذلك كتب
المأمون إلى أخيه الأمين بالسمع والطاعة والتعظيم وبعث إليه من هدايا خراسان وتحفها

من الدواب والمسك وغير ذلك وهو نائبه عليها وقد أمر الأمين في صبيحة يوم السبت بعد أخذ البيعة يوم الجمعة ببناء ميدانين للصيد فقال في ذلك بعض الشعراء
بنى أمين الله ميدانا * وصير الساحة بستانا
وكانت الغزلان فيه بانا * يهدي إليه فيه غزلانا
وفي شعبان من هذه السنة قدمت زبيدة من الرقة بالخزائن وما كان عندها من التحف
والقمماش من الرشيد فتلقاها ولدها الأمين إلى الأنبار ومعه وجوه الناس وأقر الأمين أخاه
المأمون على ما تحت يده من بلاد خراسان والري وغير ذلك وأقر أخاه القاسم على الجزيرة
والثغور وأقر عمال أبيه على البلاد إلا القليل منهم
وفيها مات نقفور ملك الروم قتله البرجان وكان ملكه تسع سنين وأقام بعده ولده استبراق
شهرين فمات فملكهم ميخائيل زوج أخت نقفور لعنهم الله وفيها تواقع هرثمة نائب خراسان
ورافع ابن الليث فاستجاش رافع بالترك ثم هربوا وبقي رافع وحده فضعف أمره وحج
بالناس نائب الحجاز داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي وفيها توفي
إسماعيل بن علي

وهو من أئمة العلماء والمحدثين الرفعاء روى عنه الشافعي وأحمد بن حنبل وقد ولي
المطالم ببغداد وكان ناظر الصدقات بالبصرة وكان ثقة نبيلًا جليلا كبيرا وكان قليل التبسم
وكن يتجر في البز وينفق على عياله منه ويحج منه ويبر أصحابه منه مثل السفينين وغيرهما
وقد ولاه الرشيد القضاء فلما بلغ ابن المبارك أنه تولى القضاء كتب إليه يلومه نظما ونثرا
فاستعفى ابن علي من القضاء فأعفاه وكانت وفاته في ذي القعدة من هذه السنة ودفن في
مقابر عبد الله بن مالك وفيها مات
محمد بن جعفر

الملقب بغندر روى عن شعبة وسعيد بن ابي عروة وعن خلق كثير وعنه جماعة منهم أحمد
بن حنبل وكان ثقة جليلا حافظا متقنا وقد ذكر عنه حكايات تدل على تفهيمه في أمور الدنيا
كانت وفاته بالبصرة في هذه السنة وقيل في التي قبلها وقيل في التي بعدها وقد لقب وقد
لقب بهذا اللقب جماعة من المتقدمين والمتأخرين وفيها توفي

أبو بكر بن العياش
أحد الأئمة سمع أبا إسحاق السبيعي والأعمش وهشام وهمام بن عروة وجماعة وحدث عنه
خلق منهم أحمد بن حنبل وقال يزيد بن هارون كان حبرا فاضلا لم يضع جنبه إلى الأرض
أربعين سنة قالوا ومكث ستين سنة يختم القرآن في كل يوم ختمة كاملة وصام ثمانين
رمضانا وتوفي وله ست وتسعون سنة ولما احتضر بكى عليه ابنه فقال يا بني علام تبكي
والله ما أتى أبوك فاحشة قط

2 ثم دخلت سنة أربع وتسعين ومائة

@ فيها خلع أهل حمص نائبهم فعزله عنهم الأمين وولى عليهم عبد الله بن سعيد الجرشي
فقتل طائفة من وجوه أهلها وحرق نواحيها فسألوه الأمان فأمنهم ثم هاجوا فضرب أعناق
كثير منهم أيضا وفيها عزل الأمين أخاه القاسم عن الجزيرة والثغور وولى على ذلك خزيمة
بن خازم وأمر أخاه بالمقام عنده ببغداد وفيها أمر الأمين بالدعاء لولده موسى على النابير
في سائر الأمصار وبلاصرة من بعده وسماه الناطق بالحق ثم يدعى من بعده لأخيه المأمون
ثم لأخيه القاسم وكان من نية الأمين الوفاء لأخويه بما شرط لهما فلم يزل به الفضل بن
الربيع حتى غير نيته في أخويه وحسن له خلع المأمون والقاسم وصغر عنده شأن المأمون
وإنما حمله على ذلك خوفه من المأمون إن أفضت إليه الخلافة أن يخلعه من الحجابة
فوافقه الأمين على ذلك وأمر بالدعاء لولده موسى وبولاية العهد من بعده وذلك في ربيع
الأول من هذه السنة فلما بلغ المأمون قطع البريد عنه وترك ضرب اسمه على السكة
والطرز وتنكر للأمين وبعث رافع بن الليث إلى المأمون يسأل منه الامان فأمنه
فسار إليه بمن معه فأكرمه المأمون وعظمه وجاء هرثمة على إثره فتلقاها المأمون ووجوه
الناس وولاه الحرس فلما بلغ الأمين أن الجنود التفت على أخيه المأمون ساءه ذلك وأنكره
وكتب إلى المأمون كتابا وأرسل إليه رسلا ثلاثة من أكابر الأمراء سأله أن يجيبه إلى تقديم
ولده عليه وأنه قد سماه الناطق بالحق فأظهر المأمون الامتناع فشرع الأمراء في مطايبته

وملايئته وأن يجيبهم إلى ذلك فأبى كل الإباء فقال له العباس بن موسى بن عيسى فقد خلع أبي نفسه فماذا كان فقال المأمون إن أباك كان امرءا مكروها ثم لم يزل المأمون يعد العباس ويمنيه حتى بايعه بالخلافة ثم لما رجع إلى بغداد كان يرأسه بما كان من أمر الأمين ويناصحه ولما رجع الرسل إلى الأمين أخبروه بما كان من قول أخيه فعند ذلك صمم الغضل بن الربيع علي الأمين في خلع المأمون فخلعه وأمر بالدعاء لولده في سائر البلاد وأقاموا من يتكلم في المأمون ويذكر مساويه وبعثوا إلى مكة فأخذوا الكتاب الذي كتبه الرشيد وأودعه في الكعبة فمزقه الأمين وأكد البيعة إلى ولده الناطق بالحق على ما ولاه من الأعمال وجرت بين الأمين والمأمون مكاتبات ورسل يطول بسطها وقد استقصاها ابن جرير في تاريخه ثم آل بهما الأمر إلى أن احتفظ كل منهما على بلاده زحصنها وهيا الجيوش والجنود وتالف الرعايا وفيها غدرت الروم بملكهم ميخائيل فراموا خلعه وقتله فترك الملك وترهب وولوا عليهم اليون وحج بالناس فيها نائب الحجاز داود بن عيسى وقيل على بن الرشيد وفيها توفي من الأعيان

سالم بن سالم أبو بحر البلخي

قدم بغداد وحدث بها عن إبراهيم بن طهمان والثوري وعنه الحسن بن عرفة وكان عابدا زاهدا مكث أربعين سنة لم يفرش له فراش وصامها كلها إلا يومي العيد ولم يرفع رأسه إلى السماء وكان داعية الأرجاء ضعيف الحديث إلا أنه كان رأسا في الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر وكان قد قدم بغداد فأنكر على الرشيد وشنع عليه فحبسه وقيده بأثني عشر قيادا فلم يزل أبو معاوية يشفع فيه حتى جعلوه في أربعة قيود ثم كان يدعو الله أن يردّه إلى أهله فلما توفي الرشيد أطلقت زبيدة فرجع وكانوا بمكة قد جاؤا حجاجا فمرض بمكة واشتهى يوما بردا فسقط في ذلك الوقت برد حين اشتهاه فأكل منه مات في ذي الحجة من هذه السنة

وعبد الوهاب بن عبد الحميد

الثقفي كانت غلته في السنة قريبا من خمسين ألفا ينفقها كلها على أهل الحديث توفي عن أربع وثمانين

وأبو النصر الجهني المصاب

كان مقيما بالمدينة النبوية بالصفة من المسجد في الحائط الشمالي منه وكان طويل السكوت فإذا سئل أجاب بجواب حسن ويتكلم بكلمات مفيدة تؤثر عنه وتكتب وكان يخرج يوم الجمعة

قبل الصلاة فيقف على مجامع الناس فيقول يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ويوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعاة ولا يؤخذ منها عدل ثم ينتقل إلى جماعة أخرى ثم إلى أخرى حتى يدخل المسجد فيصلى فيه لجمعة ثم لا يخرج منه حتى يصلى العشاء الآخرة

وقد وعظ مرة هارون الرشيد بكلام حسن فقال اعلم أن الله سائلك عن أمة نبيه فأعد لذلك جوابا وقد قال عمر بن الخطاب لو ماتت سخلة بالعراق ضياعا لخشيت أن يسألني الله عنها فقال الرشيد إنني لست كعمر وإن دهرى ليس كدهره فقال ما هذا بمغن عنك شيئا فأمر له بثلاثمائة دينار فقال أنا رجل من أهل الصفة فمر بها فلتقسم عليهم وأنا واحد منهم

2 ثم دخلت سنة خمس وتسعين ومائة

@ فيها في صفر منها أمر الأمين الناس أن لا يتعاملوا بالدارهم والدنانير التي عليها اسم المأمون ونهى أن يدعى له على المنابر وأن يدعى له ولولده من بعده وفيها تسمى المأمون بإمام المؤمنين وفي ربيع الآخر فيها عقد الأمين لعلى بن عيسى بن ماهان الامارة على الجبل وهمذان واصبهان وقم وتلك البلاد وأمره بحرب المأمون وجهاز معه جيشا كثيرا وأنفق فيهم نفقات عظيمة وأعطاه مائتي ألف دينار ولولده خمسين ألف دينار وألفي سيف محلي وستة آلاف ثوب للخلع فخرج على بن موسى بن ماهان من بغداد في أربعين ألف مقاتل فارس ومعه قيد من فضة ليأتي فيه بالمأمون وخرج الأمين معه مشيعا فصار حتى وصل الرى فتلقاته الأمير طاهر في أربعة آلاف فجرت بينهم أمور آل الحال فيها أن اقتتلوا فقتل على بن عيسى وانهمز أصحابه وحمل رأسه وجثته إلى الأمير طاهر فكتب بذلك إلى وزير

المأمون ذي الرباستين وكان الذي قتل على بن عيسى رجل يقال له طاهر الصغير فسمى ذا اليميني لأنه أخذ السيف بيديه الثنتين فذبح به على بن عيسى بن ماهان ففرح بذلك المأمون وذووه وانتهى الخبر إلى الأمين وهو يصيد السمك من دجله فقال ويحك دعنى من هذا فان كوثرًا قد صاد سمكتين ولم أصد بعد شيئًا وأرجف الناس ببغداد وخافوا غائلة هذا الأمر وندم محمد الأمين على ما كان منه من نكث العهد وخلع المأمون وما وقع من الأمر الفطيع وكان رجوع الخبر إليه في شوال من هذه السنة ثم جهز عبد الرحمن بن جبلة الأنباري في عشرين ألفًا من المقاتلة إلى همدان ليقاتلوا طاهر بن الحسين بن مصعب ومن معه من الخراسانية فلما اقتربوا منهم تواجهاوا فتقاتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بينهم ثم انهزم أصحاب عبد الرحمن ابن جبلة فلجئوا إلى همدان فحاصروهم بها طاهر حتى اضطروهم إلى أن دعوا إلى الصلح فصالحهم وأمنهم ووفي لهم وأنصرف عبد الرحمن بن جبلة على أن يكون راجعا إلى بغداد ثم غدوا بأصحاب طاهر وحملوا عليهم وهم غافلون منهم خلفا وصبر لهم أصحاب ثم نهضوا إليهم وحملوا عليهم فهزموهم وقتل أميرهم عبد الرحمن بن جبلة وفر أصحابه خائبين فلما رجعوا إلى بغداد اضطربت الأمور وكثرت الأراجيف وكان ذلك في ذي الحجة من هذه السنة وطرد طاهر عمال الأمين عن قوزين وتلك النواحي وقوي أمر المأمون جدا بتلك البلاد وفي ذي الحجة من هذه السنة ظهر أمر السفيناني بالشام واسمه على بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فعزل نائب الشام عنها ودعا إلى نفسه فبعث إليه الأمين جيشا فلم يقدموا عليه بل أقاموا بالرقعة ثم كان من أمره ما سنذكره وحج بالناس فيها نائب الحجاز داود ابن عيسى وفيها كانت وفاة جماعة من الأعيان منهم إسحاق بن يوسف الأزرق أحد أئمة الحديث روى عنه أحمد وغيره ومنهم بكار بن عبد الله

ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير كان نائب المدينة للرشيد ثنتي عشرة سنة وشهرا وقد أطلق الرشيد على يديه لأهلها ألف ألف دينار ومائتي ألف دينار وكان شريفا جوادا معظما وفيها توفي أبو نواس الشاعر

واسمه الحسن بن هانئ بن صباح بن عبد الله بن الجراح بن هنب بن داود بن غنم بن سليم ونسبه عبد الله بن سعد إلى الجراح بن عبد الله الحكمي ويقال له أبو نواس البصري كان أبوه من أهل دمشق من جند مروان بن محمد ثم صار إلى الأهواز وتزوج امرأة يقال لها خلبان فولدت له أبا نواس وابنا آخر يقال له أبا معاذ ثم صار أبو نواس إلى البصرة فتأدب بها على أبي زيد وأبي عبيدة وقرأ كتاب سيبويه ولزم خلفا الأحمر وصحب يونس بن حبيب الجرمي النحوي وقد قال القاضي ابن خلكان صحب أبا أسامة وابن الحباب الكوفي وروى الحديث عن أزهر بن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وعبد الواحد بن زياد ومعتمر بن سليمان وبجي القطان وعنه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفي وحدث عنه جماعة منهم الشافعي وأحمد بن حنبل وغندر ومشاهير العلماء ومن مشاهير حديثه ما رواه محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم إلى وهو يحسن الظن بالله فإن حسن الظن بالله ثمن الجنة وقال محمد بن إبراهيم دخلنا عليه وهو في الموت فقال له صالح بن علي الهاشمي يا أبا علي أنت اليوم في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وبينك وبين الله هنات فتب إلى الله من عملك فقال إياي تخوف بالله اسندوني قال فأسندناه فقال حدثني حماد بن سلمة

عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي شفاعاة وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكباير من أمتى يوم القيامة ثم قال أفلا تراني منهم وقال أبو نواس ما قلت الشعر حتى رويت عن ستين امرأة منهن خنساء وليلى فما الظن بالرجال وقال يعقوب بن السكيت إذا رويت الشعر عن امرئ القيس والأعشى من أهل الجاهلية ومن الاسلاميين جرير والفرزدق ومن المحدثين عن أبي نواس فحسبك وقد أتى

عليه غير واحد منهم الأصمعي والجاحظ والنظام قال أبو عمرو الشيباني لولا أن أبا نواس
 أفسد شعره بما وضع فيه من الأقدار لا حتجنا به يعنى شعره الذي قاله في الخمريات
 والمردان وقد كان يميل إليهم ونحو ذلك مما هو معروف في شعره
 واجتمع طائفة من الشعراء عند المأمون ف قيل لهم أيكم القائل
 فلما تحساها وقفنا كأننا * نرى قمرا في الأرض يبلغ كوكبا
 قالوا أبو نواس قال فأيكم القائل * إذا نزلت دون اللهاة من الفتى
 دعى همه عن قبله برحيل
 قالوا أبو نواس قال فأيكم القائل
 فتمشيت في مفاصلهم * كتمشى البرؤ في السقم
 قالوا أبو نواس قال فهو أشعركم وقال سفيان بن عيينة لابن منذر ما أشعر ظيفكم أبا نواس
 في قوله
 يا قمرا أبصرت في مآتم * يندب شجو بين أتراب
 أبرزه المآتم لي كارها * برغم ذي باب وحجاب
 يبكي فيذري الدر من عينه * ويلطم الورد يعناب
 لا زال موتا داب أحبابه * ولم تزل رؤيته دابي
 قال ابن الأعرابي أشعر الناس أبو نواس في قوله
 تسترت من دهري بكل جناحه فعينى ترى دهري وليس يراني
 فلو تسأل الأيام عني ما درت * وأين مكاني ما عرفن مكاني
 وقال أبو العتاهية قلت في الزهد عشرين ألف بيت وددت أن لي مكانها الأبيات الثلاثة التي
 قالها أبو نواس وهي هذه وكانت مكتوبه على قبره
 يا نواسي توقر * أو تغير أو تصبر
 إن يكن ساءك دهر * فلما سرك أكثر
 يا كثير الذنب * عفو الله من ذنبك أكبر
 ومن شعر أبي نواس يمدح بعض الأمراء
 أوجده اله فما مثله * بطالب ذلك ولا ناشد
 ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد
 وأنشد سفيان بن عيينة قول أبي نواس
 ما هوى إلا له سبب
 يبتدي منه وينشعب * فتنت قلبي نجبة
 وجهها بالحسن منتقب
 خلته والحسن تأخذه * تنتقي منه وتنتخب
 فاكتست منه طرائفه * واستردت بعض ماتهب
 فهي لو صيرت فيه لها * عودة لم يثنها أرب
 صار جدا ما مزجت به * رب جد جره اللعب
 فقال ابن عيينة آمنت بالذي خلقها وقال ابن دريد قال أبو حاتم لو أن العامة بدلت هذين
 البيتين كتبهما بماء الذهب
 ولو أتني استزدتك فوق مابي * من البلوى لأعوزك المزيد
 ولو عرضت على الموتى حياتي * بعيش مثل عيشش لم يريدوا
 وقد سمع أبو نواس حديث سهيل عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال القلوب جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فنظم ذلك
 في قصيدة له فقال
 إن القلوب لأجناد مجندة * لله في الأرض بالأهواء تعترف
 فما تناكر منها فهو مختلف * وما تعارف منها فهو مؤتلف
 ودخل يوما أبو نواس مع جماعة من المحدثين على عبد الواحد بن زياد فقال لهم عبد الواحد
 ليختر كل واحد منكم عشرة أحاديث أحدثه بها فاختر كل واحد عشرة إلا أبا نواس فقال له
 مالك لا تختار كما اختاروا فأنشأ يقول

ولقد كنا روينا * عن سعيد عن قتادة
عن سعيد بن المسيب * ثم سعد بن عباد
وعن الشعبي والشعبي * شيخ ذو جلده
وعن الأخيار نحكي * وعن أهل الافادة
أن من مات محبا * فله أجر شهادة
فقال له عبد الواحد قم عني يا فاجر لا حدثك ولا حدث أحدًا من هؤلاء من أجلك فبلغ ذلك
مالك بن أنس وإبراهيم بن أبي يحيى فقالا كان ينبغي أن يحدثه لعل الله أن يصلحه
قلت وهذا الذي انشده أبو نواس قد رواه ابن عدي في كامله عن ابن عباس موقوفا
ومرفوعا من عشق فعف فكمات شهيدا ومعناه أن من ابتلى بالعشق من غير اختيار منه
فصبر

وعف عن الفاحشة ولم يفش ذلك فمات بسبب ذلك حصل له أجر كثير فإن صح هذا كان
ذلك له نوع شهادة والله أعلم
وروى الخطيب أيضا أن شعبة لقي أب نواس فقال له حدثنا من طرفك فقال مرتجلا حدثنا
الخفاف عن وائل وخالد الحذاء عن جابر ومسعر عن بعض أصحابه يرفعه الشيخ إلى عامر
قالوا جميعا أيما طفلة علقها ذو خلق طاهر فواصلته ثم دامت له على وصال الحافظ الذاكر
كانت له الجنة مفتوحة يرتع في مرتعها الزاهر وأي معشوق جفا عاشقا بعد وصال دائم ناصر
ففي عذاب الله بعدا له نعم وسحقا دائم ذاخر فقال له شعبة إنك لجميل الأخلاق وإني لأرجو
لك وأنشد أبو نواس أيضا

يا ساحر المقتلين والجيد * وقاتلي منك بالمواعيد
توعدني الوصل ثم تخلفني * وبلاي من خلفك موعودي
حدثني الأزرق المحدث عن * شهر وعوف عن ابن مسعود
ما يخلف الوعد غير كافرة * وكافر في الجحيم مصفود
فبلغ ذلك إسحاق بن يوسف الأزرق فقال كذب عدو الله على وعلي التابعين وعلى أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وعن سليم بن منصور بن عمار قال رأيت أبا نواس في مجلس
أبي يبكي بكاء شديدا فقلت إنني لأرجو أن لا يعذبك الله بعد هذا البكاء فأنشأ يقول
لم أبك في مجلس منصور * شوقا إلى الجنة والخور
ولا من القبر وأهواله * ولا من النفخة في الصور
ولا من النار وأغلالها * ولا من الخذلان والجور
لكن بكائي لكا شادن * تقيه نفسى كل محذور
ثم قال إنما بكيت لبكاء هذا الأمر الذي إلى جانبي أبيك وكان صيبا حسن الصورة يسمع
الوعظ فيبكي خوفا من الله عز وجل

قال أبو نواس دعاني يوما بعض الحاكة وألح على ليضيفني في منزله ولم يزل بي حتى أجبته
فسار إلى منزله وسرت معه فإذا منزل لا بأس به وقد احتفل الحائك في الطعام وجمع جمعا
من الحياك فأكلنا وشربنا ثم قال يا سيدي أشتهى أن تقول في جاريتي شيئا من الشعر وكان
مغرما بجارية له قال فقلت أرنبها حتى أنظم على شكلها وحسنها فكشف عنها فإذا هي
أسمج خلق الله وأوحشهم سوداء شمطاء ديدانية يسيل لعابها على صدرها فقلت لسيدها ما
اسمها فقال تسنيم فأنشأت أقول
أسهر ليلي حب تسنيم * جارية في الحسن كالبوم
كانما نكهتها كامخ * أو حزمة من حزم الثوم
ضربت من حبي لها ضرطة * أفرغت منها ملك الروم
قال فقام الحائك يرقص ويصفق سائر يومه ويفرح ويقول إنه شبهها والله بملك الروم ومن
شعره أيضا

أبرمنى الناس يقولون * بزعمهم كثرت أوزاربه
إن كنت في النار أم في جنة * ماذا عليكم يابني الزانية
وبالجملة فقد ذكروا له أمورا كثيرة ومجونا وأشعارا منكرة وله في الخمريات والفاذرات
والتشبيب بالمردان والنسوان أشياء بشعة شنيعة فمن الناس من يفقه ويرميه بالفاحشة

ومنهم من يرميه بالزندقة ومنهم من يقول كان إنما يخرب على نفسه والأول أظهر لما في أشعاره فاما الزندقة فبعيدة عنه ولكن كان فيه مجون وخلاعة كثيرة وقد عزوا إليه في صغره وكبره أشياء منكرة الله أعلم بصحتها والعامه تنقل عنه أشياء كثيرة لاحقيقة لها وفي صحن جامع دمشق قبة يفور منها الماء يقول الدماشقة قبة أبي نواس وهي مبنية بعد موته بأزيد من مائة وخمسين سنة فما أدري لأي شئ نسبت إليه فالله أعلم بهذا وقال محمد بن أبي عمر سمعت أبا نواس يقول والله ما فتحت سراويلي لحرام قط وقال له محمد الأمين بن الرشيد أنت زنديق فقال يا امير المؤمنين لست بزنديق وأنا أقول أصلى الصلاة الخمس في حين وقتها * وأشهد بالتوحيد لله خاضعا وأحسن غسلى إن ركبت جنابة * وإن جاءني المسكين لم أك مانعا وإني إن حانت من الكاس دعوة * إلى بيعة الساقى أجبت مسارعا وأشهر بها صرفا على جنب ما عز * وجدي كثير الشخم أصبح راضعا وجواذب حوارى ولوز وسكر * وما زال للخمار ذلك نافعا وأجعل تخليط الروافض كلهم * لنفخة بختيشوع في النار طائعا فقال له الأمين ويحك وما الذي ألجأك إلى نفخة بختيشوع فقال به تمت القافية فأمر له بجائزة وبختيشوع الذي ذكره هو طيب الخلفاء وقال الجاحظ لا أعرف في كلام الشعراء أرق ولا أحسن من قول أبي نواس حيث يقول
أبه نار قدح القادح * وأى جد بلغ المازح
لله در الشيب من واعظ * وناصح لو خطئ الناصح
يأبى الفتى إلا اتباع الهوى * ومنهج الحق له واضح
فاسم بعينك إلى نسوة * مهورهن العمل الصالح
لا يجتلي الحوراء في خدرها * إلا امرؤ ميزانه راجح
من اتقى الله فذاك الذي * سيق إليه المتجر الراجح
فاغد فما في الدين أغلوطة * ورح لما أنت له رائج
وق استنشده أبو عفان قصيدته التي في أولها لا تنس ليلى ولا تنظر إلى هند فلما فرغ منها سجد له أبو عفان فقال له أبو نواس والله لا أكلمك مدة قال فغمنى ذلك فلما أردت الانصراف قال متى أراك فقلت ألم تقسم فقال الدهر أقصر من أن يكون معه هجر
ومن مستجاد شعره قوله
الأرب وجه في التراب عتيق * وبارب حسن في التراب رقيق
ويارب حزم في التراب ونجده * ويارب رأى في التراب وثيق
فقل لقريب الدار إنك ظاعن * إلى سفر نائي المحل سحيق
أرى كل حي هالكا وابن هالك * وذا نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشف * له عن عده في لباس صديق
وقوله * لا تشرهن فإن الذل في الشرة
والعز في احلم لا في الطيش والسفه
وقل لمغتبط في التيه من حمق * لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فانتبه
وجلس أبو العتاهية القاسم بن إسماعيل على دكان وراق فكتب على ظهر دفتر هذه الأبيات
أيا عجبا كيف يعصى الاله * أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شئ له آية * تدل على إنه الواحد
ثم جاء أبو نواس فقرأها فقال أحسن قائله والله والله لوددت أنها لى بجميع شئ قلته لمن
هذه قيل له لأبي العتاهية فأخذ فكتب في جانبها
سبحان من خلق الخلق * من ضعف مهين
يسوقه من قرار * إلى قرار مكين
يخلق شيئا فشيئا * في الحجب دون العيون
حتى بدت حركات
مخلوقة في سكون

ومن شعره المستجاد قوله
 انقطت شدتي فعفت الملاهي إذ * رمى الشيب مفرقي بالدواهي
 ونهتني لانهي فملت إلى العدل * وأشفقت من مقالة ناهي
 أيها الغافل المقر على السهو * ولا عذر في المعاد لساوي
 لا بأعمالنا نطيق خلاصا * يوم تبدو السماء فوق الجباه
 على أنا على الاساءة والتفريط * نرجو من حسن عفو الاله
 وقوله * نموت ونبلى غير أن ذنوبنا
 إذا نحن متنا لا تموت ولا تبلى
 الأرب ذي عينين لا تنفعانه * وما تنفع العينان من قلبه أعمى
 وقوله * لو أن عينا أوهمتها نفسها
 يوم الحساب ممثلا لم تطرف
 سبحان ذي الملكوت أية ليلة * حمقت صبيحتها بيوم الموقف
 كتب الفناء على البرية ربها * فالناس بين مقدم ومخلف
 وذكر أن أبا نواس لما أراد الاحرام بالحج قال * يا مالكا ما أعدك مليك كل من ملك
 لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك
 عبدك قد أهل لك أنت له حيث سلك * لولاك يارب هلك لبيك إن الحمد لك
 والملك لا شريك لك والليل لما أن حلك * والسابحات في الفلك على مجاري تنسلك
 كل نبي وملك وكل من أهل لك * سبح أو صلى فلك لبيك إن الحمد لك
 والملك لا شريك لك يا مخطئا ما أجهلك * عصيت ربا عدلك وأقدرك وأمهلك
 عجل وبادر أملك واختم بخير عملك * لبيك إن الحمد لك والملك لا شريك لك
 وقال المعافي بن زكريا الحريري ثنا محمد بن العباس بن الوليد سمعت أحمد بن يحيى بن
 ثعلب يقول دخلت على أحمد بن حنبل فرأيت رجلا تهمة نفسه لا يحب أن يكثر عليه كان
 النيران قد سعرت بين يديه فمازلت أترفق به وتوسلت إليه أني من موالي شيان حتى
 كلمني فقال في أي شئ نظرت من العلوم فقلت في اللغة والشعر قال رأيت بالبصرة
 جماعة يكتبون عن رجل الشعر قيل لي هذا أبو نواس فتخللت الناس ورائي فلما جلست إليه
 أملى علينا
 إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل * خلوت ولكن في الخلاء رقيب
 ولا تحسبن الله يغفل ساعة * ولا أتما يخفي عليه يغيب
 لهونا عن الآثام حتى تتابعت * ذنوب على آثارهن ذنوب
 فياليت أن الله يغفر ما مضى * وبأذن في توباتنا فنتوب
 وزاد بعضهم في رواية عن أبي نواس بعد هذه الأبيات
 أقول إذا ضاقت علي مذاهبي * وحلت بقلبي للهموم ندوب
 لطول جناباتي وعظم خطيئتي * هلكت ومالي في المتاعب نصيب
 واغرق في بحر المخافة آيسا * وترجع نفسي تارة فنتوب
 وتذكرني عفو الكريم عن الوري * فأحيا وأرجو عفو فأنيب
 وأخضع في قول وأرغب سائلا * عسى كاشف البلوى علي يتوب
 قال ابن طراز الجريدي وقد رويت هذه الابيات لمن قيل لأبي نواس وهي في زهدياته وقد
 استشهد بها النحاة في أماكن كثيرة قد ذكرناها وقال حسن بن الداية دخلت على أبي نواس
 وهو في مرض الموت فقلت عطني فأنشأ يقول
 فكثر ما استطعت من الخطايا * فإنك لاقيا ربا غفورا
 ستبصر إن وردت عليه غفوا * وتلقى سيديا ملكا قديرا
 تعض ندامة كفيك مما * تركت مخافة النار الشرورا
 فقلت ويحك بمثل هذا الحال تعطني بهذه الموعظة اسكت حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت
 عن أنس قال قال صلى الله عليه وسلم ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي وقد تقدم
 بهذا الاسناد عنه لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله وقال الربيع وغيره عن الشافعي

قال دخلنا على أبي نواس في اليوم الذي مات فيه وهو يجود بنفسه فقلنا ما أعددت لهذا اليوم فأنشأ يقول

تعاظمني ذنوبي فلما قرنته * بعفوك ربي كان عفوك أعظما
ومازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل * تجود وتعفو منه وتكرما
ولولاك لم يقدر لا بليس عابد * وكيف وقد أغوى صفيك أما
رواه ابن عساكر وروى أنهم وجدوا عند رأسه رقعته مكتوبا فيها بخطه
يارب إن عظمت ذنوبي كثرة * فلقد علمت بأن عفوك أعظم
أدعوك ربي كما أمرت تضرعا * فاذا رددت يدي فمن ذا يرحم
ان كان لا يرجوك إلا محسن * فمن الذي يرجو المسئ المجرم
مالي اليك وسيلة إلا الرجا * وجميل عفوك ثم أني مسلم
وقال يوسف بن الداية دخلت عليه وهو في السياق فقلت كيف تجدك فأطرق مليا ثم رفع رأسه فقال

دب في الفناء سفلا وعلوا * وأراني أموت عضوا فعضوا
ليس يمضى من لحظة بي إلا * نقصتني بمرها في جزوا
ذهبت جدتي بلذة عيشي * وتذكرت طاعة الله نضوا
قد أسأنا كل الإساءة فاللهم * صفحنا عنا وغفرا وعفوا
ثم مات من ساعته سامحنا الله وإياه آمين
وقد كان نقش خاتمه لا إله إلا الله مخلصا فأوصى أن يجعل في فمه إذا غسلوه ففعلوا به ذلك ولما

مات لم يجدوا له من المال سوى ثلثمائة درهم وثيابه وأثاثه وقد كانت وفاته في هذه السنة ببغداد ودفن في مقابر الشونيزي في تل اليهود وله خمسون سنة وقيل ستون سنة وقيل تسع وخمسون سنة وقد رآه بعض أصحابه في المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لي بأبيات قلتها في النرجس

تفكر في نبات الأرض وانظر * إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات * بأبصار هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات * بأن الله ليس له شريك
وفي رواية عنه أنه قال غفر لي بأبيات قلتها وهي تحت وسادتي فجأؤا فوجدوها برقعة في خطه

يارب إن عظمت ذنوبي كثيرة * فلقد علمت أن عفوك أعظم
الآيات وقد تقدمت وفي رواية لابن عساكر قال بعضهم رأته في المنام في هيئة حسنة ونعمة عظيمة فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لي قلت بماذا وقد كنت مخلطا على نفسك فقال جاء ذات ليلة رجل صالح إلى المقابر فبسط رداءه وصلى ركعتين قرأ فيها ألفى قل هو الله أحد ثم أهدى ثواب ذلك لأهل تلك المقابر فدخلت أنا في جملتهم فغفر الله لي وقال ابن خلكان أول شعر قاله أبو نواس لما صحب أبا أسامه والبة بن الحباب حامل الهوى تعب يستخفه الطرب * إن بكى يحق له ليس ما به لعب
تضحكين لاهية والمحب ينتحب * تعجبين من سقمى صحتى هي العجب
وقال المأمون ما أحسن قوله * وما الناس إلا هالك وابن هالك
وذو نسب في الهالكين عريق

إذا امتحن الدنيا لبب تكشفت * له عن عدو في لباس صديق
قال ابن خلكان وما أشد رجاءه بربه حيث يقول * تحمل ما استطعت من الخطايا
فإنك لاقيا ربا غفورا

ستبصر إن قدمت عليه عفوا * وتلقى سيذا ملكا كبيرا
تعص ندامة كفيك مما * تركت مخافة النار الشرورا

2 ثم دخلت سنة ست وتسعين ومائة

@ فيها توفي أبو معاوية الضرير أحد مشايخ الحديث الثقات المشهورين والوليد بن مسلم
الدمشقي تلميذ الأوزاعي وفيها حبس الأمين أسد بن يزيد لأجل أنه نقم على الأمين لعيه

وتهاونه في أمر الرعية وارتكابه للصيد وغيره في هذا الوقت وفيها وجه الأمين أحمد بن يزيد وعبد الله بن حميد ابن قحطبة في أربعين ألفا إلى حلوان لقتال طاهر بن الحسين من جهة المأمون فلما وصلوا إلى قريب

من حلوان خندق طاهر على جيشه خندقا وجعل يعمل الحيلة في إيقاع الفتنة بين الأميرين فاختلغا فرجعا ولم يقاتلاه ودخل طاهر إلى حلوان وجاءه كتاب المأمون بتسليم ما تحت يده إلى هارثمة بن أعين وأن يتوجه هو إلى الأهواز ففعل ذلك وفيها رفع المأمون وزيره الفضل بن سهل وولاه أعمالا كبارا وسماه ذاك الرياستين وفيها ولي الأمين نيابة الشام لعبد الملك بن صالح بن علي وقد كان أخرجه من سجن الرشيد وأمره أن يبعث له رجالا وجنودا لقتال طاهر وهارثمة فلما وصل إلى وقعت حروب كان مبدؤها من أهل حمص وتفاقم الأمر وطال القتال بين الناس ومات عبد الملك ابن صالح هنالك فرجع الجيش إلى بغداد صحبة الحسين بن علي بن ماهان فتلقيه أهل بغداد بالاكرام وذلك في شهر رجب من هذه السنة فلما وصل جاء رسول الله الأمين يطلبه فقال والله ما أنا بمسامر ولا مضحك ولا وليت له عملا ولا جبي على يدي مالا فلماذا يطلبني في هذه الليلة

سبب خلع الأمين وكيف افضت الخلافة إلى أخيه المأمون

لما أصبح الحسين بن علي بن ماهان ولم يذهب إلى الأمين لما طلبه وذلك بعد مقدمة بالجيش من الشام قام في الناس خطيبا وأبهم على الأمين وذكر لعبه وما يتعاطاه من اللهو وغير ذلك من المعاصي وأنه لا تصلح الخلافة لمن هذا حاله وأنه يريد أن يوقع البأس بين الناس ثم حثهم على القيام عليه والنهوض إليه وندبهم لذلك فالتف عليه خلق كثير وحم غير وبعث محمد الأمين إليه خيلا فاقتتلوا مليا من النهار فأمر الحسين أصحابه بالترجل إلى الأرض وأن يقاتلوا بالسيف والرماح فانهزم جيش الأمين وخلعه وأخذ البيعة لعبد الله المأمون وذلك يوم الأحد الحادي عشر من شهر رجب من هذه السنة ولما كان يوم الثلاثاء نقل الأمين من قصره إلى قصر أبي جعفر وسط بغداد وضيق عليه وقيده واضطهده وأمر العباس بن عيسى بن موسى أمه زبيدة أن تنتقل إلى هناك فامتنعت فضرها بالسوط وقهرها على الانتقال فنتقلت مع أولادها فلما أصبح الناس يوم الأربعاء طلبوا من الحسين بن علي أعطياتهم واختلفوا عليه وصار أهل بغداد فرقتين فرقة مع الأمين وفرقة عليه فاقتتلوا قتالا شديدا فغلب حزب الخليفة أولئك وأسروا الحسين بن علي ابن عيسى بن ماهان وقيده ودخلوا به على الخليفة ففكوا عنه قيوده وأجلسوا على سريره فعند ذلك أمر الخليفة من لم يكن معه سلاح من العامة أن يعطى سلاحا من الخزائن فانتهب الناس الخزائن التي فيها السلاح بسبب ذلك وأمر الأمين فأتى بالحسين بن علي بن عيسى فلامه على ما صدر منه فاعتذر إليه بأن عفو الخليفة حمله على ذلك فعفا عنه وخلع عليه واستوزره وأعطاه

الخاتم وولاه ما وراء بابه وولاه الحرب وسيره إلى حلوان فلما وصل إلى الجسر هرب في حاشيته وخدمه فبعث إليه الأمين من يردده فركبت الخيول وراءه فأدركوه فقاتلهم وقتلوه فقتلوه لمنتصف رجب وجاءوا برأسه إلى الأمين وجدد الناس البيعة للأمين يوم الجمعة ولما قتل الحسين بن علي بن عيسى هرب الفضل بن الربيع الحاجب واستحوذ طاهر بن الحسين على أكثر البلاد للمأمون واستتاب بها النواب وخلع أكثر أهل الأقاليم الأمين وبايعوا المأمون ودنا طاهر إلى المدائن فأخذها مع واسط وأعمالها واستتاب من جهته على الجهاز واليمن والجزيرة والموصل وغير ذلك ولم يبق مع الأمين من البلاد إلا القليل وفي شعبان منها عقد الأمين أربعمئة لواء مع كل لواء أمير وبعثهم لقتال هارثمة فالتقوا في شهر رمضان فكسروهم هارثمة وأسر مقدمهم علي بن محمد بن عيسى بن نهيك وبعث به إلى المأمون وهرب جماعة من جند طاهر فساروا إلى الأمين فأعطاهم أموالا كثيرة وأكرمهم وغلف لحاهم بالغالية فسموا جيش الغالية ثم ندبهم الأمين وأرسل معهم جيشا كثيفا لقتال طاهر فهزمهم طاهر وفرق شملهم وأخذ ما كان معهم واقترب طاهر من بغداد فخاصرها وبعث القصاد والجواسيس يلقون الفتنة بين الجند حتى تفرقوا شيئا ثم وقع بين الجيش وتشعبت الأصاغر على الأكابر واختلفوا على الأمين في سادس دي الحجة فقال بعض البغاددة قل لأمين الله في نفسه * ماشئت الجند سوى الغالية

وطاهر نفسي فدا طاهر * برسله والعدة الكافية
أضحى زمام الملك في كفه * مقاتلا للفتنة الباغية
يا ناكثا أسلمه نكته * عيوبه في خبثه فاشبه
قد جاءك الليث بشداته * مستكلبا في أسد ضارية
فاهرب ولا مهرب من مثله * إلا إلى النار أو الهاوية
فتفرق على الأمين شمله وحرار في أمره وجاء بن الحسين بجيوشه فنزل على باب الأنبار
يوم الثلاثاء لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة واشتد الحال على أهل البلد وأخاف الدغار
والشطار أهل الصلاح وخربت الديار وثارَت الفتنة بين الناس حتى قاتل الأخ أخاه للاهواء
المختلفه والابن أباه وجرت شرور عظيمة واختلفت الأهواء وكثر الفساد والقتل داخل البلد
وحج بالناس فيها العباس بن موسى بن عيسى الهاشمي من قبل طاهر ودعا للمأمون
بالخلافة بمكة والمدينة وهو أول موسم دعى فيه للمأمون
وفيهما توفي بقيه بن الوليد الحمصي إمام أهل حمص وفقهها ومحدثها
وحفص بن غياث القاضي
عاش فوق التسعين ولما احتضر بكى بعض أصحابه فقال له لا تبك والله ما حللت سراويلي
على حرام قط ولا جلس بين يدي خصمان فباليت على من وقع الحكم عليه منهما قريبا كان
أو بعيدا ملكا أو سوقة
وعبد الله بن مرزوق أبو محمد الزاهد كان وزيرا للرشيد فترك ذلك كله وتزهد وأوصى عند
موته أن يطرح قبل موته على مزبلة لعل الله أن يرحمه
أبو شيب

الشاعر محمد بن زريق بن سليمان كان أستاذ الشعراء وإنشاء الشعر ونظمه أسهل عليه
من شرب الماء كذا قال ابن خلكان وغيره وكان هو وأبو مسلم بن الوليد الملقب صريع
الغواني وأبو نواس ودعبل يجتمعون ويتناشدون وقد عمى أبو الشيب في آخر عمره ومن
جيد شعره قوله

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيدة * حبا لذكرك فليمنى اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم * إذ كان حظي منك حظي منهم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغرا * ما من يهون عليك ممن تكرم
2 ثم دخلت سنة سبع وتسعين ومائة

@ استهلكت هذه السنة وقد ألح طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين ومن معهما في حصار
بغداد والتصديق على الأمين وهرب القاسم بن الرشيد وعمه منصور بن المهدي إلى المأمون
فأكرمهما وولي أخاه القاسم جرجان واشتد حصار بغداد ونصب عليها المجانيق والعرادات
وضاق الأمين بهم ذرعا ولم يبق معه ما ينفق في الجند فاضطر إلى ضرب أنية الفضة
والذهب دراهم ودنانير وهرب كثير من جنده إلى طاهر وقتل من أهل البلد خلق كثير وأخذت
أموال كثيرة منهم وبعث الأمين إلى قصور كثيرة ودور شهيرة مزخرفة وأماكن ومحال كثيرة
فحرقها بالنار لما رأى في ذلك من المصلحة فعل كل هذا فرارا من الموت ولتدوم الخلافة
له فلم تدم وقتل وخربت دياره كما سيأتي قريبا وفعل طاهر مثل ما فعل الأمين حتى كادت
بغداد تخرب بكمالها فقال بعضهم في ذلك

من ذا أصابك يا بغداد * ألم تكوني زمانا قررة العين
ألم يكن فيك قوم كان مسكنهم * وكان قربهم زينا من الزين
صاح الغراب بهم بالبين فافترقوا * ماذا لقيت بهم من لوعة البين
استودع الله قوما ما ذكرتهم * إلا تحدر ماء العين من عيني
كانوا ففرقهم دهر وصدعهم * والدهر يصدع ما بين الفريقين
وقد أكثر الشعراء في ذلك وقد أورد ابن جرير من ذلك طرفا صالحا وأورد في ذلك قصيدة
طويلة جدا فيها بسط ما وقع وهي هول من الأهوال اقتصرناها بالكلية
واستحوذ طاهر على ما في الضياع من الغلات والحواصل للأمراء وغيرهم ودعاهم إلى
الأمان والبيعة للمأمون فاستجابوا جميعهم منهم عبد الله بن حميد بن قحطبة ويحيى بن على

بن ماهان ومحمد بن أبي العباس الطوسي وكاتبه خلق من الهاشميين والأمراء وصارت قلوبهم معه واتفق في بعض الأيام أن ظفر أصحاب الأمين ببعض أصحاب طاهر فقتلوا منهم طائفة عند قصر صالح فلما سمع الأمين بذلك بطر وأشر وأقبل على اللهو والشرب واللعب ووكّل الأمور وتديبها إلى محمد بن عيسى بن نهيك ثم قويت شوكة أصحاب طاهر وضعف جانب الأمين جدا وانحاز الناس إلى جيش طاهر وكان جانبه آمنا جدا لا يخاف أحد فيه من سرقة ولا نهب ولا غير ذلك وقد أخذ طاهر أكثر محال بغداد وأرباضها ومنع الملاحين أن يحملوا طعاما إلى من خالفه فغلبت الاسعار جدا عند من خالفه وندم من لم يكن خرج من بغداد قبل ذلك ومنعت التجار من القدوم إلى بغداد بشيء من البضائع أو الدقيق وصرفت السفن إلى البصرة وغيرها وجرت بين الفريقين حروب كثيرة فمن ذلك وقعة درب الحجارة كانت لأصحاب الأمين قتل فيها خلق من أصحاب طاهر كان الرجل من العيارين والحرافشة من البغاددة يأتي عريانا ومعه بارية مقيرة وتحت كتفه مخللة فيها حجارة فاذا ضربه الفارس من بعيد بالسهم اتقاه بباريته فلا يؤذيه وإذا اقترب منه رماه بحجر في المقلع أصابه فهزمهم لذلك ووقعة الشماسية أسر فيها هرثمة بن أعين فشق ذلك على طاهر وأمر بعقد جسر على دجلة فوق الشماسية وعبر طاهر بنفسه ومن معه إلى الجانب الآخر فقاتلهم بنفسه أشد القتال حتى أزالهم عن مواضعهم واسترد منهم هرثمة وجماعة ممن كانوا أسروهم من أصحابه فشق ذلك على محمد الأمين وقال في ذلك منيت بأشجع الثقلين قلبا * إذا ما طال ليس كما يطول له مع كل ذي يد رقيب * يشاهده ويعلم ما يقول فليس بمغفل أمرا عنادا * إذا ما الأمر ضيعة الغفول وضعف أمر الأمين جدا ولم يبق عنده مال ينفقه على جنده ولا على نفسه وتفرق أكثر أصحابه عنه وبقي مضطهدا ذليلا ثم انقضت هذه السنة بكمالها والناس في بغداد في قلاقل وأهوية مختلفة وقتال وحريق وسراقات وساءت بغداد فلم يبق فيها أحد يرد عن أحد كما هي عادة الفتن وحج بالناس فيها العباس بن موسى الهاشمي من جهة المأمون وفيها توفي شعيب بن حرب أحد الزهاد وعبد الله بن وهب إمام أهل الديار المصرية وعبدالرحمن بن مسهر أخو علي بن مسهر وعثمان بن سعيد الملقب بورش أحد القراء المشهورين الرواة عن نافع بن أبي نعيم ووكيع بن الجراح الرواسي أحد أعلام المحدثين مات عن ست وستين سنة *2* ثم دخلت سنة ثمان وتسعين ومائة @ فيها خامر خزيمة بن خازم على محمد الأمين وأخذ الأمان من طاهر ودخل هرثمة بن أعين من الجانب الشرقي وفي يوم الأربعاء لثمان خلون من المحرم وثب خزيمة بن خازم ومحمد بن علي بن عيسى على جسر بغداد فقطعاه ونصبا رايتهما عليه ودعوا إلى بيعة عبد الله المأمون وخلع محمد الأمين ودخل طاهر يوم الخميس إلى الجانب الشرقي فباشر القتال بنفسه ونادى بالأمان لمن لزم منزله وجرت عند دار الرقيق والكرخ وغيرهما وقعات وأحاطوا بمدينة أبي جعفر والخلد وقصر زبيدة ونصب المجانيق حول السور وحذاء قصر زبيدة ورماه بالمنجنيق فخرج الأمين بأمه وولده إلى مدينة أبي جعفر وتفرق عنه عامة الناس في الطريق لا يلوي أحد على أحد حتى دخل قصر أبي جعفر وانتقل من الخلد لكثرة ما يأتيه فيه من رمى المنجنيق وأمر بتحريق ما كان فيه من الأثاث والبسط والأمتعة وغير ذلك ثم حصر حصرا شديدا ومع هذه الشدة والصيق وإشرافه على الهلاك خرج ذات ليلة في ضوء القمر إلى شاطئ دجلة واستدعى بنيذ وجارية فغنته فلم ينطلق لسانها إلا بالفراقيات وذكر الموت وهو يقول غير هذا وتذكر نظيره حتى غنته آخر ما غنته أما ورب السكون والحرك * إن المنايا كثيرة الشرك ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك إلا لنقل السلطان من ملك * قد انقضى ملكه إلى ملك وملك ذي العرش دائم أبدا * ليس بفان ولا بمشترك قال فسبها وأقامها من عنده فعثرت في قدح كان له بلور فكسرته فتطير بذلك ولما ذهبت الجارية سمع صارخا يقول قضى الأمر الذي فيه تستفتيان فقال لجليسه ويحك ألا تسمع

فتسمع فلا يسمع شيئاً ثم عاد الصوت بذلك فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى قتل في رابع صفر يوم الأحد وقد حصل له من الجهد والضيق في حصره شيئاً كثيراً بحيث إنه لم يبق له طعام يأكله ولا شراب بحيث إنه جاع ليلة فما أتى برغيف ودجاجة إلا بعد شدة عظيمة ثم طلب ماء فلم يوجد له فبات عطشاناً فلما أصبح قتل قبل أن يشرب الماء كيفية مقتله

لما اشتد به الأمر اجتمع عنده من بقي معه من الأمراء والخدم والجند فشاورهم في أمره فقالت

طائفة تذهب بمن بقي معك إلى الجزيرة أو الشام فتتقوى بالأموال وتستخدم الرجال وقال بعضهم تخرج إلى طاهر وتأخذ منه أماناً وتباعد لأخيك فإذا فعلت ذلك فإن أخاك سيأمر لك بما يكفيك ويكفي أهلك من أمر الدنيا وغاية مرادك الدعة والراحة وذلك يحصل لك تاماً وقال بعضهم بل هرثمة أولى بأن يأخذ لك منه الأمان فإنه مولاكم وهو أخي عليك فمال إلى ذلك فلما كانت ليلة الأحد الرابع من صفر بعد عشاء الآخرة واعد هرثمة أن يخرج إليه ثم لبس ثياب الخلافة وطيلساناً واستدعى بولديه فشمهما وضمهما إليه وقال أستودعكما الله ومسح دموعه بطرف كفه ثم ركب على فرس سوداء وبين يديه شمعة فلما انتهى إلى هرثمة أكرمه وعظمه وركبا في حراقة في دجلة وبلغ هذا كله إلى هرثمة فلحقهما وهما في الحراقة فأمالها أصحابه فغرق من فيها غير أن الأمين سبى إلى الجانب الآخر وأسره بعض الجند وجاء فأعلم طاهراً فبعث إليه جنداً من العجم فجاءوا إلى البيت الذي هو فيه وعنده بعض أصحابه وهو يقول له ادن مني فاني أجد وحشة شديدة وجعل يلتف في ثيابه شديداً وقلبه يخفق خفقاناً عظيماً كاد يخرج من صدره فلما دخل عليه أولئك قال إنا لله وإنا إليه راجعون ثم دنا منه أحدهم فضربه بالسيف على مفرق رأسه فجعل يقول ويحكم أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا ابن هارون أنا أخو المأمون الله الله في دمي فلم يلتفتوا إلى شيء من ذلك بل تكاثروا عليه وذبحوه من قفاه وهو مكبوع على وجهه وذهبوا برأسه إلى طاهر وتركوا جثته ثم جاؤا بكرة إليها فلفوها في جل فرس وذهبوا بها وذلك ليلة الأحد لأربع ليال خلت من صفر من هذه السنة

شيء من ترجمته

هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور أبو عبد الله ويقال أبو موسى الهاشمي العباسي وأمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور كان مولده بالرصافة سنة سبعين ومائة قال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا عياش بن هشام عن أبيه قال ولد محمد الأمين بن هارون الرشيد في شوال سنة سبعين ومائة وأتته الخلافة بمدينة السلام بغداد ثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين وقيل ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم وقتل سنة ثمان وتسعين ومائة قتله قريش الدنداني وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فنصبه على ربح وتلا هذه الآية قل اللهم مالك الملك وكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام وكان طويلاً سمينا أبيض أفتى الأنف صغير العينين عظيم الكراديس بعيداً ما بين المنكبين وقد رماه بعضهم بكثرة اللعب والشرب وقلة الصلاة وقد ذكر ابن جرير طرفاً من سيرته في إكثاره من

قتناء السودان والخصيان وإعطائه الأموال والجواهر وأمره باحضار الملاحى والمغنين من سائر البلاد وأنه أمر بعمل خمس حراقات على صورة الفيل والأسد والعقاب والحية والفرس وأنفق على ذلك أموالاً جزيلاً جداً وقد امتدحه أبو نواس بشعر أقيح في معناه من صنيع الأمين فإنه قال في أوله

سخر الله للأمين مطايا * لم تسخر لصاحب المحراب
فإذا ما ركابه سرن برا * سار في الماء راكبا ليث غاب

ثم وصف كلا من تلك الحراقات واعتنى الأمين ببنائات هائلة للنزهة وغيرها وأنفق في ذلك أموالاً كثيرة جداً فكثير النكير عليه بسبب ذلك وذكر ابن جرير أنه جلس يوماً في مجلس أنفق عليه مالا جزيلاً في الخلد وقد فرش له بأنواع الحرير ونضد بأنية الذهب والفضة وأحضر ندماءه وأمر القهرمان أن تهئ له مائة جارية

حسنا وأمرها أن تبعثهن إليه عشرا بعد عشر يغنينه فلما جاءت العشر الأول اندفعن يغنين بصوت واحد

هو قتلوه كي يكونوا مكانه * كما غدرت بكسري مرارته
فغضب من ذلك وتبرم وضرب رأسها بالكأس وأمر بالقهرمانة أن تلقى إلى الأسد فأكلها
ثم استدعى بعشرة فاندفعن يغنين
من كان مسرورا بمقتل مالك * فليات نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبهن * يلطن قبل تبلج الأسحار
فطردهن واستدعي بعشر غيرهن فلما حضرن اندفعن يغنين بصوت واحد
كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم
فطردهن وقام من فوره وأمر بتخريب ذلك المجلس وتحريق ما فيه
وذكر أنه كان كثير الأدب فصيحا يقول الشعر ويعطى عليه الجوائز الكثيرة وكان شاعره أبا
نواس وقد قال فيه أبو نواس مدائح حسانا وقد وجده مسجوناً في حبس الرشيد مع الزنادقة
فأحضره وأطلقه وأطلق له مالا وجعله من ندمائه ثم حبسه مرة أخرى في شرب الخمر
وأطال حبسه ثم أطلقه وأطلق له مالا وجعله من ندمائه ثم حبسه مرة أخرى في شرب
الخمر وأطال حبسه ثم أطلقه وأخذ عليه العهد أن لا يشرب الخمر ولا يأتي الذكور من
المردان فامتثل ذلك وكان لا يفعل شيئاً من ذلك بعد ما استتابه بالأمين وقد تأدب على
الكسائي وقرأ عليه القرآن وروى الخطيب من طريقه حديثاً أورده عنه لما عزي في غلام له
توفي بمكة فقال حدثني أبي عن أبيه عن المنصور عن أبيه عن علي بن عبد الله عن أبيه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مات محرماً حشر ملياً
وقد قدمنا ما وقع بينه وبين أخيه من الاختلاف والفرقة حتى أفضى ذلك إلى خلعه وعزله ثم
إلى التضيق عليه ثم إلى قتله وأنه حصر في آخر أمره حتى احتاج إلى مصانعة هرثمة وأنه
ألقى في حراقة ثم ألقى منها فسبح إلى الشط الآخر فدخل دار بعض العامة وهو في غاية
الخوف والدهش والجوع والعري فجعل الرجل يلقنه الصبر والاستغفار فاشتغل بذلك ساعة
من الليل ثم جاء الطلب وراءه من جهة طاهر بن الحسين بن مصعب فدخلوا عليه وكان
الباب ضيقاً فتدافعوا عليه وقام إليهم فجعل يدافعهم عن نفسه بمخدة في يده فما وصلوا
إليه حتى عرقبوه وضربوا رأسه أو خاصرته بالسيف ثم ذبحوه وأخذوا رأسه وجثته فأتوا بهما
طاهراً ففرح بذلك فرحاً شديداً وأمر بصب الرأس فوق رمح هناك حتى أصبح الناس فنظروا
إليه فوق الرمح عند باب الأنبار وكثر عدد الناس ينظرون إليه ثم بعث طاهر برأس الأمين مع
ابن عمه محمد بن مصعب وبعث معه بالبردة والقضيب والنعل وكان من خوص مبطن
فسلمه إلى ذي الرياستين فدخل به على المأمون على ترس فلما رآه سح وأمر لمن جاء به
بألف درهم وقد قال ذو الرياستين حين قدم الرأس يؤلب على طاهر أمرناه بأن يأتي به
أسيراً فأرسل به إلينا عقيراً فقال المأمون مضى ما مضى وكتب طاهر إلى المأمون كتاباً
ذكر فيه صورة ما وقع حتى آل الحال إلى ما آل إليه
ولما قتل الأمين هدأت الفتن وخدمت الشرور وأمن الناس وطابت النفس ودخل طاهر بغداد
يوم الجمعة وخطبهم خطبة بليغة ذكر فيها آيات كثيرة من القرآن وأن الله يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد وأمرهم فيها بالجماعة والسمع والطاعة ثم خرج إلى معسكره فأقام به وأمر
بتحويل زبيدة من قصر أبي جعفر إلى قصر الخلد فخرجت يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع
الأول من هذه السنة وبعث بموسى وعبد الله ابني الأمين إلى عمهما المأمون بخراسان
وكان ذلك رابعاً سديداً وقد وثب طائفة من الجند على طاهر بعد خمسة أيام من مقتل الأمين
وطلبوا منه أرزاقهم فلم يكن عنده إذ ذاك مال فتحزبوا واجتمعوا ونهبوا بعض متاعه ونادوا يا
موسى يا منصور واعتقدوا أن موسى بن الأمين الملقب بالناطق هناك وإذا هو قد سيره إلى
عمه وانحاز طاهر بمن معه من القواد ناحية وعزم على قتالهم بمن معه ثم رجعوا إليه
واعتدروا وندموا فأمر لهم برزق أربعة أشهر بعشرين ألف دينار اقترضها من بعض الناس
فطابت الخواطر ثم إن إبراهيم بن المهدي قد أسف على قتل محمد الأمين بن زبيدة ورثاه
بآيات فبلغ ذلك المأمون فبعث إليه يعنفه ويلومه على ذلك وقد ذكر ابن جرير مرثي كثيرة

للناس في الأمين وذكر من أشعار الذين هجوه طرفا وذكر من شعر طاهر بن الحسين حين قتله قوله

ملكك الناس قسرا واقتدوا * وقتلت الجبارة الكبارا
ووجهت الخلافة نحو مرو * إلى المأمون تتندر ابتدارا
خلافة عبد الله المأمون بن الرشيد هارون

لما قتل أخوه محمد في رابع صفر من سنة ثمان وتسعين ومائة وقيل في المحرم استوسقت البيعة شرقا وغربا للمأمون فولى الحسن بن سهل نيابة العراق وفارس والأهواز والكوفة والبصرة والحجاز واليمن وبعث نوابه إلى هذه هذه الأقاليم وكتب إلى طاهر بن الحسين أن ينصرف إلى الرقة لحرب نصر بن شيبث وولاه نيابة الجزيرة والشام والموصل والمغرب وكتب إلى هرثمة بن أعين نيابة خراسان وفيها حج بالناس العباس بن عيسى الهاشمي وفيها توفي سفيان بن عيينة وعبد الرحمن ابن مهدي وبني القطان فهؤلاء الثلاثة سادة العلماء في الحديث والفقه وأسماء الرجال

2 ثم دخلت سنة تسع وتسعين ومائة

@ فيها قدم الحسن بن سهل بغداد نائبا عليها من جهة المأمون ووجه نوابه إلى بقية أعماله وتوجه طاهر إلى نيابة الجزيرة والشام ومصر وبلاد المغرب وسار هرثمة إلى خراسان نائبا عليها وكان قد خرج في أواخر السنة الماضية في ذي الحجة منها الحسن الهرثي يدعو إلى الرضى من آل محمد فجى الأموال وانتهب الأنعام وعات في البلاد فسادا فبعث إليه المأمون جيشا فقتلوه في المحرم من هذه السنة وفيها خرج بالكوفة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة يدعو إلى الرضى من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة وهو الذي يقال له ابن طباطبا وكان القائم بأمره وتدير الحرب بين يديه أبو السرايا السرى بن منصور الشيباني وقد اتفق أهل الكوفة على موافقته واجتمعوا عليه من كل فج عميق ووفدت إليه الأعراب من نواحي الكوفة وكان النائب عليها من جهة الحسن بن سهل سليمان ابن أبي جعفر المنصور فبعث الحسن بن سهل يلومه ويؤنبه على ذلك وأرسل إليه بعشرة آلاف فارس صحبة زاهر بن زهير بن المسيب فتقاتلوا خارج الكوفة فهزموا زاهرا واستباحوا جيشه ونهبوا ما كان عليه وذلك يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة فلما كان الغد من الوقعة توفي ابن طباطبا أمير الشيعة فجأة يقال إن أبا السرايا سمه وأقام مكانه غلاما أمرد يقال له محمد بم زيد بن علي ابن الحسين بن علي بن طالب وانعزل زاهر بمن بقي معه من أصحابه إلى قصر ابن هيرة وأرسل الحسن بن سهل مع عبدوس بن محمد أربعة آلاف فارس صورة مدد لزاهر فالتقواهم وأبو السرايا فهزمهم أبو السرايا ولم يفلت من أصحاب عبدوس أحد وانتشر الطالبيون في تلك البلاد وضرب أبو السرايا الدراهم والدنانير في الكوفة ونقش عليه إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا الآية ثم بعث أبو السرايا جيوشه إلى البصرة وواسط والمدائن فهزموا من فيها من النواب ودخلوها قهرا وقويت شوكتهم فأهم ذلك الحسن بن سهل وكتب إلى هرثمة يستدعيه لحرب أبي السرايا

فتمنع ثم قدم عليه فخرج إلى أبي السرايا فهزم أبا السرايا غير مرة وطرده حتى رده إلى الكوفة ووثب الطالبيون على دور بنى العباس بالكوفة فنهبوا وخربوا ضياعهم وفعلوا أفعالا قبيحة وبعث أبو السرايا إلى المدائن فاستجابوا وبعث إلى أهل مكة حسين بن حسن الأفطس ليقيم لهم الموسم فخاف أن يدخلها جهرة ولما سمع نائب مكة وهو داود بن عيسى بن موسى بن علي بن عبد الله بن عباس هرب من مكة طالبا أرض العراق وبقي الناس بلا إمام فستل مؤذنها أحمد ابن محمد بن الوليد الأزرقى أن يصلى بهم فأبى فقبل لقاضها محمد بن عبد الرحمن المخزومي فامتنع وقال لمن ادعوا وقد هرب نواب البلاد فقدم الناس رجلا منهم فصلى بهم الظهر والعصر وبلغ الخبر إلى حسين الأفطس فدخل مكة في عشرة أنفس قبل الغروب فطاف بالبيت ثم وقف بعرفة ليلا وصلّى بالناس الفجر بمزدلفه وأقام بقيه المناسك في أيام منى فدفع الناس من عرفة بغير إمام وفيها توفي إسحاق بن سليمان وابن نمير وابن سابور وعمرو العنبري والد مطيع البلخي ويونس بن بكير

2 ثم دخلت سنة مائتين من الهجرة

@ في أول يوم منها جلس حسين بن حسن الأفطس على طنفسة مثلثة خلف المقام وأمر بتجريد الكعبة ممما عليها من كساوى بنى العباس وقال نطهرها من كساويهم وكساها ملاءتين صفراوتين عليهما اسم أبي السرايا ثم أخذ ما في كنز الكعبة من الأموال وتبع ودائع بنى العباس فأخذها حتى أنه أخذ مال ذوي المال ويزعم أنه للمسودة وهرب منه الناس إلى الجبال وسبك ما على رؤس الأساطين من الذهب وكان ينزل مقدار يسير بعد جهد وقلعوا ما في المسجد الحرام من الشبايك وباعوها بالبخرس وأسأوا السيرة جدا فلما بلغه مقتل أبي السرايا كتم ذلك وأمر رجلا من الطالبين شيخا كبيرا واستمر على سوء السيرة ثم هرب في سادس عشر المحرم منها وذلك لما قهر هرثمة أبا السرايا وهزم جيشه وأخرجه ومن معه من الطالبين من الكوفة ودخلها هرثمة ومنصور بن المهدي فأمنوا أهلها ولم يتعرضوا لأحد وسار أبو السرايا بمن معه إلى القادسية ثم سار منها فاعترضهم بعض جيوش المأمون فهزمهم أيضا وجرح أبو السرايا بمن معه إلى القادسية ثم سار منها فاعترضهم بعض جيوش المأمون فهزمهم أيضا وجرح أبو السرايا جراحة منكرا جدا وهربوا يريدون الجزيرة إلى منزل أبي السرايا برأس العين فاعترضهم بعض الجيوش أيضا فأسروهم وأتوا بهم الحسن بن سهل وهو بالنهروان حين طردته الحربية فأمر بضرب عنق أبي السرايا فجزع من ذلك جزعا شديدا جدا وطيف برأسه وأمر بجسده أن يقطع اثنتين وينصب على جسرى بغداد فكان بني خروجه وقتله عشرة أشهر فبعث الحسن بن سهل بن محمد إلى المأمون مع رأس أبي السرايا وقال بعض الشعراء

لم ترض به الحسين بن سهل * بسيفك يا أمير المؤمنين
أدارت مرو رأسها أبي السرايا * وأبقت عبرة للعالمينا

وكان الذي في يده البصرة من الطالبين زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين ابن علي ويقال له زيد النار لكثرة ما حرق من البيوت التي للمسودة فأسره على بن سعيد وأمنه وبعث به وبمن معه من القواد إلى اليمن لقتال من هناك من الطالبين وفيها خرج باليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ويقال له الجزار لكثرة من قتل من أهل اليمن وأخذ من أموالهم وهو الذي كان بمكة وفعل فيها ما فعل كما تقدم فلما بلغه قتل أبي السرايا هرب إلى اليمن فلما بلغ نائب اليمن خبره ترك اليمن وسار إلى خراسان واجتاز بمكة وخذ أمه منها واستحوذ إبراهيم هذا على بلاد اليمن وجرت حروب كثيرة يطول ذكرها ورجع محمد بن جعفر العلوي عما كان يزعمه وكان قد ادعى الخلافة بمكة وقال كنت أظن أن المأمون قد مات وقد تحققت حياته وأنا أستغفر الله وأتوب إليه مما كنت ادعيت من ذلك وقد رجعت إلى الطاعة وأنا رجل من المسلمين ولما هزم هرثمة راسل أبا السرايا وهو الذي أمره بالظهور فاستدعاه المأمون إلى مرو فأمر به فضرب بين يديه ووطئ بطنه ثم رفع إلى الحبس ثم قتل بعد ذلك بأيام وانطوى خبره بالكلية ولما وصل خبر قتله إلى بغداد عبث العامة والحربية بالحسن ابن سهل نائب العراق وقالوا لا ترضى به ولا بعلمه ببلادنا وأقاموا إسحاق بن موسى المهدي نائبا واجتمع أهل الجانيين على ذلك والتفت على الحسن بن سهل جماعة من الأمراء والأجناد وأرسل من وافق العامة على ذلك من الامراء يحرضهم على القتال وجرت الحروب بينهم ثلاثة أيام في شعبان من هذه السنة ثم اتفق الحال على أن يعطيهم شيئا من ارزاقهم ينفقونها في شهر رمضان فما زال يمتلهم إلى ذي القعدة حتى يدرك الزرع فخرج في ذي القعدة زيد بن موسى الذي يقال له زيد النار وهو أخو أبي السرايا وقد كان خروجه هذه المرة بناحية الأنبار فبعث إليه على بن عثام نائب بغداد عن الحسن بن سهل والحسن بالمدائن إذ ذاك فأخذ وأتى به إلى علي ابن هشام وأطلقا الله ثارته

وبعث المأمون في هذه السنة يطلب من بقي من العباسيين وأحصى كم العباسيين فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفا ما بين ذكور وإناث وفيها قتلت الروم ملكهم البيون وقد ملكهم سبع سنين وملكوا عليهم ميخائيل نائبه وفيها قتل المأمون يحيى بن عامر بن إسماعيل لأنه قال للمأمون يا أمير الكافرين فقتل صبيرا بين يديه وفيها حج بالناس محمد بن المعتصم بن هارون الرشيد وفيها توفي من الأعيان

أسباط بن محمد وأبو ضمرة أنس بن عياض ومسلم بن قتيبة وعمر بن عبد الواحد وابن أبي فديك ومبشر بن إسماعيل ومحمد بن جبير ومعاذ بن هشام
2 ثم دخلت سنة إحدى ومائتين

@ فيها راود أهل بغداد منصور بن المهدي على الخلافة فامتنع من ذلك فراودوه على أن يكون نائبا للمأمون يدعوه له في الخطبة فأجابهم إلى ذلك وقد أخرجوا على بن هشام نائب الحسن بن سهل من بين أظهرهم بعد أن جرت حروب كثيرة بسبب ذلك وفيها عم البلاء بالعيارين والشطار والفساق ببغداد وما حولها من القرى كانوا يأتون الرجل يسألونه مالا يقرضهم أو يصلهم به فيمتنع عليهم فيأخذون جميع ما في منزله وربما تعرضوا للغلمان والنسوان ويأتون أهل القرية فيستأفون من الأنعام والمواشي ويأخذون ماشاؤوا من الغلمان والنسوان ونهبوا أهل قطر بل ولم يدعوا لهم شيئا أصلا فانتدب لهم رجل يقال له خالد الدريوش وآخر يقال له سهل بن سلامة أبو حاتم الأنصاري من أهل خراسان والتف عليهم جماعة من العامة فكفوا شرهم وقاتلوهم ومنعواهم من الفساد في الأرض واستقرت الأمور كما كانت وذلك في شعبان ورمضان وفي شوال منها رجع الحسن بن سهل إلى بغداد وصالح الجند وانفصل منصور بن المهدي ومن وافقه من الأمراء وفيها بايع المأمون لعلى الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد بن الحسن الشهيد بن على بن أبي طالب أن يكون ولي العهد من بعده وسماه الرضى من آل محمد وطرح لبس السواد وأمر بلبس الخضرة فلبسها هو وجنده وكتب بذلك إلى الآفاق والأقاليم وكانت مبايعته له يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وذلك أن المأمون رأى أن عليا الرضى خير أهل البيت وليس في بنى العباس مثله في عمله ودينه فجعله ولي عهده من بعده

بيعة أهل بغداد لإبراهيم بن المهدي
لما جاء الخير أن المأمون بايع لعلى الرضى بالولاية من بعده اختلفوا فيما بينهم فمن مجيب مبايع ومن أب ممانع وجمهور العباسيين على الامتناع من ذلك وقام في ذلك ابنا المهدي إبراهيم ومنصور فلما كان يوم الثلاثاء لخميس بقين من ذي الحجة أظهر العباسيون البيعة لإبراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك وكان أسود اللون ومن بعده لابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي وخلعوا المأمون فلما كان يوم الجمعة لليلتين بقينا من ذي الحجة أرادوا أن يدعوا للممون ثم من بعده لإبراهيم فقالت العامة لا تدعوا إلا إلى إبراهيم فقط واختلفوا واضطربوا فيما بينهم ولم يصلوا الجمعة وصلى الناس فرادى أربع ركعات وفيها افتتح نائب طبرستان جبالها وبلاد اللارز والشيرز وذكر ابن حزم أن سلما الخاسر قال في ذلك شعرا وقد ذكر ابن الجوزي وغيره أن سلما توفي قبل ذلك بسنتين فالله أعلم وفيها أصاب أهل خراسان والري وأصبهان مجاعة شديدة وغلا الطعام جدا وفيها تحرك بابك الخرمي واتبعه طوائف من السفلة والجهلة وكان يقول بالتناسخ وسيأتي ما آل أمره إليه وفيها حج بالناس إسحاق بن موسى بن عيسى الهاشمي وفيها توفي من الأعيان أبو أسامة حماد بن أسامة وحماد بن مسعدة وحريسي بن عمارة وعلى بن عاصم ومحمد بن محمد صاحب أبي السرايا الذي قد كان بايعه أهل الكوفة بعد ابن طباطبا

2 ثم دخلت سنة ثنتين ومائتين
@ في أول يوم منها بوع إبراهيم بن المهدي بالخلافة ببغداد وخلع المأمون فلما كان يوم الجمعة خامس المحرم صعد إبراهيم بن المهدي المنبر فبايعه الناس ولقب بالمبارك وغلب على الكوفة وأرض السود وطلب منه الجند أرزاقهم فمأطلهم ثم اعطاهم مائتي درهم لكل واحد وكتب لهم بتعويض من أرض السواد فخرجوا لا يمرون بشيء إلا انتهبوه وأخذوا حاصل الفلاح والسلطان واستتاب على الجانب الشرقي العباس بن موسى الهادي وعلى الجانب الغربي إسحاق بن موسى الهادي وفيها خرج خارجي يقال له مهدي بن علوان فبعث إليهم إبراهيم جيشا عليهم أبو إسحاق المعتصم ابن الرشيد في جماعة من الأمراء فكسره ورد كيده وفيها خرج أخو أبي السرايا فيبض بالكوفة فأرسل إليه إبراهيم بن المهدي من قاتله فقتل أخو أبي السرايا وأرسل برأسه إلى إبراهيم ولما كان ليلة أربع عشرة من ربيع الآخر

من هذه السنة ظهرت في السماء حمرة ثم ذهبت وبقي بعدها عمودان أحمران في السماء إلى آخر الليل وجرت بالكوفة حروب بين أصحاب إبراهيم وأصحاب المأمون واقتتلوا قتالا شديدا وعلى أصحاب إبراهيم السواد وعلى أصحاب المأمون الخضرة واستمر القتال بينهم إلى أواخر رجب

وفيها ظفر إبراهيم بن المهدي بسهل بن سلامة المطوع فسجنه وذلك أنه التف عليه جماعة من الناس يقومون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكن كانوا قد جاوزوا الحد وأنكروا على السلطان ودعوا إلى القيام بالكتاب والسنة وصار باب داره كأنه باب دار السلطان عليه السلاح والرجال وغير ذلك من أبهة الملك فقاتله الجند فكسروا أصحابه فألقى السلاح وصار بين النساء والنظارة ثم اختفى في بعض الدور فأخذ وجرى به إلى إبراهيم فسجنه سنة كاملة وفيها أقبل المأمون من خراسان قاصدا العراق وذلك أن علي بن موسى الرضى أخبر المأمون بما الناس فيه من الفتن والاختلاف بارض العراق وبأن الهاشميين قد أنهوا إلى الناس بأن المأمون مسحور ومسجون وأنهم قد نعموا عليك ببيعتك لعلي بن موسى وأن الحرب قائمة بين الحسن بن سهل وبين إبراهيم

ابن المهدي فاستدعى المأمون بجماعة من أمرائه وأقربائه فسألهم عن ذلك فصدقوا عليا فيما قال بعد أخذهم الأمان منه وقالوا له إن الفضل بن سهل حسن لك قتل هرثمة وقد كان ناصحا لك فعاجله قتله وإن طاهر بن الحسين مهد لك الأمور حتى قاد إليك الخلافة بزمامها فطرده إلى الرقة فقعد لا عمل له ولا تستنضه في أمر وإن الأرض تفتقت بالشرور والفتن من أقطارها فلما تحقق ذلك المأمون أمر بالرحيل إلى بغداد وقد فطن الفضل بن سهل بما تملا عليه أولئك الناصحون فضرب قوما واتف لحب بعضهم وسار المأمون فلما كان بسرخس عدا قوم على الفضل بن سهل وزير المأمون وهو في الحمام فقتلوه بالسيوف وذلك يوم الجمعة لليلتين خلتا من شوال وله ستون سنة فبعث المأمون في آثارهم فجئ بهم وهم أربعة من المماليك فقتلهم وكتب إلى أخيه الحسن بن سهل يعزبه فيه وولاه الوزارة مكانه وارتحل المأمون من سرخس يوم عيد الفطر نحو العراق وإبراهيم بن المهدي بالمداين وفي مقابلته جيش يقتلونه من جهة المأمون

وفيها تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل وزوج علي بن موسى الرضى بإبنته أم حبيب وزوج ابنه محمد بن علي بن موسى بإبنته الأخرى أم الفضل وحج بالناس إبراهيم بن موسى بن جعفر أخو علي الرضى ودعا لأخيه بعد المأمون ثم انصرف بعد الحج إلى اليمن وقد كان تغلب عليها حمدويه بن علي بن موسى بن ماهان وفيها توفي أيوب بن سويد وضمرة وعمرو بن حبيب والفضل بن سهل الوزير وأبو يحيى الحماني *2* ثم دخلت سنة ثلاث ومائتين

@ فيها وصل المأمون العراق ومر بطوس فنزل بها وأقام عند قبر أبيه أياما من شهر صفر فلما كان في آخر الشهر أكل علي بن موسى الرضى عينا فمات فجأة فصلى عليه المأمون ودفنه إلى جانب أبيه الرشيد وأسف عليه أسفا كثيرا فيما ظهر وكتب إلى الحسن بن سهل يعزبه فيه ويخبره بما حصل له من الحزن عليه وكتب إلى بني العباس يقول لهم إنكم إنما نقمتم على بسبب توليتي العهد من بعدي لعلي بن موسى الرضى وها هو قد مات فارجعوا إلى السمع والطاعة فأجابوه بأغلظ جواب كتب به إلى أحد وفيها تغلبت الثوار على الحسن بن سهل حتى قيد بالحديد وأودع في بيت فكتب الأمراء بذلك إلى المأمون فكتب إليهم إنني وأصل علي إثر كتابي هذا ثم جرت حروب كثيرة بين إبراهيم وأهل بغداد وتكروا عليه وأبغضوه وظهرت الفتن والشطار والفساق ببغداد وتفاقم الحال وصلوا يوم الجمعة ظهرا أمهم المؤذنون فيها من غير خطبة صلوا أربع ركعات واشتد الأمر واختلف الناس فيما بينهم في إبراهيم والمأمون ثم غلبت المأمونية عليهم

خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي لما كان يوم الجمعة المقبلة دعا الناس للمأمون وخلعوا إبراهيم وأقبل حميد بن عبد الحميد في جيش

من جهة المأمون فحاصر بغداد وطمع جندها في العطاء إذا قدم فطاوعوه على السمع والطاعة للمأمون

وقد قاتل عيسى بن محمد بن أبي خالد في جماعة من جهة إبراهيم بن المهدي ثم احتال عيسى حتى صار في أيدي المأمونية أسيرا ثم آل الحال إلى اختفاء إبراهيم بن المهدي في آخر هذه السنة

وكانت أيامه سنة وإحد عشر شهرا واثنى عشر يوما وقدم المأمون في هذا الوقت إلى همدان وجيوشه قد استنقذوا بغداد إلى طاعته وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان ابن علي وفيها توفي من الأعيان علي بن موسى

ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب القرشي الهاشمي العلوي الملقب بالرضي كان المأمون قد هم أن ينزل له عن الخلافة فأبى عليه ذلك فجعله ولي العهد من بعده كما قدمنا ذلك توفي في صفر من هذه السنة بطوس وقد روى الحديث عن أبيه وغيره وعنه جماعة منهم المأمون وأبو السلط الهروي وأبو عثمان المازني النحوي وقال سمعته يقول اله أعدل من أن يكلف العباد ما لا يطيقون وهم أعجز من أن يفعلوا ما يريدون ومن شعره

كلنا يأمل مدا في الأجل * والمنايا هن آفات الأمل
لاتغرنك أباطيل المنى * والزم القصد ودع عنك العلل
إنما الدنيا كظل زائل * حل فيه راكب ثم ارتحل
2 ثم دخلت سنة أربع ومائتين

@ فيها كان قدوم المأمون أرض العراق وذلك أنه مر بجرجان فأقام بها شهرا ثم سار منها وكان ينزل في المنزل يوما أو يومين ثم جاء إلى النهروان فأقام بها ثمانية أيام وقد كتب إلى طاهر بن الحسين وهو بالرقبة أن يوافيه إلى النهروان فوافاه بها وتلقاه رؤس أهل بيته والقواد وجمهور الجيش فلما كان يوم السبت الآخر دخل بغداد حين ارتفع النهار لأربع عشرة ليلة خلت من صفر في أهبة عظيمة وجيش عظيم وعليه وعلى جميع أصحابه وقتيانه الخصرة فلبس أهل بغداد وجميع بني هاشم الخصرة ونزل المأمون بالرصافة ثم تحول إلى قصر على دجلة وجعل الأمراء ووجوه الدولة يترددون إلى منزله على العادة وقد تحول لباس البغاددة إلى الخصرة وجعلوا يحرقون كل ما يجدونه من السواد فمكثوا كذلك ثمانية أيام ثم استعرض حوائج طاهر بن الحسين فكان أول حاجة سألها أن يرجع إلى لباس السواد فانه لباس آباءه من دولة ورثة الأنبياء فلما كان السبت الآخر وهو الثامن والعشرين من صفر جلس المأمون للناس وعليه الخصرة ثم إنه أمر بخلعة سوداء فألبسها طاهرا ثم البس بعده جماعة من الأمراء السواد فلبس الناس السواد وعادوا إلى ذلك فعلم منهم بذلك الطاعة والموافقة وقيل إنه مكث يلبس الخصرة بعد قدومه بغداد سبعا وعشرين يوما فالله أعلم

ولما جاء إليه عمه إبراهيم بن المهدي بعد اخفائه ست سنين وشهورا قال له المأمون أنت الخليفة الأسود فأخذ في الاعتذار والاستغفار ثم قال أنا الذي مننت عليه يا أمير المؤمنين بالعفو وأنشد المأمون عند ذلك

ليس يزري السواد بالرجل الشهم * ولا بالفتى الأديب الأريب
إن يكن للسواد منك نصيب * فبياض الأخلاق منك نصيب
قال ابن خلكان وقد نظم هذا المعنى بعض المتأخرين وهو نصر الله بن قلانس الاسكندري فقال

رب سوداء وهي ببيضاء فعل * حسد المسك عندها الكافور
مثل حب العيون يحسبه الناس * سوادا وإنما هو نور
وكان المأمون قد شاور في قتل عمه إبراهيم بن المهدي بعض أصحابه فقال له أحمد بن خالد الوزير الأحوال يا أمير المؤمنين إن قتلته فلك نظراء في ذلك وإن عفوت عنه فما لك نظير ثم شرع المأمون في بناء قصور على دجلة إلى جانب قصره وسكنت الفتن وانزاحت الشرور وأمر بمقاسمة أهل السواد على الخمسين وكانوا يقاسمون على النصف واتخذ القفيز الملحوم وهو عشرة مكابي بالملوك الأهوازي ووضع شيئا كثيرا من خراجات بلاد شتى ورفق بالناس في مواضع كثيرة وولى أخاه أبا عيسى بن الرشيد لأكوفة وولى أخاه صالحا

البصرة وولى عبيد الل بن الحسين ابن عبد اله بن العباس بن على بن أبي طالب نيابة
الحرمين وهو الذي حج بالناس فيها وواقع يحي بن معاذ بابك الخرمي فلم يظفر به وفيها
توفي من الأعيان جماعة منهم
ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي
وقد أفردنا له ترجمة مطولة في أول كتابنا طبقات الشافعيين ولنذكر ههنا ملخصا من ذلك
وبالله المستعان

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن
هاشم ابن المطلب بن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبى والسائب بن عبيد أسلم يوم
بدر وابنه شافع ابن السائب من صغار الصحابة وأمه أزدية وقد رأت حين حملت به كأن
المشترى خرج من فرجها حتى انقض بمصر ثم وقع في كل بلد منه شظية وقد ولد الشافعي
بغزة وقيل بعسقلان وقيل باليمن سنة خمسين ومائة ومات أبوه وهو صغير فحملته أمه إلى
مكة وهو ابن سنتين لئلا يضيع نسبه فنشأ بها وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ الموطأ
وهو ابن عشر وأفتى وهو ابن

خمس عشرة سنة وقيل ابن ثماني عشرة سنة أذن له شيخه مسلم بن خالد الزنجي وعن
باللغة والشعر وأقام في هذيل نحو من عشر سنين وقيل عشرين سنة فتعلم منهم لغات
العرب وفصاحتها وسمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ والأئمة وقرأ بنفسه الموطأ
على مالك من حفظه فأعجبه قراءته وهتمته وأخذ عنه علم الحجازيين بعد أخذه عن مسلم
بن خالد الزنجي وروى عنه خلق كثير قد ذكرنا أسماءهم مرتبين على حروف المعجم وقرأ
القرآن على إسماعيل بن قسطنطين عن شبيل عن ابن كثير عن مجاهد عن ابن عباس عن
أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل
وأخذ الشافعي الفقه عن مسلم بن خالد عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس وابن الزبير
وغيرهما عن جماعة من الصحابة منهم عمرو بن على وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم
وكلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفقه أيضا على مالك عن مشايخه وتفقه به
جماعة قد ذكرناهم ومن بعدهم إلى زماننا في تصنيف مفرد وقد روى ابن أبي حاتم عن أبي
بشر الدولابي عن محمد بن إدريس وراق الحميدي عن الشافعي أنه ولى الحكم بنجران من
أرض اليمن ثم تعصبوا عليه ووشوا به إلى الرشيد أنه يروم الخلافة فحمل على بغل في قيد
إلى بغداد فدخلها في سنة أربع وثمانين ومائة وعمره ثلاثون سنة فاجتمع بالرشيد فتناظر هو
ومحمد بن الحسن بين يدي الرشيد وأحسن القول فيه محمد بن الحسن وتبين للرشيد
فتناظر هو ومحمد بن الحسن بين يدي الرشيد وأحسن القول فيه محمد بن الحسن وتبين
للرشيد براءته مما نسب إليه وأنزله محمد بن الحسن عنده وكان أبو يوسف قد مات قبل
ذلك بسنة وقيل بسنتين وأكرمه محمد بن الحسن وكتب عنه الشافعي وقر بعير ثم أطلق له
الرشيد ألفي دينار وقيل خمسة آلاف دينار وعاد الشافعي إلى مكة ففرق عامة ما حصل له
في أهله وذوي رحمه من بنى عمه ثم عاد الشافعي إلى العراق في سنة خمس وتسعين
ومائة فاجتمع به جماعة من العلماء هذه المرة منهم أحمد بن حنبل وأبو ثور والحسين بن
على الكرابيسى والحارث بن شريح البقال وأبو عبد الرحمن الشافعي والزعفراني وغيرهم
ثم رجع إلى مكة ثم رجع إلى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة ثم انتقل منها إلى مصر فأقام
بها إلى أن مات في هذه السنة سنة أربع ومائتين وصنف بها كتابه الأم وهو من كتبه الجديدة
لأنها من رواية الربيع ابن سليمان وهو مصري وقد زعم إمام الحرمين وغيره أنها من القديم
وهذا بعيد وعجيب من مثله والله أعلم

وقد أثنى على الشافعي غير واحد من كبار الأئمة منهم عبد الرحمن بن مهدي وسأله أن
يكتب له كتابا في الأصول فكتب له الرسالة وكان يدعو له في الصلاة دائما وشيخه مالك بن
أنس وقتيبة ابن سعيد وقال هو إمام وسفيان بن عيينة ويحي بن سعيد القطان وكان يدعو له
أيضا في

صلاته وأبو عبيد ما رأيت أفصح ولا أعقل ولا أروع من الشافعي ويحي بن اكنم القاضي
وإسحاق بن راهوية ومحمد بن الحسن وغير واحد ممن يطول ذكرهم وشرح أقوالهم

وكان أحمد بن حنبل يدعو له في صلاته تحوا من أربعين سنة وكان أحمد يقول في الحديث الذي رواه أبو داود من طريق عبد الله بن وهب عن سعيد بن أبي أيوب عن شراحيل بن يزيد عن أبي علقمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها قال فعمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى والشافعي على رأس المائة الثانية وقال أبو داود الطيالسي حدثنا جعفر بن سليمان عن نصر بن معبد الكندي أو العبدي عن الجارود عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا قريشاً فإن عالمها يملأ الأرض علماً اللهم إنك أدقت أولها عذاباً ووبالاً فأذق آخرها نوالاً وهذا غريب من هذا الوجه وقد رواه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه قال أبو نعيم عبد الملك بن محمد الاسفراييني لا ينطبق هذا إلا على محمد بن إدريس الشافعي حكاه الخطيب وقال يحيى بن معين عن الشافعي هو صدوق لا بأس به وقال مرة لو كان الكذب له مباحاً مطلقاً لكانت مروءته تمنعه أن يكذب وقال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول الشافعي فقيه البدن صدوق اللسان وحكى بعضهم عن أبي رزعة أنه قال ما عند الشافعي حديث غلط فيه وحكى عن أبي داود نحوه

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة وقد سئل هل سنة لم تبلغ الشافعي فقال لا ومعني هذا أنها تارة تبلغه بسندها وتارة مرسله وتارة منقطعه كما هو الموجود في كتبه والله أعلم

وقال حرمله سمعت الشافعي يقول سميت ببغداد ناصر السنة وقال أبو ثور ما رأينا مثل الشافعي ولا هو رأى مثل نفسه وكذا قل لزعفراني وغيره وقال داود بن علي الظاهري في كتاب جمعه في فضائل الشافعي للشافعي من الفضائل مل لم يجتمع لغيره من شرف نسبه وصحة دينه ومعتقده وسخاوة نفسه ومعرفته بصحة الحديث وسقمه وناسخه ومنسوخه وحفظه الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء وحسن التصنيف وجودة الأصحاب والتلامذة مثل أحمد بن حنبل في زهده وورعه وإقامته على السنة ثم سرد أعيان أصحابه من البغاددة والمصريين وكذا عد أبو داود من جملة تلاميذه في الفقه أحمد بن حنبل وقد كان الشافعي من أعلم الناس بمعاني القرآن والسنة واشد الناس نزاعاً للدلائل منهما وكان من أحسن الناس قصداً وإخلاصاً كان يقول وددت أن الناس تعلموا هذا العلم ولا ينسب إلى شيء منه أبداً فأوجز عليه ولا يحمدوني وقد قال غير واحد عنه إذا صح عندكم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا به ودعوا قولي فأني أقول به وإن لم تسمعوا مني وفي رواية فلا تقلدوني وفي رواية فلا تلتفتوا إلى قولي وفي رواية فاضربوا بقولني عرض الحائط فلا قول لي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لأن يلقي الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقيه بشيء من الأهواء وفي رواية خير من أن يلقيه بعلم الكلام وقال لو علم الناس ما في الكلام من الأهواء لفرّوا منه كما يفرّون من الأسد وقال حكى في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد وبطاف بهم في القبائل وينادي عليهم هذا جزء من ترك الكتاب والسنة واقبل على الكلام

وقال البيهقي سمعت الشافعي يقول عليكم بأصحاب الحديث فإنهم أكثر الناس صواباً وقال إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جزاهم الله خيراً حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل ومن شعره في هذا المعنى قوله

كل العلوم سوى القرآن مشغلة * إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا * وما سوى ذلك وسواس الشياطين
وكان يقول القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر وقد روى عن الربيع وغير واحد من رؤس أصحابه ما يدل على أنه كان بآيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف على طريقة السلف وقال ابن خزيمة أنشدني المزني وقال أنشدنا الشافعي لنفسه قوله
ما شئت كان وإن لم أشأ * وما شئت إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمت * ففي العلم يجري الفتى والمسمن
فمنهم شقى ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا أعنت وذا لم يعن
وقال الربيع سمعت الشافعي يقول أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو
بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وعن الربيع قال أنشدني الشافعي
قد عوج الناس حتى أحدثوا بدعا * في الدين بالرأى لم تبعث بها الرسل
حتى استخف بحق الله أكثرهم * وفي الذي حملوا من حقه شغل
وقد ذكرنا من شعره في السنة وكلامه فيها وفيما قال من الحكم والمواعظ طرفا صالحا
في الذي كتبتاه في أول طبقات الشافعية وقد كانت وفاته بمصر يوم الخميس وقيل يوم
الجمعة في آخر يوم من رجب سنة أربع ومائتين وعن أربع وخمسين سنة وكان أبيض جميلا
طولا مهيبا يخضب بالحناء مخالفا للشيعة رحمه الله وأكرم مثواه
وفيها توفي إسحاق بن الفرات وأشهب بن عبد العزيز المصري المالكي والحسن بن زياد
اللؤلؤي الكوفي الحنفي وأبو داود سليمان بن داود الطيالسي صاحب المسند أحد الحفاظ
وأبو بدر شجاع بن الوليد وأبو بكر الحنفي وعبد الكريم وعبد الوهاب بن عطا الخفاف والنضر
بن شميل أحد أئمة اللغة وهشام بن محمد بن السائب الكلبي أحد علماء التاريخ
2 ثم دخلت سنة خمس ومائتين

@ فيها ولى المأمون طاهر بن الحسين بن مصعب نياحة بغداد والعراق وخراسان إلى أقصى
عمل المشرق ورضى عنه ورفع منزلته جدا وذلك لأجل مرض الحسن بن سهل بالسواد
وولى المأمون مكان طاهر على الرقة والجزيرة يحيى بن معاذ وقدم عبد الله بن طاهر بن
الحسين إلى بغداد في هذه السنة وكان أبوه قد استخلفه على الرقة وأمره بمقاتلة نصر بن
شيث وولى المأمون عيسى ابن يزيد الجلودي مقاتله الزط وولى عيسى بن محمد بن أبي
خالد أذربيجان ومات نائب مصر السري بن الحكم بها ونائب السند داود بن يزيد فولى مكانه
بشر بن داود على أن يحمل إليه في كل سنة ألف درهم وحج بالناس فيها عبيد الله بن
الحسن نائب الحرمين وفيها توفي من الأعيان إسحاق بن منصور السلولي وبشر بن بكر
الدمشقي وأبو عامر العقدي ومحمد بن عبيد الطنافسي ويعقوب الحضري وأبو سليمان
الداراني عبد الرحمن بن عطية وقيل عبد الرحمن ابن أحمد بن عطية وقيل عبد الرحمن بن
عسكر أبو سليمان الداراني أحد أئمة العلماء العاملين أصله من واسط سكن قرية غربي
دمشق يقال لها داريا

وقد سمع الحديث من سفيان الثوري وغيره وروى عنه أحمد بن أبي الحواري وجماعة وأسند
الحافظ ابن عساكر من طريقة قال سمعت علي بن الحسن بن أبي الربيع الزاهد يقول
سمعت إبراهيم بن أدهم يقول سمعت ابن عجلان يذكر عن القعقاع بن حكيم عن أنس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى قبل الظهر أربعاً غفر الله ذنوبه
يومه ذلك وقال أبو القاسم القشيري حكى عن أبي سليمان الداراني قال اختلفت إلى
مجلس قاص فآثر كلامه في قلبي فلما قمت لم يبق في قلبي منه شيء فعدت إليه ثانية
فآثر في قلبي بعد ما قمت وفي الطريق ثم عدت إليه تالفة فآثر كلامه في قلبي حتى رجعت
إلى منزلي فكسرت آلات المخالفة ولزمت الطريق فحكيت هذه الحكاية ليحيى بن معاذ
فقال عصفور اصطاد كركيا يعنى بالعصفور القاص وبالكركي أبا سليمان وقال أحمد بن أبي
الحواري سمعت أبا سليمان يقول ليس لمن ألهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمع به
في الأثر فإذا سمع به في الأثر عمل به فكان نورا على نور وقال الجنيد قال أبو سليمان ربما
يقع في قلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة
قال وقال أبو سليمان أفضل الأعمال خلاف هوى النفس وقال لكل شيء علم وعلم الخذلان
ترك البكاء من خشية الله وقال لكل شيء صداً صداً نور القلب شيع البطن وقال كل ما
شغلك عن الله من أهل أو مال أو ولد فهو شؤم وقال كنت ليلة في المحراب أدعوا ويداي
ممدوتان فغلبني البرد فضمنت إحداهما وبقيت الأخرى مبسوطة أدعو بها وغلبتني عيني
فمنمت فهتف بي هاتف يا أبا سليمان قد وضعنا في هذه ما أصابها ولو كانت الأخرى لوضعنا
فيها قال فأليت على نفسي ألا أدعوا إلا ويداي خارجتان حرا كان أبو بردا وقال نمت ليلة عن

وردي فإذا أنا بحوراء تقول لي تنام وأنا أربي لك في الخدور منذ خمسمائة عام وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول إن في الجنة أنهارا على شاطئها خيام فيهن الحور ينشيء الله خلق الحوراء إنشاءً فإذا تكامل خلقها ضربت الملائكة عليهن الخيام الواحدة منهن جالسة على كرسي من ذهب ميل في ميل قد خرجت عجيزتها من جانب الكرسي فيجئ أهل الجنة من قصورهم يتنزهون على شاطئ تلك الأنهار ما شاؤا ثم يخلو كل رجل بواحدة منهن قال أبو سليمان كيف يكون في الدنيا حال من يريد اقتصاص الأبرار على شاطئ تلك الأنهار في الجنة

وقال سمعت أبا سليمان يقول ربما مكثت خمس ليال لا أقرأ بعد الفاتحة بآية واحدة أتفكر في معانيها ولربما جاءت الآية من القرآن فيطير العقل فسبحان من يردده بعد وسمعته يقول أصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل ومفتاح الدنيا الشيع ومفتاح الآخرة الجوع وقال لي يوما يا أحمد جوع قليل وعزى قليل وفقير قليل وصبر قليل وقد انقضت عنك أيام الدنيا وقال أحمد انتهت أبو سليمان يوما رغيفا حارا بملح فجثته به فعض منه عضة ثم طرحه وأقبل بيكي ويقول يارب عجلت لي شهوتي لقد أطلت جهدي وشقوتي وأنا نائب فلم يذق الملح حتى لحق بالله عز وجل قال وسمعته يقول ماضيت عن نفسي طرفة عين ولو أن أهل الأرض اجتمعوا على أن يضعوني كاتضاعى عند نفسي ما قدروا وسمعته يقول من رأى لنفسه قيمة لم يذق حلاوة الخدمة وسمعته يقول من حسن ظنه بالله ثم لم يخفه ويطعه فهو مخدوع وقال ينبغي للخوف أن يكون على العبد أغلب الرجاء فإذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب وقال لي يوما هل فوق الصبر منزلة فقلت نعم يعنى الرضا فصرخ صرخة غشى عليه ثم أفاق فقال إذا كان الصابرون يوفون أجرهم بغير حساب فما ظنك بالآخرى وهم الذين رضى عنهم وقال ما يسرنى أن لي الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها أنفقه في وجوه البر وإني أغفل عن الله طرفة عين وقال قال زاهد لزاهد أوصني فقال لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك فقال زدني فقال ما عندي زيادة وقال من أحسن في نهاره كوفيء في ليله ومن أحسن في ليلة كوفيء في نهاره ومن صدق في ترك شهوة أذهبها الله من قلبه والله أكرم من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له وقال إذا سكنت الدنيا القلب ترحلت منه الآخرة وإذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تراحمها وإذا كانت الدنيا في القلب لم تراحمها الآخرة لأن الدنيا لثيمة والآخرة كريمة وما ينبغي لكريم أن يراحم لثيما

وقال أحمد بن أبي الحواري بت ليلة عند أبي سليمان فسمعته يقول وعزتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك ولئن طالبتني ببخلي لأطالبنك بكرمك ولئن أمرت بي إلى النار لأخبرن أهل النار أنني أحبك وكان يقول لو شك الناس كلهم في الحق ما شككت فيه وحدي وكان يقول ما خلق الله خلقا أهون على من إبليس ولولا أن الله أمرني أن أتعود منه ما تعوذت منه أبدا ولو تبدي لي مالطمت إلا صفحة وجهه وقال إن اللص لا يجيء إلى خربة ينقب حيطانها وهو قادر على الدخول إليها من أى مكان شاء وإنما يجيء إلى البيت المعمور كذلك إبليس لا يجيء إلا إلا كل قلب عامر ليستنزله وينزله عن كرسيه ويسلبه أعز شيء وقال إذا أخلص العبد انقطعت عنه الوسوس والرويا وقال الرؤيا يعنى الجنابة وقال مكثت عشرين سنة لم أحتلم فدخلت مكة ففاتتني صلاة العشاء جماعة فاحتلمت تلك الليلة وقال إن من خلق الله قوما لا يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه فكيف يشتغلون بالدنيا عنه وقال الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضه فما الزهد فيها وإنما الزهد في الجنان والحوار العين حتى لا يرى الله في قلبك غيره وقا الجنيد شيء يروى عن أبي سليمان أنا استحسنته كثيرا قوله من اشتغل بنفسه شغل عن الناس ومن اشتغل بربه شغل عن نفسه وعن الناس وقال خير السخاء ما وافق الحاجة وقال من طلب الدنيا حلالا واستغناء عن المسألة واستغناء عن الناس لقي الله يوم يلقاه ووجهه كالقمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا مفاخرها ومكائرها لقي الله يوم يلقاه وهو عليه غضبان وقد روي نحو هذا مرفوعا وقال إن قوما طلبوا الغنى في المال وجمعه فأخطأوا من حيث ظنوا ألا وإنما الغنى في القناعة وطلبوا الراحة في الكثرة وإنما الراحة في القلة وطلبوا الكرامة من الخلق وإنما هي في التقوى وطلبوا التمتع في اللباس الرقيق اللين والطعام الطيب والمسكن الأنيق المنيق وإنما هو في

الاسلام والايمان والعمل الصالح والستر والعافية وذكر الله وقال لولا قيام الليل ما أحببت البقاء في الدنيا لغرس الأشجار ولا لكرى الأزهار وإنما أحبها لصيام الهواجر وقيام الليل وقال أهل الطاعة في ل ليلهم الذ من أهل الله في لهوهم وقال ربما استقبلني الفرح في جوف الليل وربما رايت القلب يضحك ضحكا وقال إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا فأقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب

وقال أحمد بن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول بينا أنا ساجد إذ ذهب بي النوم فاذا أنا بها يعنى الحوراء قد ركضتني برجلها فقالت حبيبي أترقد عينك والملك يقطن ينظر إلى المتجهدين في تهجدهم يؤسا لعين أثرت لذة نومة على لذة مناجاة العزيز قم فقد دنا الفراغ ولقي المحبون بعضهم بعضا فما هذا الرقاد حبيبي وقرة عيني أترقد عينك وأنا أتربي لك في الخدور منذ كذا وكذا قال فوثبت فزعا وقد عرفت حياء من تويخها إياي وإن حلاوة منطقتها لفي سمعي وقلبي وقال أحمد دخلت على أبي سليمان فإذا هو يبكي فقلت مالك فقال زجرت البارحة في منامي قلت ما الذي زجرك قال بينا أنا نائم في محرابي إذ وقفت على جارية تفوق الدنيا حسنا ويدها ورقه وهي تقول أتنام يا شيخ فقلت من غلبت عينه نام قالت كلا إن طالب الجنة لا ينام ثم قالت أتقرأ قلت نعم فأخذت الورقة من يدها فاذا فيها مكتوب لهت بك لذة عن حسن عيش * مع الخيرات في غرف الجنان

تعيش مخلدا لا موت فيها * وتنعم في الجنان مع الحسان تيقظ من منامك إن خيرا * من النوم التهجد في القرآن وقال أبو سليمان أما يستحي أحدكم أن يلبس عباءة بثلاثة دراهم وفي قلبه شهوة بخمسة دراهم وقال أيضا لا يجوز لأحد أن يظهر للناس الزهد والشهوات في قلبه فإذا لم يبق في قلبه شيء من الشهوات جاز له أن يظهر إلى الناس الزهد بلبس العبا فإنها علم من أعلام الزهاد ولو لبس ثوبين أبيضين لسيتر بهما أبصار الناس عنه وعن زهده كان أسلم لزهده من لبس العبا وقال إذا رأيت الصوفي يتنوق في لبس الصوف فليس بصوفي وخيار هذه الأمة أصحاب القطن أبو بكر الصديق وأصحابه وقال غيره إذا رأيت ضوء الفقير في لباسه فاعسل يدك من فلاحه وقال أبو سليمان الاخ الذي يعظك برؤيته قبل كلامه وقد كنت أنظر إلى الأخ من أصحابي بالعراق فانتفع برؤيته شهرا

وقال أبو سليمان قال الله تعالى عبدي إنك ما استحييت منى أنسيت الناس عيوبك وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك ومحوت زلاتك من أم الكتاب ولم أناقشك الحساب يوم القيامة وقال أحمد سألت أبا سليمان عن الصبر فقال والله إنك لا تقدر عليه في الذي تحب فكيف تقدر عليه فيما تكره وقال أحمد تنهدت عنده يوما فقال إنك مسؤول عنها يوم القيامة فإن كانت على ذنب سلف فطوبى لك وإن كانت على فوت دنيا أو شهوة فويل لك وقال إنما رجع من رجع من الطريق قبل وصول ولو وصلوا إلى الله ما رجعوا وقا إنما عصى الله من عصاه لهوانهم عليه ولو عزموا عليه وكرموا لحجزهم عن معاصيه وحال بينهم وبينها وقال جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل فيهم خصالا الكرم والحلم والعلم والحكمة والرأفة والرحمة والفضل والصفح والاحسان والبر والعفو واللطف

وذكر أبو عبد الرحمن السلمى في كتاب محن المشايخ أن أبا سليمان الداراني أخرج من دمشق

وقالوا إنه يرى الملائكة ويكلمونه فخرج إلى بعض الثغور فرأى بعض أهل الشام في منامه أنه إن لم يرجع إليهم هلكوا فخرجوا في طلبه وتشفعوا وتذللوا له حتى رده وقد اختلف الناس في وفاته على أقوال فقبل مات سنة أربع ومائتين وقيل سنة خمس ومائتين وقيل خمس عشرة ومائتين وقيل سنة خمس وثلاثين ومائتين قاله أعلم وقد قال مروان الطاطري يوم مات أبو سليمان لقد أصيب به أهل الاسلام كلهم قلت وقد دفن في قرية داريا في قبلتها وقبره بها مشهور وعليه بناء وقبلته مسجد بناه الأمير ناهض الدين عمر النهرواني وورق على المقيمين عنده وفقا يدخل عليهم منه غلة وقد جدد مزاره في زماننا هذا ولم أر ابن عساكر تعرض لموضع دفنه بالكوفة وهذا منه عجيب وروي ابن عساكر عن أحمد بن أبي الحواري قال كنت أشتتهى أن أرى أبا سليمان في المنام فرأيته بعد سنة فقلت له ما فعل الله بك يا معلم فقال يا أحمد دخلت يوما من باب الصغير فرأيت حمل شيخ

فأخذت منه عودا فما أدري تخللت به أو رميته فأنا في حسابه إلى الآن وقد توفي ابنه سليمان بعده بنحو من سنتين رحمهما الله تعالى ثم دخلت سنتة ست ومائتين

فيها ولى المأمون داود بن ماسجور بلاد البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين وأمره بمجارية الزط وفيها جاء مد كثير فغرق أرض السواد وأهلك للناس شيئا كثيرا وفيها ولى المأمون عبد الله ابن طاهر بن الحسين أرض الرقة وأمره بمحاربة نصر بن شيبث وذلك أن نائبا يحي بن معاذ مات وقد كان استخلف مكانه ابنه أحمد فلم يمض ذلك المأمون واستتاب عليه عبد الله بن طاهر لشهامته وبصره بالأمور وحته على قتال نصر بن شيبث وقد كتب إليه أبوه من خراسان بكتاب فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الكتاب والسنة وقد ذكره ابن جرير بطولته وقد تداوله الناس بينهم واستحسنوه وتهادوه بينهم حتى بلغ أمره إلى المأمون فأمر فقرأ بين يديه فاستجاده جدا وأمر أن يكتب به نسخ إلى سائر العمال في الأقاليم وحج بالناس عبيد الله بن الحسن نائب الحرمين وفيها توفي إسحاق بن بشر الكاهلي أبو حذيفة صاحب كتاب المبتدأ وحجاج بن محمد الأعور وداود بن المحبر الذي وضع كتاب العقل وسبابه بن سوار شبابة ومحاضرين بن المورد وقطرب صاحب المثلث في اللغة ووهب بن جرير ويزيد بن هارون شيخ الامام أحمد

2 ثم دخلت سنة سبع ومائتين

@ فيها خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ببلاد عك في اليمن يدعو إلى الرضى من آل محمد وذلك لما أساء العمال السرة وظلموا الرعايا فلما ظهر بايعه الناس فبعث إليه المأمون دينار بن عبد الله في جيش كثيف ومعه كتاب لعبد الرحمن هذا إن هو سمع

وأطاع فحضروا الموسم ثم ساروا إلى اليمن وبعثوا بالكتاب إلى عبد الرحمن فسمع وأطاع وجاء حتى وضع يده في يد دينار فساروا به إلى بغداد وليس السواد فيها وفي هذه السنة توفي طاهر بن الحسين بن مصعب نائب العراق وخراسان بكاملها وجد في فراشه ميتا بعد ما صلى العشاء الآخرة والتف في الفراش فاستبطأ أهله خروجه لصلاة الفجر فدخل عليه أخوه وعمه فوجداه ميتا فلما بلغ موته المأمون قال لليدين وللفم الحمد لله الذي قدمه وأخرنا وذلك أنه بلغه أن طاهرا خطب يوما ولم يدع للمأمون فوق المنبر ومع هذا ولى ولده عبد الله مكانه وأضاف إليه زيادة على ما كان ولاه أباه الجزيرة والشام نيابة فاستخلف على خراسان أخاه طلحة بن طاهر سبع سنين ثم توفي طلحة فاستقل عبد الله بجميع تلك البلاد وكان نائبه على بغداد إسحاق ابن إبراهيم وكان طاهر بن الحسين هو الذي انتزع بغداد والعراق وأغرورقت عيناه فقال له طاهر ما يبكيك يا أمير المؤمنين فلم يخبره فأعطى طاهر حسين الخادم مائتي الف درهم حتى استعلم له مما بكى أمير المؤمنين فأخبره المأمون وقال لا تخبر به أحدا وإلا أقتلك إني ذكرت قتله لأخي وما ناله من الاهانة علي يدي طاهر ووالله لاتفوته منى فلما تحقق طاهر ذلك سعى في النقلة من بين يدي المأمون ولم يزل حتى ولاه خراسان وأطلق له خادما من خدامه وعهد المأمون إلى الخادم إن رأى منه شيئا يريبه أن يسمه ودفع إليه سما لا يطاق فلما خطب طاهر ولم يدع للمأمون سمه الخادم في كامخ فمات من ليلته وقد كان طاهر هذا يقال له ذو اليمينين وكان أعور بفرد عين فقال فيه عمرو بن نباتة

ياذا اليمينين وعين واحدة * نقصان عين ويمين زائدة

واختلف في معنى قوله ذو اليمينين فقيل لأنه ضرب رجلا بشماله فقده نصفين وقيل لأنه ولي العراق وخراسان وقد كان كريما ممدحا يحب الشعراء ويعطيهم الجزيل ركب يوما في حراقة فقال فيه شاعر

عجبت لحراقة ابن الحسين * لا غرقت كيف لا تغرق

وبحران من فوقها واحد * وآخر من تحتها مطبق

وأعجب من ذلك أعوادها * وقد مسها كيف لا تورق

فأجازه بثلاثة آلاف دينار وقال إن زدتنا زدناك قال ابن خلكان وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في بعض الرؤساء وقد ركب البحر

ولما امتطى البحر ابتهلته تضرعا * إلى الله يا مجري الرياح بلطفه
جعلت الندى من كفه ومثل موجه
فسلمه واجعل موجه مثل كفه

مات طاهر بن الحسين هذا يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع ومائتين
وكان مولده سنة سبع وخمسين وكان الذي سار إلى ولده عبد الله إلى الرقة يعزبه في أبيه
ويهنيه بولاية تلك البلاد القاضي يحيى بن أكنم عن أمر المأمون وفيها غلا السعر ببغداد
والكوفة والبصرة حتى بلغ سعر القفير من الحنطة أربعين درهما وفيها حج بالناس أو على
بن الرشيد أخو المأمون

وفيها توفي بشر بن عمر الزهراني وجعفر بن عون وعبد الصمد بن عبد الوارث وقراد ابن
نوح وكثير بن هشام ومحمد بن كناسة ومحمد بن عمر الواقي قاضي بغداد وصاحب السير
والمغازي وأبو النصر هاشم بن القاسم والهيثم بن عدي صاحب التصانيف

يحيى بن زياد بن عبد الله بن منصور
أبو زكريا الكوفي نزيل بغداد بنى سعد المشهور بالفراء شيخ النخاعة واللغويين والقراء كان
يقال له أمير المؤمنين في النحو وروي الحديث عن حازم بن الحسن البصري عن مالك بن
دينار عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان
مالك يوم الدين بألف رواه الخطيب قال وكان ثقة إماما وذكر أن المأمون أمره بوضع كتاب
في النحو فأملاه وكتبه الناس عنه وأمر المأمون بكتبه في الخزائن وأنه كان يؤدب ولديه ولي
العهد من بعده فقام يوما فابتدراه أيهما يقدم نعليه فتنازعا في ذلك ثم اصطلحا على أن
يقدم كل واحد منهما نعلا فأطلق لهما أبوهما عشرين ألف دينار وللغراء عشرة آلاف درهم
وقال له لا أعزمنك إذ يعد نعليك ولدا أمير المؤمنين ووليا العهد من بعده وروى أن بشر
المريسي أو محمد بن الحسن سأل الفراء عن رجل سها في سجدتي السهو فقال لا شيء
عليه قال ولم قال لأن أصحابنا قالوا المصغر لا يصغر فقال ما رأيت أن امرأة تلد مثلك
والمشهور أن محمدا هو الذي سأله عن ذلك وكان ابن خالة الفراء وقال أبو بكر من محمد
بن يحيى الصولي توفي الفراء سنة سبع ومائتين قال الخطيب كانت وفاته ببغداد وقيل
بطريق مكة وقد امتدحوه وأثنوا عليه في مصنفاته

2 ثم دخلت سنة ثمان ومائتين

@ فيها ذهب الحسن بن الحسين بن مصعب أخو طاهر فارا من خراسان إلى كرمان فعصى
بها فسار إليه أحمد بن أبي خالد فحاصره حتى نزل قهرا فذهب به إلى المأمون فعفا عنه
فاستحسن ذلك منه وفيها استعفى محمد بن سماعة من القضاء فأعفاه المأمون وولي
مكانه إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة وفيها ولي المأمون محمد بن عبد الرحمن المخزومي
القضاء بعسكر المهدي في شهر المحرم ثم عزله عن قريب وولي مكانه بشر بن سعيد بن

الوليد الكندي في شهر ربيع الأول منها فقال المخزومي في ذلك

ألا أيها الملك الموحد ربه * قاضيك بشر بن الوليد حمار

ينفي شهادة من يدين بما به * نطق الكتاب وجاءت الأخبار

ويعد عدلا من يقول بأنه * شيخ تحيط بجسمه الأقطار

وفيها حج بالناس صالح بن هارون الرشيد عن أمر أخيه المأمون

وفيها توفي من الأعيان الأسود بن عامر وسعيد بن عامر وعبد الله بن بكر أحد مشايخ

الحديث والفصل بن الربيع الحاجب ومحمد بن مصعب وموسى بن محمد الأمين الذي كان

قد ولاه العهد من بعده ولقبه بالناطق فلم يتم له أمره حتى قتل أبوه وكان ما كان كما تقدم

ويحيى بن أبي بكر ويحيى بن حسان ويعقوب بن إبراهيم الزهري ويونس بن محمد المؤدب

وفاة السيدة نفيسة

وهي نفيسة بنت أبي محمد الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب القرشبية الهاشمية كان

أبوها نائبا للمنصور على المدينة النبوية خمس سنين ثم غضب المنصور عليه فعزله عنها

وأخذ منه كل ما كان يملكه وما كان جمعه منها وأودعه السجن ببغداد فلم يزل به حتى توفي

المنصور فأطلقه المهدي وأطلق له كل ما كان أخذ منه وخرج معه إلى الحج في سنة ثمان

وستين ومائة فلما كان بالحاجر توفي عن خمس وثمانين سنة وقد روى له النسائي حديثه

عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهم محمرم وقد ضعفه ابن معين وابن عدي ووثقه ابن حبان وذكره الزبير بن بكار وأثنى عليه في رياسته وشهامته والمقصود أن ابنته نفيسة دخلت الديار المصرية مع زوجها المؤمن إسحاق بن جعفر فأقامت بها وكانت ذات مال فأحسنّت إلى الناس والجذمي والزمني والمرضى وعموم الناس وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخير ولما ورد الشافعي مصر أحسنت إليه وكان ربما صلى بها في شهر رمضان وحين مات أمرت بجنازته فأدخلت إليها المنزل فصلت عليه ولما توفيت عزم زوجها إسحاق بن جعفر أن ينقلها إلى المدينة النبوية فمنعه أهل مصر من ذلك وسالوه أن يدفنها عندهم فدفنت في المنزل الذي كانت تسكنه بمحلة كانت تعرف قديما بدرب السباع بين مصر والقاهرة وكانت وفاتها في شهر رمضان من هذه السنة فيما ذكره ابن خلكان قال ولأهل مصر فيها اعتقاد قلت وإلى الآن قد بالغ العامة في اعتقادهم فيها وفي غيرها كثيرا جدا ولا سيما عوام مصر فانهم يطلقون فيها عبارات بشيعة مجازفة تؤدي إلى الكفر والشرك والفاظا كثيرة ينبغي أن يعرفوا أنه لا تجوز وربما نسبها بعضهم إلى زين العابدين وليست من سلالة والذي ينبغي أن يعتقد فيها ما يليق بمثلها من النساء الصالحات وأصل عبادة الأصنام من المغالاة في القبور وأصحابها وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمسها والمغالاة في البشّر حرام ومن زعم أنها تفك من الخشب أو أنها تنفع أو تضر بغير مشيئة الله فهو مشرك رحمها الله وأكرمها

الفصل بن الربيع

ابن يونس بن محمد بن عبدالله بن أبي فروة كيسان مولى عثمان بن عفان كان الفضل هذا متمكنا من الرشيد وكان زوال دولة البرامكة على يديه وقد وزر مرة للرشيد وكان شديد التشبه بالبرامكة وكانوا يتشبهون به فلم يزل يعمل جهده فيهم حتى هلكوا كما تقدم وذكر ابن خلكان أن الفضل هذا دخل يوما على يحيى بن خالد وابنه جعفر يوقع بين يديه ومع الفضل عشر قصص فلم يقض له منها واحدة فجمعهم الفضل بن الربيع وقال أرجعن خائبات خاسئات ثم نهض وهو يقول

عسى وعسى يثني الزمان عنانه * بتصرف حال والزمان عثور

فتقضى لبانات وتشفى حزائز * وتحدث من بعد الأمور أمور

فسمعه الوزير يحيى بن خالد فقال له أقسمت عليك لم رجعت فأخذ منه القصص فوقع عليها ثم لم يزل يحفر خلفهم حتى تمكن منهم وتولى الوزارة بعدهم وفي ذلك يقول أبو نواس

ما رعى الدهر آل برمك لما * أن رمى ملكهم بأمر فطيع

إن دهرًا لم يرع ذمه ليحيى * غير راع ذمام آل الربيع

ثم وزر من بعد الرشيد لابنه الأمين فلما دخل المأمون بغداد اختفى فأرسل له المأمون أمانا فخرج فجاء فدخل على المأمون بعد اختفاء مدة فأمنه ثم لم يزل خاملا حتى مات في هذه

السنة وله ثمان وستون سنة

2 ثم دخلت سنة تسع ومائتين

@ فيها حصر عبد الله بن طاهر نصر بن شيبث بعد ما حابه خمس سنين وضيق عليه جدا حتى

ألجأه إلى أن طلب منه الأمان فكتب ابن طاهر إلى المأمون يعلمه بذلك فأرسل إليه أن

يكتب له أمانا عن أمير المؤمنين فكتب له كتاب أمان فنزل فأمر عبد الله بتخريب المدينة

التي كان متحصنا بها وذهب شره وفيها جرت حروب مع بابك الخرمي فأسر بابك بعض أمراء

الإسلام وأحد مقدمي العساكر فاشتد ذلك على المسلمين وفيها حج بالناس صالح بن

العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وهو والي مكة وفيها توفي ملك الروم

ميخائيل بن نقفور جرجس وكان له عليهم تسع سنين فملكوا عليهم ابنه توفيل بن ميخائيل

وفيها توفي من مشايخ الحديث الحسن بن موسى الأشيب وأبو علي الحنفي وحفص بن عبد

الله قاضي نيسابور وعثمان بن عمر بن فارس ويعلى بن عبيد الطنافسي

2 ثم دخلت سنة عشر ومائتين

@ في صفر منها دخل نصر بن شيبث بغداد بعثه عبد الله بن طاهر فدخلها ولم يتلقاه أحد من

الجدبيل دخلها وحده فأنزل في مدينة أبي جعفر ثم حول إلى موضع آخر وفي هذا الشهر ظفر المأمون بجماعة من كبراء من كان بايع إبراهيم بن المهدي فعاقبهم وحبسهم في المطبق ولما كن ليلة الأحد لثلاث عشرة من ربيع الآخر اجتاز إبراهيم بن المهدي وكان مختفيا مدة ست سنين وشهورا متنقبا في زي امرأة ومعه امرأتان في بعض دروب بغداد في أثناء الليل فقام الحارس فقال إلى أين هذه الساعة ومن أين ثم أراد أن يمسكهن فأعطاه إبراهيم خاتما كان في يده من ياقوت فلم ينظر إليه استراب وقال إنما هذا خاتم رجل كبير الشأن فذهب بهن إلى متولي الليل فأمرهن أن يسفرن عن وجوههن فتمنع إبراهيم فكشفوا عن وجهه فإذا هو هو فعرفه فذهب به إلى صاحب الجسر فسلمه إليه فرفعه الآخر إلى باب المأمون فأصبح في دار الخلافة ونقابه على رأسه والملحفة في صدره ليراه الناس وليعلموا كيف أخذ فأمر المأمون بالاحتفاظ به والاحتراش عليه مدة ثم أطلقه ورضى عنه هذا وقد صلب جماعة ممن كان سجنهم بسببه لكونهم أرادوا الفتك بالموكلين بالسجن فصلب منهم أربعة

وقد ذكروا أن إبراهيم لما وقف بين يدي المأمون أنه على ما كان منه فترقق له عمه إبراهيم كثيرا وقال يا أمير المؤمنين إن تعاقب فبحقك وإن تعف فيفضلك فقال بل أعفو يا إبراهيم إن القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله عز وجل وهو أكبر مما تسأله فكبر إبراهيم وسجد شكرا لله عز وجل

وقد امتدح إبراهيم بن المهدي ابن أخيه المأمون بقصيدة بالغ فيها فلما سمعها المأمون قال أقول كما قال يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وذكر ابن عساكر أن المأمون لما عفا عن عمه إبراهيم أمره أن يغنيه شيئا فقال إني تركته فأمره فأخذ العود في حجره وقال

هذا مقام سرور خربت منازلها ودوره * نمت عليه عاداته كذابا فعاقبه أميره
ثم عاد فقال * ذهبت من الدنيا وقد ذهبت عني

لوى الدهر بي عنها وولى بها عني
فإن أبك نفسي أبك نفسا عزيزة * وإن أحتقرها أحتقرها على ضغن
وإني وإن كنت المسيء بعينه * فإني بربي موقن حسن الظن
عدوت على نفسي فعاد بعفوه * على فعاد العفو منا على من

فقال المأمون أحسنت يا أمير المؤمنين حقا فرمى العود من حجره ووثب قائما فرعا من هذا الكلام فقال له المأمون اجلس واسكن مرحبا بك وأهلا لم يكن لشيء تتوهمه ووالله لا رأيت طول أيامي شيئا تكرهه ثم أمر له بعشرة آلاف دينار وخلع عليه ثم أمر له برد جميع ما كان له من الأموال والضياع والدور فردت إليه وخرج من عنده مكرما معظما عرس بوران

وفي رمضان منها بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وقيل إنه خرج في رمضان إلى معسكر الحسن بن سهل بغم الصلح وكان الحسن قد عوفي من مرضه فنزل المأمون عنده بمن معه من وجوه الأمراء والرؤساء وأكابر بني هاشم فدخل ببوران في شوال من هذه السنة في ليلة عظيمة وقد أشعلت بين يديه شموع العنبر ونثر على رأسه الدر والجوهر فوق حصر منسوجة بالذهب الأحمر وكان عدد الجوهر منه ألف درة فأمر به فجمع في صينية من ذهب كان الجوهر فيها فقالوا يا أمير المؤمنين إنا نثرناه لتلقطه الجوارح فقال لا أنا أعوضهن من ذلك فجمع كله فلما جاءت العروس ومعها جدتها زبيدة أم أخيه الأمين من جملة من جاء معها فأجلست إلى جانبه فصب في حجرها ذلك الجوهر وقال هذا نحلة من إليك وسلبي حاجتك فأطرقته حياء فقالت جدتها كلمي سيدك وسلبيه حاجتك فقد أمرك فقالت يا أمير المؤمنين أسألك أن ترضى عن عمك إبراهيم بن المهدي وأن ترده إلى منزلته التي كان فيها فقال نعم قالت وأم جعفر تعني زبيدة تأذن لها في الحج قال نعم فخلعت عليها زبيدة بذلتها الأميرية وأطلقت له قرية مقورة وأما والد العروس الحسن بن سهل فإنه كتب أسماء قرأه وضياعه وأملاكه في رقاع ونثرها على الأمراء ووجوه الناس فمن وقعت بيده رقعة في قرية منها بعث إلى القرية التي فيها نوابه فسلمها إليه ملكا خالصا وأنفق على المأمون ومن كان معه من الجيش في مدة إقامته عنده سبعة عشر يوما ما يعادل خمسين

ألف ألف درهم ولما أراد المأمون الانصراف من عنده أطلق له عشرة آلاف الف درهم وأقطعاه البلد الذي هو نازل بها وهو إقليم فم الصلح مضافا إلى ما بيده من الاقطاعات ورجع المأمون إلى بغداد في أواخر شوال من هذه السنة وفي هذه السنة ركب عبد الله بن طاهر إلى مصر فاستعادها منه بعد حروب يطول ذكرها وفيها توفي من الأعيان أبو عمرو الشيباني اللغوي واسمه إسحاق بن مراد ومروان بن محمد الطاطري ويحيى بن إسحاق والله سبحانه أعلم

2 ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائتين @ فيها توفي أبو الجواب وطلق بن غنام وعبد الرازق بن همام الصنعاني صاحب المصنف والمسند وعبد الله بن صالح العجلي أبو العتاهية الشاعر المشهور

واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أصله من الحجاز وقد كان تعشق جارية للمهدي

اسمها عتبه وقد طلبها منه غير مرة فإذا سمح له بها لم ترده الجارية وتقول للخليفة أنعطيني لرجل ذميم الخلق كان يبيع الجرار فكان يكثر التغزل فيها وشاع أمره واشتهر بها وكان المهدي يفهم ذلك منه واتفق في بعض الأحيان أن المهدي استدعى الشعراء إلى مجلسه وكان فيهم أبو العتاهية وبشار بن برد الأعمى فسمع صوت أبي العتاهية فقال بشار لجليسه أتم ههنا أبو العتاهية قال نعم فانطلق يذكر قصيدته فيها التي أولها

ألا ما لسيدتي مالها * أدلت فأجمل إدلالها
فقال بشار لجليسه ما رأيت أجسر من هذا حتى انتهى أبو العتاهية إلى قوله

أنته الخلافه منقادة * إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له * ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحد غيره * لزلزلت الأرض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلوب * لما قبل الله أعمالها

فقال بشار لجليسه انظروا أطار الخليفة عن فراشه أم لا قال فوالله ما خرج أحد من الشعراء يومئذ بجائزة غيره قال ابن خلكان اجتمع أبو العتاهية بأبي نواس وكان في طبقتهم وطبقه بشار فقال أبو العتاهية لأبي نواس كم تعمل في اليوم من الشعر قال بيتا أو بيتين فقال لكني أعمل المائة والمائتين فقال أبو نواس لعلك تعمل مثل قولك

يا عتب مالي ولك * يا ليتني لم أرك

ولو عملت أنا مثل هذا لعملت الألف والألفين وأنا أعمل مثل قولي

من كف ذات حر في زي ذي ذكر * لها محبان لوطني وزناء

ولو أردت مثلي لأعجزك الدهر قال ابن خلكان ومن لطيف شعر أبي العتاهية

إني صبت إليك حتى * صرت من فرط التصابي

يجد الجليس إذا دنا * ريح التصابي في ثيابي

وكان مولده سنة ثلاثين ومائة وتوفي يوم الاثنين ثالث جمادي الآخرة سنة إحدى عشرة

وقيل ثلاث عشرة ومائتين وأوصى أن يكتب عليه قبره ببغداد

إن عيشا يكون آخره الموت * لعيش معجل التنغيص

2 ثم دخلت سنة ثنتي عشرة ومائتين

@ فيها وجه المأمون محمد بن حميد الطوسي على طريق الموصل لمحاربة بابك الخرمي في أرض أذربيجان فأخذ جماعة من الملتفين عليه فبعث بهم إلى المأمون وفي ربيع الأول أظهر المأمون

في الناس بدعتين فطبعتهما إحداهما أطم من الأخرى وهي القول بخلق القرآن والثانية تفضيل علي بن أبي طالب على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخطأ في كل منهما خطأ كبيرا فاحشا وأثم إثما عظيما وفيها حج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس العباسي وفيها توفي أسد بن موسى الذي يقال له أسد السنة والحسن بن جعفر وأبو عاصم النبيل واسمه الضحاك بن مخلد وأبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي الدمشقي ومحمد بن يونس الفريابي شيخ البخاري

2 ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين
@ فيها ثار رجلان عبد السلام وابن جليس فخلعا المأمون واستحوذا على الديار المصرية
وتابعهما طائفة من القيسية واليمانية فولى المأمون أخاه أبا إسحاق نيابة الشام وولي ابنه
العباس نيابة الجزيرة والثغور والعواصم وأطلق لكل منهما ولعبد الله بن طاهر ألف ألف
دينار وخمسمائة ألف دينار وفيها ولي السند غسان بن عباد وحج بالناس أمير السنة الماضية
وفيها توفي عبد الله بن داود الجريني وعبد الله بن يزيد المقري المصري وعبد الله بن
موسى العيسى وعمرو بن أبي سلمة الدمشقي وحكى ابن خلكان أن بعضهم قال وفيها
توفي إبراهيم بن ماهان الموصلني النديم وأبو العتاهية وأبو عمرو الشيباني النحوي في يوم
واحد ببغداد ولكنه صحح أن إبراهيم النديم توفي سنة ثمان وثمانين ومائة قال السهيلي
وفيها توفي عبد الملك بن هشام راوي السيرة عن ابن إسحاق حكاه ابن خلكان عنه
والصحيح أنه توفي سنة ثمان عشرة ومائتين كما نص عليه أبو سعيد بن يونس في تاريخ

مصر

العكوك الشاعر

أبو الحسن بن علي بن جبلة الخراساني يلقب بالعكوك وكان من الموالي ولد أعمى وقيل
بل أصابه جدري وهو ابن سبع سنين وكان أسود أبرص وكان شاعرا مطبقا فصيحاً بليغاً وقد
أثنى عليه في شعره الجاحظ فمن بعده قال ما رأيت بدويا ولا حضريا أحسن إنشاء منه فمن
ذلك قوله

بأبي من زارني متكتما * حذرا من كل شيء جزعا
زائرا ثم عليه حسنه * كيف يخفي الليل بدرا طلعا
رصد الخلوة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا
ركب الاهوال في زورته * ثم ما سلم حتى رجعا
وهو القائل في أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي * إنما الدنيا أبو دلف
بين مغزاه ومحتضره

فاذا ولي أبو دلف * ولت الدنيا على أثره
كل من في الأرض من عرب بين يديه إلى حضره
يرتجيه نيل مكرمة * ياتسبها يوم مفتخره
ولما بلغ المأمون هذه الأبيات وهي قصيدة طويلة عارض فيها أبا نواس فتطلبه المأمون
فهرب منه ثم أحضر بين يديه فقال له ويحك فضلت القاسم بن عيسى علينا فقال يا أمير
المؤمنين أنتم أهل بيت اصطفىكم الله من بين عباده وأتاكم ملكا عظيما وإنما فضلته على
أشكاله وأقرانه فقال والله ما أبقيت أحدا حيث تقول
كل من في الأرض من عرب * بين يديه إلى حضره
ومع هذا فلا أستحل قتلك بهذا ولكن بشركك وكفرك حيث تقول في عبد ذليل
أنت الذي تنزل الأيام منزلها * وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدي طرف إلى أحد * إلا قضيت بأرزاق وأجال
ذاك الله يفعل ما أخرجوا لسانه من قفاه فأخرجوا لسانه في هذه السنة فمات وقد امتدح

حميد بن عبد الحميد الطوسي

إنما الدنيا حميد * وأياديه جسام

فاذا ولي حميد * فعلى الدنيا السلام

ولمات حميد هذا رثاه أبو العتاهية بقوله * أبا غانم أما فواسع

وقبرك معمور الجوانب محكم

وما ينفع المقبور عمران قبره * إذا كان فيه جسمه يتهدم

وقد أورد ابن خلكان لعكوك هذا أشعارا جيدة تركناها اختصارا

2 ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين

@ في يوم السبت لخمس بقين من ربيع الأول منها التقى محمد بن حميد وبابك الخرمي
لعنه الله فقتل الخرمي خلقا كثيرا من جيشه وقتله أيضا وانهزم بقية أصحاب ابن حميد
فبعث المأمون إسحاق بن إبراهيم ويحيى بن أكثم إلى عبد الله بن طاهر يخبرانه بين

خراسان ونيابة الجبال وأذربيجان وأرمينية ومحاربة بابك فاختار المقام بخراسان لكثرة احتياجها إلى الضبط وللخوف من ظهور الخوارج وفيها دخل أبو إسحاق بن الرشيد الديار المصرية فاتزعتها من يد عبد السلام وابن جليس وقتلها وفيها خرج رجل يقال له بلال الضبابي فبعث إليه المأمون ابنه العباس في جماعة من الأمراء فقتلوا بلالا ورجعوا إلى بغداد وفيها ولي المأمون علي بن هشام الجبل وقم وأصبهان وأذربيجان وفيها حج بالناس إسحاق بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وفيها توفي أحمد بن خالد الموهبي

أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح
أبو جعفر الكاتب ولي ديوان الرسائل للمأمون ترجمه ابن عساكر وأورد من شعره قوله
قد يرزق المرء من غير حيلة صدرت * ويصرف الرزق عن ذي الحيلة الدا هي
ما مسني من غنى يوما ولا عدم * إلا وقولي عليه الحمد لله
وله أيضا * إذا قلت في شيء نعم فآتمه

فإن نعم دين على الحر واجب
وإلا فقل لا تستريح بها * لئلا يقول الناس إنك كاذب
وله * إذا المرء أفضي سره بلسانه
فلام عليه غيره فهو أحمق

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق
وحسن بن محمد المروزي شيخ الامام أحمد وعبد الله بن الحكم المصري ومعاوية بن عمر
أبو محمد عبد الله بن أعين بن ليث بن رافع المصري

أحد من قرأ الموطأ على مالك وتفقه بمذهبه وكان معظما ببلاد مصر وله بها ثروة وأموال
وافره وحين قدم الشافعي مصر أعطاه ألف دينار وجمع له من أصحابه ألفي دينار وأجرى
عليه وهو والد محمد بن عبد الله بن الحكم الذي صحب الشافعي ولماتوي في هذه السنة
دفن إلى جانب قبر الشافعي ولما توفي ابنه عبد الرحمن دفن إلى جانب قبر أبيه من القبلة
قال ابن خلكان فهي ثلاثة أقبور الشافعي شامياها وهما قبلته رحمهم الله
2 ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائتين

@ في أواخر المحرم منها ركب المأمون في العساكر من بغداد قاصدا بلاد الروم لغزوهم
واستخلف على بغداد وأعمالها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فلما كان بتكريت تلقاه محمد
بن علي بن موسى ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من
المدينة النبوية فأذن له المأمون في الدخول على ابنته أم الفضل بنت المأمون وكان معقود
العقد عليها في حياة أبيه علي بن موسى فدخل بها وأخذها معه إلى بلاد الحجاز وتلقاه أخوه
أبو إسحاق بن الرشيد من الديار المصرية قبل وصوله إلى الموصل وسار المأمون في
جحافل كثيرة إلى بلاد طرسوس فدخلها في جمادي الأولى وفتح حصنا هناك عنوة وأمر
بهدمه ثم رجع إلى دمشق فنزلها وعمر دير مرات بسفح قيسون وأقام بدمشق مدة وحج
بالناس فيها عبد الله بن عبيد الله بن العباس العباسي وفيها توفي أبو زيد الأنصاري ومحمد
بن المبارك الصوري وقبيصة بن عقبة وعلى بن الحسن بن شقيق ومكي بن إبراهيم
أبو زيد الأنصاري

فهو سعيد بن أوس بن ثابت البصري اللغوي أحد الثقات الاثبات ويقال إنه كان يرى ليلة
القدر قال أبو عثمان المازني رأيت الأصمعي جاء إلى أبي زيد الأنصاري وقيل رأسه وجلس
بين يديه وقال أنت رئيسنا وسيدنا منذ خمسين سنة قال ابن خلكان وله مصنفات كثيرة منها
خلق الانسان وكتاب الابل وكتاب المياه وكتاب الفرس والترس وغير ذلك توفي في هذه
السنة وقيل في التي قبلها أو التي بعدها وقد جاوز التسعين وقيل إنه قارب المائة وأما أبو
سليمان فقد قدمنا ترجمته

2 ثم دخلت سنة ست عشرة ومائتين

@ فيها عدا الروم وهو توفيل بن ميخائيل على جماعة من المسلمين فقتلهم في أرض
طرسوس نحو من ألف وستمائة إنسان وكتب إلى المأمون فبدأ بنفسه فلما قرأ المأمون
كتابه نهض من فورهِ إلى بلاد الروم عودا على بدء وصحبته أخوه أبو إسحاق بن الرشيد نائب
الشام ومصر فافتتح بلدانا كثيرة صلحا وعنوة وافتتح أخوه ثلاثين حصنا وبعث يحيى بن أكثم

في سرية إلى طوانة فافتتح بلادا كثيرة وأسر خلقا وحرق حصونا عدة ثم عاد إلى العسكر وأقام المأمون ببلاد الروم من نصف جمادي الآخرة إلى نصف شعبان ثم عاد إلى دمشق وقد وثب رجل يقال له عبدوس الفهري في شعبان من هذه السنة ببلاد مصر فتغلب على نواب أبي إسحاق بن الرشيد واتبه خلق كثير فركب المأمون من دمشق يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة إلى الديار المصرية فكان من أمره ما سنذكره وفيها كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد يأمره أن يأمر الناس بالتكبير عقيب الصلوات الخمس فكان أول ما بدئ بذلك في جامع بغداد والرصافة يوم الجمعة لأربع عشر ليلة خلت من رمضان وذلك أنهم كانوا إذا قضاوا الصلاة قام الناس قياما فكبروا ثلاث تكبيرات ثم استمروا على ذلك في بقية الصلوات وهذه بدعة أحدثها المأمون أيضا بلا مستند ولا دليل ولا معتمد فإن هذا لم يفعله قبله أحد ولكن ثبت في الصحيح عن ابن عباس أن رفع الصوت بالذكر كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم حين ينصرف الناس من المكتوبة وقد استحب هذا طائفة من العلماء كابن حزم وغيره وقال ابن بطال المذاهب الأربعة على عدم استحبابه قال النووي وقد روى عن الشافعي أنه قال إنما كان ذلك ليعلم الناس أن الذكر بعد الصلوات مشروع فلما علم ذلك لم يبق للجهر معنى وهذا كما روى عن ابن عباس أنه كان يجهر في الفاتحة في صلاة الجنائز ليعلم الناس أنها سنة ولهذا نظائر والله أعلم

وأما هذه البدعة التي أمر بها المأمون فإنها بدعة محدثة لم يعمل بها أحد من السلف وفيها وقع برد شديد جدا وفيها حج بالناس الذي حج بهم في العام الماضي وقيل غيره والله أعلم وفيها توفي حبان ابن هلال وعبد الملك بن قريب الأصمعي صاحب اللغة والنحو والشعر وغير ذلك ومحمد بن بكار بن هلال وهوذه بن خليفة

زبيدة امرأة الرشيد وابنه عمه وهي ابنة جعفر أم العزيز الملقبة زبيدة بنت جعفر بن المنصور العباسية الهاشمية القرشية كانت أحب الناس إلى الرشيد وكانت ذات حسن باهر وجمال طاهر وكان له معها من الخطايا والجواري والزوجات غيرها كثيرا كما ذكرنا ذلك في ترجمته وإنما لقبته زبيدة لأن جدها أبا جعفر المنصور كان يلاعبها وبرقصها وهي صغيرة ويقول إنما أنت زبيدة لبياضها فغلب ذلك عليها فلا تعرف إلا به وأصل اسمها أم العزيز وكان لها من الجمال والمال والخير والديانة والصدقة والبر شيء كبير وروي الخطيب أنها حجت فبلغت نفقتها في ستين يوما أربعة وخمسين ألف درهم ولما هنأت المأمون بالخلافة قالت هنأت نفسي بها عنك قبل أن أراك ولئن كنت فقدت ابنا خليفة لقد عوضت ابنا خليفة لم ألده وما خسرت من اعتاض مثلك ولا ثكلت أم ملأت يدها منك وأنا أسأل الله أجرا على ما أخذ وإمتاعا بما عوضت توفيت ببغداد في جمادي الأولى سنة ست عشرة ومائتين

ثم قال الخطيب حدثني الحسين بن محمد الخلال لفظا قال وحدث أبا الفتح القواس قال ثنا صدقة بن هبيرة الموصلي ثنا محمد بن عبد الله الواسطي قال قال عبد الله بن المبارك رأيت زبيدة في المنام فقلت ما فعل الله بك فقالت غفر لي في أول معول ضرب في طريق مكة قلت فما هذه الصفرة قالت دفن بين ظهرائنا رجل يقال له بشر المريسي زفرت عليه جهنم زفرة فاقشعر لها جسدي فهذه الصفرة من تلك الزفرة وذكر ابن خلكان أنه كان لها مائة جارية كلهن يحفظن القرآن العظيم غير من قرأ منه ما قدر له وغير من لم يقرأ وكان يسمع لهن في القصر دوي كدوي النحل وكان ورد كل واحدة عشر القرآن وورد أنها رؤيت في المنام فسئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات وما عملته في طريق الحج فقالت ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله وما نفعنا إلا ركعات كنت أركعهن في السحر وفيها جرت حوادث وأمور يطول ذكرها

2 ثم دخلت سنة سبعة عشرة ومائتين

@ في المحرم منها دخل المأمون مصر وظفر بعبدوس الفهري فأمر فضربت عنقه ثم كر راجعا إلى الشام وفيها ركب المأمون إلى بلاد الروم أيضا فحاصر لؤلؤة مائة يوم ثم ارتحل عنها واستخلف على حصارها عجيفا فخدعت الروم فأسروه فأقام في أيديهم ثمانية أيام ثم

انفلت منهم واستمر محاصرا لهم فجاء ملك الروم بنفسه فأحاط بجيشه من ورائه فبلغ المأمون فسار إليه فلما أحس توفيل بقدومه هرب وبعث وزيره صنغل فسأله الأمان والصالحة لكنه بدأ بنفسه قبل المأمون فرد عليه المأمون كتابا بليغا مضمونه التقرير والتوبيخ وإني إنما أقبل منك الدخول في الحنيفة وإلا فالسيف والقتل والسلام على من اتبع الهدى وفيها حج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان ابن علي وفيها توفي الحجاج بن منهال وشريح بن النعمان وموسى بن داود الضبي والله سبحانه أعلم

2 ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائتين

@ في أول يوم من جمادي الأولى وجه المأمون ابنه العباس إلى بلاد الروم لبناء الطونة وتجديد عمارتها وبعث إلى سائر الأقاليم في تجهيز الفعلة من كل بلد إليها من مصر والشام والعراق فاجتمع عليها خلق كثير وأمره أن يجعلها ميلا في ميل وأن يجعل سورها ثلاث فراسخ وأن يجعل لها ثلاثة أبواب

ذكر أول المحنة والفتنة

في هذه السنة كتب المأمون إلى نائيه ببغداد إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يأمره أن يمتحن القضاة والمحدثين بالقول بخلق القرآن وأن يرسل إليه جماعة منهم وكتب إليه يستحته في كتاب مطول وكتب غيره قد سردها ابن جرير كلها ومضمونها الاحتجاج على أن القرآن محدث وكل محدث مخلوق وهذا احتجاج لا يوافق عليه كثير من المتكلمين فضلا عن المحدثين فان القائلين بأن الله تعالى تقوم به الأفعال الاختيارية لا يقولون بان فعله تعالى القائم بذاته المقدسة مخلوق بل لم يكن مخلوقا بل يقولون هو محدث وليس بمخلوق بل هو كلام الله القائم بذاته المقدسة وما كان قائما بذاته لا يكون مخلوقا وقد قال الله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فالأمر بالسجود صدر منه بعد خلق آدم فالكلام القائم بالذات ليس مخلوقا وذا له موضع آخر وقد صنف البخاري كتابا في هذا المعنى سماه خلق أقال العباد والمقصود أن كتاب المأمون لما ورد ببغداد قرئ على الناس وقد عين المأمون جماعة من المحدثين ليحضرهم إليه وهم محمد بن سعد كاتب الواقدي وأبو مسلم المستملي ويزيد بن هارون ويحيى بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب وإسماعيل بن أبي مسعود وأحمد ابن الدورقي فبعث بهم إلى المأمون إلى الرقة فامتحنهم بخلق القرآن فأجابوه إلى ذلك واطهروا موافقته وهم كارهون فردهم إلى بغداد وأمر بإشهار أمرهم بين الفقهاء ففعل إسحاق ذلك وأحضر خلقا من مشايخ الحديث والفقهاء وائمة المساجد وغيرهم فدعاهم الى ذلك عن امر المأمون وذكر لهم موافقة أولئك المحدثين له على ذلك فأجابوا بمثل جواب أولئك موافقة لهم ووقعت بين الناس فتنة عظيمة فانا لله وإنا إليه راجعون ثم كتب المأمون إلى إسحاق أيضا بكتاب ثان يستدل به على القول بخلق القرآن بشبهه من الدلائل أيضا لا تحقيق تحتها ولا حاصل لها بل هي من المتشابه

وأورد من القرآن آيات هي حجة عليه اورد ابن جرير ذلك كله وأمر نائيه أن يقرأ ذلك على الناس وأن يدعوهم إليه وإلى القول بخلق القرآن فأحضر أبو إسحاق جماعة من الأئمة وهم أحمد بن حنبل وقتيبة وأبو حيان الزياتي وبشر بن الوليد الكندي وعلي بن ابي مقاتل وسعدويه الواسطي وعلي بن الجعد وإسحاق بن أبي إسرائيل وابن الهرش وابن علي الأكبر ويحيى ابن عبد الحميد العمري وشيخ آخر من سلالة عمر كان قاضيا على الرقة وأبو نصر التمار وأبو معمر القطيعي ومحمد بن حاتم بن ميمون ومحمد بن نوح الجند يسابوري المضروب وابن الفرخان والنضر بن شميل وأبو علي بن عاصم وأبو العوام البارد وأبو شجاع وعبد الرحمن بن إسحاق وجماعة فلما دخلوا علي أبي إسحاق قرأ عليهم كتاب المأمون فلما فهموه قال لبشر بن الوليد ماتقول في القرآن فقال هو كلام الله قال ليس عن هذا أسألك وإنما أسألك أهو مخلوق قال ليس بخالق قال ولا عن هذا أسألك فقال ما أحسن غير هذا وصمم على ذلك فقال تشهد أن لا إله إلا الله أحدا فردا لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء ولا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه قال نعم فقال للكاتب اكتب بما قال فكتب ثم امتحنهم رجلا رجلا فأكثرهم امتنع من القول بخلق القرآن فكان اذا

امتنع الرجل منهم امتحنه بالرقعة التي وافق عليها بشر بن الوليد الكندي من أنه يقال لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه فيقول نعم كما قال بشر ولما انتهت النوبة إلى امتحان أحمد بن حنبل فقال له أتقول إن القرآن مخلوق فقال القرآن كلام الله لا أزيد على هذا فقال له ماتقول في هذه الرقعة فقال أقول ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فقال رجل من المعتزلة إنه يقول سميع بإذن بصير بعين فقال له إسحاق ما أردت بقولك سميع بصير فقال أردت منها ما أرادته الله منها وهو كما وصف نفسه ولا أزيد على ذلك فكتب جوابات القوم رجلا رجلا وبعث بها إلى المأمون وكان من الحاضرين من أجاب إلى القول بخلق القرآن مصانعة مكرها لأنهم كانوا يعزلون من لا يجيب عن وظائفه وإن كان له رزق على بيت المال قطع وإن كان مفتيا منع من الإفتاء وإن كان شيخ حديث ردع عن الاسماع والأداء ووقعت فتنة صماء ومحنة شنعاء وداهية دهياء فلا حول ولا قوة إلا بالله

فصل

فلما وصلت جوابات القوم إلى المأمون بعث إلى نائبه يمدحه على ذلك ويرد على كل فرد فرد ما قال في كتاب أرسله وأمر نائبه أن يمتحنهم أيضا فمن أجاب منهم شهر أمره في الناس ومن لم يجب منهم فابعثه إلى عسكر أمير المؤمنين مقيدا محتفظا به حتى يصل إلى أمير المؤمنين فيرى فيه

رأيه ومن رأيه أن يضرب عنق من لم يقل بقوله فعند ذلك عقد النائب ببغداد مجلسا آخر وأحضر أولئك وفيهم إبراهيم بن المهدي وكان صاحبا لبشر بن الوليد الكندي وقد نص المأمون على قتلها إن لم يجيبا على الفور فلما امتحنهم إسحاق أجابوا كلهم مكرهين متأولين قوله تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان الآية إلا أربعة وهم أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح والحسن ابن حماد سجاده وعبيد الله بن عمر القواريري فقيدهم وأرصدهم ليعت بهم إلى المأمون ثم استدعى بهم في اليوم الثاني فامتحنهم فأجاب سجاده إلى القول بذلك فأطلق ثم امتحنهم في اليوم الثالث فأجاب القواريري إلى ذلك فأطلق قيده وأخر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجديسابوري لأنهما أصرا على الامتناع من القول بذلك فأكد قيودهما وجمعهما في الحديد وبعث بهما إلى الخليفة وهو بطرسوس وكتب كتابا يارسالهما إليه فسارا مقيدين في محمارة على جمل متعادلين رضى الله عنهما وجعل الإمام أحمد يدعو الله عز وجل أن لا يجمع بينهما وبين المأمون وأن لا يرياه ولا يراها ثم جاء كتاب المأمون إلى نائبه أنه قد بلغني أن القوم إنما أجابوا مكرهين متأولين قوله تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان الآية وقد أخطأوا في تأويلهم ذلك خطأ كبيرا فأرسلهم كلهم إلى أمير المؤمنين فاستدعاهم إسحاق والزمهم بالمسير إلى طرسوس فساروا إليها فلما كانوا ببعض الطريق بلغهم موت المأمون فردوا إلى الرقة ثم أذن لهم بالرجوع إلى بغداد وكان أحمد ابن حنبل وابن نوح قد سبقا الناس ولكن لم يجتمعا به بل أهلكه الله قبل وصولهما إليه واستجاب الله سبحانه دعاء عبده ووليه الإمام أحمد بن حنبل فلم يربا المأمون ولا رأهما بل ردوا إلى بغداد وسيأتي تمام ما وقع لهم من الأمر الفطيع في أول ولاية المعتصم بن الرشيد وتمام باقي الكلام على ذلك في ترجمة الإمام أحمد عند ذكر وفاته في سنة إحدى وأربعين ومائتين وبالله المستعان

عبد الله المأمون

هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد العباسي القرشي الهاشمي أبو جعفر أمير المؤمنين وأمه أم ولد يقال لها مراحل الباذغيسية وكان مولده في ربيع الأول سنة سبعين ومائة ليلة توفي عمه الهادي وولي أبوه هارون الرشيد وكان ذلك ليلة الجمعة كما تقدم قال ابن عساکر روى الحديث عن أبيه وهاشم بن بشر وأبي معاوية الضرير ويوسف بن قحطبة وعباد بن العوام وإسماعيل بن علية وحجاج بن محمد الأعور وروى عنه أبو حذيفة إسحاق بن بشر وهو أسن منه ويحيى بن أكثم القاضي وابنه الفضل بن المأمون ومعمر بن شبيب وأبو يوسف القاضي وجعفر بن أبي عثمان الطيالسي وأحمد بن الحارث الشعبي أو اليزيدي وعمرو بن مسعدة وعبد الله بن طاهر بن الحسين ومحمد بن إبراهيم السلمى ودعبل بن على الخزاعي قال وقدم دمشق مرات وأقام بها مدة ثم روى ابن عساکر

من طريق أبي القاسم البغوي حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي قال سمعت المأمون في
الشماسية وقد أجرى الحلبة فجعل ينظر إلى كثرة الناس فقال ليحي بن أكرم أما ترى كثرة
الناس قال حدثنا يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الخلق كلهم عيال الله فاحبهم إليه أنفعهم لعياله ومن حديث أبي بكر المياحي عن الحسين
بن أحمد المالكي عن يحيى بن أكرم القاضي عن المأمون عن هشيم عن منصور عن الحسن
عن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحياء من الإيمان ومن حديث جعفر
بن أبي عثمان الطيالسي أنه صلى العصر يوم عرفة خلف المأمون بالرفافة فلما سلم كبر
الناس فجعل يقول لا يا غوغاء لا يا غوغاء غدا التكبير سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم
فلما كان الغد صعد المنبر فكبر ثم قال أنبا هشيم بن بشير ثنا ابن شبرمة عن الشعبي عن
البراء بن عازب عن أبي بردة بن دينار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذبح
قبل أن يصلى فانما هو لحم قدمه لأهله ومن ذبح بعد أن يصلى الغداة فقد أصاب السنة الله
أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا اللهم اصلحني واستصلحني وأصلح
على يدي تولى المأمون الخلافة في المحرم لخمس بقين منه بعد مقتل أخيه سنة ثمان
وتسعين ومائة واستمر في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر وقد كان فيه تشيع واعتزال
وجهل بالسنة الصحيحة وقد بايع في سنة إحدى ومائتين بولاية العهد من بعده لعل الرضى
بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن
علي بن أبي طالب وخلع السواد ولبس الخضرة كما تقدم فأعظم ذلك العباسيون من
البغادة وغيرهم وخلعوا المأمون وولوا عليهم إبراهيم بن المهدي ثم طفر المأمون بهم
واستقام له الحال في الخلافة وكان على مذهب الاعتزال لأنه اجتمع بجماعة منهم بشر بن
غياث المريسي فخدعوه وأخذ عنهم هذا المذهب الباطل وكان يحب العلم ولم يكن له
بصيرة نافذة فيه فدخل عليه بسبب ذلك الداخل وراج عنده الباطل ودعا إليه وحمل الناس
عليه قهرا وذلك في آخر أيامه وانقضاء دولته وقال ابن أبي الدنيا كان المأمون أبيض ربه
حسن الوجه قد وخطه الشيب يعلوه صفرة أعين طويل اللحية رقيقها ضيق الجبين على
خده خال أمه أم ولد يقال لها مراحل وروى الخطيب عن القاسم بن محمد بن عباد قال لم
يحفظ القرآن أحد من الخلفاء غير عثمان بن عفان والمأمون وهذا غريب جدا لا يوافق عليه
فقد كان يحفظ القرآن عدة من الخلفاء قالوا وقد كان المأمون ولو في شهر رمضان ثلاثا
وثلاثين ختمة وجلس يوما لأملاء الحديث فاجتمع حوله القاضي يحيى بن أكرم وجماعة فأملى
عليهم من حفظه ثلاثين حديثا وكانت له بصيرة بعلوم متعددة فقها وطبا وشعرا وفرائض
وكلاما ونحوا وغريبه وغريب حديث وعلم النجوم وإليه ينسب الزيج المأموني وقد اختبر
مقدار الدرجة في وطنه سنجان فاختلف عمله وعمل الأوائل من الفقهاء وروى ابن عساكر
أن المأمون جلس يوما للناس وفي مجلسه الأمراء والعلماء فجاءت امرأة تتظلم إليه
فذكرت أن أباها توفي وترك ستمائة دينار فلم يحصل لها سوى دينار واحد فقال لها المأمون
على البديهة قد وصل إليك حقك كأن أخاك قد ترك بنتين وأما زوجة واثنى عشر أخا وأختا
واحدة وهي أنت قالت نعم يا أمير المؤمنين فقال للبنتين الثلثان أربعمائة دينار وللأم
السدس مائة دينار وللزوجة الثمن خمسة وسبعون ديناراً بقي خمسة وعشرون ديناراً لكل
أخ ديناران ديناران ولك دينار واحد فعجب العلماء من فطنته وحده ذهنه وسرعة جوابه وقد
رويت هذه الحكاية عن علي بن أبي طالب

ودخل بعض الشعراء على المأمون وقد قال فيه بيتا من الشعر يراه عظيما فلما أنشده إياه
لم يقع منه موقعا طائلا فخرج من عنده محروما فلقبه شاعر آخر فقال له ألا أعجبك أنشدت
المأمون هذا البيت فلم يرفع به رأسا فقال وما هو قال قلت فيه
أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا * بالدين والناس بالدنيا مشاغلا
فقال له الشاعر الآخر ما زدت على أن جعلته عجوزا في محرابها فهلا قلت كما قال جرير
في عبد العزيز بن مروان
فلا هو في الدنيا مضيق نصيبه * ولا عرض الدنيا عن الدين شاغله
وقال المأمون يوما لبعض جلسائه بيتان اثنتان لاثنتين ما يلحق بهما أحد قول أبي نواس
إذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في لباس صديق

وقول شريح * تهون على الدنيا الملامة إنه

حريص على استصلاحها من يلومها

قال المأمون وقد ألجاني الزحام يوما وأنا في الموكب حتى خالطت السوق فرأيت رجلا في دكان عليه أثواب خلقة فنظر إلى نظر من يرحمني أو من يتعجب من أمرى فقال

أرى كل مغرور تمنيه نفسه * إذا ما مضى عام سلامة قابل

وقال يحيى بن أكنم سمعت المأمون يوم عيد خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على

الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قال عباد الله عظم أمر الدارين وارتفع جزاء العالمين

وطالت مدة الفريقين فوالله إنه للجد لا اللعب وإنه للحق لا الكذب وما هو إلا الموت والبعث

والحساب والفصل والميزان والصراط ثم العقاب أو الثواب فمن نجا يومئذ فقد فاز ومن

هوى يومئذ فقد خاب الخير كله في الجنة والشر كله في النار وروى ابن عساكر من طريق

النضر بن شميل قال دخلت على المأمون فقال كيف أصبحت يا نصير فقلت بخير يا أمير

المؤمنين فقال ما الأرجاء فقلت دين يوافق الملوك يصيبون به من دنياهم وينقصمون به من

دينهم قال صدقت ثم قال يا نصر أتدري ما قلت في صبيحة هذا اليوم قلت إني لمن علم

الغيب لبعيد فقال قلت أبياتا وهي

أصبح ديني الذي أدين به * ولست منه الغداة معذرا

حب على بعد النبي ولا * أشتم صديقا ولا عمرا

ثم ابن عفان في الجنان مع * الأبرار ذاك القتل مصطبرا

ألا ولا أشتم الزبير ولا * طلحة إن قال قائل غدرا

وعائش الأم لست أشتمها * من يفتر بها فنحن منه برا

وهذا المذهب ثاني مراتب الشيعة وفيه تفضيل على على الصحابة وقد قال جماعة من

السلف والدار قطني من فضل عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار يعني في

اجتهادهم ثلاثة أيام ثم اتفقوا على عثمان وتقديمه على علي بعد مقتل عمر وبعد ذلك ست

عشرة مرتبة في التشيع على ما ذكره صاحب كتاب البلاغ الأكبر والناموس الأعظم

وهو كتاب ينتهي به إلى أكفر الكفر وقد روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال

لأوتى بأحد فضلنى على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفترى وتواتر عنه أنه قال خير الناس

بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر فقد خالف المأمون الصحابة كلهم حتى على

بن أبي طالب وقد أضاف المأمون إلى بدعته هذه التي أزرى فيها على المهاجرين والأنصار

البدعة الأخرى والطامة الكبرى وهي القول بخلق القرآن مع ما فيه من الانهماك على

تعاطي المسكر وغير ذلك من الأفعال التي تعدد فيها المنكر ولكن كان فيه شهامة عظيمة

وقوة جسيمة في القتال وحصار الأعداء ومصابرة الروم وحصارهم وقتل رجالهم وسي

نساءهم وكان يقول كان لعمر بن عبد العزيز وعبد الملك حجاب وأنا بنفسى وكان يتحرى

العدل ويتولى بنفسه الحكم بين الناس والفصل جاءته امرأة ضعيفة قد تظلمت على ابنه

العباس وهو قائم على رأسه فأمر الحاجب فأخذه بيده فأجلسه معها بين يديه فادعت عليه

بأنه أخذ ضيعة لها واستحوذ عليها فتناظرا ساعة فجعل صوتها يعلو على صوته فزجرها بعض

الحاضرين فقال له المأمون اسكت فان الحق أنطقها والباطل أسكته ثم حكم لها بحقها

وأغرم ابنه لها عشرة آلاف درهم

وكتب إلى بعض الأمراء ليس المرأة أن يكون بيتك من ذهب وفضة وغريمك عار وجارك

طاوو الفقير جائع ووقف رجل بين يديه فقال له المأمون والله لأقتلنك فقال يا أمير

المؤمنين تان على فإن الرفق نصف العفو فقال وبلك ويحك قد حلفت لأقتلنك فقال يا أمير

المؤمنين إنك إن تلق الله حائنا خير من أن تلقاه قاتلا فعفا عنه وكان يقول لبيت أهل الجرائم

يعرفون أن مذهبي العفو حتى يذهب الخوف عنهم ويدخل السرور إلى قلوبهم وركب يوما

في حراقة فسمع ملاحا يقول لأصحابه ترون هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه

الأمين يقول ذلك وهو لا يشعر بمكان المأمون فجعل المأمون يتبسم ويقول كيف ترون

الحيلة حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل

القدر وحضر عند المأمون هدبة بن خالد ليتغدي عنده فلما رفعت المائدة جعل هدبة يلتقط

ما تناثر منها من اللباب وغيره فقال له المأمون أما شبعت يا شيخ فقال بلى حدثنى حماد بن

سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أكل ما تحت مائدته
أمن من الفقر قال فأمر له المأمون بألف دينار
وروي ابن عساكر أن المأمون قال يوما لمحمد بن عباد بن المهلب يا أبا عبدالله قد أعطيتك
ألف ألف وألف وأعطيتك دينارا فقال له يا أمير المؤمنين إن منع الموجود سوء ظن
بالمعبود فقال أحسنت يا أبا عبد الله اعطوه ألف وألف وألف وألف وألف وألف ولما أراد
المأمون أن يدخل ببوران بنت الحسن بن سهل جعل الناس يهدون لأبيها الأشياء النفيسة
وكان من جملة من يعتز به رجل من الأدباء فأهدى إليه مزودا فيه ملح طيب ومزودا فيه
أشنان جيد وكتب إليه إني كرهت أن تطوى صحيفة أهل البر ولا أذكر فيها فوجهت إليك
بالمبتدأ به ليمنه وبركته وبالمختوم به لطيبه ونظافته وكتب إليه
بضاعتي تقصر عن همتي * وهمتي تقصر عن مالي
فالمح والاشنان ياسيدي * أحسن ما يهد به أمثالي
قال فدخل بها الحسن بن سهل على المأمون فأعجبه ذلك وأمر بالمزودين ففرغا ومثلا
دنابر وبعث بهما إلى ذلك الأديب وولد للمأمون ابنه جعفر فدخل عليه الناس يهنئونه بصنوف
التهاني ودخل بعض الشعراء فقال يهنيه بولده
مد لك الله الحياة مدا * حتى ترى ابنك هذا جدا
ثم يفدى مثل ما تفدى * كأنه أنت إذا تبدي
أشبه منك قامة وقدا * مؤزرا بمجده مردا
قال فأمر له بعشرة آلاف درهم وقدم عليه وهو بدمشق مال جزيل بعد ما كان قد أفلس
وشكى إلى أخيه المعتصم ذلك فوردت عليه خزائن من خراسان ثلاثون ألف ألف درهم
فخرج يستعرضها وقد زينت الجمال والأحمال ومعه يحي بن أكرم القاضي فلما دخلت البلد
قال ليس من المرؤة أن نحوز نحن هذا كله والناس ينظرون ثم فرق منه أربعة وعشرين
ألف ألف درهم ورجله في الركاب لم ينزل عن فرسه ومن لطيف شعره
لساني كنوم لأسراركم * ودمعي نموم لسري مديع
فلولا دموعي كتمت الهوى * ولولا الهوى لم تكن لي دموع
بعث خادما ليلة من الليالي ليأتيه بجارية فأطال الخادم عندها المكث وتمنعت الجاية من
المجيء إليه حتى يأتي إليها المأمون بنفسه فأنشأ المأمون يقول
بعثتك مشتاقا ففرت بنظرة * وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا
فناجيت من أهوى وكنت مابعدا * فياليت شعري عن دنوك ما أغنى
ورددت طرفا في محاسن وجهها * ومتعت باستسماع نغمتها أذنا
أرى أثرا منه بعينيك بينا * لقد سرقت عيناك من عينها حسنا
ولما ابتدع المأمون ما ابتدع من التشيع والاعقرال فرح بذلك بشر المريسي وكان بشر هذا
شيخ المأمون فأنشأ يقول
قد قال مأمونا وسيدنا * قولا له في الكتب تصديق
إن عليا أعني أبا حسن * أفضل من قد أقلت النوق
بعد نبي الهدى وإن لنا * أعمالنا والقرآن مخلوق
فأجابه بعض الشعراء من أهل السنة * يا أيها الناس لا قول ولا عمل
لمن يقول كلام الله مخلوق
ما قال ذاك أبو بكر وعمر * ولا النبي ولم يذكره صديق
ولم يقل ذاك إلا كل مبتدع * على الرسول وعند الله زنديق
بشر أراد به إحقاق دينهم * لأن دينهم والله ممحوق
يا قوم أصبح عقل من خليفتمكم * مقيدا وهو في الأغلال موثوق
وقد سأل بشر بن المأمون أن يطلب قائل هذا فيؤدبه على ذلك فقال ويحك لو كان فقيها
لأدبته ولكنه شاعر فليست أعرض له ولما تجهز المأمون للغزو في آخر سفرة سافرها إلى
طرسوس استدعى بجارية كان يحبها وقد اشتراها في آخر عمره فضمها إليه فبكت الجارية
وقالت قتلنتي يا أمير المؤمنين بسفرك ثم أنشأت تقول
سأدعوك دعوة المضطر ربا * يثيب على الدعاء ويستجيب

لعل الله أن يكفيك حربا * وجمعنا كما تهوى القلوب
فضمها إليه وأنشأ يقول متمثلا * فيا حسنها إذ يغسل الدمع كحلها
وإذ هي تدرى الدمع منها الأنامل
صبيحة قالت في العتاب قتلتنى * وقتلي بما قالت هناك تحاول
ثم أمر مسرورا الخادم بالاحسان إليها والاحتفاظ عليها حتى يرجع ثم قال نحن كما قال
الأخطل

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بإطهار
ثم ودعها وسار فمرضت الجارية في غيبته هذه ومات المأمون أيضا في غيبته هذه فلما جاء
نعيه إليها تنفست الصعداء وحضرتها الوفاة وأنشأت تقول وهي في السياق
إن الزمان ساقنا من مرارته * بعد الحلاوة كأسات فأروانا
أبدي لنا تارة منه فأضحكنا * ثم انشئ تارة أخرى فأبكانا
إنا إلى الله فيما لا يزال بنا * من القضاء ومن تلون دنيانا
دنيا تراها ترينا من تصرفها * ما لا يدوم مصافاة وأحزاننا
ونحن فيها كأننا لا يزالنا * للعيش أحياء وما سيكون موتانا
كانت وفاة المأمون بطرسوس في يوم الخميس وقت الظهر وقيل بعد العصر لثلاث عشرة
ليلة بقيت من رجب من سنة ثمانين ومائتين وله من العمر نحو من ثمان وأربعين سنة
وكانت مدة خلافته عشرين سنة وأشهرها وصلى عليه أخوه المعتصم وهو ولي العهد من بعده
ودفن بطرسوس في دار خاقان الخادم وقيل كانت وفاته يوم الثلاثاء وقيل يوم الأربعاء
لثمان بقين من هذه السنة وقيل إنه مات خارج طرسوس بربع مراحل فحمل إليها فدفن بها
وقيل إنه نقل إلى أذنة في رمضان فدفن بها فإله أعلم وقد قال أبو سعيد المخزومي
هل رأيت النجوم أغنت عن المأمون * شيئا أو ملكه المأسوس
خلفوه بعرضتي طرسوس * مثل ما خلفوا أباه بطوس
وقد كان أوصى إلى أخيه المعتصم وكتب وصيته بحضرته وبحضرة ابنه العباس وجماعة
القضاة والأمراء والوزراء والكتاب وفيها القول بخلق القرآن ولم يتب من ذلك بل مات عليه
وانقطع عمله وهو على ذلك لم يرجع عنه ولم يتب منه وأوصى أن يكبر عليه الذي يصلى
عليه خمسا وأوصى المعتصم بتقوى الله عز وجل والرفق بالرعية وأوصاه بعبد الله بن طاهر
وأحمد بن أبي داود وقال شاوره في أمورك ولا تفارقه وإياك ويحي بن أكرم أن تصحبه ثم
نهاه عنه وذمه وقال خانني ونفر الناس عنى ففارقت غير راض عنه ثم أوصاه بالعلوبين خيرا
أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وأن يواصلهم بصلاتهم في كل سنة
وقد ذكر ابن جرير للمأمون ترجمة حافلة أورد فيها كثيرة لم يذكرها ابن عساكر مع كثرة ما
يورده وفوق كل ذي علم عليم
خلافة المعتصم بالله ابي اسحاق بن هارون
بوع له بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس يوم الخميس الثاني عشر من رجب من
سنة

ثمانين ومائتين وكان إذ ذاك مريضا وهو الذي صلى على أخيه المأمون وقد سعى
بعض الأمراء في ولاية العباس بن المأمون فخرج عليهم العباس فقال ما هذا الخلف البارد
أنا قد بايعت عمى المعتصم فسكن الناس وخمدت الفتنة وركب البرد بالبيعة للمعتصم إلى
الآفاق وبالتعزية بالمأمون فأمر المعتصم بهدم ما كان بناه المأمون في مدينة طوانة ونقل ما
كان حول إليها من السلاح وغيره إلى حصون المسلمين وأذن الفعلة بالانصراف إلى بلدانهم
ثم ركب المعتصم بالجنود قاصدا بغداد وصحبته العباس بن المأمون فدخلها يوم السبت
مستهل رمضان في أبهة عظيمة وتجمل تام وفيها دخل خلق كثير من أهل همذان وأصبهان
وماسيذان ومهرجان في دين الخرمية فتجمع منهم بشر كثير فجهز إليهم المعتصم جيوشا
كثيرة آخرهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب في جيش عظيم وقد له على الجبال فخرج في
ذي القعدة وقرئ كتابه بالفتح يوم التروية وأنه قهر الخرمية وقتل منهم خلقا كثيرا وهرب
بقيتهم إلى بلاد الروم وعلى يدي هذا جرت فتنة الامام أحمد وضرب بين يديه كما سيأتي
بسط ذلك في ترجمة أحمد في سنة إحدى وأربعين ومائتين وفيها توفي من الأعيان

بشر المريسي

وهو بشر بن غياث بن أبي كريمة أبو عبد الرحمن المريسي المتكلم شيخ المعتزلة وأحد من أصل المأمون وقد كان هذا الرجل ينظر أولاً في شيء من الفقه وأخذ عن أبي يوسف القاضي وروى الحديث عنه وعن حماد بن سلمة وسفيان بن عيينة وغيرهم ثم غلب عليه علم الكلام وقد نهى الشافعي عن تعلمه وتعاطيه فلم يقبل منه وقال الشافعي لئن يلقى الله العبد بكل ذنب ما عدا الشرك أحب إلى من أن يلقاه بعلم الكلام وقد اجتمع بشر بالشافعي عند ما قدم بغداد قال ابن خلكان جدد القول بخلق القرآن وحكى عنه أقوال شنيعة وكان مرجئياً وإليه تنسب المريسية من المرجئة وكان يقول إن السجود للشمس والقمر ليس بكفر وإنما هو علامة للكفر وكان يناظر الشافعي وكان لا يحسن النحو وكان يلحن لحنا فاحشاً ويقال إن أباه كان يهودياً صابغاً بالكوفة وكان يسكن درب المريسي ببغداد والمريسي عندهم هو الخبر الرقاق يمرس بالسمن والتمر قال ومريسي ناحية ببلاد النوبة تهب عليها في الشتاء ريح باردة

وفيهما توفي عبد الله بن يوسف الشيبني وأبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الغساني الدمشقي ويحيى بن عبد الله البابلتي

وأبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري

راوى السيرة عن زياد بن عبد الله البكائي عن ابن إسحاق مصنفها وإنما نسبت إليه فيقال سيرة ابن هشام لأنه هذبها وزاد فيها ونقص منها وحرر أماكن واستدرك أشياء وكان إماماً في اللغة والنحو وقد كان مقيماً بمصر واجتمع به الشافعي حين ورد لها وتناشداً من أشعار العرب شيئاً كثيراً كانت وفاته بمصر لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة قاله ابن يونس في تاريخ مصر وزعم السهيلي أنه توفي في سنة ثلاث عشرة كما تقدم فالله أعلم *2*

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائتين

@ فيها ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالطالقان من خراسان يدعو إلى الرضى من آل محمد واجتمع عليه خلق كثير وقتله قواد عبد الله بن طاهر مرات متعددة ثم ظهوروا عليه وهرب فأخذ ثم بعث به إلى عبد الله بن طاهر فبعث به إلى المعتصم فدخل عليه للنصف من ربيع الآخر فأمر به فحبس في مكان ضيق طوله ثلاثة أذرع في ذراعين فمكث فيه ثلاثاً ثم حول لأوسع منه وأجرى عليه رزق ومن يخدمه فلم يزل محبوساً هناك إلى ليلة عيد الفطر فاشتغل الناس بالعيد فدل له حبل من كوة كان يأتبه الضوء منها فذهب فلم يدر كيف ذهب وإلى أين صار من الأرض وفي يوم الأحد لحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى دخل إسحاق بن إبراهيم إلى بغداد راجعاً من قتال الخرمية ومعه أسارى منهم وقد قتل في حربه منهم مائة ألف مقاتل وفيها بعث المعتصم عجيفا في جيش كثيف لقتال الزط الذين عاثوا فساداً في بلاد البصرة وقطعوا الطريق ونهبوا الغلات فمكث في قتالهم تسعة أشهر فقهرهم وقمع شرهم وأباد خضراهم وكان القائم بأمرهم رجل يقال له محمد بن عثمان ومعه آخر يقال له سملق وهو داهيتهم وشيطانهم فأراح الله المسلمين منه ومن شره

وفيهما توفي سليمان بن داود الهاشمي شيخ الامام أحمد وعبد الله بن الزبير الحميدي صاحب المسند وتلميذ الشافعي وعلي بن عياش وأبو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخاري وأبو بحار الهندي

2 ثم دخلت سنة عشرين ومائتين من الهجرة

@ في يوم عاشوراء دخل عجيف في السفن إلى بغداد ومعه من الزط سبعة وعشرون ألفاً قد جاؤا بالأمان إلى الخليفة فأنزلوا في الجانب الشرقي ثم نفاهم إلى عين رومة فأغارت الروم عليهم فاحتاحوهم عن آخرهم ولم يفلت منهم أحد فكان آخر العهد بهم وفيها عقد المعتصم للأفشين واسمه حيدر بن كاوس على جيش عظيم لقتال بابك الخرمي لعنه الله وكان قد استفحل أمره جدا وقويت شوكته وانتشرت أتباعه في أذربيجان وما والاها وكان أول ظهوره في سنة إحدى ومائتين وكان زنديقاً كبيراً وشيطاناً رجيماً فسار الأفشين وقد أحكم صناعة الحرب في الأرصاد وعمارة الحصون وإرصاد المدد وأرسل إليه المعتصم مع بغا الكبير أموالاً جزيلة نفقة لمن معه من

الجدد والأتباع فالتقي هو وبابك فاقتتلا قتالا شديدا فقتل الأفشين من أصحاب بابك خلقا كثيرا أزيد من مائة ألف وهرب هو إلى مدينته فأوى فيها مكسورا فكان هذا أول ما تضعض من أمر بابك وجرت بينهما حروب يطول ذكرها وقد استقصاها ابن جرير وفيها خرج المعتصم من بغداد فنزل القاطول فأقام بها وفيها غضب المعتصم على الفضل بن مروان بعد المكانة العظيمة وعزله عن الوزارة وحبسه وأخذ أمواله وجعل مكانه محمد بن عبد الملك ابن الزيات وحج بالناس فيها صالح بن علي بن محمد أمير السنة الماضية في الحج

وفيها توفي آدم بن أبي إياس وعبد الله بن رجاء وغفان بن مسلمة وقالون أحد مشاهير القراء وأبو حذيفة الهندي

2 ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين

@ فيها كانت وقعة هائلة بين بغا الكبير وبابك فهزم بابك بغا وقتل خلقا من أصحابه ثم اقتتل الأفشين وبابك فهزمه أفشين وقتل خلقا من أصحابه بعد حروب طويلة قد استقصاها ابن جرير وحج بالناس فيها نائب مكة محمد بن داود بن عيسى بن موسى العباسي وفيها توفي عاصم بن علي وعبدالله بن مسلم القعني وعبدان وهشام بن عبيدالله الرازي

2 ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين ومائتين

@ فيها جهز المعتصم جيشا كبيرا مددا للأفشين على محاربة بابك وبعث إليه ثلاثين ألف ألف درهم نفقة للجدد فاقتتلوا قتالا عظيما وافتتح الأفشين البذ مدينة بابك واستباح ما فيها وذلك يوم الجمعة لعشر بعين من رمضان وذلك بعد محاصرة وحروب هائلة وقتال شديد وجهد جهيد وقد أطال ابن جرير بسط ذلك جدا وحاصل الأمر أنه افتتح البلد وأخذ جميع ما فيه من الأموال مما قدر عليه

ذكر مسك بابك

لما احتوى المسلمون على بلده المسمى بالبذ وهي دار ملكه ومقر سلطته هرب بمن معه من أهله وولده ومعه أمه وامراته فانفرد في شردمة قليلة ولم يبق معهم طعام فاجتازوا بحراث فبعث غلامه إليه وأعطاه ذهبا فقال أعطه الذهب وخذ ما معه من الخبز فنظر شريك الحراث إليه من بعيد وهو يأخذ منه الخبز فظن أنه قد اغتصبه منه فذهب إلى حصن هناك فيه نائب للخليفة يقال له سهل بن سنباط ليستعدى على ذلك الغلام فقال ما خبرك فقال لاشيء إنما أعطيت دنائير وأخذت منه الخبز فقال ومن أنت فأراد أن يعمي عليه الخبز فألح عليه فقال من غلمان بابك فقال واين هو فقال هاهو ذا جالس يريد الغداء فسار إليه سهل بن سنباط فلما رآه ترجل وقبل يده وقال ياسيدي أين تريد قال أريد أن أدخل بلاد الروم فقال إلى عند من تذهب أحرز من حصني وأنا غلامك وفي خدمتك وما زال به حتى خدعه وأخذه معه إلى الحصن فأنزله عنده وأجرى عليه النفقات الكثيرة والتحف وغير ذلك وكتب إلى الأفشين يعلمه فأرسل إليه أميرين لقبضه فنزلا قريبا من الحصن وكتبا إلى ابن سنباط فقال أقيما مكانكما حتى يأتكما أمرى ثم قال لبابك إنه قد حصل لك هم وضيق من هذا الحصن وقد عزمت على الخروج اليوم إلى الصيد ومعنا بزاة وكلاب فإن أحببت أن تخرج معنا لتشرح صدرك وتذهب همك فافعل قال نعم فخرجوا وبعث ابن سنباط إلى الأميرين أن كونوا مكان كذا وكذا في وقت كذا وكذا من النهار فلما كانا بذلك الموضع أقبل الأميران بمن معهما من الجنود فأحاطوا ببابك وهرب ابن سنباط فلما رآوه جاؤا إليه فقالوا ترجل عن دابتك فقال ومن أنتما فذكروا أنهما من عند الأفشين فترجل حينئذ عن دابته وعليه دراعة بيضاء وخف قصير وفي يده باز فنظر إلى ابن سنباط فقال قبحك الله فهلا طلبت مني من المال ما شئت كنت أعطيتك أكثر مما يعطيك هؤلاء ثم أركبوه وأخذوا معهما إلى الأفشين لما اقتربوا منه خرج ففعل ذلك وكان يوما مشهودا جدا وكان ذلك في شوال من هذه السنة ثم احتفظ به وسجنه عنده ثم كتب الأفشين إلى المعتصم بذلك فأمره أن يقدم به وبأخيه وكان قد مسكه أيضا وكان اسم أخي بابك عبد الله فتجهز الأفشين بهما إلى بغداد في تمام هذه السنة ففرغت ولم يصل بهما إلى بغداد وحج بالناس فيها الأمير المتقدم ذكره في التي قبلها

وفيهما توفي أبو اليمان الحكم بن نافع وعمر بن حفص بن عياش ومسلم بن إبراهيم ويحي بن صالح الوحاظي

2 ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين

@ في يوم الخميس ثالث صفر منها دخل الأفشين وصحبته بابك علي المعتصم سامرا ومعه أيضا أخو بابك في تجمل عظيم وقد أمر المعتصم ابنه هارون الواثق أن يتلقى الأفشين وكانت أخباره تفد إلى المعتصم في كل يوم من شدة اعتناء المعتصم بأمر بابك وقد ركب المعتصم قبل وصول بابك بيومين على البريد حتى دخل إلى بابك وهو لا يعرفه فنظر إليه ثم رجع فلما كان يوم دخوله عليه تاهب المعتصم واصطف الناس سماطين وأمر بابك أن يركب على فيل ليظهر أمره ويعرفوه وعليه قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة وقد هينوا الفيل وخضبوا أطرافه ولبسوه من الحرير والأمتعة التي تليق به كثيرا وقد قال فيه بعضهم قد خضب الفيل كعادته * يحمل شيطان خراسان

والفيل لا تخضب أعضاؤه * إلا الذي شأن من الشان

ولما أحضر بين يدي المعتصم أمر بقطع يديه ورجليه وجز رأسه وشق بطنه ثم أمر بحمل رأسه إلى خراسان وصلب جثته على خشبة بسامرا وكان بابك قد شرب الخمر ليلة قتله وهي ليلة الخميس لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر من هذه السنة وكان هذا الملعون قد قتل من المسلمين في مدة ظهوره وهي عشرون سنة مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفا وخمسماية إنسان قاله ابن جرير وأسر خلقا لا يحصون وكان جملة من استنقذه الأفشين من أسره نحو من سبعة آلاف وستماية إنسان وأسر من أولاده سبعة عشر رجلا ومن حلائله وحلائل أولاده ثلاثة وعشرون امرأة من الخواتين وقد كان أصل بابك من جارية زرية الشكل جدا قال به الحال إلى ما آل به إليه ثم أراح الله المسلمين من شره بعدما افتتن به خلق كثير وجم غفير من العوام الطغام

ولما قتله المعتصم توج الأفشين وقلده وشاحين من جوهر وأطلق له عشرين ألف درهم وكتب له بولاية السند وأمر الشعراء أن يدخلوا عليه فيمدحوه على ما فعل من الخير إلى المسلمين وعلى تخريبه بلاد بابك التي يقال لها البذ وتركه إياها قيعانا خرابا فقالوا في ذلك فأحسنوا وكان من جملتهم أبو تمام الطائي وقد أورد قصيدته بتمامها ابن جرير وهي قوله

بذ الجلال البذ فهو دفين * ما إن بها إلا الوحوش قطين

لم يقر هذا السيف هذا الصبر في * هيجاء إلى عز هذا الدين

قد كان عذرة سودد فافتضها * بالسيف فحل المشرق الأفشين

فأعادها تعوي الثعالب وسطها * ولقد ترى بالأمس وهي عرين

هطلت عليها من جماجم أهلها * ديم إمارتها طلى وشؤون

كانت من المهجات قبل مفازة * عشرا فاضحت وهي منه معين

وفي هذه السنة أعنى سنة ثلاث وعشرين ومائتين أوقع ملك الروم توفيل بن ميخائيل بأهل ملطية من المسلمين وما والاها ملحمة عظيمة قبل فيها خلقا كثيرا من المسلمين وأسر ما لا يحصون كثرة وكان من جملة من أسر ألف امرأة من المسلمات ومثل بمن وقع في أسره من المسلمين فقطع أذانهم وأنوفهم وسمل أعينهم فبحه الله وكان سبب ذلك أن بابك لما أحيط به في مدينة البذ استوسقت الجيوش حوله وكتب إلى ملك الروم يقول له إن ملك العرب قد جهز إلى جمهور جيشه ولم يبق في أطراف بلاده من يحفظها فإن كنت تريد الغنيمة فانفض سريعا إلى ما حولك من بلاده فخذها فانك لا تجد أحدا يمانعك عنها فركب توفيل بمائة ألف وانضاف إليه المحمرة الذين كانوا قد خرجوا في الجبال وقتلهم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فلم يقدر عليهم لأنهم تحصنوا بتلك الجبال فلما قدم ملك الروم صاروا معه على المسلمين فوصلوا إلى ملطية فقتلوا من أهلها خلقا كثيرا وأسروا نساءهم فلم بلغ ذلك المعتصم انزعج لذلك جدا وصرخ في قصره بالنفير ثم نهض من فوره وأمر بتعبئة الجيوش واستدعى القاضي والشهود فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع ثلثه صدقة وثلثه لولده وثلثه لمواليه وخرج من بغداد فعسكر غربي دجلة يوم الاثنين ليلتين خلتا من جمادي الأولى ووجه بين يديه عجيفا وطائفة من الأمراء ومعهم خلق من

الجيش إعانة لأهل زبطرة فأسرعوا السير فوجدوا ملك الروم قد فعل وانشمر راجعا إلي بلاده وتفرط الحال ولم يمكن الاستدراك فيه فرجعوا إلى الخليفة لاعلامه بما وقع من الأمر فقال للأمراء أي بلاد الروم أمنع قالوا عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الاسلام وهي أشرف عندهم من القسطنطينية

فتح عمورية على يد المعتصم
لما تفرغ المعتصم من بابك وقتله وأخذ بلاده استدعى بالجيوش إلى بين يديه وتجهز جهازا لم يجهزه أحد كان قبله من الخلفاء وأخذ معه من آلات الحرب والأحمال والجمال والقرب والدواب والنفط والخيول والبغال شيئا لم يسمع بمثله وسار إلى عمورية في جحافل أمثال الجبال وبعث الأفشين حيدر بن كاوس من ناحية سروج وعبى جيوشه تعبئة لم يسمع بمثلهما وقدم بين يديه الأمراء العروفين بالحرب فانتهى في سيره إلى نهر اللسي وهو قريب من طرسوس وذلك في رجب من هذه السنة وقد ركب ملك الروم في جيشه فقصد نحو المعتصم فتقاربا حتى كان بين الجيشين نحو من أربعة فراسخ ودخل الأفشين بلاد الروم من ناحية أخرى فجأوا في أثره وضاق ذرعه بسبب ذلك إن هو ناجز الخليفة جاءه الأفشين من خلفه فالتقيا عليه فيهلك وإن اشتغل بأحدهما وترك الآخر أخذه من خلفه ثم اقترب منه الأفشين من خلفه فالتقيا عليه فيهلك وإن اشتغل بأحدهما وترك الآخر أخذه من خلفه ثم اقترب منه الأفشين فسار إليه ملك الروم في شردمه من جيشه واستخلف على بقية جيشه قريبا له فالتقيا هو والأفشين في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان منها فثبت الأفشين في ثاني الحال وقتل من الروم خلقا وجرح آخرين وتغلب على ملك الروم وبلغه أن بقية الجيش قد شردوا عن قرابته وذهبوا عنه وتفرقوا عليه فأسرع الأوبة فإذا نظام الجيش قد أنحل فغضب على قرابته وضرب عنقه وجاءت الأخبار بذلك كله إلى المعتصم فسره ذلك وركب من فورهِ وجاء إلى أنقره ووافاه الأفشين بمن معه إلى هناك فوجدوا أهلها قد هربوا منه فتقربوا منها بما وجدوا من طعام وغيره ثم فرق المعتصم جيشه ثلاث فرق فالميمنه عليها الأفشين والميسرة عليها أشناس والمعتصم في القلب وبين كل عسكري فرسخان وأمر كل أمير من الأفشين وأشناس أن يجعل لجيشه ميمنة وميسرة وقلبا ومقدمة وساقة وأنهم مهما مروا عليه من القرى حرقوه وخرّبوه وأسروا وغنموا وسار بهم كذلك قاصدا إلى عمورية وكان بينها وبين مدينة أنقره سبع مراحل فأول من وصل إليها من الجيش أشناس أمير الميسرة ضحوة يوم الخميس لخمس خلون من رمضان من هذه السنة فدار حولها دورة ثم نزل على ميلين منها ثم قدم المعتصم صبيحة يوم الجمعة بعده فدار حولها دورة ثم نزل قريبا منها وقد تحصن أهلها تحصنا شديدا وملؤا أبراجها بالرجال والسلاح وهي مدينة عظيمة كبيرة جدا ذات سور منيع وأبراج عالية كبار كثيرة وقسم المعتصم الأبراج على الأمراء فنزل كل أمير تجاه الموضع الذي أقطعه وعينه له ونزل المعتصم قبالة مكان هناك قد أرشد إليه أرشده إليه بعض من كان فيها من المسلمين وكان قد تنصر عندهم وتزوج منهم فلما رأى أمير المؤمنين والمسلمين رجع إلى الإسلام وخرج إلى الخليفة فأسلم وأعلمه بمكان في السور كان قد هدمه السيل وبنى بناء ضعيفا بلا أساس فنصب المعتصم المجانيق حول عمورية فكان أول موضع انهدم من سورها ذلك الموضع الذي دلهم عليه ذلك الأسير فبادر أهل البلد فسدوه بالخشب الكبار المتلاصقة فألخ عليها المنجنيق فجعلوا فوقها البرادع ليردوا حدة الحجر فلم تغن شيئا وانهدم السور من ذلك الجانب وتفسخ فكتب نائب البلد إلى ملك الروم يلعمه بذلك وبعث ذلك مع غلامين من قومهم فلما اجتازوا بالجيش في طريقهما أنكر المسلمين امرهما فسألوهما ممن أنتما فقالا من أصحاب فالن أمير سموه من أمراء المسلمين فحملا إلى المعتصم فقررهما فاذا معهما كتاب مناطس نائب عمورية إلى ملك الروم يعلمه بما حصل لهم من الحصار أنه عازم على الخروج من أبواب البلد بمن معه بغتة على المسلمين ومناجزهم القتال كائنا في ذلك ما كان فلما وقف لمعتصم على ذلك أمر بالغلامين فخلع عيهما وأن يعطى كل غلام منهما بكرة فأسلما من فورهما فأمر الخليفة أن يطاف بهما حول البلد وعليهما وأن يوقفا تحت حصن مناطس فينثر عليهما الدراهم والخلع ومعهما الكتاب الذي كتب به مناطس إلى ملك الروم فجعلت الروم تلعنهما وتسبهما ثم أمر المعتصم عند ذلك بتجديد الحرس والاحتياط

والاحتفاظ من خروج الروم بغتة فضاقت الروم ذرعا بذلك وألح عليهم المسلمون في الحصار وقد زاد المعتصم في المحانيق والدبابات وغير ذلك من آلات الحرب ولما رأى المعتصم عمق خندقها وارتفاع سورها أعمل المجانيق في مقاومة السور وكان قد غنم في الطريق غنما كثيرا جدا ففرقها في الناس وأمر أن يأكل كل رجل رأسا ويجيء بملؤ جلده ترابا فيطرحه في الخندق ففعل الناس ذلك فتساوى الخندق بوجه الأرض من كثرة ما طرح فيه من الأغنام ثم أمر بالتراب فوضع فوق ذلك حتى صار طريقا ممهدا وأمر بالدبابات أن توضع فوقه فلم يحوج الله إلى ذلك وبينما الناس في الجسر المردوم إذ هدم المنجنيق ذلك الموضع المعيب فلما سقط ما بين البرجين سمع الناس هدة عظيمة فظنوا من لم يرها أن الروم قد خرجوا على المسلمين بغتة فبعث المعتصم من نادى في الناس إنما ذلك سقوط السور ففرح المسلمون بذلك فرحا شديدا لكن لم يكن ما هدم يسع الخيل والرجال إذا دخلوا وقوى الحصار وقد وكلت الروم بكل برج من أبراج السور أميرا يحفظه فضعف ذلك الأمير الذي هدمت ناحيته من السور عن مقاومة ما يلقاه من الحصار فذهب إلى مناطس فسأله تجدة فامتنع أحد من الروم أن ينجده وقالوا لا نترك ما نحن موكلون في حفظه

فلما يئس منهم خرج إلى المعتصم ليجتمع به فلما وصل إليه أمر المعتصم المسلمين أن يدخلوا البلد من تلك الثغرة التي قد خلت من المقاتلة فركب المسلمون نحوها فجعلت الروم يشيرون إليهم ولا يقدرين على دفاعهم فلن يلتفت إليهم المسلمون ثم تكاثروا عليهم ودخلوا البلد قهرا وتتابع المسلمون إليها يكبرون وتفترقت الروم عن أماكنها فجعل المسلمون يقتلونهم في كل مكان حيث وجدوهم وقد حشروهم في كنيسة لهم هائلة ففتحوها قسرا وقتلوا من فيها وأحرقوا عليهم باب الكنيسة فاحترقت فأحرقوا عن آخرهم ولم يبق فيها موضع محصن سوى المكان الذي فيه النائب وهو مناطس في حصن منيع فركب المعتصم فرسه وجاء حتى وقف بحذاء الحصن الذي فيه مناطس فناداه المنادي ويحك يا مناطس هذا أمير المؤمنين واقف تجاهك فقالوا ليس مناطس ههنا مرتين فغضب المعتصم من ذلك وولي فنادى مناطس هذا مناطس فرجع الخليفة ونصب السلالم على الحصن وطلعت الرسل إليه فقالوا له ويحك انزل على حكم أمير المؤمنين فتمنع ثم نزل متقلدا سيفا فوضع السيف في عنقه ثم جيء به حتى أوقف بين يدي المعتصم فضربه بالسوط على رأسه ثم أمر به أن يمشي إلى مضرب الخليفة مهانا إلى الوطاق الذي فيه الخليفة نازل فأوثق هناك وأخذ المسلمون من عمورية أموالا لا تحصى ولا توصف فحملوا منها ما أمكن حمله وأمر المعتصم بإحراق ما بقي من ذلك وبالعراق ما هنالك من المجانيق والدبابات وآلات الحرب لئلا يتقوى بها الروم على شيء من حرب المسلمين ثم انصرف المعتصم راجعا إلى ناحية طرسوس في آخر شوال من هذه السنة وكانت إقامته على عمورية خمسة وعشرين يوما

مقتل العباس بن المأمون

كان العباس مع عمه المعتصم في غزوة عمورية وكان عجيف بن عنبسة قد ندمه إذ لم يأخذ الخلافة بعد أبيه المأمون بطرسوس حين مات بها ولامه على مبايعته عمه المعتصم ولم يزل به حتى أجابه إلى الفتك بعمه وأخذ البيعة من الأمراء له وجهز رجلا يقال له الحارث السمرقندي وكان نديما للعباس فأخذ له البيعة من جماعة من الأمراء في الباطن واستوثق منهم وتقدم إليهم أنه يلي الفتك بعمه فلما كانوا بدرج الروم وهم قاصدون إلى أنقره ومنها إلى عمورية أشار عجيف على العباس أن يقتل عمه في هذا المضيق وبأخذ له البيعة ويرجع إلى بغداد فقال العباس إنني أكره أن أعطل على الناس هذه الغزوة فلما فتحوا عمورية واستغل الناس بالمغانم أشار عليه أن يقتله فوعده مضيق الدرب إذا رجعوا فلما رجعوا فطن المعتصم بالخبر فأمر بالاحتفاظ وقوة الحرس وأخذ بالحزم واجتهد بالعزم واستدعى بالحارث السمرقندي فاستقره فأقر له بجعله الأمر وأخذ البيعة للعباس بن المأمون من جماعة من الأمراء أسماهم له فاستكثرهم المعتصم واستدعى بابن أخيه العباس فقيده وغضب عليه وأهانته ثم أظهر له أنه قد رضى عنه وعفا عنه فأرسله من القيد وأطلق سراحه فلما كان من الليل استدعاه إلى حضرته في مجلس شرابه واستخلى به

حتى سقاه واستحكاه عن الذي كان قد دبره من الأمر فشرح له القضية وذكر له القصة فاذا الأمر كما ذكر الحارث السمرقندي فلما أصبح استدعى بالحارث فأخلاه وسأله عن القضية ثانيا فذكرها له كما ذكرها أول مرة فقال ويحك إنني كنت حريصا على ذلك فلم أجد إلى ذلك سبيلا بصدقك إياي في هذه القصة ثم أمر المعتصم حينئذ بابن أخيه العباس فقيده وسلم إلى الأفشين وأمر بعجيف وبقيّة الأمراء الذين ذكرهم فاحتفظ عليهم ثم أخذهم بأنواع النقمات التي اقترحتها لهم فقتل كل واحد منهم بنوع لم يقتل به الآخر ومات العباس بن المأمون بمنج فدفن هناك وكان سبب موته أنه أجاعه جوعا شديدا ثم جيء بأكل كثير فأكل منه وطلب الماء فمنع منه حتى مات وأمر المعتصم بلعنه على المنبر وسماه اللعين وقتل جماعة من ولد المأمون أيضا

وحج بالناس فيها محمد بن داود وفيها توفي من الأعيان بابك الخرمي قتل وصلب كما قدمنا وخالد بن خراش وعبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد ومحمد بن سنان العوفي وموسى ابن إسماعيل

2 ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائتين

@ فيها خرج رجل بأمل طبرستان يقال له مازيار بن قارن بن يزداهرمز وكان لا يرضى أن يدفع الخراج إلى نائب خراسان عبد الله بن طاهر بن الحسين بل يبعثه إلى الخليفة ليقبضه منه فيبعث الخليفة من يتلقى الحمل إلى بعض البلاد ليقبضه منه ثم يدفعه إلى ابن طاهر ثم آل أمره إلى أن وثب على تلك البلاد وأظهر المخالفة للمعتصم وقد كان المازيار هذا ممن يكاتب بابك الخرمس ويعدّه بالنصر ويقال إن الذي قوى رأس مازيار على ذلك الأفشين ليعجز عبد الله بن طاهر عن مقاومته فيوليه المعتصم بلاد خراسان مكانه فبعث إليه المعتصم محمد بن إبراهيم بن مصعب أخا إسحاق بن إبراهيم في جيش كثيف فجرت بينهم حروب طويلة استقصاها ابن جرير وكان آخر ذلك أسر المازيار وحمله إلى ابن طاهر فاستقره عن الكتب التي بعثها إليه الأشفيين فأقر بها فأرسله إلى المعتصم وما معه من أمواله التي احتفظت للخليفة وهي أشياء كثيرة جدا من الجواهر والذهب والثياب فلما أوقف بين يدي الخليفة سأله عن كتب الأفشين إليه فأنكرها فأمر به فضرب بالسياط حتى مات وصلب إلى جانب بابك الخرمي على جسر بغداد وقتل عيون أصحابه وأتباعه وفيها تزوج الحسن بن الأفسين بآترجة بنتا شناس ودخل بها في قصر المعتصم بسامرا في جمادي

وكان عرسا حافلا وليه المعتصم بنفسه حتى قيل إنهم كانوا يخضبون لحا العامية بالغاوية وفيها خرج منكجور الأشروسنى قرابة الأفشين بأرض أذربيجان وخلع الطاعة وذلك أن الأفشين كان قد استنابه على بلاد أذربيجان حين فرغ من أمر بابك فظفر منكجور بمال عظيم مخزون لبابك في بعض البلدان فأخذه لنفسه وأخفاه عن المعتصم وظهر على ذلك رجل يقال له عبد الله بن عبد الرحمن فكتب إلى الخليفة في ذلك فكتب منكجور يكذبه في ذلك وهم به ليقتله فامتنع منه بأهل أذربيل فلما تحقق الخليفة كذب منكجور بعث إليه بغا الكبير فحاربه وأخذه بالأمان وجاء به إلى الخليفة وفيها مات مناطس الرومي نائب عمورية وذلك أن المعتصم أخذه معه أسيرا فاعتقله بسامرا حتى مات في هذه السنة وفي رمضان منها مات إبراهيم بن المهدي بن المنصور عم المعتصم ويعرف بأبن شكله وكان أسود اللون ضخما فصيحا فاضلا قال ابن ماكولا وكان يقال له الصيني يعني لسواده وقد كان ترجمه ابن عساكر ترجمة حافلة وذكر أنه ولي إمرة دمشق نيابة عن الرشيد أخيه مدة سنتين ثم عزله عنها ثم أعاده إليها الثانية فأقام بها أربع سنين وذكر من عدله وصرامته أشياء حسنة وأنه أقام للناس الحج سنة أربع وثمانين ثم عاد إلى دمشق ولما بوع بالخلافة في أول خلافة المأمون سنة ثنتين ومائتين قتله الحسن بن سهل نائب بغداد فهزمه إبراهيم هذا فقصده حميد الطوسي فهزم إبراهيم واختفى إبراهيم ببغداد حين قدمها المأمون ثم ظفر به المأمون فعفا عنه وأكرمه وكانت مدة ولايته الخلافة سنة وإحدى عشر شهرا وأثنا عشر يوما وكان بدء اختفائه في أواخر ذي الحجة سنة ثلاث ومائتين فمكث مختفيا ست سنين وأربعة أشهر وعشرا قال الخطيب كان إبراهيم بن المهدي هذا وافر الفضل غزير الأدب واسع النفس سخي الكف وكان معروفا بصناعة الغناء حاذقا فيها وقد قل المال عليه في أيام

خلافته ببغداد فألح الأعراب عليه في أعطياهم فجعل يسوف بهم ثم خرد إليهم رسوله يقول إنه لا مال عنده اليوم فقال بعضهم فيلخرج الخليفة إلينا فليغن لاهل هذا الجانب ثلاثة أصوات ولأهل هذا الجانب ثلاثة أصوات فقال في ذلك دعبل شاعر المأمون يذم إبراهيم بن المهدي يا معشر الأعراب لا تغلطوا * خذوا عطاياكم ولا تسخطوا فسوف يعطيكم جنينية * لا تدخل الكيس ولا تربط والمعبديات لقوادكم * وما بهذا أحد يغبط فهكذا يرزق أصحابه * خليفة مصحفه اليربط وكتب إلى ابن أخيه المأمون حين طال عليه الاختفاء ولى الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد جعل الله أمير المؤمنين فوق كل عفو كما جعل كل ذي نسب دونه فإن عفا

بفضله وإن عاقب فبحقه فوقع المأمون في جواب ذلك القدرة تذهب الحفيظه وكفي بالندم إنابه وعفو الله أوسع من كل شيء ولما دخل عليه أنشأ يقول إن أكن مذنباً فحظي أخطأت * فدع عنك كثرة التائب قل كما قال يوسف لبني يعقوب * لما أتوه لا تتريب فقال المأمون لا تتريب وروى الخطيب أن إبراهيم لما وقف بين يدي المأمون شرع يؤنبه على ما فعل فقال يا أمير المؤمنين حضرت أبي وهو جدك وقد أتني برجل ذنبه أعظم من ذنبي فأمر بقتله فقال مبارك بن فضالة يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تؤخر قتل هذا الرجل حتى أحدثك حديثاً فقال قل فقال حدثني الحسن البصري عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش ليقيم العافون عن الناس من الخلفاء إلى أكرم الجزاء فلا يقوم إلا من عفا فقال المأمون قد قبلت هذا الحديث بقبوله وعفوت عنك يا عم وقد ذكرنا في سنة أربع ومائتين زيادة على هذا وكانت أشعاره جيدة بليغة سامحه الله وقد ساق من ذلك ابن عساكر جانباً جيداً كان مولد إبراهيم هذا في مستهل ذي القعدة سنة ثنتين وستين ومائة وتوفي يوم الجمعة لسبع خلون من هذه السنة عن ثنتين وستين سنة

وفيهما توفي سعيد بن أبي مريم المصري وسليمان بن حرب وأبو معمر المقعد وعلى بن محمد المدائني الأخباري أحد أئمة هذا الشأن في زمانه وعمرو بن مرزوق شيخ البخاري وقد تزوج هذا الرجل ألف امرأة وأبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي أحد أئمة اللغة والفقه والحديث والقرآن والأخبار وأيام الناس له المصنفات المشهورة المنتشرة بين الناس حتى يقال إن الامام أحمد كتب كتابه في الغريب بيده ولما وقف عليه عبد الله بن طاهر رتب له في كل شهر خمسمائة درهم وأجراها على ذريته من بعده وذكر ابن خلكان أن ابن طاهر استحسنت كتابه وقال ما ينبغي لعقل يعث صاحبه على تصنيف هذا الكتاب أن تحوج صاحبه إلى طلب المعاش وأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر وقال محمد بن وهب المسعودي سمعت أبا عبيد يقول مكثت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة وقال هلال بن المعلى الرقي من الله على المسلمين بهؤلاء الأربعة الشافعي تفقه في الفقه والحديث وأحمد بن حنبل في المحنة وبني بن معين في نفي الكذب وأبو عبيد في تفسير غريب الحديث ولولا ذلك لافتحم الناس المهالك

وذكر ابن خلكان أن أبا عبيد ولى القضاء بطرسوس ثماني عشرة سنة وذكر له من العبادة والاجتهاد في العبادة شيئاً كثيراً وقد روى الغريب عن أبي زيد الأنصاري والأصمعي وأبي عبيد معمر بن المننى وابن الأعرابي والفراء والكسائي وغيرهم وقال إسحاق بن راهويه نحن نحتاج إليه وهو لا يحتاج إلينا وقدوم بغداد وسمع الناس منه ومن تصانيفه وقال إبراهيم الحربي كان كأنه جبل نفخ فيه روح يحسن كل شيء وقال أحمد بن كامل القاضي كان أبو عبيد فاضلاً ديناً ربانياً عالماً متقناً في أصناف علوم أهل الإيمان والاتقان والاسلام من القرآن والفقه والعربية والأحاديث حسن الرواية صحيح النقل لا أعلم أحداً طعن عليه في شيء من علمه وكتبه وله كتاب الأموال وكتاب فضائل القرآن ومعانيه وغير ذلك من الكتب المنتفع بها رحمه الله توفي في هذه السنة قاله البخاري وقيل في التي قبلها بمكة وقيل بالمدينة وله سبع وستون سنة وقيل جاوز السبعين فالله أعلم

ومحمد بن عثمان أبو الجماهر الدمشقي الكفرتوتي أحد مشايخ الحديث ومحمد بن الفضل أبو النعمان السدوسي الملقب بعارم شيخ البخاري ومحمد بن عيسى بن الطباع وبزید بن عبد ربه الجرجسي الحمصي شيخها في زمانه
2 ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائتين

@ فيها دخل بغا الكبير ومعه منكجوز قد أعطى الطاعة بالأمان وفيها عزل المعتصم جعفر بن دينار عن نيابة اليمن وغضب عليه وولى اليمن ايتاخ وفيها وجه عبد الله بن طاهر بالمازبار فدخل بغداد على يغل باكاف فضربه المعتصم بين يديه أربعمئة وخمسين سوطا ثم سقى الماء حتى مات وأمر بصلبه إلى جنب بابك وأقر في ضربه أن الأفشين كان يكاتبه ويحسن له خلع الطاعة فغضب المعتصم على الأفشين وأمر بسجنه فبنى له مكان كالمنارة من دار الخلافة تسمى الكوة إنما تسعه فقط وذلك لما تحقق أنه يريد مخالفته والخروج عليه وأنه قد عزم على الذهاب لبلاد الخزر ليستجيش بهم على المسلمين فعاجله الخليفة بالقبض عليه قبل ذلك كله وعقد له المعتصم مجلسا فيه قاضيه أحمد ابن أبي دؤاد المعتزلى ووزير محمد بن عبد الملك بن الزيات ونائبه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب فاتهم الأفشين في هذا المجلس بأشياء تدل على أنه باق على دين أجداده من الفرس منها أنه غير مختن فاعتذر أنه يخاف ألم ذلك فقال له الوزير وهو الذي كان يناظره من بين القوم فانت تطاعن بالرماح في الحروب ولا تخاف من طعنها وتخاف من قطع قلفة بدنك ومنها أنه ضرب رجلين إماما ومؤذنا كل واحد ألف سوط لأنهما هدما بيت أصنام فاتخذاه مسجدا ومنها أنه عنده كتاب كليله ودمنه مصورا فيه الكفر وهو محلى بالجواهر والذهب فاعتذر أنه ورثه من آبائهم واتهم بأن الأعاجم يكاتبونه وتكتب إليه في كتبها أنت إله الآلهة من العبيد وأنه يقرهم على ذلك فجعل يعتذر بأنه أجراهم على ما كانوا يكاتبون به أباه وأجداده وخاف أن يأمرهم بترك ذلك فيتضع عندهم

فقال له الوزير ويحك فماذا أبقيت لفرعون حين قال أنا ربكم الأعلى وأنه كان يكاتب المازبار بأن يخرج عن الطاعة وأنه في ضيق حتى ينصر دين المجوس الذي كان قديما ويظهره على دين العرب وأنه كان يستطيب المنخفة على المذبوحة وأنه كان في كل يوم أربعاء يستدعى بشاة سوداء فيضربها بالسيف نصفين ويمشي بينهما ثم يأكلها فعند ذلك أمر المعتصم بغا الكبير أن يسجنه مهانا ذليلا فجعل يقول إني كنت أتوقع منكم ذلك وفي هذه السنة حمل عبد الله بن طاهر الحسن بن الأفشين وزوجته أترجة بنت أشناس إلى سامرا وحج بالناس فيها محمد بن داود
وفيها توفي من الأعيان اصبع بن الفرخ وسعدويه ومحمد بن سلام البيكندي شيخ البخاري وأبو عمر الجرمي وأبو دلف العجلي التميمي الأمير أحد الأجواد
وسعيد بن مسعدة

أبو الحسن الأخفش الأوسط البليخي ثم البصري النحوي أخذ النحو عن سيبويه وصنف كتابا كثيرة منها كتاب في معاني القرآن وكتاب الأوسط في النحو وغير ذلك وله كتاب في العروض زاد فيه بحر الخبب على الخيل وسمى الأخفش لصغر عينيه وضعف بصره وكان أيضا أدلج وهو الذي لا يضم شفثيه على أسنانه كان أولا يقال له الأخفش الصغير بالنسبة إلى الأخفش الكبير أبي الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الهجري شيخ سيبويه وأبي عبيدة فلما ظهر على بن سليمان ولقب بالأخفش أيضا صار سعيد بن مسعدة هو الأوسط والهجري الأكبر وعلى ابن سلميان الأصغر وكانت وفاته في هذه السنة وقيل سنة إحدى وعشرين ومائتين

الجرمي النحوي وهو صالح بن إسحاق البصري قدم بغداد وناظر بها الفراء وكان قد أخذ النحو عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي وصنف كتابا منها الفرخ يعني فرخ كتاب سيبويه وكان فقيها فاضلا نحويا بارعا عالما باللغة حافظا لها دينا ورعا حسن المذهب صحيح لاعتقاد وروى الحديث ذكره ابن خلكان وروى عنه المبرد وذكره أبو نعيم في تاريخ اصبهان
2 ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائتين

@ في شعبان منها توفي الأفيشين في الحبس فأمر به المعتصم فصلب ثم أحرق وذرى رماده في دجله واحتيط على أمواله وحواصله فوجدوا فيها أصناما مكللة بذهب وجواهر وكتبا في فضل دين المجوس وأشياء كثيرة كان يتهم بها تدل على كفره وزندقته وتحقق بسببها ما ذكره عنه من الانتماء إلى

دين أبائه المجوس وحج بالناس فيها محمد بن داود وفيها توفي إسحاق القروي وإسماعيل بن أبي أوس ومحمد بن داود صاحب التفسير وغسان ابن الربيع ويحي بن يحي التميمي شيخ مسلم بن الحجاج ومحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين وأبو دلف العجلي

عيسى بن إدريس بن معقل بن عمير بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزيز بن دلف ابن جشم بن قيس بن سعد بن عجل بن لحيم الأمير أبو دلف العجلي أحد قواد المأمون والمعتصم وإليه ينسب الأمير أبو نصر بن ماكولا صاحب كتاب الاكمال وكان القاضي جلال الدين خطيب دمشق القزويني يزعم أنه من سلالة ويذكر نسبه إليه وكا أبو دلف هذا كريما جوادا ممدحا قد قصده الشعراء من كل أوب وكان أبو تمام الطائي من جملة من يغشاه ويستمنح نداءه وكانت لديه فضيلة في الأدب والغناء وصنف كتبا منها سساسة الملوك ومنها في الصيد وانبازة وفي السلاح وغير ذلك وما أحسن ما قال فيه بكر بن النطاع الشاعر

يا طالبا للكيمياء وعلمه * مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظم
لو لم يكن في الأرض إلا درهم * ومدحته لأتاك ذاك الدرهم
فيقال إنه أعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم وكان شجاعا فاتكا وكان يستدين ويعطى وكان أبوه قد شرع في بناء مدينة الكرخ فمات ولم يتمها فأتمها أبو دلف وكان فيه تشيع وكان يقول من لم يكن متغاليا في التشيع فهو ولد زنا فقال له ابنه دلف لست على مذهبك يا أبة فقال والله لقد وطئت أمك قبل ان اشتريها فهذا من ذاك وقد ذكر ابن خلكان أن ولده رأى في المنام بعد وفاة أبيه أن أتيا أتاه فقال أحب الأمير قال فقممت معه فأدخلني دارا وحشة وعرة سوداء الحيطان مغلقة السقوف والأبواب ثم أصعدني في درج منها ثم أدخلني غرفة وإذا في حيطانها أثر النيران وفي أرضها أثر الرماد وإذا بأبي فيها وهو عريان واضع رأسه بين ركبتيه فقال لي كالمستفهم أدلف فقال أدلف فأنشأ يقول

أبلغن أهلنا ولا تخف عنهم * ما لقينا في البررخ الخناق
قد سئنا عن كل ما قد فعلنا * فأرحموا وحشتي وما قد ألقى
ثم قال أفهمت قلت نعم ثم أنشأ يقول * فلو أنا إذا متنا تركنا
لكان الموت راحة كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا * ونسال بعده عن كل شيء

ثم قال أفهمت قلت نعم وانتبهت

2 ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائتين

@ فيها خرج رجل من أهل الثغور بالشام يقال له أبو حرب المبرقع اليماني فخلع الطاعة ودعا إلى نفسه وكان سبب خروجه أن رجلا من الجند أراد أن ينزل في منزله عند امرأته في غيبته فمانعته المرأة فضربها الجندي في يدها فأثرت الضربة في معصمها فلما جاء بعلمها أبو حرب أخبرته فذهب إلى الجندي وهو غافل فقتله ثم تحصن في رؤس الجبال وهو مبرقع فإذا جاء أحد دعاه إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويذم من السلطان فاتبعه على ذلك خلق كثير من الحراثين وغيرهم وقالوا هذا هو السفيناني المذكور أنه يملك الشام فاستفحل أمره جدا واتبعه نحو من مائة ألف مقاتل فبعث إليه المعتصم وهو في مرض موته جيشا نحو من مائة ألف مقاتل فلما قدم أمير المعتصم بمن معه وجدهم أمة كثيرة وطائفة كبيرة وقد اجتمعوا حول أبي حرب فخشى أن يواقع والحالة هذه فانتظر إلى أيام حرث الأراضي فتفرق عنه الناس إلى أراضيم وبقي في شردمة قليلة فناهضه فأسره وتفرق عنه أصحابه وحملة أمير السرية وهو رجاء بن أيوب حتى قدم به على المعتصم فلامه المعتصم في تأخره عن مناجزته أول ما قدم الشام فقال كان معه مائة ألف أو يزيدون فلم أزل أطاوله حتى أمكن الله منه فشكره على ذلك

وفيهما في يوم الخميس الثامن من ربيع الأول من هذه السنة كانت وفاة أبي إسحاق محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور وهذه ترجمته

هو أمير المؤمنين أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور العباسي يقال له المثنى لأنه ثامن ولد العباس وأنه ثامن الخلفاء من ذريته ومنها أنه فتح ثمان فتوحات ومنها أنه أقام في الخلافة ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وقيل ويومين وأنه ولد سنة ثمانين ومائة في شعبان وهو الشهر الثامن من السنة وأنه توفي وله من العمر ثمانية وأربعون سنة ومها أنه خلف ثمانية بنين وثمانية بنات ومنها أنه دخل بغداد من الشام في مستهل رمضان سنة ثمان عشرة ومائتين بعد استكمال ثمانية أشهر من السنة بعد موت أخيه المأمون قالوا وكان أميا لا يحسن الكتابة وكان سبب ذلك أنه كما يتردد معه إلى الكتاب غلام فمات الغلام فقال له أبوه الرشيد ما فعل غلامك قال مات فاستراح من الكتاب فقال الرشيد وقد بلغ منك كراهه الكتاب إلى أن تجعل الموت راحة منه والله يا بني لا تذهب بعد اليوم إلى الكتاب فتركوه فكان أميا وقيل بل كان يكتب كتابة ضعيفة وقد أسند الخطيب من طريقة عن آبائه حديثين منكرين أحدهما في ذم بني أمية ومدح بني العباس من الخلفاء والثاني في النهي عن الحجابة يوم الخميس وذكر بسنده عن المعتصم أن ملك الروم كتب إليه كتابا يتهدده فيه فقال للكاتب اكتب قد قرأت كتابك وفهمت خطابك والجواب ما ترى لا ماتسمع وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار قال الخطيب غزا المعتصم بلاد الروم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين فانكى نكاية عظيمة في العدو وفتح عمورية وقتل من أهلها ثلاثين ألفا وسبي مثلهم وكان في سبيه ستون بطريقا وطرح النار في عمورية في سائر نواحيها فأحرقها وجاء بنائها إلى العراق وجاء بابها أيضا معه وهو منصوب حتى الآن على أحد أبواب دار الخلافة مما يلي المسجد الجامع في القصر وروى عن أحمد بن أبي داود القاضي أنه قال ربما أخرج المعتصم ساعده إلى وقال لي عض يا أبا عبد الله بكل ما تقدر عليه فأقول إنه لا تطيب نفسي يا أمير المؤمنين ان أعض ساعدك فيقول إنه لا يضرنني فأكدم بكل ما أقدر عليه فلا يؤثر ذلك في يده ومر يوما في خرافة أخيه بمخيم الجند فاذا امرأة تقول ابني ابني فقال لها ما شأنك فقالت ابني أخذه صاحب هذه الخيمة فجاء إليه المعتصم فقال له أطلق هذا الصبي فامته عليه فقبض على جسده بيده فسمع صوت عظامه من تحت يده ثم أرسله فسقط ميتا وأمر بإخراج الصبي إلى أمه ولم ولي الخلافة كان شهماوله همة عالية في الحرب ومهابة عظيمة في القلوب وإنما كانت نهيمته في الانفاق في الحرب لا في البناء ولا في غيره

وقال أحمد بن أبي داود تصدق المعتصم على يدي ووهب ما قيمته مائة ألف درهم وقال غيره كان المعتصم إذا غضب لايبالي من قتل ولا ما فعل وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي دخلت يوما على المعتصم وعنده قينة له تغنيه فقال لي كيف تراها فقلت له اراها تقهره بحذق وتجتله برفق ولا تخرج من شيء إلا إلى أحسن منه وفي صوتها قطع شذور احسن من نظم الدر على النحور فقال والله لصفتك لها أحسن منها ومن غنائها ثم قال لابنه هارون الوائق ولي عهده منبعده اسمع هذا الكلام وقد استخدم المعتصم من الأتراك خلقا عظيما كان له من المماليك الترك قريب من عشرين ألفا وملك من آلات الحرب والدواب ما لم يتفق لغيره ولما حضرته الوفاة جعل يقول حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال لو علمت ان عمري قصير ما فعلت وقال إني أحدث هذا الخلق وجعل يقول ذهبت الحيل فلاحيلة وروى عنه انه قال في مرض موته اللهم إني أخافك من قبلي ولا أخافك من قبلك وأرجوك من قبلك ولا أرجوك من قبلي

كانت وفاته بسر من رأى في يوم الخميس ضحى لسبعة عشرة ليلة خلت من ربيع الأول من هذه السنة أعنى سنة سبع وعشرين ومائتين وكان مولده يوم الاثنين لعشر خلون من شعبان سنة ثمانين ومائة وولى الخلافة في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين وكان أبيض أصهب اللحية

طويلا مربوعا مشرب اللون أمه لم ولد اسمها ماردة وهو أحد أولاد ستة من أولاد الرشيد كل منهم اسمه محمد وهم ابو إسحاق محمد المعتصم وأبو العباس محمد الأمين وأبو عيسى

محمد وأبو احمد وأبو يعقوب وأبو أيوب قاله هشام بن الكلبي وقد ولي الخلافة بعده ولده هارون الواثق وقد ذكر ابن جرير أن وزيره محمد بن عبد الملك بن الزيات رثاه فقال قد قلت إذا غيبوك واسطفقت * عليك أيدي التراب والطين إذهب فنعم الحفيظ كنت على الدنيا * ونعم الظهير للدين لا حبر الله أمه فقدت * مثلك إلا بمثل هارون وقا لمروان بن أبي الجنوب وهو ابن أخي حفصة * أبو إسحاق مات ضحى فمتنا وأمسينا بهارون حيننا لئن جاء الخميس بما كرهنا * لقد جاء الخميس بما هويينا خلافة هارون الواثق بن المعتصم

بوع له بالخلافة قبل موت أبيه يوم الاربعاء لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة أعنى سنة سبع وعشرين ومائتين ويكنى أبا جعفر وأمّه أم ولد رومية يقال لها قراطيس وقد خرجت في هذه السنة قاصدة الحج فماتت بالحيرة ودفنت بالكوفة في دار داود بن عيسى وذلك لأربع خلون من ذي القعدة من هذه السنة وكان الذي أقام للناس الحج فيها جعفر بن المعتصم

وفيهما توفي ملك الروم نوفيل بن ميخائيل وكانت مدة ملكه تثنى عشرة سنة فملك الروم بعده إمرأته تدورة وكان ابنها ميخائيل بن نوفيل صغيرا وفيها توفي بشر الحافي الزاهد المشهور

وهو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المورزي أبو نصر الزاهد المعروف بالحافي نزل بغداد قال ابن خلكان وكان اسم جده عبد الله الغيور أسلم على أيدي علي بن أبي طالب قتل وكان مولده ببغداد سنة خمسين ومائة وسمع بها شيئا كثيرا من حماد بن زيد وعبد الله بن المبارك وابن مهدي ومالك وأبي بكر بن عياش وغيرهم وعنه جماعة منهم أبو خيثمة وزهير بن حرب وسرى السقطى والعباس بن عبد العظيم ومحمد بن حاتم قال محمد بن سعيد سمع بشرا كثيرا ثم اشتغل بالعبادة واعتزل الناس ولم يحدث وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهادته ورعه ونسكه وتفتشه قال الإمام أحمد يوم بلغه موته لم يكن له نظير إلا عامر بن عبد قيس ولو تزوج لتم أمره وفي رواية عنه أنه قال ما ترك بعده مثله وقال إبراهيم الحربي ما أخرجت بغداد أتم عقلا منه ولا أحفظ للسانه منه ما عرف له غيبة

لمسلم وكان في كل شعرة منه عقل ولو قسم عقله على أهل بغداد لصاروا عقلاء وما نقص من عقله شيء وذكر غير واحد أن بشرا كان شاطرا في بدء أمره وأن سبب توبته أنه وجد رقعة فيها اسم الله عز وجل في أتون حمام فرفعها ورفع طرفه إلى السماء وقال سيدي اسمك ههنا ملقى يداس ثم ذهب إلى عطار فاشترى بدرهم غالية وضمخ تلك الرقعة منها ووضعها حيث لا تنال فاحي الله قلبه وألهمه رشده وصار إلى ما صار إليه من العبادة والزهادة

من كلامه من أحب الدنيا فليتها للذل وكان بشر يأكل الخبز وحده فقيل له أما لك آدم فقال بلى أذكر العافية فأجعلها أدما وكان لا يلبس نعلا بل يمشي حافيا فجاء يوما إلى باب فطرقة فقيل من ذا فقال بشر الحافي فقالت له جارية صغيرة لو اشتري نعلا بدرهم لذهب عنه اسم الحافي قالوا وكان سبب تركه النعل أنه جاء مرة إلى حذاء فطلب منه شراكا لنعله فقال ما أكثر كلفتكم يا فقراء على الناس فطرح النعل من يده وخلع الأخرى من رجله وحلف لا يلبس نعلا أبدا

قال ابن خلكان وكانت وفاته يوم عاشوراء وقيل في رمضان ببغداد وقيل بمرو قلت الصحيح ببغداد في هذه السنة وقيل في سنة ست وعشرين والأول أصح والله أعلم وحين مات اجتمع في جنازته أهل بغداد عن بكرة أبيهم فأخرج بعد صلاة الفجر فلم يستقر في قبره إلا بعد العتمة وكان على المدائني وغيره من أئمة الحديث يصيح بأعلا صوته في الجنازة هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة وقد روى أن الجن كانت تنوح عليه في بيته الذي كان يسكنه وقد رآه بعضهم في المنام فقال ما فعل الله بك فقال غفر لي ولك من أحبني إلى يوم القيامة وذكر الخطيب أنه كان له أخوات ثلاث وهن مخة ومضغة وزبدة وكلهن عابدات

زاهدات مثله وأشد ورعا أيضا ذهبت إحداهن إلى الأمام أحمد بن حنبل فقالت إني ربما طفيء السراج وأنا أعزل على ضوء القمر فهل على عند البيع أن أميز هذا من هذا فقال إن كان بينهما فرق فميزي للمشتري وقالت له مرة أحداهن ربما تمر بنا مشاعل بني طاهر في الليل ونحن نغزل فنغزل الطاق والطاقين والطاقات فخلصني من ذلك فأمرها أن تتصدق بذلك الغزل كله لما اشتبه عليها من معرفة ذلك المقدار وسألته عن أنين المريض أفيه شكوى قال لا إنما هو شكوى إلى الله عز وجل ثم خرجت فقال لابنه عبد الله يا بني اذهب خلفها فاعلم لي من هذه المرأة قال عبد الله فذهبت وراءها فإذا هي قد دخلت دار بشر وإذا هي أخته مخة

وروى الخطيب أيضا عن زبدة قالت جاء ليلة أخی بشر فدخل برجله في الدار وبقيت الأخرى خارج الدار فاستمر ليلته حتى أصبح فقيل له فيم تفكرت ليلتك فقال تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي وبشر المجوسي وفي نفسي لأن اسمي بشر فقلت في نفسي ما الذي سبق لي من الله حتى خصني بالاسلام من بينهم فتفكرت في فضل الله على وحمدته أن هداني للاسلام وجعلني ممن خصه به وألبسني لباس أحببه وقد ترجمه ابن عساكر فأطنب وأطيب وأطال من غير ملال وقد ذكر له أشعارا حسنة وذكر أنه كان يتمثل بهذه الأبيات

تعاف القذى في الماء لا تستطيعه * وتكرع من حوض الذنوب فتشرب
وتؤثر من أكل الطعام أذبه * ولا تذكر المختار من أين يكسب
وترقد يا مسكين فوق نمارق * وفي حشوها نار عليك تلهب
فحتى متى لا تستفيق جهالة * وأنت ابن سبعين بدينك تلعب

وممن توفي فيها أحمد بن يونس وإسماعيل بن عمرو البجلي وسعيد بن منصور صاحب السنن المشهورة التي لا يشاركه فيها إلا القليل ومحمد بن الصباح الدولابي ولهن سنن أيضا وأبو الوليد الطيالسي وأبو الهذيل العلاف المتكلم المعتزلي والله أعلم *2* ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين

@ في رمضان منها خلع الوثائق على اشناس الأمير وتوجه وألبسه وشاحين من جوهر وحج بالناس فيها محمد بن داود الأمير وغلا السعر على الناس في طريق مكة جدا وأصابهم حر شديد وهم بعرفة ثم اعقبه برد شديد ومطر عظيم كل ذلك في ساعة واحدة ونزل عليهم وهم بمنى مطر لم ير مثله وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة فقتلت جماعة من الحجاج قال ابن جرير وفيها مات أبو الحسن المدائني أحد أئمة هذا الشأن في منزل إسحاق بن إبراهيم الموصلي وحيب بن أوس الطائي أبو تمام الشاعر قلت أما أبو الحسن المدائني فاسمه على بن المدائني أحد أئمة هذا الشأن وإمام الأخباريين في زمانه وقد قدمنا ذكر وفاته قبل هذه السنة وأما أبو تمام الطائي الشاعر

صاحب الحماسة التي جمعها في فضل النساء بهمدان في دار وزيرها فهو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى أو تمام الطائي الشاعر الأديب ونقل الخطيب عن محمد بن يحيى الصولي أنه حكى عن بعض الناس أنهم قالوا أبو تمام حبيب بن تدرس النصراني فسماه أبوه حبيب أوس بدل تدرس قال ابن خلكان وأصله من قرية جاسم من عمل الجيدور بالقرب من طبرية وكان بدمشق يعمل عند حائك ثم سار به إلى مصر في شبيبته وابن خلكان أخذ ذلك

من تاريخ ابن عساكر وقد ترجم له أبو تمام ترجمة حسنة قال الخطيب وهو شامي الأصل وكان بمصر في حدائه يسقي الماء في المسجد الجامع ثم جالس بعض الأدباء فاخذ عنهم وكان فطنا فهما وكا يحب الشعر فلم يزل يعانیه حتى قال الشعر فاجاد وشاع ذكره وبلغ المعتصم خبره فحملة إليه وهو بسر من رأى فعمل فيه قصائد فاجازه وقدمه على شعراء وقته قد بغداد فجالس الأدباء وعاشر العلماء وكان موصوفا بالظرف وحسن الأخلاق وقد روى عنه أحمد بن أبي طاهر أخبارا بسنده قال ابن خلكان كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطيع وغير ذلك وكان يقال في طيء ثلاثة حاتم في كرمه وداود الطائي في زهده وأبو تمام في شعره وقد كان الشعراء في زمانه جماعة فمن

مشاهيرهم أبو الشيص ودعبل وابن أبي قيس وكان أبو تمام من خيارهم دينا وأدبا وأخلاقا
ومن رقيق شعره قوله
يا حليف الندى وبامعدن الجود * ويا خير من حويت القريضا
ليت حماك بي وكان لك الأجر * فلا تشتكي وكنت المريضا
وقد ذكر الخطيب عن إبراهيم بن محمد بن عرفة أن أبا تمام توفي في سنة إحدى وثلاثين
ومائتين وكذا قال ابن جرير وحكى عن بعضهم أنه توفي في سنة إحدى وثلاثين وقيل سنة
ثنتين وثلاثين فالله أعلم وكانت وفاته بالموصل وبنيت على قبره قبة وقد رثاه الوزير محمد
بن عبد الملك الزيات فقال
نبأ أتى من أعظم الأنباء * لما ألم مقلقل الأحشاء
قالوا حبيب قد ثوى بخاتم فأجبتهم * ناشدتكم لاتجعلوه الطائي
وقال غيره * فجع القريض بخاتم الشعراء
وغدير روضتها حبيب الطائي
مانا معا فتجاوزا في حفرة * وكذاك كنا قبل في الأحياء
وقد جمع الصولي شعر أبي تمام على حروف المعجم قال ابن خلكان وقد امتدح أحمد بن
المعتصم ويقال ابن المأمون بقصيدته التي يقول فيها
إقدام عمرو في سماحة حاتم * في حلم أحنف في ذكاء إياس
فقال له بعض الحاضرين أتقول هذا لأمير المؤمنين وهو أكبر قدرا من هؤلاء فإنك ما زدت
على أن شبهته بأجلاف من العرب البوادي فأطرق إطراره ثم رفع رأسه فقال
لا تنكروا ضربي له من دونه * مثلا شرودا في الندى والباس
فاله قد ضر قد ضرب الأقل لنوره * مثلا من المشكاة والنبراس
قال فلما اخذوا القصيدة لم يجدوا فيها هذين البيتين وإنما قالهما ارتجالا قال
ولم يعش بعد هذا إلا قليلا حتى مات وقيل إن الخليفة أعطاه الموصل لما مدحه بهذه
القصيدة فأقام بها أربعين
يوما ثم مات وليس هذا بصحيح ولا أصل له وإن كان قد لهج به بعض الناس كالزمرخشي
وغيره وقد أورد له ابن عساكر أشياء من شعره مثل قوله
ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا * هلكن إذا من جهلهن البهائم
ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد في كف امرى والdraهيم
ومنه قوله * وما أنا بالغيران من دون غرسه
إذا أنما لم أصبح غيورا على العلم
طبيب فؤادي مذ ثلاثين حجة * ومذهب همي والمفرج للغم
ر وفيها توفي أبو نصر الفارابي والعبسي وأبو الجهم ومسدد وداود بن عمرو الضبي ويحي
بن عبد الحميد الحماني

2 ثم دخلت دخلت سنة تسع وعشرين ومائتين
@ فيها أمر الواثق بعقوبة الدواوين وضربهم واستخلاص الأموال منهم لظهور خياناتهم
وإسرافهم في أمورهم فمنهم من ضرب ألف سوط وأكثر من ذلك وأقل ومنهم من أخذ منه
ألف دينار ودون ذلك وجاهر الوزير محمد بن عبد الملك لسائر ولاة الشرط بالعداوة
فعمسوا وحبسوا ولقوا شرا عظيما وجهدا جهيدا وجلس إسحاق بن إبراهيم للنظر في
أمرهم وأقيموا للناس وافتضحوا هم والدواوين فضيحة بليغة وكان سبب ذلك أن الواثق
جلس ليلة في دار الخلافة وجلسوا يسمرون عنده فقال هل منكم أحد يعرف سبب عقوبة
جدي الرشيد للبرامكة فقال بعض الحاضرين نعم يا أمير المؤمنين سبب ذلك أن الرشيد
عرضت له جارية فأعجبه جمالها فساوم سيدها فيها فقال يا أمير المؤمنين إن أقسمت بكل
يمين أن لا أبيعها بأقل من مائة ألف دينار فاشتراها منه بها وبعث إلى يحيى بن خالد الوزير
ليبعث إليه بالمال من بيت المال فاعتل بأنها ليست عنده فأرسل الرشيد إليه يؤنبه ويقول
أما في بيت مالي مائة ألف دينار وألح في طلبها فقال يحيى بن خالد أرسلوها إليه دراهم
ليستكثرها ولعله يرد الجارية فبعثوا بمائة ألف دينار دراهم ووضعوها في طريق الرشيد وهو
خارج إلى الصلاة فلما اجتاز به رأى كوما من دراهم فقال ما هذا قالوا ثمن الجارية فاستكثر

ذلك وأمر بخزنها عند بعض خدمه في دار الخلافة وأعجبه جمع المال في حواصله ثم شرع في تتبع أموال بيت المال فاذا البرامكة قد استهلكوها فجعل يهيم بهم تارة يرد أخذهم وهلاكهم وتارة يحجم عنهم حتى إذا كان في بعض الليالي سمر عنده رجل يقال له أبو العود فأطلق له ثلاثين ألفا من الدراهم فذهب إلى الوزير يحيى بن خالد بن برمك فطلبها منه فمأطله مدة طويلة فلما كان في بعض الليالي في السمر عرض أبو العود بذلك للرشيد في قول عمر بن أبي ربيعة

وعدت هند وما كادت تعد * ليت هذا أنجزتنا ما تعد
واستبدت مرة واحدة * إنما العاجز من لا يستبد

فجعل الرشيد يكرر قوله إنما العاجز من لا يستبد وبعبه ذلك فلما كان الصباح دخل عليه يحيى بن خالد فأنشده الرشيد هذين البيتين وهو يستحسنهما ففهم ذلك يحيى بن خالد وخاف وسأل عن من أنشد ذلك للرشيد فقبل له أبو العود فبعث إليه وأعطاه الثلاثين ألفا وأعطاه من عنده عشرين ألفا وكذلك ولداه الفضل وجعفر فما كان عن قريب حتى أخذ الرشيد البرامكة وكان من أمرهم ما كان

فلما سمع ذلك الواثق أعجبه ذلك وجعل يكرر قول الشاعر إنما العاجز من لا يستبد ثم بطش بالكتاب وهم الدواوين على إثر ذلك وأخذ منهم أموالا عظيمة جدا وفيها حج بالناس أمير السنة الماضية وهو أمير الحجيج في السنتين الماضيتين

وفيها توفي خلف بن هشام البزار أحد مشاهير القراء وعبد الله بن محمد السندي ونعيم بن حماد الخزاعي أحد أئمة السنة بعد أن كان من أكابر الجهمية وله المصنفات في السنن وغيرها وبشار بن عبد الله المنسوب إليه النسخة المكذوبة عنه أو منه ولكنها عالية الاسناد إليه ولكنها موضوعة

2 ثم دخلت سنة ثلاثين ومائتين

@ في جمادي منها خرجت بنو سليم حول المدينة النبوية فعاثوا في الأرض فسادا وأخافوا السبيل وقتلهم أهل المدينة فهزموا أهلها واستحوذوا على ما بين المدينة ومكة من المناهل والقرى فبعث إليهم الواثق بغا الكبير أبا موسى التركي في جيش فقاتلهم في شعبان فقتل منهم خمسين فارسا وأسر منهم وانهزم بقيتهم فدعاهم إلى الأمان وأن يكونوا على حكم أمير المؤمنين فاجتمع إليه منهم خلق كثير فدخل بهم المدينة وسجن رؤسهم في دار يزيد بن معاوية وخرج إلى الحج في هذه السنة وشهد معه الموسم إسحاق بن إبراهيم بن مصعب نائب العراق وفيها حج بالناس محمد بن داود المتقدم وفيها توفي

عبد الله بن طاهر بن الحسين

نائب خراسان وما والاها وكان خراج ماتحت يده في كل سنة ثمانية وأربعين ألف ألف درهم فولى الواثق مكانه ابنه طاهر وتوفي قبله أشناس التركي بتسعة أيام يوم الاثنين لأحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول من هذه السنة وقال ابن خلكان توفي سنة ثمان وعشرين بمرور وقيل بنيسابور وكان كريما جوادا وله شعر حسن وقد ولي نيابة مصر بعد العشرين ومائتين وذكر الوزير أبو القاسم بن المعز أن البطيخ العبدلاوي الذي بمصر منسوب إلى سد الله بن طاهر هذا قال ابن خلكان لأنه كان يستطيه وقيل لأن أول من زرعه هناك والله أعلم ومن جيد شعره

اغتر زلتي لتحرز فضل الش * كر مني ولا يفوتك أجري
لا تكلني إلى التوسل بالعدر * لعلي ان لا أقوم بعذري

ومن شعره قوله * نحن قوم يلينا الخد والنحر
على أننا نلين الحديد

طوع أيدي الصبا تصيدنا العين * ومن شأننا نصيد الأسود
نملك الصيد ثم تملكنا البيض * المضيئات أعينا وخدودا

تتقي سخطنا الأسود ونخشى * سقط الخشف حين تبدي القعودا
فترانا يوم الكريهة أحرا * را وفي السلم للغواني عبيدا

قال ابن خلكان وكان خزاعيا من موالى طلحة الطلحات الخزاعية وقد كان أبو تمام يمدحه فدخل إليه مرة فأضافه الملح بهمدان فصنف له كتاب الحماسة عند بعض نسائه ولما ولاه

المأمون نيابة الشام ومصر صار إليها وقد رسم له بما في ديار مصر من الحواصل فحمل إليه وهو في أثناء الطريق ثلاثة آلاف ألف دينار ففرقها كلها في مجلس واحد وأنه لما واجه مصر نظر إليها فاحترقها وقال قبح الله فرعون ما كان أحسه وأضعف همته حين تبحح وتعظم بملك هذه القرية وقال أنا ربكم الأعلى وقال أليس لي ملك مصر فكيف لو رأى بغداد وغيرها

وفيهما توفي على بن جعد الجوهري ومحمد بن سعد كاتب الواقدي مصنف كتاب الطبقات وغيره وسعيد بن محمد الجرمي

2 ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائتين

@ فيها وقعت مفاداة الأسارى المسلمين الذين كانوا في أيدي الروم على يدي الأمير خاقان الخادم وذلك في المحرم من هذه السنة وكان عدة الأسارى أربعة وثلثمائة واثنين وستين أسيرا

وفيهما كان مقتل أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله وأكرم مثواه وكان سبب ذلك أن هذا الرجل وهو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي وكان جده مالك ابن الهيثم من أكبر الدعاة إلى دولة بني العباس الذين قتلوا ولده هذا وكان أحمد بن نصر هذا له وجاهة ورياسة وكان أبوه نصر بن مالك يغشاه أهل الحديث وقد بايعه العامة في سنة إحدى ومائتين على القيام بالأمر والنهي حين كثرت الشطار والدعار في غيبة المأمون عن بغداد كما تقدم ذلك وبه تعرف سويقة نصر ببغداد وكان أحمد بن نصر هذا من أهل العلم والديانة والعمل الصالح والاجتهاد في الخير وكان من أئمة السنة الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر وكان ممن يدعو إلى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق وكان الوثائق من أشد الناس في القول بخلق القرآن يدعو إليه ليلا ونهارا سرا وجهارا اعتمادا على ما كان عليه أبوه قبله وعمه المأمون من

غير دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان ولا سنة ولا قرآن فقام أحمد بن نصر هذا يدعو إلى الله وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن النكر والقول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق في أشياء كثيرة دعا الناس إليها فاجتمع عليه جماعة من أهل بغداد والتف عليه من الألواف أعداد وانتصب للدعوة إلى أحمد بن نصر هذا رجلا وهما أبو هارون السراج يدعو أهل الجانب الشرقي وآخر يقال له طالب يدعو أهل الجانب الغربي فاجتمع عليه من الخلائق ألواف كثيرة وجماعات غزيرة فلما كان شهر شعبان من هذه السنة انتظمت البيعة لأحمد بن نصر الخزاعي في السير على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والخروج على السلطان ليدعته ودعوته إلى القول بخلق القرآن ولما هو عليه وأمرؤه وحاشيته من المعاصي والفواحش وغيرها فتواعدوا على أنهم في الليلة الثالثة من شعبان وهي ليلة الجمعة يضرب طبل في الليل فيجتمع الذين بايعوا في مكان اتفقوا عليه وأنفق طالب وأبو هارون في أصحابه دينارا دينارا وكان من جملة من أعطوه رجلا من بني أشرس وكانا يتعاطيان الشراب فلما كانت ليلة الخميس شربا في قوم من أصحابهم واعتقدا أن تلك الليلة هي ليلة الوعد وكان ذلك قبله ليلة فقاما يضربان على طبل في الليل ليجتمع إليهما الناس فلم يجئ أحد وانخرم النظام وسمع الحرس في الليل فأعلموا نائب السلطنة وهو محمد بن إبراهيم بن مصعب وكان نائبا لأخيه إسحاق بن إبراهيم لغيبته عن بغداد فأصبح الناس متخبطين واجتهد نائب السلطنة على إحضار دينك الرجلين فأحضرا فعاقبهما فأقرا على أحمد بن نصر فطلبه وأخذ خادما له فاستقره فأقر بما أقر به الرجلان فجمع جماعة من رؤس أصحاب أحمد بن نصر معه وأرسل بهم إلى الخليفة يسر من رأى وذلك في آخر شعبان فأحضر له جماعة من الأعيان وحضر القاضي أحمد بن أبي داؤد المعتزلي وأحضر أحمد بن نصر ولم يظهر منه على أحمد بن نصر ولم يظهر منه على أحمد بن نصر عتب فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الوثائق لم يعاتبه على شيء مما كان منه في مبايعته العوام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيره بل أعرض عن ذلك كله وقال له ما تقول في القرآن فقال هو كلام الله قال أمخلوق هو قال هو كلام الله وكان أحمد بن نصر قد استنقل وباع نفسه وحضر وقد تحنط وتنور وشد على عورته ما يسترها فقال له فما تقول في ربك أترأه يوم القيامة فقال يا أمير المؤمنين قد جاء القرآن والأخبار بذلك قال الله تعالى وجوه يومئذ

ناصرة إلى ربه ناظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فنحن على الخبر زاد الخطيب قال الواثق ويحك أيرى كما يرى المحدود المتجسم وبحويه مكان ويحصره الناظر أنا أكفر برب هذه صفته قلت وما قاله الواثق لا يجوز ولا يلزم ولا يرد به هذا الخبر الصحيح والله أعلم ثم قال أحمد بن نصر للواثق وحدثني سفيان بحديث يرفعه إن قلب ابن آدم بأصبعين من أصابع الله يقبله كيف شاء وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال له إسحاق بن إبراهيم ويحك انظر ما تقول فقال أنت أمرتني بذلك فأشفق إسحاق من ذلك وقال أنا أمرتك قال نعم أنت أمرتني أن أنصح له فقال الواثق لمن حوله ما تقولون في هذا الرجل فأكثروا القول فيه فقال عبد الرحمن بن إسحاق وكان قاضيا على الجانب الغربي فعزل وكان موادا لأحمد بن نصر قيل ذلك يا أمير المؤمنين هو حلال الدم وقال أبو عبد الله الأرمني صاحب أحمد بن أبي داؤد اسقني دمه يا أمير المؤمنين فقال الواثق لا بد أن يأتي ما تريد وقال ابن أبي دؤاد هو كافر يستتاب لعل به عاهاة أو نقص عقل فقال الواثق إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقوم أحد معي فأني أحتسب خطاي ثم نهض إليه بالصمصامة وقد كانت سيفا لعمر بن معد يكرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي في أيام خلافته وكانت صفيحة مسحورة في أسفلها مسمورة بمسامير فلما انتهى إليه ضربه بها على عاتقه وهو مربوط بحبل قد أوقف على نطع ثم ضربه أخرى على رأسه ثم طعنه بالصمصامة في بطنه فسقط صريعا رحمه الله على النطع ميتا فانا لله وإنا إليه راجعون رحمه الله وعفا عنه ثم انتضى سيما الدمشقي سيفه فضرب عنقه وحز رأسه وحمل معترضا حتى أتى به الحظيرة التي فيها بابك الخرمي فصلب فيها وفي رجله زوج قيود وعليه سراويل وقميص وحمل رأسه إلى بغداد فنصب في الجانب الشرقي أياما وفي الغربي أياما وعنده الحرس في الليل والنهار زفي أذنه رقعة مكتوب فيها هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخزاعي ممن قتل على يدي عبد الله هارون الامام الواثق بالله أمير المؤمنين بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القرآن ونفي التشبيه وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المعاندة والتصريح بالحمد لله الذي عجله إلى ناره وأليم عقابه بالكفر فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه

ثم أمر الواثق بتتبع رؤس أصحابه فأخذ منهم نحو من تسع وعشرين رجلا فأودعوا في السجون وسموا الظلمة ومنعوا أن يزورهم أحد وقيدوا بالحديد ولم يجر عليهم شيء من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين وهذا ظلم عظيم وقد كان أحمد بن نصر هذا من أكابر العلماء العاملين القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسمع الحديث من حماد بن زيد وسفيان بن عيينة وهاشم بن بشير وكانت عنده مصنفاته كلها وسمع من الامام مالك بن أنس أحاديث جيدة ولم يحدث بكثير من حديثه وحدث عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي وأخوه يعقوب بن إبراهيم وبني بن معين وذكره يوما فترحم عليه وقال قد ختم الله له بالشهادة وكان لا يحدث ويقول إنني لست أهلا لذلك وأحسن يحيى بن معين الثناء

عليه جدا وذكره الامام أحمد بن حنبل يوما فقال رحمه الله ما كان أسخاه بنفسه لله لقد جاد بنفسه له وقال جعفر بن محمد الصائغ بصرت عيناى وإلا فقتنا وسمعت أذناى وإلا فصمتا أحمد ابن نصر الخزاعي حين ضربت عنقه يقول رأسه لا إله إلا الله وقد سمعه بعض الناس وهو مصلوب على الجذع ورأسه يقرأ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قال فاقشعر جلدي وراه بعضهم في النوم فقال له ما فعل بك ربك فقال ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك إلى ورأى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ومعه أبو بكر وعمر قد مروا على الجذع الذي عليه رأس أحمد بن نصر فلما جاوزوه أعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الكريم عنه فقيل له يارسول الله مالك أعرضت عن أحمد بن نصر فقال أعرضت عنه استحياء منه حين قتله رجل يزعم أنه من أهل بيتي

ولم يزل رأسه منصوبا من يوم الخميس الثامن والعشرين من شعبان من هذه السنة أعني سنة إحدى وثلاثين ومائتين إلى بعد عيد الفطر بيوم أو يومين من سنة سبع وثلاثين ومائتين

فجمع بين رأسه وجثته ودفن بالجانب الشرقي من بغداد بالمقبرة المعروفة بالمالكية رحمه الله وذلك بأمر المتوكل على الله الذي ولى الخلافة بعد أخيه الواثق وقد دخل عبد العزيز بن يحيى الكتائي صاحب كتاب الحيدة على المتوكل وكان من خيار الخلفاء لأنه أحسن الصنيع لأهل السنة بخلاف أخيه الواثق وأبيه المعتصم وعمه المأمون فإنهم أسأوا إلى أهل السنة وقربوا أهل البدع والضلال من المعتزلة وغيرهم فأمره أن ينزل جثة محمد بن نصر ويدفنه ففعل وقد كان المتوكل يكرم الامام أحمد بن حنبل إكراما زائدا جدا كما سيأتي بيانه في موضعه والمقصود أن عبد العزيز صاحب كتاب الحيدة قال للمتوكل يا أمير المؤمنين ما رأيت أو مارئي أعجب من أمر الواثق قتل أحمد بن نصر وكان لسانه يقرأ إلى أن دفن فوجل المتوكل من كلامه وساءه ما سمع في أخيه الواثق فلما دخل عليه الوزير محمد بن عبد الملك بن الزيات قال له المتوكل في قلبي شيء من قتل أحمد بن نصر فقال يا أمير المؤمنين أحرقني الله بالنار إن قتله أمير المؤمنين الواثق إلا كافرا ودخل عليه هرثمة فقال له في ذلك فقال قطعني الله إربا إربا إن قتله إلا كافرا ودخل عليه القاضي أحمد بن أبي داؤد فقال له مثل ذلك فقال ضربني الله بالفالج إن قتله الواثق إلا كافرا قال المتوكل فأما ابن الزيات فأنا أحرقته بالنار وأما هرثمة فانه هرب فاجتاز بقبيلة خزاعة فعرفه رجل من الحي فقال يا معشر خزاعة هذا الذي قتل ابن عمكم أحمد بن نصر فقطعوه فقطعوه إربا إربا وأما ابن أبي داؤد فقد سجنه الله في جلده يعني بالفالج ضربه الله قبل موته بأربع سنين وصودر من صلب ماله بمال جزيل جدا كما سيأتي بيانه في موضعه وروى أبو داود في كتاب المسائل عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن أحمد بن نصر قال سألت سفيان بن عيينة القلوب بين إصبعين من أصابع الله وإن الله يضحك ممن يذكره في الأسواق فقال اروها كما جاءت بلا كيف

وفيهما أراد الواثق أن يحج واستعد فذكر له أن الماء بالطريق قليل فترك الحج عامئذ وفيها تولى جعفر بن دينار نائب اليمن فسار إليها في أربعة آلاف فارس وفيها عدا قوم من العامة على بيت المال فأخذوا منه شيئا من الذهب والفضة فأخذوا وسجنوا وفيها ظهر خارجي ببلاد ربيعة فقاتله نائب الموصل فكسره وانهزم أصحابه وفيها قدم وصف الخادم بجماعة من الاكراد نحو من خمسمائة في القيود كانوا قد أفسدوا في الطرقات وقطعوها فأطلق الخليفة لوصيف الخادم خمسة وسبعين ألف دينار وخلص عليه وفيها قدم خاقان الخادم من بلاد الروم وقد تم الصلح والمفاداة بينه وبين الروم وقدم معه جماعة من رؤس الثغور فأمر الواثق بإمتحانهم بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة وأمر الواثق أيضا بإمتحان الأسارى الذين فودوا من أسر الفرنج بالقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة فمن أجاب إلى القول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة فودى وإلا ترك في أيدي الكفار وهذه بدعة صلعاء شنعاء عمياء صماء لا مستند لها من كتاب ولا سنة ولا عقل صحيح بل الكتاب والسنة والعقل الصحيح بخلافها كما هو مقرر في موضعه وبالله المستعان وكان وقوع المفاداة عند نهر يقال له اللامس عند سلوقية بالقرب من طرسوس فبدل كل مسلم أو مسلمة في أيدي الروم أو ذمي أو ذمية كان تحت عقد المسلمين أسير من الروم كان بأيدي المسلمين ممن لم يسلم فنصبوا جسرين على النهر فإذا أرسل الروم مسلما أو مسلمة في جسره فانتهى إلى المسلمين كبر وكبر المسلمون ثم يرسل المسلمون أسيرا من الروم على جسره فإذا انتهى إليهم تكلم بكلام يشبه التكبير أيضا ولم يزالوا كذلك مدة أربعة أيام بدل كل نفس نفس ثم يعي مع خاقان جماعة من الروم الأسارى فاطقهم للروم حتى يكون له الفضل عليهم

قال ابن جرير وفيها مات الحسن بن الحسين أخو طاهر بطبرستان في شهر رمضان وفيها مات الخطاب بن وجه الفلس وفيها مات أبو عبد الله بن الأعرابي الرواية يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من شعبان وهو ابن ثمانين سنة وفيها ماتت أم أبيها بنت موسى أخت على بن موسى الرضا وفيها مات مخارق المغني وأبو نصر أحمد بن حاتم راوية الأصبعي وعمرو بن أبي عمرو الشيباني ومحمد بن سعدان النحوي قلت وممن توفي فيها أيضا أحمد نصر الخراعي كما تقدم وإبراهيم

ابن محمد بن عرعر وأمية بن بسطام وأبو تمام الطائي في قول والمشهور ما تقدم وكامل بن طلحة ومحمد بن سلام الجمحي وأخوه عبد الرحمن ومحمد بن منهل الضير ومحمد بن منهل أخو حجاج وهارون بن معروف والبويطي صاحب الشافعي مات في السجن مقيدا على القول بخلق القرآن فامتنع من ذلك ويحي بن بكير راوي الموطأ عن مالك

2 ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين ومائتين

@ فيها عاثت قبيلة يقال لها بنو نمير باليمامة فسادا فكتب الواثق إلى بعا الكبير وهو مقيم بأرض الحجاز فحاربهم مقتل منهم جماعة وأسروا آخرين وهزم بقيتهم ثم التقى مع بني تميم وهو في ألفي فارس وهم ثلاثة آلاف فجرت بينهم حروب ثم كان الظفر له عليهم أخرا وذلك في النصف من جمادي الآخرة ثم عاد بعد ذلك إلى بغداد ومعهم من أعيان رؤسهم في القيود والأسر جماعة وقد فقد من أعيانهم في الواقع ما ينيف على ألفي رجل من بني سليم ونمير ومرة وكلاب وفزارة وتعلبه وطى وتميم وغيرهم وفي هذه السنة أصاب الحجيج في رجوعهم عطش شديد حتى بيعت الشربة بالدنانير الكثيرة ومات خلق كثير من العطش وفيها أمر الواثق بترك حياة أعشار سفن البحر وفيها كانت وفاة الخليفة الواثق بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد أبي جعفر هارون الواثق كان هلاكه في ذي الحجة من هذه السنة بعلة الاستسقاء فلم يقدر على حضور العيد عامئذ فاستناب في الصلاة بالناس قاضيه أحمد بن أبي داؤد الأيادي المعتزلي توفي لست بقين من ذي الحجة وذلك أنه قوى به الاستسقاء فأفعد في تنور قد أحمى له بحيث يمكنه الجلوس فيه ليسكن وجعه فلان عليه بعض الشيء اليسير فلما كان من الغد أمر بأن يحمى أكثر من العادة فأجلس فيه ثم أخرج فوضع في محفة فحمل فيها وحوله أمراؤه ووزراؤه وقاضيه فمات وهو محمول فيها فما شعروا حتى سقط جبينه على المحفة وهو ميت فغمض القاضي عينيه بعد سقوط جبينه وولى غسله والصلاة عليه ودفنه في قصر الهادي عليهما من الله ما يستحقانه وكان أبيض اللون مشربا حمرة جميل المنظر خبيث القلب حسن الجسم سيء الطوية قاتم العين اليسرى فيها نكته بضياء وكان مولده سنة ست وتسعين ومائة بطريق مكة فمات وهو ابن ست وثلاثين سنة ومدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام وقيل سبعة أيام وتنتى عشرة ساعة فهكذا أيام أهل الظلم والفساد والبدع قليلة قصيرة وقد جمع الواثق أصحاب النجوم في زمانه حين اشتدت علته وإنما اشتدت بعد قتله أحمد بن نصر الخزاعي ليلحقه إلى بين يدي الله فلما جمعهم أمرهم أن ينظروا في مولده وما تقتضيه صناعة النجوم كم تدوم أيام دولته فاجتمع عنده من رؤسهم جماعة منهم الحسن بن سهل والفضل ابن إسحاق الهاشمي وإسماعيل بن نوبخت ومحمد بن موسى الخوارزمي المجوسي القطر بلى وسند

صاحب محمد بن الهيثم وعامة من ينظر في النجوم فنظروا في مولده وما يقتضيه الحال عندهم فأجمعوا على أنه يعيش في الخلافة دهرا طويلا وقدروا له خمسين سنة مستقبلة من يوم نظروا نظر من لم يبصر فإنه لم يعيش بعد قولهم وتقديرهم إلا عشرة أيام حتى هلك ذكره الامام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله قال ابن جرير وذكر الحسين بن الضحاك أنه شهد الواثق بعد أن مات المعتصم بأيام وقد قعد مجلسا كان أول مجلس قعده وكان أول ما غنى به في ذلك المجلس أن غنته شاربة جارية إبراهيم بن المهدي

ما درى الحاملون يوم استقلوا * نعشه للثواء أم للقاء

فيلقل فيك باكياتك ماشئن * صياحا في وقت كل مساء

قال فيكى وبكىنا حتى شغلنا البكاء عن جميع ما كنا فيه ثم اندفع بعضهم يغنى

ودع هريرة إن الركب مرتحل * وهل تطيق وداعا أيها الرجل

فازداد بكاؤه وقال ما سمعت كالיום قط تعزية بأب وبغى نفس ثم ارفض ذلك المجلس

وروى الخطيب أن دعبل بن علي الشاعر لما تولى الواثق عمدا إلى طومار فكتب فيه أبيات

شعر ثم جاء إلى الحاجب فدفعه إليه وقال اقرأ أمير المؤمنين السلام وقل هذه أبيات

امتدحك بها دعبل فلما فضها الواثق إذا فيها

الحمد لله لاصبر ولا جدل * ولا عزاء إذا أهل الهوى رقدوا

خليفة مات لم يحزن له أحد * وآخر قام لم يفرح به أحد
فمر هذا ومر الشؤم يتبعه * وقام هذا فقام الويل والنكد
قال فتطلبه الوثائق بكل ما يقدر عليه من الطلب فلم يقدر عليه حتى مات الوثائق وروى أيضا
أنه لما استخلف الوثائق ابن أبي داود على الصلاة في يوم العيد ورجع إليه بعد أن قضاها قال
له كيف كان عيدكم يا أبا عبدالله قال كنا في نهار لا شمس فيه فضحك وقال يا أبا عبدالله أنا
مؤيد بك قال الخطيب وكان ابن أبي داود استولى على الوثائق وحمله على التشديد في
المحنة ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن قال ويقال إن الوثائق رجع عن ذلك قبل موته
فأخبرني عبدالله ابن أبي الفتح أنبا أحمد بن إبراهيم بن الحسن ثنا إبراهيم بن محمد بن
عرفة حدثني حامد بن العباس عن رجل عن المهدي أن الوثائق مات وقد تاب من القول
بخلق القرآن وروى أن الوثائق دخل عليه يوما مؤدبه فأكرمه إكراما كثيرا فقبل له في ذلك
فقال هذا أول من فتق لساني بذكر الله وأدناني برحمة الله وكتب إليه بعض الشعراء
جذبت دواعي النفس عن طلب الغنى * وقلت لها عفي عن الطلب النزر
فإن أمير المؤمنين بكفه * مدار رحا الأرواق دائبه تجري
فوقع له في رقعة جذبتك نفسك عن امتنانها ودعنت إلى صونها فخذها ما طلبته هينا وأجزل
له العطاء ومن شعره قوله

هي المقادير تجري في أعتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
ومن شعر الوثائق قوله
وفيهما توفي خلف بن هشام البزار أحد مشاهير القراء وعبد الله بن محمد السندي ونعيم بن
حماد الخزاعي أحد أئمة السنة بعد أن كان من أكابر الجهمية وله المصنفات في السنن
وغيرها وبشار بن عبد الله المنسوب إليه النسخة المكذوبة عنه أو منه ولكنها عالية الاسناد
إليه ولكنها موضوعة

تنح عن القبيح ولا ترده ومن أوليته حسنا فزده
سكنفى من عدوك كل كيد * إذا كاد العدو ولم تكده
وقال القاضي يحيى بن أكثم ما أحسن أحد من خلفاء بني العباس إلى آل أبي طالب ما
أحسن إليهم الوثائق ما مات وفيهم فقير ولما احتضر جعل يردد هذين البيتين
الموت فيه جميع الخلق مشترك * لا سوقة منهم يبقى ولا ملك
ما ضر أهل قليل في تفارقهم * وليس بغنى عن الأملاك ما ملوكوا
ثم أمر بالبسط فطويت ثم الصق حده بالأرض وجعل يقول يامن لا يزول ملكه ارحم من قد
زال ملكه وقال بعضهم لما احتضر الوثائق ونحن حوله غشي عليه فقال بعضنا لبعض انظروا
هل قضى قال فدنوت من بيهم إليه لأنظر هل هدا نفسه فافاق فلحظ إلى بعينه فرجعت
القهقري خوفا منه فتعلقت قائمة سيفي بشيء فكدت أن أهلك فما كان عن قريب حتى
مات وأغلق عليه الباب الذي هو فيه بقي فيه وحده واشتغلوا عن تجهيزه بالبيعة لأخيه جعفر
المتوكل وجلست أنا أحرس الباب فسمعت حركة من داخل البيت فدخلت فإذا جرد قد أكل
عينه التي لحظ إلى بها وما كان حولها من الخدين

وكانت وفاته بسر من رأى التي كان يسكنها في القصر الهاروني في يوم الأربعاء لست بقين
من ذي الحجة من هذه السنة أعنى سنة ثنتين وثلاثين ومائتين عن ست وثلاثين سنة وقيل
ثنتين وثلاثين سنة وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام وقيل خمس سنين
وشهران وإحد وعشرين يوما وصلى عليه أخوه جعفر المتوكل على الله والله أعلم
خلافة المتوكل على الله جعفر بن المعتصم

بوع له بالخلافة بعد أخيه الوثائق وقت الزوال من يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة
وكانت الأتراك قد عزموا على تولية محمد بن الوثائق فاستصغروه فتركوه وعدلوا إلى جعفر
هذا وكان عمره إذ ذاك ستا وعشرون سنة وكان الذي ألبسه خلعة الخلافة أحمد بن أبي داود
القاضي وكان هو أول من سلم عليه بالخلافة وبايعه الخاصة والعامة وكانوا قد اتفقوا على
تسميته بالمنتصر بالله

إلى صبيحة يوم الجمعة فقال ابن أبي داؤد رأيت أن يلقب بالمتوكل على الله فاتفقوا على ذلك وكتب إلى الآفاق وأمر بعطاء الشاكرية من الجند ثمانية شهور وللمغاربة أربعة شهور ولغيرهم ثلاثة شهور واستبشر الناس به وقد كان المتوكل رأى في منامه في حياة أخيه هارون الوائق كأن شيئاً نزل عليه من السماء مكتوب فيه جعفر المتوكل على الله فعبره فقبل له هي الخلافة فبلغ ذلك أخاه الوائق فسجنه حيناً ثم أرسله وفيها حج بالناس أمير الحج محمد بن داود وفيها توفي الحكم بن موسى وعمرو بن محمد الناقد

2 ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائتين

@ في يوم الأربعاء سابع صفر منها أمر الخليفة المتوكل على الله بالقبض على محمد بن عبد الملك ابن الزيات وزير الوائق وكان المتوكل يبغضه لأمر منها أن أخاه الوائق غضب على المتوكل في بعض الأوقات وكان ابن الزيات يزيد غضبا عليه فبقي ذلك في نفسه ثم كان الذي استرضى الوائق عليه أحمد بن أبي داؤد فحظى بذلك عنده في أيام ملكه ومنها أن ابن الزيات كان قد أشار بخلافة محمد بن الوائق بعد أبيه ولف عليه الناس وجعفر المتوكل في جنب دار الخلافة لم يلتفت إليه ولم يتم الأمر إلا لجعفر المتوكل على الله رغم أنف ابن الزيات فلهدأ أمر بالقبض عليه سريعا فطلبه فركب بعد غدائه وهو يظن أن الخليفة بعث إليه فأنتهى به الرسول إلى دار إيتاخ أمير الشرطة فاحتيط به وقيد وبعثوا في الحال إلى داره فأخذ جميع ما فيها من الأموال واللاكي والجواهر والحواصل والجواري والأثاث ووجدوا في مجلسه الخاص به آلات الشرب وبعث المتوكل في الحال أيضا إلى حواصله بسامرا وضياعه وما فيها فاحتاط عليها وأمر به أن يعذب ومنعوه من الكلام وجعلوا يساهرونه كلما أراد الرقاد نخس بالحديد ثم وضعه بعد ذلك كله في تنور من خشب فيه مسامير قائمة في أسفله فأقيم عليها ووكل به من يمنعه من القعود والرقاد فمكث كذلك أياما حتى مات وهو كذلك ويقال إنه أخرج من التنور وفيه رمق فضرب على بطنه ثم على ظهره حتى مات وهو تحت الضرب ويقال إنه أحرق ثم دفعت جثته إلى أولاده فدفنوه فنبشت عليه الكلاب فأكلت ما بقي من لحمه وجلده وكانت وفاته لاحدى عشرة من ربيع الأول منها وكان قيمة ما وجد له من الحواصل نحواً من تسعين ألف دينار وقد قدمنا أن المتوكل سأله عن قتل أحمد بن نصر الخزاعي فقال يا أمير المؤمنين أحرقتني الله بالنار إن قتله الوائق إلا كافرا قال المتوكل فأنا أحرقتة بالنار

وفيها في جمادي الأولى منها بعد مهلك ابن الزيات فليح أحمد بن أبي داؤد القاضي المعتزلي فلم يزل مفلوجا حتى مات بعد أربع سنين وهو كذلك كما دعا على نفسه حين سأله المتوكل عن

قتل حمد بن نصر كما تقدم ثم غضب المتوكل على جماعة من الداواوين والعمال وأخذ منهم أموالا جزيلة جدا وفيها ولي المتوكل ابنه محمد المنتصر الحجاز واليمن وعقد له على ذلك كله في رمضان منها

وفيها عمده ملك الروم ميخائيل بن ترفيل الى امه تدورة فأقامها بالشمس والزماها الدير وقتل الرجل الذي

أتهمها به وكان ملكها ست سنين وفيها حج بالناس محمد بن داود أمير مكة وفيها توفي ابراهيم بن الحجاج الشامي وحيان بن موسى العربي وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقي وسهل بن عثمان العسكري ومحمد بن سماعة القاضي ومحمد بن عائذ الدمشقي صاحب المغازي ويحيى المقابري ويحيى بن معين أحد أئمة الجرح والتعديل وأستاذ أهل هذه الصناعة في زمانه

2 ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائتين

@ فيها خرج محمد بن البغيث بن حليس عن الطاعة في بلاد أذربيجان وأظهر أن المتوكل قد مات والتف عليه جماعة من أهل تلك الرساتيق ولجأ إلى مدينة مرند فحصنها وجاءته البعوث من كل جانب وأرسل إليه المتوكل جيوشا يتبع بعضها بعضا فنصبوا على بلده الجانيق من كل جانب وحاصروه محاصرة عظيمة جدا وقتلهم مقاتلة هائلة وصبر هو وأصحابه صبورا بليغا وقدم بغا الشرابي لمحاصرته فلم يزل به حتى أسره واستباح أمواله وحريمه وقتل خلقا من

رؤس أصحابه وأسر سائرهم وانحسمت مادة البعيت وفي جمادي الأولى منها خرج المتوكل إلى المدائن

وفيهما حج إيتاخ أحد الأمراء الكبار وهو والي مكة ودعى له على المنابر وقد كان إيتاخ هذا غلاما خزريا طباحا وكان لرجل يقال له سلام اليريش فاشتراه منه المعتصم في سنة تسع وتسعين ومائة فرفع منزلته وحظي عنده وكذلك الواثق من بعده ضم إليه أعمالا كثيرة وكذلك عامله المتوكل وذلك لفروسيته ورجولته وشهامته ولما كان في هذه السنة شرب ليلة مع المتوكل فعربد عليه المتوكل فهم إيتاخ بقتله فلما كان الصباح اعتذر المتوكل إليه وقال له أنت أبي وأنت ربيثني ثم دس إليه من يشير إليه بأن يستأذن للحج فاستأذن له وأمره على كل بلدة يحل بها وخرج القواد في خدمته إلى طريق الحج حين خرج ووكل المتوكل الحجابة لوصيف الخادم عوضا عن إيتاخ وحج بالناس فيها محمد بن داود أمير مكة وهو أمير الحجيج من سنين متقدمة

وفيهما توفي أبو خثيمة زهير بن حرب وسليمان بن داود الشاركوني أحد الحفاظ وعبد الله ابن محمد النفيلي وأبوربيع الزهراني وعلى بن عبد الله بن جعفر المدني شيخ البخاري في صناعة الحديث ومحمد بن عبد الله بن نمير ومحمد بن أبي بكر المقدمي والمعافا الرسيغي ويحيى بن يحيى الليثي راوي الموطأ عن مالك

2 ثم دخلت سنة خمس وثلاثون ومائتين

@ في جمادي الآخرة منها كان هلاك إيتاخ في السجن وذلك أنه رجع من الحج فتلقتة هدايا الخليفة فلما اقترب يريد دخول سامرا التي فيها المتوكل بعث إليه إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد عن أمر الخليفة يستدعيه إليها ليتلقاه وجوه الناس وبني هاشم فدخلها في أبهة عظيمة فقبض عليه إسحاق بن إبراهيم وعلى ابنه مظهر ومنصور وكاتبه سلمان بن وهب وقدامه بن زياد النصراني فأسلم تحت العقوبة وكان هلاك إيتاخ بالعطش وذلك أنه أكل كثيرا بعد جوع شديد ثم استقى الماء فلم يسقى حتى مات ليلة الأربعاء لخمس خلون من جمادي الآخرة منها ومكث ولداه في السجن مدة خلافة المتوكل فلما ولي المنتصر ولد المتوكل أخرجهما وفي شوال منها قدم بغا سامرا ومعه محمد بن البعيت وأخواه صقر وخالد ونائبه الغلاء ومعهم من رؤس أصحابه نحو مائة وثمانين إنسانا فأدخلوا على الجمال ليراهم الناس فلما أوقف ابن البعيت بين يدي المتوكل أمر بضرب عنقه فأحضر السيف والنطع فجاء السياقون فوقفوا حوله فقال المتوكل ويلك ما دعاك إلى ما فعلت فقال الشقوة يا أمير المؤمنين وأنت الحبل الممدود بين الله وبين خلقه وأن لي فيك لظنين أسبقهما إلى قلبي

أولهما بك وهو العفو ثم اندفع يقول بديهة

أبي الناس إلا وأنت اليوم قاتلي * أمام الهدى والصفح بالمرء أجمل

وهل أنا إلا جبلة من خطيئة * وعفوك من نور النبوة يجبل

فإنك خير السابقين إلى العلى * ولا شك أن خير الفعالين تفعل

فقال المتوكل أن معه لأدبا ثم عفا عنه ويقال شفع فيه المعتز بن المتوكل فشفعه ويقال بل

أودع في السجن في قيود فلم يزل فيه حتى هرب بعد ذلك وقد قال حين هرب

كم قضيت أمورا كان أهملها * غيري وقد أخذ الإفلاس بالكظم

لاتعذليني فيما ليس ينفعني * إليك عني جرى المقدور بالقلم

سأتلّف المال في عسر في يسر * إن الجواد الذي يعطي على العدم

وفيهما أمر المتوكل أهل الذمة أن يتميزوا عن المسلمين في لباسهم وعمائمهم وثيابهم وأن

يتطيلسوا بالمصبوغ بالقلي وأن يكون على عمائمهم رقاع مخالفة للون ثيابهم من خلفهم

ومن بين أيديهم وأن يلزموا بالزنانير الخاصة لثيابهم كزنانير الفلاحين اليوم وأن يحملوا في

رقابهم كرات من خشب كثيرة وأن لا يركبوا خيلا ولتكن ركبهم من خشب إلى غير ذلك من

الأمور المذلة لهم المهينة لنفوسهم وأن لا يستعملون في شيء من الدواوين التي يكون لهم

فيها حكم على مسلم وأمر بتخريب كنائسهم المحدثه وتضييق منازلهم المتسعة فيؤخذ منها

العشر وأن يعمل مما كان متسعا من منازلهم

مسجد وأمر بتسوية قبورهم بالأرض وكتب بذلك إلى سائر الأقاليم والافاق وإلى كل بلد

ورستاق

وفيهما خرج رجل يقال له محمود بن الفرغ النيسابوري وهو ممن كان يتردد إلى خشية بابك وهو مصلوب فيقعد قريبا منه وذلك بقرب دار الخلافة بسر من رأى فادعى أنه نبي وأنه ذو القرنين وقد اتبعه على هذه الضلالة ووافقه على هذه الجهالة جماعة قليلون وهم تسعة وعشرون رجلا وقد نظم لهم كلاما في مصحف له قبحه الله زعم أن جبريل جاءه به من الله فأخذ فرفع أمره إلى المتوكل فأمر فضرب بين يديه بالسياط فاعترف بما نسب إليه وما هو معول عليه وأظهر التوبة من ذلك والرجوع عنه فأمر الخليفة كل واحد من أتباعه التسعة والعشرين أن يصفعه فصفعوه عشر صفعات وعليهم لعنة رب الأرض والسماوات ثم إتفق موته في يوم الأربعاء لثلاث خلون من ذي الحجة من هذه السنة

وفي يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة أخذ المتوكل على الله العهد من بعده لأولاده الثلاثة وهم محمد المنتصر ثم أبو عبد الله المعتز واسمه محمد وقيل الزبير ثم إبراهيم وسماه المؤيد بالله ولم يل الخلافة هذا وأعطى كل واحد منهم طائفة من البلاد يكون نائباً عليها ويستتبع فيها وبضرب له السكة بها وقد عين ابن جرير لكل واحد منهم من البلدان والأقاليم وعقد لكل واحد منهم لواء أسود للعهد ولواء للعمالة وكتب بينهم كتابا بالرضى منهم ومبايعته لأكثر الأمراء على ذلك وكان مشهودا وفيها في شهر ذي الحجة منها تغير ماء دجلة إلى الصفرة ثلاثة أيام ثم صار في لون ماء الدردى ففرغ الناس لذلك وفيها أتى المتوكل بيحيى بن عمر بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من بعض النواحي وكان قد اجتمع إليه قوم من الشيعة فأمر بضربه فضرب ثمانين عشرة مقرعة ثم حبس في المطبق وحج بالناس محمد بن داود

قال ابن جرير وفيها توفى إسحاق بن إبراهيم صاحب الجسر يعني نائب بغداد يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي الحجة وجعل ابنه محمد مكانه وخلع عليه خمس خلع وقلده سيفاً قلت وقد كان نائباً في العراق من زمن المأمون وهو من الدعاة تبعاً لسادته وكبرائه إلى القول بخلق القرآن الذي قال الله تعالى فيهم ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل الآية وهو الذي كان يمتحن الناس ويرسلهم إلى المأمون وفيها توفى إسحاق بن ما هان

الموصلية النديم الأديب النادر الشكل في وقته المجموع من كل فن يعرفه أبناء عصره في الفقه والحديث والجدل والكلام واللغة والشعر ولكن اشتهر بالغناء لأنه لم يكن له في الدنيا نظير فيه قال المعتصم إن إسحاق إذا غنى يخيل لي أنه قد زيد في ملكي وقال المأمون لولا اشتهاره بالغناء لوليت القضاء عليها من عفته ونزاهته وأمانته وله شعر حسن وديوان كبير وكانت عنده كتب كثيرة من كل فن توفي في هذه السنة وقيل التي قبلها وقيل في التي بعدها وقد ترجمه ابن عساکر ترجمة حافلة وذكر عنه أشياء حسنة وأشعاراً رائقة وحكايات مدهشة يطول استقصاؤها فمن غريب ذلك أنه غنى يوم يحيى بن خالد بن برمك فوقع له بألف ألف ووقع ابنه جعفر بمثلها وابنه الفضل بمثلها في حكايات طويلة وفيها توفي شريح بن يونس وشيبان بن فروخ وعبد الله بن عمر الفواريري وأبو بكر بن أبي شيبه أحد الأعلام وأئمة الإسلام وصاحب المصنف الذي لم يصنف أحد مثله قط لا قبله ولا بعده

2 ثم دخلت سنة ست وثلاثون ومائتين

@ فيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب وما حوله من المنازل والدور ونودي في الناس من وجدها بعد ثلاثة أيام ذهب به إلى المطبق فلم يبق هناك بشر واتخذ ذلك الموضع مزرعة تحرث وتستغل وفيها حج بالناس محمد بن المنتصر بن المتوكل وفيها توفي محمد بن إبراهيم ابن مصعب سمه ابن أخيه محمد بن إسحاق بن إبراهيم وكان محمد بن إبراهيم هذا من الأمراء الكبار وفيها توفي الحسن بن سهل الوزير والد بوران زوجة المأمون التي تقدم ذكرها وكان من سادات الناس ويقال إن إسحاق بن إبراهيم المغنبي توفي في هذه السنة فالله أعلم وفيها توفي أبو سعيد محمد بن يوسف المروزي فجاءه فولى ابنه يوسف مكانه على نيابة أرمينية وفيها توفي إبراهيم بن المنذر الحرابي ومصعب بن عبدالله الزبيرى وهديبة بن خالد القيسي وأبو الصلت الهروي أحد الضعفاء

2 ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائتين

@ فيها قبض يوسف بن محمد بن يوسف نائب أرمينية على البطريق الكبير وبعثه إلى نائب الخليفة واتفق بعد بعثه إياه أن سقط ثلج عظيم على تلك البلاد فتحزب أهل تلك الطريق وجاءوا فحاصروا البلد التي بها يوسف فخرج إليهم ليقاتلهم فقتلوه وطائفة كبيرة من المسلمين الذين معه وهلك كثير من الناس من شدة البرد ولما بلغ المتوكل ما وقع من هذا الأمر الفظيع أرسل إلى أهل تلك الناحية بغا الكبير من جيش كثيف جدا فقتل من قتل من أهل تلك الناحية ممن حاصر المدينة نحو من ثلاثين ألفا وأسر منهم طائفة كبيرة ثم سار إلى بلاد ألباق من كور البسفر جان وسلك إلى مدن كثيرة كبار ومهد الممالك ووطد البلاد والنواحي وفي صفر منها غضب المتوكل على ابن أبي داؤد القاضي المعتزل وكان على المضالم فعزله عنها واستدعى يحيى بن أكنم فولاه قضاة القضاة والمضالم أيضا وفي ربيع الأول أمر الخليفة بالاحتياط على ضياع ابن أبي دؤاد وأخذ ابنه الوليد محمد فحبسه في يوم السبت لثلاث خلون من ربيع الآخر وأمر بمصادرته فحمل مائة ألف وعشرين ألف دينار ومن الجواهر النفيسة ما يقوم بعشرين ألف دينار ثم صولح على ستة عشر ألف درهم وكان أبو دؤاد قد أصابه الفالج كما ذكرنا ثم نفى أهله من سامرا إلى بغداد مهانين قال ابن جرير فقال في ذلك أبو العتاهية

لو كنت في الرأي منسوبا إلى رشد * وكان عزمك عزا فيه توفيق
لكان في الفقه شغل لو قنعت به * عن أن تقول كتاب الله مخلوق
ماذا عليك وأصل الدين يجمعهم * ما كان في الفرع لولا الجهل والموق
وفي عيد الفطر منها امر المتوكل بانزال جثة أحمد بن نصر الخزاعي والجمع بين رأسه وجسده وأن يسلم إلى أوليائه ففرح الناس بذلك فرحا شديدا واجتمع في جنازته خلق كثير جدا وجعلوا يتمسحون بها وبأعواد نعشه وكان يوما مشهودا ثم أتوا إلى الجذع الذي صلب عليه فجعلوا يتمسحون به وأرهب بذلك فرحا وسرورا فكتب المتوكل إلى نائبه يأمر بردهم عن تعاطي مثل هذا وعن المغالاة في البشر ثم كتب المتوكل إلى الآفاق بالمنع من الكلام في مسألة الكلام والكف عن القول بخلق القرآن وأن من تعلم علم الكلام لو تكلم فيه فالمطبق مأواه إلى أن يموت وأمر الناس أن لا يشتغل أحد الا بالكتاب والسنة لا غير ثم أظهر إكرام الامام أحمد بن حنبل واستدعاه من بغداد إليه فاجتمع به فأكرمه وأمر له بجائزة سنوية فلم يقبلها وخلص عليه خلعة سنوية من ملابسه فاستحيا منه أحمد كثيرا فلبسها إلى الموضوع الذي كان نازلا فيه ثم نزعا عنيفا وهو يبكي رحمه الله تعالى وجعل المتوكل في كل يوم يرسل إليه من طعامه الخاص ويظن أنه يأكل منه وكان أحمد لا يأكل لهم طعاما بل كان صائما مواصلا طاويا تلك الايام لأنه لم يتيسر له شيء يرضي أكله ولكن كان ابنه صالح وعبدالله يقبلان تلك الجوائز وهو لا يشعر بشيء من ذلك ولولا أنهم أسرعوا الأوبة إلى بغداد لخشي على أحمد ان يموت جوعا وارتفعت السنة جدا أيام المتوكل عفا الله عنه وكان لا يولي أحدا الا بعد مشورة الامام أحمد وكان ولاية يحيى بن أكنم قضاة القضاة موضع ابن أبي دؤاد عن مشورته وقد كان يحيى بن أكنم من أئمة السنة وعلماء الناس ومن المعظمين للفقه والحديث واتباع الأثر وكان قد ولي من جهته حبان بن بشر قضاة الشرقيه وسور ابن عبدالله قضاة الجانب الغربي وكان كلاهما أعورا فقال في ذلك بعض اصحاب ابن أبي دؤاد رأيت من العجائب قاضيين * هما أهدوثة في الخافقين
هما اقتسما العمى نصفين قدا * كما اقتسما قضاة الجانبين
ويحسب منهما من هز رأسا * لنظر في مواريث ودين
كانك وضعت دنا * فتحت بزالة من فرد عين
هما فال الزمان بهلك يحيى * إذ افتتح القضاء بأعورين
وغزا الصائفة في هذه السنة علي بن يحيى الارمني ووج بالناس علي بن عيسى بن جعفر بن ابي جعفر المنصور أمير الحجاز وفيها توفي حاتم الأصم وممن توفي فيها الأعلى بن حماد وعبيد الله بن معاذ العنبري وأبو كامل الفضل بن الحسن الجحدري *2* ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائين

@ في ربيع الأول منها حاصر بغا مدينة تفليس وعلى مقدمته زبرك التركي فخرج إليه صاحب تفليس إسحاق بن اسماعيل فقاتله فأسر بغا إسحاق فأمر بضرب عنقه وصلبه وأمر

بالقاء النار في النفط الى نحو المدينة وكان أكثر بنائها من خشب الصنوبر فأحرق أكثرها وأحرق من أهلها نحووا خمسين الفا وطفئت النار بعد يومين لأن نار الصنوبر لا بقاء لها ودخل الجند فأسروا من بقي من أهلها واستلبوهم حتى استلبوا المواشي ثم سار بها إلى مدين أخرى ممن كان يماليء أهلها مع من قتل نائب أرمينية يوسف بن محمد بن يوسف فأخذ ثأره وعاقب من تجرأ عليه

وفيها جاءت الفرنج في نحو من ثلثمائة مركب قاصدين مصر من جهة دمياط فدخلوها فجأة فقتلوا من أهلها خلقا وحرقوا المسجد الجامع والمنبر وأسروا من النساء نحو من ستمائة امرأة من المسلمات نحو مائة و خمسة وعشرين امرأة وسأثرهن من نساء القبط وأخذوا من الامتعة والمال والاسلحة شيئا كثيرا جدا وفر الناس منهم في كل جهة وكان من غرق في بحيرة تبيس أكثر ممن أسروه ثم رجعوا على حمية ولم يعرض لهم أحد حتى رجعوا بلادهم لعنهم الله وفي هذه السنة غزا الصائفة على ابن يحيى الأرمني وفيها حج بالناس الأمير الذي حج بهم قبلها

وفيها توفي اسحاق بن راهويه أحد الأعلام وعلماء الاسلام والمجتهدين من الأنام وبشر بن الوليد الفقيه الحنفي وطالون بن عباد ومحمد بن بكار بن الزيات ومحمد بن أبي السرى العسقلاني

2 ثم دخلت سنة تسع و ثلاثين ومائتين

@ في المحرم منها زاد المتوكل في التغليظ على أهل الذمة في التميز في اللباس وأكد الأمر بتخريب الكنائس المحدثه في الاسلام وفيها نفى المتوكل بن الجهم إلى خراسان وفيها اتفق شعانين النصارى ويوم النيروز في يوم واحد وهو الاحد لعشرين ليلة خلت من ذي القعدة وزعمت النصارى أن هذا لم يتفق مثله في الاسلام الا في هذا العام وغزا الصائفة على بن يحيى المذكور وفيها حج بالناس عبدالله بن محمد بن داود إلى مكة قال ابن جرير فيها توفي أبو الوليد محمد بن القاضي أحمد بن محمد بن أبي دؤاد الأيادي المعتزلى

قلت وممن توفي فيها داود بن رشد وصفوان بن صالح مؤذن أهل دمشق وعبدالمك بن حبيب الفقيه المالكي أحد المشاهير وعثمان بن أبي شيبة صاحب التفسير والمسند المشهور ومحمد بن مهران الرازي ومحمود بن غيلان ووهب بن نفيه وفيها توفي أحمد بن عاصم الانطاكي

أبو علي الواعظ الزاهد أحد العباد والزهاد له كلام حسن في الزهد ومعاملات القلوب قال أبو عبد الرحمن السلمى كان من طبقة الحارث المحاسبي وبشر الحافي وكان أبو سليمان الدراني يسميه جاسوس القلوب لحدّة فراسته روى عن أبي معاوية الضرير وطبقته وعنه أحمد بن الحواري ومحمود بن خالد وأبو زرعة الدمشقي وغيرهم روى أحمد بن الحواري عن مخلد ابن الحسين عن هشام بن حسان قال مررت بالحسن البصري وهو جالس وقت السحر فقلت يا أبا سعيد مثلك يجلس في هذا الوقت قال إني توضأت وأردت نفسي على الصلاة فأبت على وأرادتني على أن تنام فأبيت عليها ومن مستجاد كلامه قوله إذا أردت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ جوارحك وقال من الغنيمه الباردة أن تصلح ما بقي من عمرك فيغفر لك ما مضى منه وقال يسير اليقين يخرج الشك كله من قلبك ويسير الشك يخرج اليقين كله منه وقال من كان بالله أعرف كان منه أخوف وقال خير صاحب لك في دنياك اللهم يقطعك عن الدنيا ويوصلك الى الآخرة ومن شعره

هممت ولم أعزم ولو كنت صادقا * عزمت ولكن الفطام شديد
ولو كان لي عقل وإيقان موقن * لما كنت عن قصد الطريق أحميد
ولو كان لي غير السلوك مطامعي * ولكن عن الاقدار كيف أحميد
ومن شعره ايضا * قد بقيت مذذبين حيارى

نطلب الصدق ما إليه سبيل

فدواعي الهوى تخف علينا * وخلاف الهوى علينا ثقیل

فقد صدق في الاماكن حتى * وصفه اليوم ما عليه دليل

لا نرى خائفا فيلزمنا الخوف * ولسنا نرى صادقا على ما يقول

ومن شعره أيضا * هون عليك فكل الامر ينقطع
وخل عنك ضباب الهم يندفع
فكل هم له من بعده فرح * وكل كرب إذا ضاق يتسع
إن البلاء وإن طال الزمان به * الموت يقطعه أو سوف ينقطع
وقد أطال الحافظ ابن عساكر ترجمته ولم يؤرخ وفاته وإنما ذكرته ههنا تقريبا والله أعلم
2 ثم دخلت سنة أربعين ومائتين

@ فيها عدا أهل حمص على عاملهم أبي الغيث موسى بن إبراهيم الرافقي لأنه قتل رجلا
من أشرفهم فتلوا جماعة من أصحابه وأخرجوه من بين أظهرهم فبعث إليهم المتوكل أميرا
عليهم وقال للسفير معه إن قبلوه وإلا فأعلمني فقبلوه فعمل معهم فيهم الاعاجيب وأهانهم
غاية الاهانة وفيها عزل المتوكل يحيى بن أكنم القاضي عن القضاء وصادره بما مبلغه ثمانون
الف دينار وأخذ منه أراضي كثيرة في أرض البصرة وولى مكانه جعفر بن عبد الواحد بن
جعفر بن سليمان بن علي على قضاء القضاة قال ابن جرير وفي المحرم منها توفي أحمد
بن أبي دؤاد بعد ابنه بعشرين يوما
وهذه ترجمته

هو أحمد بن أبي دؤاد واسمه الفرج وقيل دعمي والصحيح أن اسمه كنيته الايادي المعتزلي
قال ابن خلكان في نسبه هو أبو عبدالله أحمد بن أبي دؤاد بن فرج بن جرير بن مالك بن
عبدالله بن عباد بن سلام بن عبد هند بن عبد نجم بن مالك بن فيض بن متعه بن برجان بن
دوس الهذلي بن أميه بن حذيفة بن زهير بن اياد بن أدبن معد بن عدنان قال الخطيب ولى
ابن أبي دؤاد قضاء القضاة للممعتصم ثم للوائق وكان موصوفا بالجود والسخاء وحسن
الخلق ووفور الادب غير أنه أعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بخلق
القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة قال الصولى لم يكن بعد البرامكة أكرم منه ولولا ما وضع
من نفسه من محبة المحنة لاجتمعت عليه الانس قالوا وكان مولده في سنة ستين ومائة
وكان أسن من يحيى بن أكنم بعشرين سنة قال ولده هذا معه إلى العراق فاشتغل بالعلم
وصحب هياج بن العلاء السلمى أحد أصحاب واصل بن عطاء فأخذ عنه الاعتزال وذكر أنه
كان يصحب يحيى بن أكنم القاضي وبأخذ عنه العلم ثم سرد له ترجمة طويلة في كتاب
الوفيات وقد امتدحه بعض الشعراء فقال
رسول الله والخلفاء منا * ومنا أحمد بن أبي دؤاد
فرد عليه بعض الشعراء فقال

وفي يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة أخذ المتوكل على الله العهد من بعده لأولاده
الثلاثة وهم محمد المنتصر ثم أبو عبد الله المعتز واسمه محمد وقيل الزبير ثم لإبراهيم
وسماه المؤيد بالله ولم يل الخلافة هذا وأعطى كل واحد منهم طائفة من البلاد يكون نائباً
عليها ويستتبق فيها وبضرب له السكة بها وقد عين ابن جرير لكل واحد منهم من البلدان
والأقاليم وعقد لكل واحد منهم لواء أسود للعهد ولواء للعمالمة وكتب بينهم كتابا بالرضى
منهم ومبايعته لأكثر الأمراء على ذلك وكان مشهودا وفيها في شهر ذي الحجة منها تغير ماء
دجلة إلى الصفرة ثلاثة أيام ثم صار في لون ماء الدردى ففرغ الناس لذلك وفيها أتى
المتوكل بيحيى بن عمر بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب من بعض النواحي
وكان قد اجتمع إليه قوم من الشيعة فأمر بضربه فضرب ثمانين عشرة مفرعة ثم حبس في
المطبق وحج بالناس محمد بن داود

فقل للفاهرين على نزار وهم في الارض سادات العباد
رسول الله والخلفاء منا * ونبراً من دعي بني إياد
وما منا إياد إذا أقرت * بدعوة أحمد بن أبي دؤاد
قال فلما بلغ أحمد بن دؤاد قال لو لا اني أكره العقوبة لعاقبت هذا الشاعر عقوبة
ما فعلها احد وعفا عنه قال الخطيب حدثني الأزهرى ثنا أحمد بن عمر الواعظ حدثنا عمر بن
الحسن بن علي بن مالك حدثني جرير بن أحمد أبو مالك قال كان أبي يعني أحمد بن أبي
دؤاد إذا صلى رفع يديه إلى السماء وخاطب ربه وأنشأ يقول
ما أنت بالسبب الضعيف وإنما * نجح الامور بقوة الاسباب

واليوم حاجتنا اليك وإنما * يدعى الطبيب لساعة الاوصاب
ثم روى الخطيب أن أبا تمام دخل على ابن أبي دؤاد يوما فقال له أحسبك عاتبا فقال إنما
يعتب علي واحد وانت الناس جميعا فقال له أتبي لك هذا فقال من قول أبي نواس
وليس علي الله بمستكر * أن يجمع العالم في واحد
وامتدحه أبو تمام فقال

لو كنت في الرأي منسوباً إلى رشد * وكان عزمك عزمًا فيه توفيق
لقد أنست مساوي كل دهر محاسن أحمد بن أبي دؤاد
وما سافرت في الآفاق إلا * ومن جدوك راحلتي وزادي
نعم الظن عندك والاماني * وإن قلقك ركابي في البلاد
فقال له هذا المعنى تفردت به أو أخذته من غيرك فقال هو لي غير أبي المحدث بقول أبي
نواس

وان جرت الألفاظ يوما بمدحه * لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني
وقال محمد بن الصولي ومن مختار مديح أبي تمام لأحمد بن أبي دؤاد قوله
أحمد ان الحاسدين كثير * ومالك إن عد الكرام نظير
حللت محلاً فاضلاً متقادماً * من المجد والفخر القديم فخور
فكل غني أو فقير فانه * اليك وإن نال السماء فقير
اليك تناهي المجد من كل وجهة * يصير فما يعدوك حيث يصير
وبدر إباد أنت لا ينكرونه * كذاك إباد للأنام بدور
تجنبت أن تدعى اليك ممددة * وما رفعة إلا اليك تشبير
قلت قد أخطأ الشاعر في هذه الأبيات خطأ كبيراً وأفحش في المبالغة كثيراً ولعله إن اعتقد
هذا في مخلوق ضعيف مسكين ضال مضل أن يكون له جهنم وساءت مصيراً وقال ابن أبي
دؤاد يوماً لبعضهم لما لم تسألني فقال له لأنني لو سألتك أعطيتك ثم صلتك فقال له
صدقت وأرسل إليه بخمسة آلاف درهم

وقال ابن الأعرابي سألت رجل ابن أبي دؤاد أن يحملني على غير فقال يا غلام اعطه عيرا وبغلا
وبرذونا وفرسا وجاربه قال له لو أعلم مركوباً غير هذا لأعطيتك ثم أورد الخطيب بأسانيده
عن جماعة أخباراً تدل على كرمه وفصاحته وأدبه وحلمه ومبادرته إلى قضاء الحاجات
وعظيم منزلته عند الخلفاء وذكر عن محمد المهدي الوائلي أن شيخاً دخل يوماً على الوائلي
فسلم عليه فلم يرد عليه الوائلي بل قال لاسلم الله عليك فقال يا أمير المؤمنين بئس ما
أدبك معلمك قال الله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها فلا حييتني بأحسن
منها ولا رددتها فقال ابن أبي دؤاد يا أمير المؤمنين الرجل متكلم فقال ناظره فقال ابن أبي
دؤاد ما تقول يا شيخ في القرآن امخلوق هو فقال الشيخ لم اتصفتني المسألة لي فقال قل
فقال هذا الذي تقوله علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي
أو ما علموه فقال ابن أبي دؤاد لم يعلموه قال فأنت علمت ما لم يعلموا فخجل وسكت ثم
قال أقلني بل علموه قال فلم لا دعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت أما يسعك ما وسعهم
فخجل وسكت وأمر الوائلي له بجائزة نحو أربعمئة دينار فلم يقبلها قال المهدي فدخل أبي
المنزل فاستلقى على ظهره وجعل يكرر قول الشيخ في نفسه ويقول أما وسعك ما وسعهم
ثم أطلق الشيخ وأعطاه أربعمئة دينار ورده إلى بلاده وسقط من عينيه ابن أبي دؤاد ولم
يمتحن بعده أحداً ذكره الخطيب في تاريخه بأسناد فيه بعض من لا يعرف وساق قصته

مطوله وقد أنشد ثعلب عن أبي حجاج الأعرابي أنه قال في ابن أبي دؤاد
نكست الدين ابن أبي دؤاد * فأصبح من أطاعك في ارتداد
زعمت كلام ربك كان خلقاً * أما لك عند ربك من معاد
كلام الله أنزله بعلم * على جبريل إلى خير العباد
ومن أمسى ببابك مستضيفاً * كمن حل الفلاة بغير زاد
لقد أطرفت يا ابن أبي دؤاد * بقولك إنني رجل إيادي
ثم قال الخطيب أنبا القاضي أبو الطيب طاهر بن عبدالله الطبري قال أنشدنا المعافى بن
زكريا الجريري عن محمد بن يحيى الصولي لبعضهم بهجو ابن أبي دؤاد

لو كنت في الرأي منسوباً إلى رشد * وكان عزمك عزمًا فيه توفيق

وقد تقدمت هذه الآيات

وروي الخطيب عن أحمد بن الموفق أويحيى أنه قال ناظرني رجل من الواقفية في خلق القرآن فنالني منه ما أكره فلما أمسيت أتيت امرأتي فوضعت لي العشاء فلم أقدر أن أنال منه شيئاً فنمت فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الجامع وهناك حلقة فيها أحمد بن حنبل وأصحابه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية فإن

يكفر بها هؤلاء ويشير إلى حلقة ابن أبي دؤاد فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها كافرين ويشير إلي أحمد بن حنبل وأصحابه قال بعضهم رأيت في المنام كأن قائلاً يقول هلك الليلة أحمد بن أبي دؤاد فقلت له وما سبب هلاكه فقال إنه أعضب الله عليه فغضب عليه من فوق سبع سموات وقال غيره رأيت ليلة مات ابن أبي دؤاد كأن النار زفرت زفرة عظيمة فخرج منها لهب فقلت ما هذا فقيل هذا أنجزت لابن أبي دؤاد

وقد كان هلاكه في يوم السبت لسبع بقين من المحرم من هذه السنة وصلى عليه ابنه العباس ودفن في داره ببغداد وعمره يومئذ ثمانون سنة وابتلاه الله بفالج قبل موته بأربع سنين حتى بقي طريحاً في فراشه لا يستطيع أن يحرك شيئاً من جسده وحرماً لذة الطعام والشراب والنكاح وغير ذلك

وقد دخل عليه بعضهم فقال والله ما جئتك عائداً وإنما جئتك لأعزيك في نفسك وأحمد الله الذي سجنك في جسدك الذي هو أشد عليك عقوبة من سجن ثم خرج من عنه داعياً عليه بأن يزيد الله ولا ينقصه مما هو فيه فازداد مرضاً إلى مرضه وقد صودر في العام الماضي بأموال جزيله جداً ولو كان يحمل العقوبة لوضعها عليه المتوكل قال ابن خلكان كان مولده في سنة ستين ومائة قلت فعلى هذا يكون أسن من أحمد بن حنبل ومن يحيى بن أكثم الذي ذكر ابن خلكان أن ابن أكثم كان سبب اتصال ابن أبي دؤاد بالخليفة المأمون فحظي عنده بحيث إنه أوصى به إلى أخيه المعتصم فولاه المعتصم القضاء والمظالم وكان ابن الزيات الوزير يبغضه وجرت بينهما منافسات وهجو وقد كان لا يقطع أمراً بدونه وعزل ابن أكثم عن القضاء وولاه مكانه وهذه المحنة التي هي أس ما بعدها من المحن والفتنة التي فتحت على الناس باب الفتن

ثم ذكر ابن خلكان ما ضرب به الفالج وما صودر به من المال وأن ابنه أبا الوليد محمد صودر بألف ألف دينار ومائتي ألف دينار وأنه مات قبل أبيه بشهر وأما ابن عساكر فانه بسط القول في ترجمته وشرحها شرحاً جيداً وقد كان أدبياً فصيحاً كريماً جواداً ممدحاً يؤثر العطاء على المنع والتفرقة على الجمع وقد روى ابن عساكر باسناده أنه جلس يوماً مع أصحابه ينتظرون خروج الوراق فقال ابن أبي دؤاد إنه ليعجيني هذان البيتان

ولي نظرة لو كان يحبل ناظر * بنظرته أنشئ لقد حبلت مني

فإن ولدت ما بين تسعة أشهر * إلى ابنا فإن ابنا مني

ممن توفي فيها من الأعيان أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي أحد الفقهاء والمشاهير قال الامام أحمد هو عندنا في مسلاخ الثوري وخليفة بن خياط أحد أئمة التاريخ وسويد بن سعد الحدثاني وسويد بن نصر وعبد السلام بن سعيد الملقب بسحنون أحد فقهاء المالكية المشهورين وعبدالواحد ابن غياث وقتيبة بن سعد شيخ الأئمة والسنة وأبو العميث عبد الله بن خالد كاتب عبدالله بن

طاهرة وشاعره كان عالماً باللغة وله فيها مصنفات عديدة أورد منها ابن خلكان جملة ومن شعره يمدح عبدالله بن طاهر

يامن يحاول أن تكون صفاته * كصفات عبدالله أنصت واسمع

فلا نصحنك في خصال والذي * حج الحجيج إليه فاسمع أو دع

أصدق وعف وپر واصبر واحتمل * واصفح وكافيء دار واحلم واشجع

والطف ولن وتأن وارفق واتند * واحزم وجد وحام واحمل وادفع

فلقد نصحتك إن قبلت نصيحتي * وهديت للنهج الاسد المهيع

وأما سحنون المالكي صاحب المدونة

فهو ابو سعيد عبدالسلام بن سعيد بن جندب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي أصله من مدينة حمص فدخل به أبوه مع جندها بلاد المغرب فأقام بها وانتهت إليه رئاسة مذهب مالك هناك وكان قد تفقه على ابن القاسم وسببه أنه أقام أسد بن الفرات صاحب الامام مالك من بلاد العرب إلى بلاد مصر فسأل عبدالرحمن بن القاسم صاحب مالك عن أسئلة كثيرة فأجابها عنها فعقلها عنه ودخل بها بلاد المغرب فانتسخها منه سحنون ثم قدم على ابن القاسم مصر فأعاد أسئلته عليه فزاد فيها ونقص ورجع عن أشياء منها فرتبها سحنون ورجع بها إلى بلاد المغرب وكتب معه ابن القاسم إلى أسد بن الفرات أن يعرض نسخة سحنون ويصلحها بها فلم يقبل فدعى ابن القاسم فلم ينتفع به ولا بكتابه وصارت الرحلة إلى سحنون وانتشرت عنه المدونة وساد أهل ذلك الزمان وتولى القضاء بالقيروان وإلى أن توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة رحمه الله وإيانا

2 ثم دخلت سنة احدى وأربعين ومائتين

@ في جمادي الاولى أو الآخرة من هذه السنة وثب أهل حمص أيضا على عاملهم محمد بن عبدويه فأرادوا قتله وساعدهم نصارى أهلها أيضا عليه فكتب إلى الخليفة يعلمه بذلك فكتب إليه يأمره بمناهضتهم وكتب إلى متولي دمشق أن يمدّه بجيش من عنده ليساعده على أهل حمص وكتب إليه أن يضرب ثلاثة منهم معروفين بالشر بالسياط حتى يموتوا ثم يصلبهم على أبواب البلد وأن يضرب عشرين آخرين منهم كل واحد ثلاثمائة وأن يرسلهم إلى سامرا مقيدين في الحديد وأن يخرج كل نصراني بها ويهدم كنيستها العظمى التي إلى جانب المسجد الجامع وأن يضيفها إليه وأمر بخمسين ألف درهم وللأمراء الذين ساعدوه بصلات سنوية فامتثل ما أمر به الخليفة فيهم وفيها أمر الخليفة المتوكل على الله بضرب رجل من اعيان أهل بغداد يقال له عيسى بن

جعفر بن محمد بن عاصم فضرب ضربا شديدا مبرحا يقال إنه ضرب ألف سوط حتى مات وذلك أنه شهد عليه سبعة عشر رجلا عند قاضي الشرقيه أبي حسان الزيادي أنه يشتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم فرفع أمره إلى الخليفة فجاء كتاب الخليفة إلى محمد بن عبدالله بن طاهر بن الحسن نائب بغداد يأمره أن يضربه بين الناس حد السب ثم يضرب بالسياط حتى يموت ويلقى في دجلة ولا يصلى عليه ليرتدع بذلك أهل الالحاد والمعاندة ففعل معه ذلك قبحة الله ولعنه ومثل هذ يكفر وإن كان قد قذف عائشة بالاجماع وفيمن قذف سواها من أمهات المؤمنين قولان والصحيح أنه يكفر أيضا لأنهن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن

قال ابن جرير وفي هذه السنة انقضت الكواكب ببغداد وتناثرت وذلك ليلة الخميس ليلية خلت من جمادي الآخرة قال وفيها مطر الناس في آب مطرا شديدا جدا قال وفيها مات من الدواب شيء كثير ولا سيما البقر قال وفيها أغارت الروم على عين زرية فأسروا من بها من الزط وأخذوا نساءهم وذرايرهم ودوابهم قال وفيها الفداء بين المسلمين والروم في بلاد طرسوس بحضرة قاضي الفضاة جعفر بن عبدالواحد عن إذن الخليفة له في ذلك واستنابه ابن ابي الشوارب وكانت عدة الاسرى من المسلمين سبعمائة وخمس وثمانين رجلا ومن النساء مائة وخمسا وعشرين امرأة وقد كانت أم المؤمنين تدور لعنها الله عرضت النصرانية على من كان في يدها من الاسارى وكانوا نحو من عشرين الفا فمن أجابها إلى النصرانية وإلا قتله فقتلت اثني عشر ألفا وتنصر بعضهم وبقي منهم هؤلاء الذين فودوا وهم قريب من التسعمائة رجلا ونساء

وفيها أغارت البجة على جيش من أرض مصر وقد كانت البجة لا يغزون المسلمين قبل ذلك لهدنة كانت لهم من المسلمين فنقضوا الهدنة وصرحوا بالخلاف والبجة طائفة من سودان بلاد المغرب وكذا النوبة وشنون وزغريز وبكسوم وأمم كثيرة لا يعلمهم الا الله وفي بلاد هؤلاء معادن الذهب والجوهر وكان عليهم حمل كل سنة إلى ديار مصر من هذه المعادن فلما كانت دولة المتوكل امتنعوا من أداء ما عليهم سنين متعددة فكتب إلى نائب مصر وهو يعقوب بن إبراهيم الباذغيسى مولى الهادي وهو المعروف بقوصرة بذلك كله إلى المتوكل فغضب المتوكل من ذلك غضبا شديدا وشاور في أمر البجة فقبل له يا أمير المؤمنين إنهم قوم أهل إبل وبادية وأن بلادهم بعيدة ومعطشة ويحتاج الجيش الذاهبون إليها ان يتزودوا

لمقامهم بها طعاما وماء فصدده عن البعث إليهم ثم بلغه أنهم يغيرون على أطراف الصعيد ويخشى أهل مصر على أولادهم منهم فجهز لحربهم محمد بن عبدالله القمي وجعل إليه نيابة تلك البلاد كلها المتاخمة لأرضهم وكتب إلى عمال مصر أن يعينوه بكل ما يحتاج إليه من الطعام وغير ذلك فتخلص وتخلص معه الجيوش

الذين انضافوا إليه من تلك البلاد حتى دخل بلادهم في عشرين ألف فارس وراجل وحمل معه الطعام الأدام في مراكب سبعة وأمر الذين هم بها ان يلجوا بها في البحر فيوافقوه بها اذا توسط بلاد البجة ثم سار حتى دخل بلادهم وجاوز معادنهم وأقبل إليه ملك البجة واسمه علي بابا في جمع عظيم أضعاف من مع محمد بن عبدالله القمي وهم قوم مشركون يعبدون الاصنام فجعل الملك يطاول المسلمين لعله تنفذ أزوارهم فيأخذونهم بالأيدي فلما نفذ ما عند المسلمين طم فيهم السودان فيسر الله وله الحمد يوصول المراكب وفيها من الطعام والتمر والزيت وغير ذلك مما يحتاجون إليه شيء كثير جدا فقسمه الأمير بين المسلمين بحسب حاجاتهم فبنس السودان من هلاك المسلمين جوعا فشرعوا في التاهب لقتال المسلمين ومركبهم الابل شبيهه بالهجن زعرة جدا كثيرة النفار لا تكاد ترى شيئا ولا تسمع الا جفلت منه فلما كان يوم الحرب عمد أمير المسلمين إلى جميع الاجراس التي معهم في الجيش فجعلها في رقاب الخيول فلما كانت الواقعة حمل المسلمون حملة رجل واحد فنفرت بهم ابلهم من أصوات تلك الاجراس في كل وجه وتفرقوا شذر مذر واتبعهم المسلمون يقتلون من شاؤا لا يمتنع منهم أحد فلا يعلم عددا من قتلوا منهم الا الله عز وجل ثم أصبحوا وقد اجتمعوا رجالة فكسبهم القمي من حيث لا يشعرون فقتل عامة من بقي منهم وأخذ ملكهم بالأمان وأدى ما كان عليه من الحمل وأخذه معه أسير إلى الخليفة وكانت هذه الواقعة في أول يوم من هذه السنة فولاه الخليفة على بلاده كما كان وجعل إلى ابن القمي أمر تلك الناحية والنظر في أمرها ولله الحمد والمنة

قال ابن جرير ومات في هذه السنة يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة في جمادي الآخرة قلت وهذا الرجل كان نائبا على الديار المصرية من جهة المتوكل وفيها حج بالناس عبدالله بن محمد ابن داود وحج جعفر بن دينار وهو والي طريق مكة وأحداث الموسم ولم يتعرض ابن جرير لوفاة أحد من المحدثين في هذه السنة وقد توفي من الاعيان الإمام أحمد بن حنبل وجبارة بن المغسل الحماني وأبو ثوبة الحلبي وعيسى بن حماد سجادة ويعقوب بن حميد بن كاسب ولنذكر شيئا من

الإمام أحمد بن حنبل

فنقول وبالله المستعان هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد بن ادريس بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاية بن صعيب بن علي بن بكر بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة ابن نزار معد بن عدنان بن أد بن ادد بن الهميسع بن حمل بن التبت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام أبو عبدالله الشيباني ثم المروزي ثم البغدادي هكذا ساق نسبه الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي في الكتاب الذي جمعه في مناقب أحمد عن شيخه الحافظ أبي عبدالله الحاكم صاحب المستدرک وروى عن صالح ابن الامام أحمد قال رأى أبي هذا النسب في كتاب لي فقال وما تصنع به ولم ينكر النسب قالوا وقدم به أبوه من مرو وهو حمل فوضعتة أمه في بيغداد في ربيع الأول من سنة أربع وستين ومائة وتوفي أبوه وهو ابن ثلاث سنين فكفلته أمه قال صالح عن أبيه فثقت أذني وجعلت فيها لؤلؤتين فلما كبرت دفعتهما بثلاثين درهما وتوفي أبو عبدالله احمد بن حنبل يوم الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين وله من العمر سبع وسبعون سنة رحمه الله وقد كان في حداته يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف ثم ترك وأقبل على سماع الحديث فكان أول طلبه للحديث وأول سماعه من مشايخه في سنة سبع وثمانين ومائة وقد بلغ من العمر ست عشر سنة وأول حجة حجها في سنة سبع وثمانين ومائة ثم سنة احدى وتسعين وفيها حج الوليد بن مسلم ثم سنة ست وتسعين وجاور في سنة سبع وتسعين ثم حج في سنة ثمان وتسعين وجاور إلى سنة تسع وتسعين وسافر إلى عند عبد الرازق إلى اليمن فكتب عنه هو ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه قال الامام أحمد حججت خمس

حجج منها ثلاث راجلا انفقت في احدى هذه الحججات ثلاثين درهما قال وقد ضللت في بعضها الطريق وأنا ماش فجعلت أقول يا عباد الله دلوني على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق قال وخرجت إلى الكوفة فكننت في بيت تحت رأسي لبنة ولو كان عندي تسعون درهما كنت رحلت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري وخرج بعض اصحابنا ولم يمكني الخروج لأنه لم يمكن عندي شيء

وقال ابن أبي حاتم عن أبيه عن حرملة سمعت الشافعي قال وعدني أحمد بن حنبل أن يقدم على مصر فلم يقدم قال ابن أبي حاتم يشبه أن تكون ذات اليد منعتة أن يفى بالعدة وقد طاف أحمد بن حنبل في البلاد والأفاق وسمع من مشايخ العصر وكانوا يجلونه ويحترمونه في حال سماعه منهم وقد سرد شيخنا في تهذيبه أسماء شيوخه مرتبين على حروف المعجم وكذلك الرواة عنه قال البيهقي بعد أن ذكر جماعة من شيوخ الإمام أحمد وقد ذكر أحمد بن حنبل في المسند وغيره الرواية عن الشافعي وأخذ عنه جملة من كلامه في انساب قريش وأخذ عنه من الفقه ما هو مشهور وحين توفي الإمام أحمد في تركته رسالتي الشافعي القديمة والحديثة

قلت قد أفرد ما رواه أحمد عن الشافعي وهي أحاديث لا تبلغ عشرين حديثا ومن أحسن ما رويناه عن الامام أحمد عن الشافعي عن مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

نسمة المؤمن طائر تعلق في شجر الجنة يرجعه إلى جسده يوم البعث وقد قال الشافعي لأحمد لما اجتمع به في الرحلة الثانية إلى بغداد سنة تسعين ومائة وعمر أحمد إذ ذاك نيف وثلاثون سنة قال له يا أبا عبد الله إذا صح عندكم الحديث فأعلمني به أذهب إليه حجازيا كان أو شاميا أو عراقيا أو يمنيا يعني لا يقول بقول فقهاء الحجاز الذين لا يقبلون الا رواية الحجازيين وينزلون أحاديث من سواهم منزلة احاديث أهل الكتاب وقول الشافعي له هذه المقالة تعظيم لأحمد وإجلال له وأنه عنده بهذه المثابة إذا صح أو ضعف يرجع إليه وقد كان الامام أحمد بهذه المثابة عند الأئمة والعلماء كما سيأتي ثناء الأئمة عليه واعترافهم له بعلو المكانة في العلم والحديث وقد بعد صيته في زمانه واشتهر اسمه في شبيبته في الأفاق

ثم حكى البيهقي كلام أحمد في الايمان وأنه قول وعمل ويزيد وينقص وكلامه في القرآن كلام الله غير مخلوق وإنكاره علي من يقول إن لفظة بالقرآن مخلوق يريد به القرآن قال وفيها حكى أبو عماره وأبو جعفر أخبرنا أحمد شيخنا السراج عن أحمد بن حنبل أنه قال اللفظ محدث واستدل بقوله ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد قال فاللفظ كلام الآدميين وروى غيرهما عن أحمد أنه قال القرآن كيف ما تصرف فيه غير مخلوق وأما أفعالنا فهي مخلوقة قلت وقد قرر البخاري في هذا المعنى في أفعال العباد وذكره أيضا في الصحيح واستدل بقوله عليه السلام

زينوا القرآن بأصواتكم ولهذا قال غير واحد من الائمة الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري وقد قرر البيهقي ذلك أيضا

وروى البيهقي من طريق اسماعيل بن محمد السلمي عن أحمد أنه قال من قال القرآن محدث فهو كافر ومن طريق أبي الحسن الميموني عن أحمد أنه أجاب الجهمية حين احتجوا عليه بقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون قال يحتمل أن يكون تنزيله الينا هوالمحدث لا الذكر نفسه هو المحدث وعن حنبل عن أحمد أنه قال يحتمل أن يكون ذكر آخر غير القرآن وهو ذكر رسول الله ص أو وعظه إياهم ثم ذكر البيهقي كلام الإمام أحمد وفي رؤية الله في الدار الآخرة واحتج بحديث صهيب في الرؤية وهي زيادة وكلامه في نفي التشبيه وترك الخوض في الكلام والتمسك بما ورد في الكتاب والسنة عن النبي ص وعن أصحابه روى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمر بن السماك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأول قول الله تعالى وجاء ربك أنه جاء ثوابه ثم قال البيهقي وهذا اسناد لا غبار عليه وقال الامام أحمد حدثنا أبو بكر بن عياش ثنا عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود قال ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه سيئا فهو عند الله سيء وقد رأى الصحابة جميعا أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه اسناد صحيح قلت وهذا الاثر فيه حكاية

اجماع عن الصحابة في تقديم الصديق والأمر كما قاله ابن مسعود وقد نص على ذلك غير واحد من الأئمة وقد قال أحمد حين اجتاز بحمص وقد حمل إلى المأمون في زمن المحنة ودخل عليه عمرو بن عثمان الحمصي فقال له ما تقول في الخلافة فقال أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ومن قدم عليا على عثمان فقد أزرى بأصحاب الشورى لأنهم قدموا عثمان رضي الله عنه

ورعه وتقشفه وزهده رحمه الله

روى البيهقي من طريق المزني عن الشافعي أنه قال للرشيد ان اليمن يحتاج إلى قاض فقال له اختر رجلا نوله اياها فقال الشافعي لأحمد بن حنبل وهو يتردد إليه في جملة من يأخذ عنه ألا تقبل قضاء اليمن فامتنع من ذلك امتناعا شديدا وقال الشافعي اني إنما اختلف اليك لأجل العلم المزهد في الدنيا فتأمرني أن ألي القضاء ولولا العلم لما أكلمك بعد اليوم فاستحى الشافعي منه

وروى أنه كان لا يصلي خلف عمه اسحاق بن حنبل ولا خلف بنيه ولا يكلمهم أيضا لأنهم أخذوا جائزة السلطان ومكث مرة ثلاثة أيام لا يجد ما يأكله حتى بعث إلى بعض أصحابه فاستقرض منه دقيقا فعرف أهله حاجته إلى الطعام وعجنوا وخبزوا له سريعا فقال ما هذه العجلة كيف خبزتم فقالوا وجدنا تنور بيت صالح مسجورا فخبزنا لك فيه فقال ارفعوا ولم يأكل وأمر بسد بابه إلى دار صالح قال البيهقي لأن صالحا أخذ بجائزة السلطان وهو المتوكل على الله وقال عبدالله ابنه مكث أبي بالعسكر عند الخليفة ستة عشر يوما يأكل فيها الا ربع مد سويفا يفطر بعد كل ثلاث ليال على سفه منه حتى رجع إلى بيته ولم ترجع إليه نفسه الا بعد ستة أشهر وقد رأيت موقية دخلا في حدقته قال البيهقي وقد كان الخليفة يبعث إليه المائدة فيها أشياء كثيرة من الانواع وكان أحمد لا يتناول منها شيئا قال وبعث المأمون مرة ذهبا يقسم على أصحاب الحديث فما بقي منهم احدا إلا أخذ إلا أحمد بن حنبل فإنه أبى

وقال سليمان الشاذ كوني حضرت أحمد وقد رهن سطلا له عند فامى اليمن فلما جاءه بفكاكه اخرج له سطلين فقال خذ متاعك منهما فاشتبه ابهما له فقال انت في حل منه ومن الفكك وتركه وذهب وحكى ابنه عبدالله قال كنا في زمن الواصل في ضيق شديد فيكتب رجل إلى أبي إن عندي أربعة آلاف درهم ورثتها من أبي وليست صدقة ولا زكاة فإن رأيت أن تقبلها فامتنع من ذلك وكرر عليه فأبى فلما كان بعد حين ذكرنا ذلك فقال أبي لو كنا قبلناها كانت ذهبت وأكلناها وعرض عليه بعض التجار عشرة آلاف درهم ربحها من بضاعة جعلها بإسمه فأبى أن يقبلها وقال نحن في كفاية وجزاك الله عن قصدك خيرا وعرض عليه تاجر آخر ثلاثة آلاف دينار فامتنع من قبولها وقام وتركه ونفذت نفقة أحمد وهو في اليمن فعرض عليه شيخه عبدالرزاق ملء كفه دنانير فقال نحن في كفاية ولم يقبلها وسرقت ثيابه وهو في باليمن فجلس في بيته ورد عليه الباب وفقد أصحابه فجاءوا إليه فسألوه فأخبرهم فعرضوا عليه ذهبا فلم يقبله ولم يأخذ منهم إلا دينارا واحدا ليكتب لهم به فكتب لهم بالأجر رحمه الله وقال أبو داود كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا وما رأيت أحمد بن حنبل ذكر الدنيا قط وروى البيهقي أن أحمد سأل عن التوكل فقال هو قطع الاستشراف باليأس من الناس فقبل له هل من حجة على هذا قال نعم إن إبراهيم لما رمي به في النار في المنجنيق عرض له جبريل فقال هل لك من حاجة قال أما إليك فلا قال فسل من لك إليه حاجة فقال أحب الأمرين ألي أحبهما إليه

وعن أبي جعفر محمد بن يعقوب الصفار قال كنا مع أحمد بن حنبل بسر من رأى فقلنا ادع الله لنا فقال اللهم انك تعلم أنك على أكثر مما نحب فاجعلنا على ما تحب دائما ثم سكت فقلنا زدنا فقال اللهم انا نسألك بالقدرة التي قلت للسموات والارض اثتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين اللهم وفقنا لمرضاتك اللهم إنا نعود بك من الفقر الا إليك ونعود بك من الذل الا لك اللهم لا تكثر لنا فنطغى ولا تقل علينا فننسى وهب لنا من رحمتك وسعة رزقك ما يكون بلاغا لنا في ديانا وغنى من فضلك قال البيهقي وفي حكاية أبي الفضل التميمي عن أحمد وكان يدعو في السجود اللهم من كان من هذه الامة على غير الحق وهو يظن أنه على الحق فرده إلى الحق ليكون من أهل الحق وكان يقول اللهم إن قبلت عن عصاة أمة محمد صلى الله عليه وسلم فداء فاجعلني فداء لهم وقال صالح بن أحمد كان أبي لا يدع أحدا

يستقى له الماء للوضوء بل كان يلي ذلك بنفسه فإذا خرج الدلو ملآن قال الحمد لله فقلت يا أبة ما الفائدة بذلك فقال يا بني أما سمعت قول الله عز وجل أرئيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين والأخبار عنه في هذا الباب كثيرة جدا وقد صنف أحمد في الزهد كتابا حافلا عظيما لم يسبق إلى مثله ولم يلحقه أحد فيه والمظنون بل المقطوع به أنه كان يأخذ بما أمكنه منه رحمة الله

وقال اسماعيل بن اسحاق السراج قال لي أحمد بن حنبل هل تستطيع أن تريني الحارث المحاسبي إذا جاء منزلك فقلت نعم وفرحت بذلك ثم ذهبت إلى الحارث فقلت له إنني أحب أن تحضر الليلة عندي أنت وأصحابك فقال إنهم كثير فأحضر لهم التمر والكسب فلما كان بين العشاءين جاؤا وكان الامام أحمد قد سبقهم فجلس في غرفة بحيث يراهم ويسمع كلامهم ولا يرونه فلما صلوا العشاء الآخرة لم يصلوا بعدها شيئا بل جاؤا بين يدي الحارث سكوتا

مطرفي الرأس كأنما على رؤسهما الطير حتى اذا كان قريبا من نصف الليل سأله رجل مسألة فشرع الحارث يتكلم عليها وعلى ما يتعلق بها من الزهد والورع والوعظ فجعل هذا يبكي وهذا يئن وهذا يزعم قال فصعدت إلى الامام أحمد إلى الغرفة فإذا هو يبكي حتى كاد يغشى عليه ثم لم يزالوا كذلك حتى الصباح فلما أرادوا الانصراف قلت كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبدالله فقال ما رأيت احدا يتكلم في الزهد مثل هذا الرجل وما رأيت مثل هؤلاء ومع هذا فلا أرى لك أن تجتمع بهم قال البهقي يحتمل أنه كره له صحبتهم لأن الحارث بن أسد وإن كان زاهدا فإنه كان عنده شيء من الكلام وكان أحمد يكره ذلك أو كره له صحبتهم من أجل أنه لا يطيق سلوك طريقهم وما هم عليه من الزهد والورع قلت بل انما كره ذلك لأن في

كلامهم من التقشف وشدة السلوك التي يرد بها الشرع والتدقيق والمحاسبة الدقيقة البليغة ما لم بات بها أمر ولهذا لما وقف أبو زرعة الرازي على كتاب الحارث المسمى بالرعاية قال هذا بدعة ثم قال للرجل الذي جاء بالكتاب عليك بما كان عليه مالك والثوري والأوزاعي والليث ودع عنك هذا فإنه بدعة وقال إبراهيم الحربي سمعت أحمد بن حنبل يقول إن أحببت أن يدوم الله لك على ما تحب قدم له على ما يحب وقال الصبر على الفقر مرتبة لا ينالها الا الأكابر وقال الفقر أشرف من الغنى فان الصبر عليه مرارة وانزعاجه أعظم حالا من الشكر وقال لا أعدل بفضل الفقر شيئا وكان يقول على العبد أن يقبل الرزق بعد اليأس ولا يقبله إذا تقدمه طمع أو استشراف وكان يحب التقليل من الدنيا لأجل خفة الحساب وقال إبراهيم قال رجل لأحمد هذا العلم تعلمته لله فقال له أحمد هذا شرط شديد ولكن حيب إلى شيء فجمعته وفي رواية أنه قال أما الله فعزير ولكن حيب إلى شيء فجمعته

وروى البهقي أن رجلا جاء إلى الامام أحمد فقال إن أمي زمني مقعده منذ عشرين سنة وقد بعثتني اليك لتدعو لها فكأنه غضب من ذلك وقال نحن أحوج أن تدعو هي لنا من أن ندعو لها ثم دعا الله عز وجل لها فرجع الرجل إلى أمه فصدق الباب فخرجت إليه على رجلها وقالت قد وهبني الله العافية وروى أن سائلا سأله فأعطاه الامام أحمد قطعة فقام رجل إلى السائل فقال هبني هذه القطعة حتى أعطيك عوضها ما تساوي درهما فأبى فرقاه إلى خمسين درهما وهو يأبى وقال إنني أرجو من بركتها ما ترجوه أنت من بركتها ثم قال البهقي رحمه الله

باب

ذكر ما جاء في محنة ابي عبدالله احمد بن حنبل في أيام المأمون ثم المعتصم ثم الواثق بسبب القرآن العظيم وما أصابه من الحبس الطويل والضرب الشديد والتهديد بالقتل بسوء العذاب وأليم العقاب وقلة مبالاته بما كان منهم في ذلك إليه وصبره عليه وتمسكه بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم وكان أحمد عالما بما ورد بمثل حاله من الآيات المتلوة والأخبار الماثورة وبلغه ما أوصى به في المنام واليقظة فرضي وسلم إيمانا واحتسابا وفاز بخير الدنيا ونعيم الآخرة وهياه الله بما أتاه من ذلك البلوغ أعلى منازل أهل البلاء في الله من أوليائه والحق به محبيه فيما نال من كرامة الله تعالى ان شاء الله من غير بليه وبالله التوفيق والعصمة

قال الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولون آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ولعلمن الكاذبين وقال الله تعالى واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور في سواها معنى ما كتبنا وقد روى الامام أحمد الممتحن في مسنده قائلا فيه حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عاصم بن بهدلة سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاء فقال الانبياء ثم الأمثل فالأمثل يتلى الله الرجل على حسب دينه فإن كان رقيق الدين ابتلى هلى حسب ذلك وان كان صلب الدين ابتلى على حسب ذلك وما زال البلاء بالرجل حتى يمشي على الارض وما عليه خطيئة وقد روى مسلم في صحيحه قال حدثنا عبد الوهاب الثقفي ثنا أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ثلاثة من كن فيه فقد وجد جلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه أخرجاه في الصحيحين

وقال ابو القاسم البغوي حدثنا أحمد بن حنبل ثنا أبو المغيرة ثنا صفوان بن عمر السكسكى ثنا عمرو بن قيس السكوني ثنا عاصم بن حميد قال سمعت معاذ بن جبل يقول انكم لم تروا الا بلاء وفتنة ولن يزداد الامر الا شدة ولا الأنفس الا شحا وبه قال معاذ لن تروا من الائمة الا غلطة ولن تروا أمرا يهولكم ويشتد عليكم الا حضر بعده ما هو أشد منه قال البغوي سمعت أحمد يقول اللهم رضنا وروى البيهقي عن الربيع قال بعثني الشافعي بكتاب من مصر إلى أحمد بن حنبل فأتيته وقد انفتل من صلاة الفجر فدفعت إليه الكتاب فقال أقرأته فقلت لا فأخذه فقرأه فدمعت عيناه فقلت يا أبا عبدالله وما فيه فقال يذكر أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال اكتب إلى عبد الله احمد بن حنبل وأقرأ عليه السلام مني وقل له إنك ستمتحن وتدعى إلى القول بخلق القرآن فلا تجهم ويرفع الله لك علما إلى يوم القيامة قال الربيع فقلت جلاوة البشارة فخلع قميصه الذي يلي جلده فأعطانيه فلما رجعت إلى لشافعي اخبرته فقال إنني لست أفجعك فيه ولكن بله بالماء وأعطينيه حتى اتبرك به ملخص الفتنة والمحنة من كلام أئمة السنة أنابهم الله الجنة قد ذكرنا فيما تقدم أن المأمون كان قد استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق

إلى الباطل وزينوا له القول بخلق القرآن ونفي الصفات عن الله عز وجل قال البيهقي ولم يكن في الخلفاء قبله من بني أمية وبني العباس خليفة الاعلى مذهب السلف ومنهاجهم فلما ولي هو الخلافة اجتمع به هؤلاء فحملوه على ذلك وزينوا له واتفق خروجه إلى طرسوس لغزو الروم فكتب إلى نائبه ببغداد اسحاق بن إبراهيم ن مصعب يأمره أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن واتفق له ذلك آخر عمره قبل موته بشهور سنة ثمانى عشرة ومائتين فلما وصل الكتاب كما ذكرنا استدعى جماعة من أئمة الحديث فدعاهم الى ذلك فامتنعوا فتهددهم بالضرب وقطع الارزاق فأجاب أكثرهم مكرهين واستمر على الامتناع من ذلك الامام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجند يسابوري فحملا على بعير وسيرا إلى الخليفة عن أمره بذلك وهما مقيدان متعادلان في محمل على بعير واحد فلما كانا ببلاد الرجة جاءهما رجل من الاعراب من عبادهم يقال له جابر بن عامر فسلم على الامام احمد وقال له يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤما عليهم وإنك رأس الناس اليوم فإياك أن تجهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة وان كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه فانه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل وإنك ان لم تقتل تمت وان عشت عشت حميدا قال احمد وكان كلامه مما قوى عزمى على ما أنا فيه من الامتناع من ذلك الذي يدعونني إليه فلما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا بمرحلة جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول يعز على أبا عبدالله إن المأمون قد سل سيفا لم يسله قبل ذلك وأنه يقسم بقرايته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف قال فجتى والامام أحمد على ركبتيه ورمق بطرفه إلى السماء وقال سيدي غر حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أولياءك بالضرب والقتل اللهم فإن لم يكن القرآن كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته

قال فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثالث الاخير من الليل قال أحمد ففرحنا ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولي الخلافة وقد انضم إليه أحمد بن أبي دؤاد وان الأمر شديد فردونا إلى بغداد في سفينة مع بعض الاسارى وناثني منهم اذى كثير وكان في رجله القيود ومات صاحبه محمد بن نوح في الطريق وصلى عليه أحمد فلما رجع أحمد إلى بغداد دخلها في رمضان فأودع في السجن نحواً من ثمانية وعشرين شهراً وقيل نيفاً وثلاثين شهراً ثم أخرج إلى الضرب بين يدي المعتصم وقد كان أحمد وهو في السجن هو الذي يصلي في أهل السجن والقيود في رجله ذكر ضربه رضي الله عنه بين يدي المعتصم لما أحضره المعتصم من السجن زاد في قيوده قال أحمد فلم استطع أن أمشي بها فربطتها في

السكة وحملتها بيدي ثم جاؤني بدابة فحملت عليها فكذت أن أسقط على وجهي من ثقل القيود وليس معي أحد يمسكني فسلم الله حتى جئنا دار المعتصم فأدخلت في بيت وأغلق علي وليس عندي سراج فأردت الوضوء فمددت يدي فإذا إناء فيه ماء فتوضأت منه ثم قمت ولا أعرف القبلة فلما أصبحت إذ أنا على القبلة والحمد لله ثم دعيت فأدخلت على المعتصم فلما نظر الي وعنده ابن دؤاد قال أليس قد زعمت أنه حدث السن وهذا شيخ مكهل فلما دنوت منه وسلمت قال لي ادنه فلم يزل يدينني حتى قربت منه ثم قال اجلس فجلست وقد أثقلني الحديد فمكثت ساعة ثم قلت يا أمير المؤمنين إلى م دعا إليه ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إلى شهادة ان لا اله الا الله قلت فإنني أشهد ان لا اله الا الله قال ثم ذكرت له حديث ابن عباس في وفد عبد القيس ثم قلت فهذا الذي دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم تكلم ابن أبي دؤاد بكلام لم أفهمه وذلك أنني لم أتفقه كلامه ثم قال المعتصم لولا انك كنت في يد من قبلي لم اتعرض اليك ثم قال يا عبد الرحمن ألم أمرك أن ترفع المحنة قال أحمد فقلت لله أكبر هذا فرج المسلمين ثم قال ناظره يا عبد الرحمن كلمة فقال لي عبد الرحمن ما تقول في القرآن فلم أجبه فقال المعتصم أجبه فقلت ما تقول في العلم فسكت فقلت القرآن من علم الله ومن زعم أن علم الله مخلوق فقد كفر بالله فسكت فقالوا فيما بينهم يا أمير المؤمنين كفرك وكفرنا فلم يلتفت إلى ذلك فقال عبد الرحمن كان الله ولا قرآن فقلت كان الله ولا علم فسكت فجعلوا يتكلمون من ههنا وههنا فقلت يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به فقال ابن دؤاد وأنت لا تقول الا بهذا وهذا فقلت وهل يقوم الاسلام الا بهما وجرت مناظرات طويلة واحتجوا عليه بقوله ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ويقولوه الله خالق كل شيء وأجاب بما حاصله أنه عام مخصوص بقوله تدمر كل شيء بأمر ربها فقال ابن أبي دؤاد هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع وهنا قضاتك والفقهاء فسلمهم فقال لهم ما تقولون فأجابوا بمثل ما قال ابن أبي دؤاد ثم أحضروه في اليوم الثاني وناظروه أيضاً ثم في اليوم الثالث وفي ذلك كله كان يعلو صوته عليهم وتغلب حجته حججهم قال فإذا سكتوا فتح الكلام عليهم ابن أبي دؤاد وكان من أجهلهم بالعلم والكلام وقد تنوعت بهم المسائل في المجادلة ولا علم لهم بالنقل فجعلوا ينكرون الآثار ويردون الاحتجاج بها وسمعت منهم مقالات لم أكن أظن أن أحداً يقولها وقد تكلم معي ابن غوث بكلام طويل ذكر فيه الجسم وغيره بما لا فائدة فيه فقلت لا أدري ما تقول إلا إني أعلم أن الله أحد صمد وليس كمثلته شيء فسكت عني وقد

أوردت لهم حديث
لرؤية في الدار الآخرة فحاولوا أن يضعفوا إسناده ويلفقوا عن بعض المحدثين الحديثين كلاماً يتساقون به إلى الطعن فيه وهيهات واني لهم التناوش من مكان بعيد وفي غيبن ذلك كله يتلطف به الخليفة ويقول يا أحمد أجيني إلى هذا حتى أجعلك من خاصتي وممن يطأ بساطي فأقول يا أمير المؤمنين يأتوني بأية من كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجيبهم إليها

واحتج أحمد عليهم حين أنكروا الآثار بقوله تعالى يا أبا عبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ويقولوه وكلم الله موسى تكليماً ويقولوه إنني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدوني ويقولوه إنما قولنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن فيكون ونحو ذلك من الآيات فلما لم يقم لهم معه حجة عدلوا إلى استعمال جاه الخليفة فقالوا يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل وقال له

إسحاق بن إبراهيم نائب بغداد يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلي سبيله ويغلب خليفتين فعند ذلك حمى واشتد غضبه وكان ألينهم عريكة وهو يظن أنهم على شيء قال أحمد فعند ذلك قال لي لعنك الله طمعت فيك أن تجيني فلم تجيني ثم قال خذوه واخلعوه واسحبوه قال أحمد فأخذت وسحبت وخلعت وحيء بي بالعاقبين والسياط وأنا أنظر وكان معي شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم مصرورة في ثوبي فجردوني منه وصرت بين العقابين فقلت يا أمير المؤمنين الله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بأحدى ثلاث وتلوت الحديث وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم فيم تستحل دمي ولم أت شيئا من هذا يا أمير المؤمنين أذكر وقوفك بين الله كوقوفي بين يديك فكأنه أمسك ثم يزالوا يقولون له يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر فأمر بي فقامت بين العقابين وحيء بكرسي فأقمت عليه وأمرني بعضهم أن أخذ بيدي بأي الخشبتين فلم أفهم فتخلعت يداي وحيء بالضرايين ومعهم السباط فجعل أحدهم يضربني سوطين ويقول له يعني المعتصم شد قطع الله يدك وحيء الآخر فيضربني سوطين ثم الآخر كذلك فضربني أسواط فأغمي علي وذهب عقلي مرارا فإذا سكن الضرب يعود علي عقلي وقام المعتصم إلى يدعوني إلى قولهم فلم أجبه وجعلوا يقولون وبحك الخليفة على رأسك فلم أقبل وأعادوا الضرب ثم عاد إلى فلم أجبه فأعادوا الضرب ثم جاء إلى الثالثة فدعاني فلم أعقل ما قال من شدة الضرب ثم أعادوا الضرب فذهب عقلي فلم أحس بالضرب وأرعبه ذلك من أمري وأمر بي فأطلقت ولم أشعر إلا وأنا في حجرة من بيت وقد أطلقت الأقياد من رجلي وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من رمضان من سنة إحدى وعشرين ومائتين ثم أمر الخليفة بإطلاقه إلى أهله وكان جملة ما ضرب نيفا وثلاثين سوطا وقيل ثمانين سوطا لكن كان ضربا مبرحا

شديدا جدا وقد كان الامام أحمد رجلا طوالا رقيقا أسمر اللون كثير التواضع رحمه الله ولما حمل من دار الخلافة إلى دار إسحاق بن إبراهيم وهو صائم أتوه بسويق ليفطر من الضعف فامتنع من ذلك وأتم صومه وحين حضرت صلاة الظهر صلى معهم فقال هل ابن سماعة القاضي وصلبت في دمك فقال له أحمد قد صلى عمر وجرحه يشعب دما فسكت ويروى أنه لما أقيم ليضرب انقطعت تكة سراويله فخشى أن يسقط سراويله فتكشف عورته فحرك شفثيه فدعا لله فعاد سراويله كما كان ويروى أنه يقال يا غياث المستغيثين يا إله العالمين إن كنت تعلم أنني قائم لك بحق فلا تهتك لي عورة

ولما رجع إلى منزله جاءه الجراحي فقطع لحما ميتا من جسده وجعل يداويه والنائب في كل وقت يسأل عنه وذلك أن المعتصم ندم على ما كان منه إلى أحمد ندما كثيرا وجعل يسأل النائب عنه والنائب يستعلم خبره فلما عوفي فرح المعتصم والمسلمون بذلك ولما شفاه الله بالعاقية بقي مده وإبهاماه يؤذيهما البرد وجعل كل من أذاه في حل إلا أهل البدعة وكان يتلو في ذلك قوله تعالى وليعفوا وليصفحوا الآية ويقول ماذا ينفعلك أن يعذب أخوك المسلم بسببك وقد قال تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين وينادي المنادي يوم القيامة ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث أقسم عليهن ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله وكان الذين ثبتوا على الفتنة فلم يجيبوا بالكلية أربعة أحمد بن حنبل وهو رئيسهم ومحمد بن نوح بن ميمون الجند يسابوري ومات في الطريق ونعيم بن حماد الخزاعي وقد مات في السجن وأبو يعقوب البويطي وقد مات في سجن الواثق على القول بخلق القرآن وكان مثقلا بالحديد وأحمد بن نصر الخزاعي وقد ذكرنا كيفية مقتله

ثناء الأئمة على الامام أحمد بن حنبل

قال البخاري لما ضرب أحمد بن حنبل كنا بالبصرة فسمعت أبا الوليد الطيالسي يقول لو كان أحمد في بنى إسرائيل لكان أحدوته وقال إسماعيل بن الخليل لو كان أحمد في بنى إسرائيل لكان نبيا وقال المزني أحمد بن حنبل يوم المحنة وأبو بكر يوم الردة وعمر يوم

السقيفة وعثمان يوم الدار وعلى يوم الجمل وصفين وقال حرمله سمعت الشافعي يقول خرجت من العراق فما تركت رجلا أفضل ولا أعلم ولا أروع ولا أتقى من أحمد بن حنبل وقال شيخ أحمد يحيى بن سعيد القطان ما قدم على بغداد أحد أحب إلى من أحمد بن حنبل وقال قتيبة مات سفيان الثوري ومات الورع ومات الشافعي ومات السنن ويموت أحمد بن حنبل وتظهر البدع وقال إن أحمد

ابن حنبل قام في الأمة مقام النبوة قال البيهقي يعنى في صبره على ما أصابه من الأذى في ذات الله وقال أبو عمر بن النحاس وذكر أحمد يوما فقال رحمه الله في الدين ما كان أبصره وعن الدنيا ما كان أصبره وفي الزهد ما كان أخبره وبالصالحين ما كان أحقه وبالماضين ما كان أشبهه عرضت عليه الدنيا فأبأها والبدع فنفاها وقال بشر الحافي بعد ما ضرب أحمد بن حنبل أدخل أحمد الكير فخرج ذهباً أحمر وقال الميموني قال لي على بن المديني بعد ما امتحن أحمد وقيل قبل أن يمتحن يا ميمون ما قام أحد في الإسلام ما قام أحمد بن حنبل فعجبت من هذا عجباً شديداً وذهبت إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فحكيت له مقالة على بن المديني فقال صدق إن أبا بكر وجد يوم الردة أنصاراً وأعواناً وإن أحمد بم حنبل لم يكن له أنصار ولا أعوان ثم أخذ أبو عبيد يطرى أحمد ويقول لست أعلم في الإسلام مثله وقال إسحاق بن راهويه أحمد حجة بين الله وبين عبيده في أرضه وقال على بن المديني إذا ابتليت بشيء فأفتاني أحمد بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربي كيف كان وقال أيضاً إنني اتخذت أحمد حجة فيما بيني وبين الله عز وجل ثم قال ومن يقوى على ما يقوى عليه أبو عبد الله وقال يحيى بن معين كان في أحمد بن حنبل خصال ما رأيتها في عالم قط كان محدثاً وكان حافظاً وكان عالماً وكان ورعاً وكان زاهداً وكان عاقلاً

وقال يحيى بن معين أيضاً أراد الناس منا أن نكون مثل أحمد بن حنبل والله ما نقوى أن نكون مثله ولا نطيق سلوك طريقة وقال الذهلي اتخذت أحمد حجة فيما بيني وبين الله وقال هلال بن المعلى الرقي من الله على هذه الأمة بأربعة الشافعي فهم الأحاديث وفسرها وبين مجملها من مفصلها والخاص والعام والناسخ والمنسوخ وبأبي عبيد بين غريبها ويحيى بن معين نفى الكذب عن الأحاديث وأحمد بن حنبل ثبت في المحنة لولا هولاء الأربعة لهلك الناس وقال أبو بكر ابن داود أحمد بن حنبل مقدم على كل من يحمل بيده قلماً ومحبرة يعنى في عصره وقال أبو بكر محمد بن محمد بن رجاء ما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولا رأيت من رأى مثله وقال أبو زرعة الرازي ما أعرف في أصحابنا أسود الرأس أفقه منه وروي البيهقي عن الحاكم عن يحيى بن محمد العنبري قال أنشدنا أبو عبد الله البوسندي في أحمد بن حنبل رحمه الله

إن ابن حنبل ان سألت إمامنا * وبه الأئمة في الأنام تمسكوا
خلف النبي محمداً بعد الألى * خلفوا الخلائف بعده واستهلكوا
حذو الشراك على الشراك وإنما * يحذو المثل مثاله المستمسك
وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وروى البيهقي عن

أبي سعيد الماليني عن ابن عدي عن أبي القاسم البغوي عن أبي الربيع الزهراني عن حماد بن زيد عن بقة بن الوليد عن معاذ بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري ح قال البغوي وحدثني زياد بن أيوب حدثنا مبشر عن معاذ عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري ح قال البغوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وهذا الحديث مرسل وإسناده فيه ضعف والعجب أن ابن عبد البر صححه واحتج به على عدالة كل من حمل العلم والإمام أحمد من أئمة أهل العلم رحمه الله واکرم مثواه ما كان من أمر الإمام أحمد بعد المحنة

حين خرج من دار الخلافة صار إلى منزله فدوى حتى برأ ولله الحمد ولزم منزله فلا يخرج منه إلى جمعه ولا جماعة وامتنع من التحديث وكانت غلته من ملك له في كل شهر سبعة عشر درهما ينفقها على عياله ويتقنع بذلك رحمه الله صابراً محتسباً ولم يزل كذلك مدة

خلافة المعتصم وكذلك في أيام ابنه محمد الواثق فلما ولي المتوكل على الله الخلافة استبشر الناس بولايته فانه كان محبا للسنة وأهلها ورفع المحنة عن الناس وكتب إلى الآفاق لا يتكلم أحد في القول بخلق القرآن ثم كتب إلى نائبه ببغداد وهو إسحاق بن إبراهيم أن يعث بأحمد بن حنبل إليه فاستدعي إسحاق بالامام أحمد إليه فأكرمه وعظمه لما يعلم من اعظام الخليفة له واجلاله اياه وسأله فيما بينه وبينه عن القرآن فقال له أحمد سؤالك هذا سؤال تعنت أو استرشاد فقال بل سؤال استرشاد فقال هو كلام الله منزل غير مخلوق فسكن إلي قوله في ذلك ثم جهزه إلى الخليفة إلى سر من رأى ثم سبقه إليه وبلغه أن أحمد اجتاز بابنه محمد بن إسحاق فلم يأت به ولم يسلم عليه فغضب إسحاق بن إبراهيم من ذلك وشكاه إلى الخليفة فقال المتوكل يرد إن كان قد وطئ بساطي فرجع الامام أحمد من الطريق إلى بغداد وقد كان الامام أحمد كارها لمجيئه إليهم ولكن لم يهن ذلك على كثير من الناس وإنما كان رجوعه عن قول إسحاق بن إبراهيم الذي كان هو السبب في ضربه ثم إن رجلا من المبتدعة يقال له ابن البلخي وشى إلى الخليفة شيئا فقال إن رجلا من العلويين قد أوى إلى منزل أحمد بن حنبل وهو يبيع له الناس في الباطن فأمر الخليفة نائب بغداد أن يكبس منزل أحمد من الليل فلم يشعروا إلا والمشاعل قد أحاطت بالدار من كل جانب حتى من فوق الأسطحة فوجدوا الامام أحمد جالسا في داره مع عياله فسأله عما ذكر عنه فقال ليس عندي من هذا علم وليس من هذا شيء ولا هذا من نيتي وإني لأرى طاعة أمير المؤمنين في السر والعلانية وفي عسري ويسري ومنشطى ومكرهى وأثره على وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار في كلام كثير ففتشوا منزله حتى مكان الكتب وبيوت النساء والأسطحة وغيرها فلم يروا شيئا فلما بلغ وقد كان في حدائته يختلف إلى مجلس القاضي أبي يوسف ثم ترك وأقبل على سماع الحديث فكان أول طلبه للحديث وأول سماعه من مشايخه في سنة سبع وثمانين ومائة وقد بلغ من العمر ست عشر سنة وأول حجة حجها في سنة سبع وثمانين ومائة ثم سنة احدى وتسعين وفيها حج الوليد بن مسلم ثم سنة ست وتسعين وجاور في سنة سبع وتسعين ثم حج في سنة ثمان وتسعين وجاور إلى سنة تسع وتسعين وسافر إلى عند عبد الرزاق إلى اليمن فكتب عنه هو ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه قال الامام أحمد حججت خمس حجج منها ثلاث راجلا انفقت في احدى هذه الحجج ثلاثين درهما قال وقد ضللت في بعضها الطريق وأنا ماش فجعلت أقول يا عباد الله دلوني على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقفت على الطريق قال وخرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأسي لبنة ولو كان عندي تسعون درهما كنت رحلت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري وخرج بعض اصحابنا ولم يمكني الخروج لأنه لم يمكن عندي شيء

المتوكل ذلك وعلم براءته مما نسب إليه علم أنهم يكذبون عليه كثيرا فبعث إليه يعقوب بن إبراهيم المعروف بقوصرة وهو أحد الحجة بعشرة آلاف درهم من الخليفة وقال هو يقرأ عليك السلام ويقول استنفق هذه فامتنع من قبولها فقال يا أبا عبد الله إنني أخشى من ردك إياها أن يقع وحشة بينك وبينه والمصلحة لك قبولها فوضعها عنده ثم ذهب فلما كان من آخر الليل استدعى أحمد أهله وبنى عمه وعياله وقال لم أتم هذه الليلة من هذا المال فجلسوا وكتبوا أسماء جماعة من المحتاجين من أهل الحديث وغيرهم من أهل بغداد والبصرة ثم أصحاب ففرقها في الناس ما بين الخمسين إلى المائة والمائتين فلم يبق منها درهما وأعطى منها لأبي أيوب وأبي سعيد الأشج وتصدق بالكيس الذي كانت فيه ولم يعط منها لأهله شيئا وهم في غاية الفقر والجهد وجاء بنوا ابنه فقال اعطنى درهما فنظر أحمد إلى ابنه صالح فتناول صالح قطعة فأعطاها الصبي فسكت أحمد

وبلغ الخليفة أنه تصدق بالجائزة كلها حتى كيسها فقال على بن الجهم يا أمير المؤمنين إنه قد قبلها منك وتصدق بها عنك وماذا يصنع أحمد بالمال إنما يكفيه رغيث فقال صدقت فلما مات إسحاق بن إبراهيم وابنه محمد ولم يكن بيهما إلا القريب وتولى نيابة بغداد عبد الله ابن إسحاق كتب المتوكل إليه أن يحمل إليه الامام أحمد فقال لأحمد في ذلك فقال إنني شيخ كبير وضعيف فرد الجواب على الخليفة بذلك فأرسل يعزم عليه لتأينتي وكتب إلى أحمد إنني أحب أن أنس بقربك وبالنظر إليك ويحصل لى بركة دعائك فسار إليه الامام أحمد وهو

عليل في بنيه وبعض اهله فلما قارب العسكر تلقاه وصيف الخادم في موكب عظيم فسلم وصيف على الامام احمد فرد السلام وقال له وصيف قد أمكنك الله من عدوك ابن ابي داؤد فلم يرد عليه جوابا وجعل ابنه يدعو الله للخليفة ولوصيف فلما وصلوا إلى العسكر بسر من رأى أنزل أحمد في دار إيتاخ فلما علم بذلك ارتحل منها وأمر أن يستكرى له دار غيرها وكان رؤس الأمراء في كل يوم يحضرون عنده ويبلغونه عن الخليفة السلام ولا يدخلون عليه حتى يقلعون ما عليهم من الزينة والسلاح وبعث إليه الخليفة بالمفارش الوطيئة وغيرها من الآلات التي تليق بتلك الدار العظيمة وأراد منه الخليفة أن يقيم هناك ليحدث الناس عوضا عما فاتهم منه في أيام المحنة وما بعدها من السنين المتطاولة فاعتذر إليه عليل وأسنانه تتحرك وهو ضعيف كان الخليفة يبعث إليه في كل يوم مائدة فيا ألوان الأطعمة والفاكهة والثلج مما يقاوم مائة وعشرين درهما في كل يوم والخليفة يحسب أنه يأكل من ذلك ولم يكن أحمد يأكل شيئا من ذلك بالكلية بل كان صائما يطوى فمكت ثمانية أيام لم يستطعم بطعام ومع ذلك هو مريض ثم أقسم عليه ولده حتى شرب قليلا من السويق بعد ثمانية أيام وجاء عبيد الله بن يحيى بن خاقان بمال جزيل من الخليفة جائزة له فامتنع من قبوله فألح عليه الأمير فلم يقبل فأخذها الأمير ففرقها على بنيه وأهله وقال إنه لا يمكن ردها على الخليفة وكتب الخليفة لأهله وأولاده في كل شهر بأربعة آلاف درهم فمانع أبو عبد الله الخليفة فقال الخليفة لا بد من ذلك وما هذا إلا لولدك فأمسك أبو عبد الله عن مما نعته ثم أخذ يلوم أهله وعمه وقال لهم إنما بقي لنا أيام قلائل وكأننا قد نزل بنا الموت فاما إلى جنة وإما إلى نار فنخرج من الدنيا وبطوننا قد أخذت من مال هؤلاء في كلام طويل يعظهم به فاحتجوا عليه بالحديث الصحيح ما جاءك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مستشرف فخذه وأن ابن عمر وابن عباس قبلا جوائز السلطان فقال وما هذا وذاك سواء ولو أعلم أن هذا المال أخذ من حقه وليس بظلم ولا جور لم أبال

ولما استمر ضعفه جعل المتوكل يبعث إليه ما سوبه المتطبب لينظر في مرضه فرجع إليه فقال يا أمير المؤمنين إن أحمد ليس به علة في بدنه وإنما علته من قلة الطعام وكثرة الصيام والعبادة فسكت المتوكل ثم سألت أم الخليفة منه أن ترى الامام أحمد فبعث المتوكل إليه يسأله أن يجتمع بابنه المعتز ويدعو له وليكن في حجرة فتمنع من ذلك ثم أجاب إليه رجاء أن يعجل برجوعه إلى أهله ببغداد وبعث الخليفة إليه بخلعة سنية ومركوب من مراكبه فامتنع من ركوبه لأنه عليه ميثرة نمور فجيء ببغلة لبعض التجار فركبه وجاء إلى مجلس المعتز وقد جلس الخليفة وأمه في ناحية في ذلك المجلس من وراء ستر رقيق فلما جاء أحمد قال سلام عليكم وجلس ولم يسلم عليه بالامرة فقالت أم الخليفة الله الله يا بني في هذا الرجل ترده إلى أهله فإن هذا ليس ممن يريد ما أنتم فيه وحين رأى المتوكل أحمد قال لأمه يا أمه قد تأنست الدار وجاء الخادم ومعه خلعة سنية مبطنة وثوب وقلنسوة وطيلسان فألبسها أحمد بيده وأحمد لا يتحرك بالكلية قال الامام أحمد ولما جلست إلى المعتز قال مؤدبه أصلح الله الأمير هذا الذي أمر الخليفة أن يكون مؤدبك فقال إن علمنى شيئا تعلمته قال أحمد فتعجبت من ذكائه في صغره لأنه كان صغيرا جدا فخرج أحمد عنهم وهو يستغفر الله ويستعيذ بالله من مقتته وغضبه

ثم بعد أيام أذن له الخليفة بالانصراف وهيا له حزاقة فلم يقبل أن ينحدر فيها بل ركب في زورق فدخل بغداد مختفيا وأمر أن تباع تلك الخلعة وأن يتصدق بثمنها على الفقراء والمساكين وجعل أياما يتألم من اجتماعه بهم ويقول سلمت منهم طول عمري ثم ابتليت بهم في آخره وكن قد جاع عندهم جوعا عظيما كثيرا حتى كاد أن يقتله الجوع وقد قال بعض الأمراء للمتوكل إن أحمد لا يأكل لك طعاما ولا يشرب لك شرابا ولا يجلس على فرشك ويحرم ما تشربه فقال والله لو نشر المعتصم وكلمنى في أحمد ما قبلت منه وجعلت رسل الخليفة تفد إليه في كل يوم تستعلم أخباره

وكيف حاله وجعل يستفتيه في أموال ابن ابي داؤد فلا يجيب بشيء ثم إن المتوكل أخرج ابن ابي داؤد من سر من رأى إلى بغداد بعد أن أشهد عليه نفسه ببيع ضياعه واملاكه واخذ أمواله كلها قال عبد الله بن أحمد وحين رجع ابي من سامرا وجدنا عينيه قد دخلتا في موقيه وما

رجعت إليه نفسه إلا بعد ستة أشهر وامتنع أن يدخل بيت قرابته أو يدخل بيتا هو فيه أو ينتفع بشيء مما هم فيه لأجل قبولهم أموال السلطان وكان مسير أحمد إلى المتوكل في سنة سبع وثلاثين ومائتين ثم مكث إلى سنة وفاته وكل يوم إلا ويسأل عنه المتوكل ويوفد إليه في أمور يشاوره فيها ويستشيره في أشياء تقع له ولما قدم المتوكل بغداد بعث إليه ابن خاقان ومعه ألف دينار ليفرقها على من يرى فامتنع من قبولها وتفرقتها وقال إن أمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره فردها وكتب رجل رقعة إلى المتوكل يقول يا أمير المؤمنين إن أحمد يشتم أباك ويرميهم بالزندقة فكتب فيها المتوكل أما المأمون فإنه خلط فسلط الناس على نفسه وأما أبي المعتصم فإنه كان رجل حرب ولم يكن له بصر بالكلام وأما أخي الواثق فإنه استحق ما قيل فيه ثم أمر أن يضرب الرجل لذي رفع إليه الرقعة مائتي سوط فأخذه عبد الله بن إسحاق ابن إبراهيم فضربه خمسمائة سوط فقال له الخليفة لم ضربته خمسمائة سوط فقال مائتين لطاعتك ومائتين لطاعة الله ومائة لكونه قذف هذا الشيخ الرجل الصالح أحمد بن حنبل وقد كتب الخليفة إلى أحمد يسأله عن القول في القرآن سؤال استرشاد واستفادة لا سؤال تعنت ولا امتحان ولا عناد فكتب إليه أحمد رحمه الله رسالة حسنة فيها آثار عن الصحابة وغيرهم وأحاديث مرفوعة وقد أوردتها ابنه صالح في المحنة التي ساقها وهي مروية عنه وقد نقلها غير واحد من الحفاظ وفاة الإمام أحمد بن حنبل

قال ابنه صالح كان مرضه في أول ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين ومائتين ودخلت عليه يوم الأربعاء ثاني ربيع الأول وهو محموم يتنفس الصعداء وهو ضعيف فقلت يا أبت ما كان غداؤك فقال ماء الباقلا ثم إن صالحا ذكر كثرة مجيء الناس من الأكابر وعموم الناس لعيادته وكثرة حرج الناس عليه وكان معه خريفة فيها قطيعات ينفق على نفسه منها وقد أمر ولده عبد الله أن يطالب سكان ملكه وأن يكفر عنه كفارة يمين فأخذ شيئا من الأجرة فاشترى تمرا وكفر عن أبيه وفضل من ذلك ثلاثة دراهم وكتب الإمام أحمد وصيته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أحمد بن حنبل أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدین وأن يحمده في

الحامدين وأن ينصحوا المسلمين وأوصى أني قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وأوصى لعبد الله بن محمد المعروف ببوران على نحو من خمسين دينارا وهو مصدق فيها فيقضى ماله على من غلة الدار إن شاء الله فإذا استوفى أعطى ولد صالح كل ذكر وأثنى عشرة دراهم

ثم استدعى بالصبيان من ورثته فجعل يدعو لهم وكان قد ولد له صبي قبل موته بخمسين يوما فسماه سعيدا وكان له ولد آخر اسمه محمد قد مشى حين مرض فدعاه فالتزمه وقبله ثم قال ما كنت أصنع بالولد على كبر السن فليل له ذرية تكون بعدك يدعون لك قال وذاك إن حصل وجعل يحمد الله تعالى وقد بلغه في مرضه عن طاوس أنه كان يكره أنين المريض فترك الأنين فلم يئن حتى كانت الليلة التي توفي في صبيحتها أن وكانت ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة فإن حين اشتد به الوجع وقد روى عن ابنه عبد الله ويروى عن صالح أيضا أنه قال حين احتضر أبي جعل يكثر أن يقول لا بعد لا بعد فقلت يا أبة ما هذه اللفظة التي تلهج بها في هذه الساعة فقال يا بني إن إبليس واقف في زاوية البيت وهو غاض على أصبعه وهو يقول فتنى يا أحمد فأقول لا بعد لا بعد يعنى لا يفوته حتى تخرج نفسه من جسده على التوحيد كما جاء في بعض الأحاديث قال إبليس يارب وعزتك وجلالك ما أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني

وأحسن ما كان من أمره أنه أشار إلى أهله أن يوضوه فجعلوا يوضونه وهو يشير إليهم أن خللوا أصابعي وهو يذكر الله عز وجل في جميع ذلك فما أكملوا وضوءه توفي رحمه الله

ورضى عنه وقد كانت وفاته يوم الجمعة حين مضى منه نحو من ساعتين فاجتمع الناس في الشوارع وبعث محمد بن طاهر حاجبه ومعه غلمان ومعهم مناديل فيها أكفان وأرسل يقول هذا نياحة عن الخليفة فانه لو كان حاضرا لبعث بهذا فأرسل أولاده يقولون إن أمير المؤمنين كان قد أعفاه في حياته مما يكره وأبوا أن يكفونوه بتلك الأكفان وأتى بثوب كان قد غزلته جاريته فكفونوه واشتروا معه عوز لفافة وحنوطا واشتروا له رواقية ماء وامتنعوا ان يغسلوه بماء بيوتهم لأنه كان قد هجر بيوتهم فلا يأكل منها ولا يستعير من أمتعتهم شيئا وكان لا يزال متغصبا عليهم لأنهم كانوا يتناولون ما رتب لهم على بيت المال وهو في كل شهر أربعة آلاف درهم وكان لهم عيال كثيرة وهم فقراء وحضر غسله نحو من مائة من بيت الخلافة من بنى هاشم فجعلوا يقبلون بين عينيه ويدعون له ويترحمون عليه رحمه الله وخرج الناس بنعشه والخلائق حوله من الرجال والنساء ما لم يعلم عددهم إلا الله ونائب البلد محمد بن عبد الله بن طاهر واقف في جملة الناس ثم تقدم فعزى أولاد الامام أحمد فيه وكان هو الذي أم الناس في الصلاة عليه وقد أعاد جماعة الصلاة عليه عند القبر وعلى القبر بعد أن دفن من أجل

ذلك ولم يتسقر في قبره رحمه الله إلا بعد صلاة العصر وذلك لكثرة الخلق وقد روى البيهقي وغير واحد أن الأمير محمد بن طاهر أمر بحزر الناس فوجدوا ألف ألف وثلثمائة ألف وفي رواية وسبعمائة ألف سوى من كان في السفن وقال ابن أبي حاتم سمعت أبا زرعة يقول بلغني أن المتوكل أمر أن يمسح الموضع الذي وقف الناس فيه حيث صلوا على الامام أحمد بن حنبل فبلغ مفاسه ألفي ألف وخمسائة ألف قال البيهقي عن الحاكم سمعت أبا بكر أحمد بن كامل القاضي يقول سمعت محمد بن يحيى الزنجاني سمعت عبد الوهاب الوراق يقول ما بلغنا أن جمعا في الجاهلية ولا في الاسلام اجتمعوا في جنازة أكثر من الجمع الذي اجتمع على جنازة أحمد بن حنبل فقال عبد الرحمن بن أبي حاتم سمعت أبي يقول حدثني محد بن العباس المكي سمعت الوركاني جار أحمد ابن حنبل قال أسلم يوم مات أحمد عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس وفي بعض النسخ أسلم عشرة آلاف بدل عشرين ألفا فالله أعلم وقال الدارقطني سمعت أبا سهل بن زياد سمعت عبد الله بن أحمد يقول سمعت أبي يقول قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز حين تمر وقد صدق الله قول أحمد في هذا فانه كان إمام السنة في زمانه وعيون مخالفه أحمد بن أبي داؤد وهو قاضي قضاة الدنيا لم يحتفل أحد بموته ولم يلتفت إليه ولما مات ما شيعه إلا قليل من أعوان السلطان وكذلك الحارث بن أسد المحاسبي مع زهده وورعه وتنقيره ومحاسبته نفسه في خطراته وحركاته لم يصل عليه إلا ثلاثة أو أربعة من الناس وكذلك بشر بن غياث المريسي لم يصل عليه إلا طائفة يسيرة جدا فلله الأمر من قبل ومن بعد وقد روى البيهقي عن حجاج بن محمد الشاعر أنه قال ما كنت أحب أن أقتل في سبيل الله ولم أصل على الامام أحمد وروى عن رجل من أهل العلم أنه قال يوم دفن أحمد دفن اليوم سادس خمسة وهم أبو بكر وعمر وعلى وعمر بن عبد العزيز وأحمد وكان عمره يوم مات سبعا وسبعين سنة وأياما أقل من شهر رحمه الله تعالى

ذكر ما رئي له من المنامات

وقد صح في الحديث لم يبق من النبوة إلا المبشرات وفي رواية إلا الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وروى البيهقي عن الحاكم سمعت علي بن محشاد سمعت جعفر بن محمد بن الحسين سمعت سلمة بن شبيب يقول كنا عند أحمد بن حنبل وجاءه شيخ ومعه عكازة فسلم وجلس فقال من منكم أحمد بن حنبل فقال أحمد أنا ما حاجتك فقال ضربت إليك من أربعمائة فرسخ أريت الخضر في المنام فقال لي سر إلى أحمد بن حنبل وسل عنه وقل له إن ساكن العرش والملائكة راضون بما صبرت نفسك لله عز وجل وعن أبي عبد الله محمد بن خزيمة الاسكندراني قال لما

مات أحمد بن حنبل اغتممت غما شديدا فرأيت في المنام وهو يتختر في مشيته فقلت له يا أبا عبد الله أي مشية هذه فقال مشية الخدام في دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال أغفر لي وتوجني وأبسنى نعلين من ذهب وقال لي يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامي ثم قال

لي يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفیان الثوري وكنت تدعو بهن في دار الدنيا فقلت يارب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء حتى لا تسألني عن شيء فقال لي يا أحمد هذه الجنة قم فادخلها فدخلت فإذا أنا بسفيان الثوري وله جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة وهو يقول الحمد لله الذي أورتنا الأرض تنبؤاً من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العالمين قال فقلت له ما فعل بشر الحافي فقال يخ يخ ومن مثل بشر تركته بين يدي الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقول كل يامن لا يأكل واشرب يا من لم يشرب وانعم يا من لم ينعم أو كما قال وقال أبو محمد بن أبي حاتم عن محمد بن مسلم ابن وارة قال لما مات أبو زرعة رأيته في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال قال الجبار الحقوه بأبي عبد الله وأبي عبد الله وأبي عبد الله مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وقال أحمد بن خرزاد الانطاكي رأيته في المنام كان القيامة قد قامت وقد برز الرب جل جلاله لفصل القضاء وكان منادياً ينادي من تحت العرش أدخلوا أبا عبد الله وأبا عبد الله وأبا عبد الله الجنة قال فقلت لملك إلى جنبي من هؤلاء فقال مالك والثوري والشافعي وأحمد بن حنبل وروى أبو بكر بن أبي خيثمة عن يحيى بن أيوب المقدسي قال رأيته رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وهو نائم وعليه ثوب مغطى به وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين يذبان عنه وقد تقدم في ترجمة أحمد بن أبي داود عن يحيى الجلاء أنه رأى كان أحمد بن حنبل في حلقة بالمسجد الجامع وأحمد بن أبي داود في حلقة أخرى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بين حلقتين وهو يتلو هذه الآية فإن يكفر بها هؤلاء ويشير إلى حلقة ابن أبي داود فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ويشير إلى أحمد بن حنبل وأصحابه

2 ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين ومائتين

@ فيها كانت زلازل هائلة في البلاد فمنها ما كان بمدينة قومس تهدمت منها دور كثيرة ومات من أهلها نحو من خمسة وأربعين ألفاً وستة وتسعين نفساً وكانت باليمن وخراسان وفارس والشام وغيرها من البلاد زلازل منكرة وفيها أغارت الروم على بلاد الجزيرة فانتبهوا شيئاً كثيراً وأسروا نحو من عشرة آلاف من الذراري فإننا لله وإننا إليه راجعون وفيها حج بالناس عبد الصمد بن موسى بن إبراهيم الامام بن محمد بن علي نائب مكة

وفيها توفي من الأعيان الحسن بن علي بن الجعد قاضي مدينة المنصور وأبو حسان الزياتي قاضي الشرقية واسمه الحسن بن عثمان بن حماد بن حسان بن عبد الرحمن بن يزيد البغدادي سمع الوليد بن مسلم ووكيع بن الجراح والواقدي وخلقاً سواهم وعنه أبو بكر بن أبي الدنيا وعلي بن عبد الله الفرغاني الحافظ المعروف بطفل وجماعة ترجمة ابن عساكر في تاريخه قال وليس هو من سلالة زياد بن أبيه إنما تزوج بعض أجداده بأم ولد لزياد فليل له الزياتي ثم أورد من حديثه بسنده عن جابر الحلال بين والحرام بين الحديث وروى عن الخطيب أنه قال كان من العلماء الأفاضل من أهل المعرفة والثقة والأمانة ولى قضاء الشرقية في خلافة المتوكل وله تاريخ علي السنين وله حديث كثير وقال غيره كان صالحاً ديناً قد عمل الكتب وكانت له معرفة جيدة بأيام الناس وله تاريخ حسن وكان كريماً مفضلاً وقد ذكر ابن عساكر عنه أشياء حسنة منها أنه أنفذ إليه بعض أصحابه يذكر له أنه قد أصابته ضائقة في عيد من الأعياد ولم يكن عنده غير مائة دينار فأرسلها بصرتها إليه ثم سأل ذلك الرجل صاحب له أيضاً وشكا إليه مثلما شكا إلى الزياتي فأرسل بها الآخر إلى ذلك الآخر وكتب أبو حسان إلى ذلك الرجل الأخير الذي وصلت إليه أخيراً يستقرض منه شيئاً وهو لا يشعر بالأمر فأرسل إليه بالمائة في صرتها فلما رآها تعجب من أمرها وركب إليه يسأله عن ذلك فذكر أن فلاناً أرسلها إليه فاجتمعوا الثلاثة واقتسموا المائة الدينار رحمهم الله وجزاهم عن مروّتهم خيراً

وفيها توفي أبو مصعب الزهري أحد رواة الموطأ عن مالك وعبد الله بن ذكوان أحد القراء المشاهير ومحمد بن أسلم الطوسي ومحمد بن رمح ومحمد بن عبد الله بن عمار الموصلي أحد أئمة الجرح والتعديل والقاضي يحيى بن أكنم

2 ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائتين

@ في ذي القعدة منها توجه المتوكل على الله من العراق قاصدا مدينة دمشق ليجعلها له دار إقامه ومحلة إمامة فأدركه عيد الأضحى بها وتأسف أهل العراق على ذهاب الخليفة من بين أظهرهم فقال في ذلك يزيد بن محمد المهلبى
أظن الشام تشمت بالعراق * إذا عزم الامام على انطلاق
فان يدع العراق وساكنيها * فقد تبلى المليحة بالطلاق
وحج بالناس فيها الذي حج بهم في التي قبلها وهو نائب مكة
وفيهما توفي من الأعيان كما قال ابن جرير
إبراهيم بن العباس

متولى ديوان الضياع قلت هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول الصولي الشاعر الكاتب وهو عم محمد بن يحيى الصولي وكان جده صول بكر ملك جرجان وكان أصله منها ثم تمجس ثم أسلم على يدي يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ولابراهيم هذا ديوان شعر ذكره ابن خلكان واستجاد من شعره أشياء منها قوله
ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها مخرج
صاقت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكنت أظنها لا تفرج
ومنها قوله * كنت السواد لمقلتي
فبكى عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر
ومن ذلك ما كتب به إلى وزير المعتصم محمد بن عبد الملك بن الزيات
وكنت أخي بإخاء الزمان * فلما ننى صرت حربا عوانا
وكنت أدم إليك الزمان * فأصحت منك أدم الزمانا
وكنت أعدك للنائبات * فما أنا أطلب منك الأمانا
وله أيضا * لا يمنعك خفض العيش في دعه
نزوع نفس إلى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد إن حللت بها * أهلا بأهل وأوطانا بأوطان
كانت وفاته بمننصف شعبان من هذه السنة بسر من رأى والحسن بن مخلد بن الجراح خليفة ابراهيم بن شعبان قال ومات هاشم بن فيجور في ذي الحجة
قلت وفيها توفي أحمد بن سعيد الرباطي والحارث بن أسد المحاسبي أحد أئمة الصيوفية وحرمله ابن يحيى التجيبى صاحب الشافعي وعبد الله بن معاوية الجمحي ومحمد بن عمر العدني وهارون ابن عبد الله الحماني وهناد بن السري
2 ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائتين

@ في صفر منها دخل الخليفة المتوكل إلى مدينة دمشق في أبهة الخلافة وكان يوما مشهودا وكان عازما على الإقامة بها وأمر بنقل دواوين الملك إليها وأمر ببناء القصور بها فبنيت بطريق داريا فأقام بها مدة ثم إنه استوخمها ورأى أن هواءها بارد ندى وماءها ثقيل بالنسبة إلى هواء العراق ومائه ورأى الهواء بها يتحرك من بعد الزوال في زمن الصيف فلا يزال في اشتداد وغبار إلى قريب من ثلث الليل ورأى كثرة البراغيث بها ودخل عليه فصل الشتاء فرأى من كثرة الأمطار والثلوج أمرا عجيبا وغلت الأسعار وهو بها لكثرة الخلق الذين معه وانقطعت الأجلاب بسبب كثرة الأمطار والثلوج فضجر منها ثم جهز بها إلى بلاد الروم ثم رجع من آخر السنة إلى سامرا بعد ما أقام بدمشق شهرين وعشرة أيام ففرح به أهل بغداد فرحا شديدا وفيها أتى المتوكل بالحربة

التي كانت تحمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرح بها فرحا شديدا وقد كانت تحمل بين يدي رسول الله عليه وسلم يوم العيد وغيره وقد كانت للنجاشي فوهبها للزبير بن العوام فوهبها الزبير للنبي صلى الله عليه وسلم ثم ان المتوكل امر صاحب الشرطة ان يحملها بين يديه كما كانت تحمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها غضب المتوكل على الطيب بختيوشع ونفاه وأخذ ماله وحج بالناس فيها عبد الصمد المتقدم ذكره قبلها وانفق في هذه السنة يوم عيد الأضحى وخميس فطر اليهود وشعانين النصراني وهذا عجيب غريب

وفيهما توفي أحمد بن منيع وإسحاق بن موسى الخطمي وحמיד بن مسعدة وعبد الحميد بن سنان وعلى بن حجر والوزير محمد بن عبد الملك الزيات ويعقوب بن السكيت صاحب إصلاح المنطق

2 ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائتين

@ فيها أمر المتوكل ببناء مدينة الماحوزة وحفر نهرها فيقال إنه أنفق على بنائها وبناء قصر الخلافة بها الذي يقال له اللؤلؤة ألف ألف دينار وفيها وقعت زلازل كثيرة في بلاد شتى فمن ذلك بمدينة إنطاكية سقط فيها ألف وخمسائة دار وانهدم من سورها نيف وتسعون برجاً وسمعت من كوى دورها أصوات مزعجة جدا فخرجوا من منازلهم سراعا يهرعون وسقط الجبل الذي إلى جانبها الذي يقال له الاقرع فساخ في البحر فهاج البحر عند ذلك وارتفع دخان أسود مظلم متن وغار نهر على فرسخ منها فلا يدري أين ذهب ذكر ابو جعفر بن جرير قال وسمع فيها أهل تنيس ضجة دائمة طويلة مات منها خلق كثير قال وزلزلت فيها الرها والرقة وحران ورأس العين وحمص ودمشق وطرسوس والمصيصة وأذنة وسواحل الشام ورجفت اللاذقية بأهلها فما بقي منها منزل إلا انهدم وما بقي من أهلها إلا اليسير وذهبت جبلة بأهلها وفيها غارت مشاش عين مكة حتى بلغ ثمن القرية بمكة ثمانين درهما ثم أرسل المتوكل فأنفق عليها مالا جزيلا حتى خرجت وفيها مات إسحاق بن أبي إسرائيل وسوار بن عبد الله القاضي وهلال الرازي

وفيهما هلك نجاح بن سلمة وقد كان على ديوان التوقيع وقد كان حظيا عند المتوكل ثم جرت له حكاية أفضت به إلى أن أخذ المتوكل أمواله وأملاكه وحواصله وقد أورد قصته ابن جرير مطولة وفيها توفي أحمد بن عبدة الضبي وأبو الحيس القواس مقرى مكة وأحمد بن نصر النيسابوري وإسحاق بن أبي إسرائيل وإسماعيل بن موسى ابن بنت السدي وذو النور المصري وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم ومحمد بن رافع وهشام بن عمار وأبو تراب النحشي

وأبن الراوندي

الزنديق وهو أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو الحسين بن الراوندي نسبة إلى قرية بلاد قاشان ثم نشأ ببغداد كان يصف الكتب في الزندقة وكانت لديه فضيلة ولكنه استعملها فيما يضره ولا ينفعه في الدنيا ولا في الآخرة وقد ذكرنا له ترجمة مطولة حسب ما ذكرها ابن الجوزي في سنة ثمان وتسعين ومائتين وإنما ذكرناه ههنا لأن ابن خلكان ذكر أنه توفي في هذه السنة وقد تلبس عليه ولم يخرجه بل مدحه فقال هو ابو الحسين احمد بن اسحاق الراوندي العالم المشهور له مقالة في علم الكلام وكان من الفضلاء في عصره وله من الكتب المصنفة نحو مائة وأربعة عشر كتابا منها فضيحة المعتزلة وكتاب التاج وكتاب الزمردة وكتاب القصب وغير ذلك وله محاسن ومحاضرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب نقلها عنه أهل الكتاب

توفى سنة خمس وأربعين ومائتين برحبة مالك بن طوق التغلبي وقيل ببغداد نقلت ذلك عن ابن خلكان بحروفه وهو غلط وإنما أرخ ابن الجوزي وفاته في سنة ثمان وتسعين ومائتين كما سسيأتي له هناك ترجمة مطولة

ذو النون المصري

ثوبان بن ابراهيم وقيل ابن الفيض بن ابراهيم ابو الفيض المصري احد مشايخ المشهورين وقد ترجمه ابن خلكان في الوفيات وذكر شيئا من فضائله واحواله وارخ وفاته في هذه السنة وقيل في التي بعدها وقيل في سنة ثمان وأربعين ومائتين فإله أعلم وهو معدود في جملة من روى الموطأ عن مالك وذكره ابن يونس في تاريخ مصر وقال كان ابوه نوبيا وقيل انه كان من أهل اخيم وكان حكيما فصيحا وقيل سئل عن سبب توبته فذكر انه رأى قبره عمياء نزلت من وكرها فانثبقت لها الارض عن سكرتين من ذهب وفضة في احدهما سمس وفي الأخرى ماء فأكلت من هذه وشربت من هذه وقد شكى عليه مرة الى المتوكل فاحضره من مصر الى العراق فلما دخل عليه وعظه فأبكاه فرده مكرما فكان بعد ذلك اذا ذكر عند المتوكل يثني عليه

2 ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائتين

@ في يوم عاشوراء منها دخلن المتوكل الماحوزة فنزل بقصر الخلافة فيها واستدعى بالقراء ثم بالمطربين واعطى واطلق وكان يوما مشهودا وفي صفر منها وقع الفداء بين المسلمين والروم ففدى من المسلمين نحو من اربعة الاف اسير وفي شعبان منها امطرت بغداد مطرا عظيما استمر نحو من احد وعشرين يوما ووقع بارض بلخ مطر ماؤه دم عبيط وفيه حج بالناس محمد بن سليمان الزنبيبي وحج فيها من الاعيان محمد بن عبدالله بن طاهر وولى امر الموسم

وممن توفى فيها من الاعيان احمد بن ابراهيم الدورقي والحسين بن ابي الحسن المرورزي وابو عمر الدورى احد القراء المشاهير ومحمد بن مصفي الحمصي ودعبل بن على

ابن رزين بن سليمان الخزاعي مولا هم الشاعر الماجن البليغ في المدح وفي الهجاء أكثر حضر يوما عند سهل بن هارون الكاتب وكان بخيلا فاستدعى بغداده فإذا ديك في قصعة وإذا هو قاس لا يقطعه سكين إلا بشدة ولا يعمل فيه ضررس فلما حضر بين يديه فقد رأسه فقال للطباخ ويلك ماذا صنعت أين رأسه قال طننت أنك لا تأكله فألقيته فقال ويحك والله إني لأعيب على من يلقي الرجلين فكيف بالرأس وفيه الحواس الأربع ومنه يصوت وبه فضل عينيه وبهما يضرب المثل وعرفه وبه يتبرك وعظمه أهنى العظام فإن كنت رغبت عن أكله فأحضره فقال لا أدري أين هو فقال بل أنا أدري هو في بطنك قاتلك الله فهجاه بأبيات ذكر فيها بخله ومسكه

أحمد بن أبي الحواري

واسمه عبد الله بن ميمون بن عياش بن الحارث أبو الحسن التغلبي الغطفاني أحد العلماء الزهاد المشهورين والعباد المذكورين والأبرار المشكورين ذوى الأحوال الصالحة والكرامات الواضحة أصله من الكوفة وسكن دمشق وتخرج بأبي سليمان الداراني رحمهما الله وروى الحديث عن سفیان بن عيينة ووكيع وأبي أسامة وخلق وعنه أبو داود وابن ماجه وأبو حاتم وأبو زرعة الدمشقي وأبو زرعة الرازي وخلق كثير وقد ذكره أبو حاتم فائى عليه وقال يحي بن معين إني لأظن أن الله يسقى أهل الشام به وكان الجنيد بن محمد يقول هو ريحانه الشام

وروى ابن عساكر أنه كان قد عاهد أبا سليمان الدارني ألا يغضبه ولا يخالفه فجاءه يوما وهو يحدث الناس فقال يا سيدي هذا قد سجرؤا التنور فماذا تأمر فلم يرد عليه أبو سليمان لشعله بالناس ثم أعادها أحمد ثانية وقال له في الثالثة اذهب فاقعد فيه ثم اشتغل أبو سليمان في حديث الناس ثم استفاق فقال لمن حضره إني قلت لأحمد اذهب فاقعد في التنور وإني أحسب أن يكون قد فعل ذلك فقوموا بنا إليه فذهبوا فوجدوه جالسا في التنور ولم يحترق منه شيء ولا شعرة واحدة وروى أيضا أن أحمد بن أبي الحواري أصبح ذات يوم وقد ولد له ولد ولا يملك شيئا يصلح به الولد فقال لخدمته اذهب فاستدن لنا وزنة من دقيق فبينما هو في ذلك إذ جاءه رجل بمائتي درهم فوضعها بين يديه فدخل عليه رجل في تلك الساعة فقال يا أحمد إنه قد ولد لي الليلة ولد ولا أملك شيئا فرفع طرفه إلى السماء وقال يا مولاي هكذا بالعجلة ثم قال للرجل خذ هذه الدراهم فأعطاه إياها كلها ولم يبق منها شيئا واستدان لأهله دقيقا وروى عنه خادمه أنه خرج للثغر لأجل الرباط فما زالت الهدايا تغد إليه من بركة النهار إلى الزوال ثم فرقها كلها إلى وقت

الغروب ثم قال لي كن هكذا لا ترد على الله شيئا ولا تدخر عنه شيئا

ولما جاءت المحنة في زمن المأمون إلى دمشق بخلق القرآن عين فيها أحمد بن أبي الحواري وهشام ابن عمار وسليمان بن عبد الرحمن وعبد الله بن ذكوان فكلهم أجابوا إلا ابن أبي الحواري فحبس بدار الحجارة ثم هدد فاجاب تورية مكرها ثم أطلق رحمه الله وقد قام ليلة بالثغر يكرر هذه الآية اياك نعبد واياك نستعين حتى أصبح وقد ألقى كتبه في البحر وقال نعم الدليل كنت لي على الله وإليه ولكن الاشتغال بالدليل بعد معرفة المدلول عليه والوصول إليه محال ومن كلامه لا دليل على الله سواه وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة وقال من عرف الدنيا زهد فيها ومن عرف الآخرة رغب فيها ومن عرف الله أثر رضاه وقال من نظر إلى الدنيا نظر إرادة وحب لها أخرج الله نور اليقين والزهد من قلبه وقال قلت لأبي

سليمان في ابتداء أمري أوصني فقال اتستوص أنت فقلت نعم إن شاء الله تعالى فقال خالف نفسك في كل مرادتها فإنها الأمانة بالسوء وإياك أن تحقر إخوانك المسلمين واجعل طاعة الله دثارا والخوف منه شعارا والاخلاص له زادا والصدق حسنة وأقبل منى هذه الكلمة الواحدة ولا تفارقها ولا تغفل عنها من استحي من الله في كل أوقاته وأحواله وأفعاله بلغه الله إلى مقام الأولياء من عباده قال فجعلت هذه الكلمات أمامي في كل وقت أذكرها وأطالب نفسي بها والصحيح أنه توفي في هذه السنة وقيل في سنة ثلاثين ومائتين وقيل غير ذلك فالله أعلم

2 ثم دخلت سنة سبع وأربعين ومائتين

@ في شوال منها كان مقتل الخليفة المتوكل على الله على يد ولده المنتصر وكان سبب ذلك أنه أمر ابنه عبد الله المعتز الذي هو ولي العهد من بعده أن يخطب بالناس في يوم الجمعة فأداها أداء عظيما بليغا فبلغ ذلك من المنتصر كل مبلغ وحنق على أبيه وأخيه فأحضره أبوه وأهانته وأمر بضربه في رأسه وصفعه وصرح بعزله عن ولاية العهد من بعد أخيه فاشتد أيضا حنقه أكثر مما كان فلما كان يوم عيد الفطر خطب المتوكل بالناس وعنده بعض ضعف من علة به ثم عدل إلى خيام قد ضربت له أربعة أميال في مثلها فنزل هناك ثم استدعى في يوم ثالث شوال بدمائة على عادته في سمره وحضرته وشربه ثم تمألا ولده المنتصر وجماعة من الأمراء على الفتك به فدخلوا عليه ليلة الأربعاء لأربع خلون من شوال ويقال من شعبان من هذه السنة وهو على السماط فابتدروه بالسيوف فقتلوه ثم ولوا بعده ولده المنتصر

3 ترجمة المتوكل على الله

@ جعفر بن المعتصم بن الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي وأم المتوكل أم ولد يقال لها

شجاع وكانت من سراوات النساء سنحا وحزما كان مولده بقم الصلح سنة سبع ومائتين وبويع له بالخلافة بعد أخيه الواثق في يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة لسنة ثنتين وثلاثين ومائتين

وقد روى الخطيب من طريقه عن يحيى بن أكثم عن محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن الأعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حرم الرفق حرم الخير ثم أنشأ المتوكل يقول الرفق بمن والأناة سعادة * فاستأن في رفق تلاق نجاحا لا خير في حزم بغير روية * والشك وهن إن أردت سراحا

وقال ابن عساكر في تاريخه وحدث عن أبيه المعتصم ويحيى بن أكثم القاضي وروى عنه على ابن الجهم الشاعر وهشام بن عمار الدمشقي وقدم المتوكل دمشق في خلافته وبنى بها قصرا بأرض داريا وقال يوما لبعضهم إن الخلفاء تتغضب على الرعية لتطيعها وإني ألين لهم ليحبوني ويطيعوني وقال أحمد بن مروان المالكي ثنا أحمد بن علي البصري قال وجه المتوكل إلى أحمد بن المعذل وغيره من العلماء فجمعهم في داره ثم خرج عليهم فقام الناس كلهم إليه إلا أحمد بن المعذل فقال المتوكل لعبيد الله إن هذا لا يرى بيعتنا فقال يا أمير المؤمنين بلى ولكن في بصره سوء فقال أحمد بن المعذل يا أمير المؤمنين ما في بصرى سوء ولكن نزهتك من عذاب الله قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه وروى الخطيب أن على بن الجهم دخل على المتوكل وفي يده درتان يقلبهما فأنشده قصيدته التي يقول فيها

وإذا مررت ببئر عروة فاستقي من مائها

فأعطاه التي في يمينه وكانت تساوي مائة ألف ثم أنشده

بسر من رأى أمير * تعرف من بحره البحار

يرجى ويخشى لكل خطب * كأنه جنة ونار

الملك فيه وفي بنيه * ما اختلف الليل والنهار

يداه في الجود صرتان * عليه كلتاها تغار

لم تأت منه اليمين شيئا * إلا أتت مثله اليسار

قال فأعطاه التي في يساره أيضا قال الخطيب وقد رويت هذه الأبيات لعلى بن هارون
البحثري في المتوكل وروى ابن عساكر عن علي بن الجهم قال وقفت فتحية حظية المتوكل
بين يديه وقد كتبت على خدها بالغالبة جعفر فتأمل ذلك ثم أنشأ يقول
وكاتبته في الخد بالمسك جعفرا * بنفسي تحط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرًا من المسك خدها * لقد أودعت قلبي من الحب أسطرًا
فيامن مناهها في السريرة جعفر * سقا الله من سقيا ثناياك جعفرا
ويامن لملوك بملك يمينه * مطيع له فيما أسر وأظهر
قال ثم أمر المتوكل عربا فغنت به وقال الفتح بن خاقان دخلت يوما علي المتوكل فإذا هو
مطرق مفكر فقلت يا أمير المؤمنين مالك مفكر فوالله ما على الأرض أطيب منك عيشا ولا
أنعم منك بالا قال بلى أطيب مني عيشا رجل له دار واسعة وزوجة صالحة ومعيشة حاضرة
لا يعرفنا فنؤذيه ولا يحتاج إلينا فنزدره وكان المتوكل محببا إلى رعيته قائما في نصرة أهل
السنة وقد شبهه بعضهم بالصديق في قتله أهل الردة لأنه نصر الحق وورده عليهم حتى
رجعوا إلى الدين وبعمرو بن عبد العزيز حين رد مطالب بني أمية وقد أظهر السنة بعد البدعة
وأحمد أهل البدع وبدعتهم بعد انتشارها واشتهارها فرحمه الله وقد رآه بعضهم في المنام
بعد موته وهو جالس في نور قال فقلت للمتوكل قال المتوكل قلت فما فعل بك ربك قال
غفر لي قلت بماذا قال بقليل من السنة أحببتها وروى الخطيب عن صالح بن أحمد أنه رأى
في منامه ليلة مات المتوكل كأن رجلا يصعد به إلى السماء وقائلا يقول
ملك يقاد إلى ملك عادل * متفضل في العفو ليس بجائر
وروى عن عمرو بن شيبان الحلبي قال رأيت ليلة المتوكل قائلا يقول
يا نائم العين في أوطان جثمان * أفص دموعك يا عمرو بن شيبان
أما ترى الفئة الأرجاس ما فعلوا * بالهاشمي وبالفتح بن خاقان
وافى إلى الله مظلوما فضج له * أهل السموات من مثني ووحدان
وسوف يأتيكم من بعده فتن * توقعوها لها شان من الشان
فابكوا علي جعفر وابكوا خليفتمكم * فقد بكاه جميع الأنس والجان
قال فلما أصبحت أخبرت الناس برؤياي فجاء نعي المتوكل أنه قد قتل في تلك الليلة قال ثم
رأيت بعد هذا بشهر وهو واقف بين يدي الله عز وجل فقلت ما فعل بك ربك فقال غفر لي
قلت بماذا قال بقليل من السنة أحببتها قلت فما تصنع ههنا قال أنتظر ابني محمدا أخاصمه
إلى الله الحليم العظيم الكريم

وذكرنا قريبا كيفية مقتله وأنه قتل في ليلة الأربعاء أول الليل لأربع خلت من شوال من هذه
السنة أعنى سنة سبع وأربعين ومائتين بالمتوكلية وهي الماحوزية وصلّى عليه يوم الأربعاء
ودفن بالجعفرية وله من العمر أربعون سنة وكانت مدة خلافته أربع عشرة سنة وعشرة
أشهر وثلاثة أيام وكان أسمر حسن العينين نحيف الجسم خفيف العارضين أقرب إلى القصر
والله سبحانه أعلم

خلافة محمد المنتصر بن المتوكل
قد تقدم أنه تمالأ هو وجماعة من الأمراء على قتل أبيه وحين قتل بوع له بالخلافة في الليل
فلما كان الصباح من يوم الأربعاء رابع شوال أخذت له البيعة من العامة وبعثت إلى أخيه
المعتز فأحضره إليه فبايعه المعتز وقد كان المعتز هو ولي العهد من بعد أبيه ولكنه أكرهه
وخاف فسلم وبايع فلما أخذت البيعة له كان أول ما تكلم به أنه اتهم الفتح بن خاقان على
قتل أبيه وقتل الفتح أيضا ثم بعث البيع له إلى الآفاق وفي ثاني يوم من خلافته ولي المظالم
لأبي عمرة أحمد ابن سعيد مولى بني هاشم فقال الشاعر
يا ضيعة الإسلام لما ولي * مظالم الناس أبو عمره
صير مأمونا على أمة * وليس مأمونا على بعرة
وكانت البيعة له بالمتوكلية وهي الماحوزة فأقام بها عشرة أيام ثم تحول هو وجميع قواده
وحشمه منها إلى سامرا وفيها في ذي الحجة أخرج المنتصر عمه على بن المعتصم من
سامرا إلى بغداد ووكل به وحج بالناس محمد بن سليمان الزينبي وفيها توفي من الأعيان
إبراهيم بن سعيد الجوهري وسفيان بن وكيع بن الجراح وسلمة بن شبيب

وأبو عثمان المازني النحوي

واسمه بكر بن محمد بن عثمان البصري شيخ النجاة في زمانه أخذه عن أبي عبيدة والاصمعي وأبي زيد الأنصاري وغيرهم وأخذ عنه أبو العباس المبرد وأكثر عنه وللمازني مصنفات كثيرة في هذا الشأن وكان شبيهاً بالفقهاء ورعا زاهدا ثقة مأمونا روى عنه المبرد أن رجلا من أهل الذمة طلب منه أن يقرأ عليه كتاب سيبويه ويعطيه مائة دينار فامتنع من ذلك فلامه بعض الناس في ذلك فقال إنما تركت أخذ الأجرة عليه لما فيه من آيات الله تعالى فاتفق بعد هذا أن جارية غنت بحضرة الواثق أظلموم إن مصابكم رجلا * رد السلام تحية ظلم فاختلف من حضرة الواثق في إعراب هذا البيت وهل يكون رجلا مرفوعا أو منصوبا وبم نصب أهو اسم أو ماذا وأصرت الجارية على أن المازني حفظها هذا هكذا قال فأرسل الخليفة إليه فلما مثل بين يديه قال له أنت المازني قال نعم قال من مازن تميم أم من مازن ربيعة أم مازن قيس فقلت من مازن ربيعة فأخذ يكلمني بلغتي فقال باسمك وهم يلقبون الباء ميماء والميم باء فكرهت أن أقول مكر فقلت بكر فأعجبه إعراضي عن المكر إلى البكر وعرف ما أردت

فقال علما انتصب رجلا فقلت لأنه معمول المصدر بمصابكم فأخذ اليزيدي يعارضه فعلاه المازني بالحجة فأطلق له الخليفة ألف دينار إلى أهله مكرما فعوضه الله عن المائة دينار لما تركها لله سبحانه ولم يمكن الذمي من قراءة الكتاب لأجل ما فيه من القرآن ألف دينار عشرة أمثالها روى المبرد عنه قال أقرأت رجلا كتاب سيبويه إلى آخره فلما انتهى إلى آخره قال لي أما أنت أيها الشيخ فجزاك الله خيرا وأما أنا فوالله ما فهمت منه حرفا توفي المازني في هذه السنة وقيل في سنة ثمان وأربعين

2 ثم دخلت سنة ثمان وأربعين ومائتين

@ فيها أغزى المنتصر وصيفا التركي الصائفة لقتال الروم وذلك أن ملك الروم فصد بلاد الشام فعند ذلك جهز المنتصر وصيفا وجهاز معه نفقات وعددا كثيرة وأمره إذا فرغ من قتال الروم أن يقيم بالثغر أربع سنين وكتب له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر نائب العراق كتابا عظيما فيه آيات كثيرة في التحريض للناس على القتال والترغيب فيه وفي ليلة السبت لسبع بقين من صفر خلع أبو عبد الله المعتز والمؤيد إبراهيم أنفسهما من الخلافة وأشهدا عليهما بذلك وأنها عاجزان عن الخلافة والمسلمين في حل من بيعتهما وذلك بعدما تهددهما أخوهما المنتصر وتوعدهما بالقتل إن لم يفعلا ذلك ومقصودة تولية ابنه عبد الوهاب باشارة أمراء الأتراك بذلك وخطب بذلك على رؤس الأشهاد بحضرة القواد والقضاة وأعيان الناس والعوام وكتب بذلك إلى الأفاق ليعلموا بذلك ويخطبوا له بذلك على المنابر ويتوالى على مجال الكتابة والله غالب على أمره فأراد أن يسليهما الملك ويجعله في ولده والأقدار تكذبه وتخالفه وذلك أنه لم يستكمل بعد قتل أبيه سوى ستة أشهر ففي أواخر صفر من هذه السنة عرضت له علة كان فيها حتفه وقد كان المنتصر رأى في منامه كأنه يصعد سلما فبلغ إلى آخر خمس وعشرين درجة فقصها على بعض المعبرين فقال تلى خمسا وعشرين سنة الخلافة وإذا هي مدة عمره قد استكملها في هذه السنة وقال بعضهم دخلنا عليه يوما فإذا هو يبكي وينتحب شديدا فسأله بعض أصحابه عن بكائه فقال رأيت أبي المتوكل في منامي هذا وهو يقول ويلك يا محمد قتلتنى وظلمتنى وعصبتنى خلافتى والله لا أمتعت بها بعدى إلا أياما يسيره ثم مصيرك إلى النار قال فما أملك عيني ولا جزعي فقال له أصحابه من الغرارين الذين يغرون الناس ويفتنونهم هذه رؤيا وهي تصدق وتكذب قم بنا إلى الشراب ليذهب همك وجزنك فأمر بالشراب فأحضر وجاء ندماؤه فأخذ في الخمر وهو منكسر الهمة وما زال كذلك مكسورا حتى مات

وقد اختلفوا في علته التي كان فيها هلاكه فقيل داء في رأسه فقطر في أذنه دهن فلما وصل إلى دماغه عوجل بالموت وقيل بل ورمت معدته فانتهى الورم إلى قلبه فمات وقيل بل أصابته ذبحة فاستمرت به عشرة أيام فمات وقيل بل فصدته الحجام بمفصد مسموم فمات من يومه قال ابن جرير أخبرني بعض أصحابنا أن هذا الحجام رجع إلى منزله وهو محموم فدعا تلميذا له حتى يفصده فأخذ مبيض أستاذه ففصده به وهو لا يشعر وأنسى الله سبحانه

الحجام فما ذكر حتى رآه قد فصده به وتحكم فيه السم فأوصى عند ذلك ومات من يومه
وذكر ابن جرير أن أم الخليفة دخلت عليه وهو في مرضه الذي مات فيه فقالت له كيف
حالك فقال ذهب منى الدنيا والآخرة ويقال إنه أنشد لما أحيط به وأيس من الحياة
فما فرحت نفسي بدنيا أصبتها * ولكن إلى الرب الكريم أصير
فمات يوم الأحد لخمسة بقين من ربيع الآخر من هذه السنة وقت صلاة العصر عن خمس
وعشرين سنة قيل وستة أشهر ولا خلاف أنه إنما مكث بالخلافة ستة أشهر لا يزيد منها وذكر
ابن جرير عن بعض أصحابه أنه لم يزل يسمع الناس يقولون العامة وغيرهم حين ولي
المنتصر إنه لا يمكث في الخلافة سوى ستة أشهر وذلك مدة خلافة من قبل أباه لأجلها كما
مكث شبرويه بن كسرى حين قتل أباه لأجل الملك وكذلك وقع وقد كان المنتصر أعين أقنى
قصيرا مهيبا جيد البدن وهو أول خليفة من بنى العباس أبرز قبره بإشارة أمه حبشية الرومية
ومن جيد كلامه قوله والله ما عز ذو باطل قط ولو طلع القمر من جنبه ولا ذل ذو حق قط
ولو أصفق العالم
عليه بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء العاشر من البداية والنهاية وبلية الجزء الحادي عشر
وأوله خلافة أحمد المستعين بالله والله نسأل المعونة والتوفيق